فلسطين
و
الحاج أمين الحسيني

زهير مارديني



دار اقرأ

فلسطين
و
الحاج أمين الحسيني

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دار اقـــرأ

بيروت - الرملة البيضاء - سنتر ملكارت التجاري - ص. ب. ١٣٥٨١٨٢ - هاتف : ٨٠٦٢٥٢

زهير مارديني

فلسطين
و
الحاج أمين الحسيني



دار اقـــرأ

الحاج أمين قال لي :

صناعة الثورة وصعوبة النصر

زهير المارديني

حقق هذا الكتاب

الدكتور محمد حلمي مراد

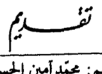
حقق هذا الكتاب الدكتور «محمد حلمي مراد» الوزير السابق للتربية والتعليم بمصر والحائز على جائزة دولة مصر التقديرية في العلوم الاجتماعية الذي يتمثل في شخصيته ونضاله ومواقفه الجيل العربي الجديد. . .

الجيل المتحرر من التقاليد البالية والأفكار الوهمية. . .

الجيل العامل على تحطيم الاصنام ليضمن لامته حياة حرة صادقة، حياة مبنية على تفكير سليم، ودراسة عميقة للحوادث والاحداث والأشخاص.

الجيل الذي لا يحد بالسن بل بالفكر الواضح والحجة السليمة والمثالية العربية الواعية:

المثالية التي ولدها البحث العلمي الهادىء فنبذت الخيال الجامح المراهق.



تقديم

بقلم: محمّد أمين الحسيني

كان الغرض من أحاديثي في هذه الصفحات هو أن أتحدث عن قضية بلادي التي شغلتني منذ أن وعيت على هذه الدنيا وما زلت... كنت استعرض خلالها الاحداث التي وقعت في فلسطين والتي كنت على صلة مباشرة بها، وذلك حتى أمكن نفسي من التفكير في أمرها بوضوح. وكان الصديق الاستاذ زهير المارديني يشاركنا هذه الأحاديث فاقترح أن يسجلها.. وبدا لي في أول الأمر أن مهمته صعبة وشاقة، بسبب كثرة تنقلاتي بين المدن العربية واضطراري للسفر الدائم والتنقل حيث يعيش بنو قومي، ولكنه تمكن من تحقيقها معتمداً على دأبه، ومثابرته، وحرصه على أن يقدم للقارىء في هذه الظروف العصيبة صورة واعية لهذه القضية التي تحتل الآن مكان الصدارة في العالم.

وعندما جمعت هذه الأحاديث رأيت من واجبي أن أشير إلى أن احاديثي قد نقلت أثناء فترة مضنية قاتمة من حياتي، ولذا فهي تحمل أثاراً بينة منها بسبب الظروف التي تعيشها قضية بلادي، ومهما يكن فقد تركت الاستاذ زهيراً يسجلها على عفويتها معتمداً على ما أعرفه عن الصديق من إخلاص وتجرد، ذلك أنها قد تكون بالنسبة لبعضهم مهمة فيما يتعلق بكنه أحاسيسي ومشاعري اثناء روايتها.

ولقد حاولت في هذه الأحاديث أن أعكس مشاعري إلى أبعد ما تمكنني الظروف، فلم أحاول والحالة هذه أن أروي استعراضاً لتاريخ القضية الفلسطينية العادلة. فالذين يرغبون في القيام بدراسة مستفيضة لماضي فلسطين القريب وحاضرها فعليهم أن يتجهوا إلى غير هذه الأحاديث الخاصة التي قد تساعدهم مع غيرها من الروايات الفردية على سد الثغرات وعلى تقديم متكأ لدراسة الوقائع.

لقد اطلعني الصديق الماردين على بعض ما كتب، وتدارسنا معا الطريقة التي لجأ إليها في سرد الأحاديث التي رواها عني، فكنت أقره على أشياء وأخالفه على أشياء. ولكن هذا لا يمنع من التأكيد بأنني انتقدت بعض الجهات وجنحت أحياناً الى القسوة في هذا الانتقاد، إلا أن هذا الانتقاد لا ينتقص من احترامي لبعض هذه الجهات. فلقد شعرت بأنه يجب على الذين يمارسون القضايا العامة أن يكونوا صريحين بعضهم مع بعض ومع الجمهور الذي يقومون بخدمته. وهكذا فان الحقائق التي سردتها كانت مشفوعة بمحاولة تجنب المشاكل والمسائل المحرجة، وهي مسائل قد تكون أحياناً باعثة على الاسى ولا تساعد المشتغلين بالقضايا العامة على فهم بعضهم بعضا، كما لا تساعدهم على فهم ما يواجهونه من مشاكل.

وأرجو أن لا يحمل شيء مما رويته اثراً مما لا أقصده حيال أي فرد أو جماعة.

لقد تعمدت أن أتجنب مناقشة القضايا التي هي موضوع خلاف في العالم العربي اليوم اللهم إلا بصورة غير مباشرة.

ذلك أنني لا أزال اعتبر نفسي في المعركة التي فرضت على بلادي، ولا تسمح لي الظروف وأنا في خضم المعركة بأن أذهب بعيداً في أغوار التباين في وجهات النظر، أو حتى أن أقرر في ذهني ما يجب فعله بأمرها، هذه أمور تناقش بعيدا عن انفعالات المعركة!

وهكذا فانني لم أجد أن الأمر يستوجب إضافة الكثير على ما رويته الان بشأن تلك القضايا، وعلى هذا فان هذا التسجيل لأحاديثي التي اضطلع في نقلها الاستاذ زهير الماردين لا تعدو عن كونها هيكل رواية لاحداث الماضي القريب، وإذا كانت تدنو من الحاضر فإنها تتجنب بحذر الاتصال به.

محمد أمين الحسيني

لكي تبقى شعلة النضال مضاءة

(. . إلى متى نعبد الصنم بعد الصنم؟ الى متى نقول بأفواهنا، ما ليس في قلوبنا؟ إلى متى ندعي الصدق والكذب شعارنا. . . إلى متى نستظل بشجرة تقلص عنا ظلها؟ إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن أن الشفاء فيها؟)

(أبو حيان التوحيدي)

من خلال هذه العبارات نستطيع أن نرى التوحيدي وهو يلقي القفاز في وجه مزوري التاريخ. . ونستطيع أن نراه في الوقت نفسه وهو يضع أوراقه مكشوفة على مائدة المعرفة ليقرأها من شاء متى شاء. . ومن خلال هذه السطور أيضاً نستطيع أن نرى التوحيدي وهو يطالبنا بأن نكف عن تزوير التاريخ ونخرج الحقائق للناس. ! فماذا بقي لنا لكي نتهرب من واقعنا تحت شعار (ما كل ما يعلم يقال). ! .

لا. . يجب علينا أن نقول كل ما نعرفه لنخرج من التيه!

بعد حزيران ١٩٦٧ جاءنا حزيران ١٩٨٢. . وفي حزيران الثاني كان الفشل الأكبر الذي سُجل هو أن الخوف على المصير لم يتحول الى شعور لاهب بالخطر، ظل خوفاً من توافه الخوف على المصالح الانانية، وفي إطار الموجة القصيرة من المصالح. . لم يصبح شعوراً جماعياً بالكارثة، يفترس الجموع ويلصقها بعضها ببعض كالصخر. . لم يصبح من تلك الاخطار المصيرية التي تهز الشعوب حتى النخاع الشوكي، ظل في حدود الذات الفردية ولم يتسع حتى يشمل الامة كلها، لا اجتمع في قناة واحدة ولا أخذ حدّه الأقصى من التوتر الايجابي، ولا اتجه نحو العدو الواضح وضوح الشمس. . حتى الآن لم تستطع لا القيادات الفلسطينية ولا

السياسية ولا الفكرية أن تكتشف خطر العدو في حجمه الحقيقي.. لم تفهم كيف تجعل الخطر في منزلة الخبز.. لم تنجح في أن تضع في صدر كل بيت صورة الجمجمة والعظمتين انذاراً بخطر الموت..

صحيح أن الشعوب تقاد من أذانها ولكن إلى حين.. وكم طال هذا الحين.. لكي تحقق الثورة المبدعة يجب أن تقاد بشرايين القلب..

نتيجة كل ذلك:

وقفنا عند مرحلة الاستسلام وهي أذل الحالات..

تركنا الثورة الفلسطينية تذبح دون أن نعلم لماذا تذبح على هذا النحو المخجل والمذلّ.. ولم يعد لمنطقة استراتيجية خطيرة تزيد في المساحة والأرض على أوربا ويسكنها ١٥٠ مليون انسان وفيها أكبر ثروة مستغلة وأكبر احتياطي في الوقت نفسه من النفط وتشكل ٢٢ دولة في العدد أكثر من سُبع دول العالم.. لم يعد لكل أولئك أي وزن دولي..

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو:

لماذا تعثرت الثورة الفلسطينية؟

قد يكون من أسباب هذا التعثر اخفاء الاسرار في قمقم مسحور لا يفك رصده إلّا بعض الأشخاص الذين يوصفون تارة بالحكام واخرى بالقادة.. فهل من الممكن القفز من فوق رؤوس هؤلاء والاقتراب من الحقائق لروايتها؟

هذه هي المسألة

زهير

هذا الكتاب

في الرابع من حزيران «يونيو» ١٩٧٤، طيرت وكالات الأنباء العالمية نبأ وفاة واحد من أكبر زعماء العرب في القرن العشرين سماحة الحاج محمد أمين الحسيني، وكان ذلك النبأ مصدر أسف وحزن عميقين، لا للأمة العربية التي ينتمي إليها الرجل الكبير فحسب، وإنما للأمة الاسلامية قاطبة التي عرفت هذا المناضل وقدرت الميزات الانسانية العظيمة التي وهبها الله له.. ذلك أن قيادته للشعب الفلسطيني ضد الصهيونية وعملائها والمستعمرين واعوانهم، لم تكن أعلاء للقيم النضالية التي تكافح من أجلها الأمة العربية فحسب، وإنما كانت إعلاء للانسان العربي نفسه في مواجهة القوى الطاغية التي تود هدم روح الشعب وقواه المعنوية.

وإن ما تلقى به ابناء الأمة العربية، وأبناء الأمة الاسلامية قاطبة، نبأ وفاة المفتي من الأسى والحزن البالغين إلى حد بعيد، ليس السبب فيه راجعاً إلى مجرد نواحي العظمة الانسانية المتجسدة في هذا الرجل فحسب، بل أيضاً إلى ذلك الإكبار الغريب الذي يكبره العالمان العربي والاسلامي لنضاله الصخري بصمود عجيب في سبيل قضية فلسطين..

إن أعظم قيمة جسدها وتجسدها ذكرى الرجل منه هي الابقاء على الشعلة التي اوقدها بيده وأنار فيها الطريق أمام الأجيال الصاعدة..

ربما كانت شخصية الحسيني احدى الشخصيات النادرة في التاريخ العربي المعاصر قد استطاعت أن تحقق ذلك التوازن الشديد الصعوبة بين الرغبة العميقة في السلام، والحب الجارف للانسان عامة، وبين الاصرار العنيد على المقاومة القتالية

للقوى الصهيونية، والتي تنطوي في نهاية المطاف، على القتل وسيول الدم، بيد أنها قضية ليس فيها خيار. . .

لقد أمضيت مع سماحته ما يقرب من ألف يوم على مدى أربع سنوات وأنا اصغي إليه وهو يتحدث عن القضية الفلسطينية والثورات العربية، ودونت ما سمعته منه على الورق، ثم جمعت هذا الورق ونسقته على أمل أن يصدر في كتاب، ثم شاءت الأقدار أن يغيب عن هذه الدنيا قبل أن يكمل الاطلاع على ما دونته. . لهذا فاني أتحمل وحدي مسؤولية كل ما كتبت. . .

لقد تصورت حين لقائي به أول الأمر انني سأجد انساناً ممروراً فوارا من الأسى، لما عاناه من قسوة الأحداث طوال حياته، ومن جراء ما لقيه من صنوف التآمر الصهيوني عليه، غير أن أول ما لفت نظري واسترعى انتباهي هو إمارات الوداعة العجيبة المرتسمة دائما على قسمات وجهه، بيد أن هذه الوداعة تقترن بنظرة شديدة النفاذ، تنطلق من عينين ايقنت انهما تريان كل شيء وإن كان يلوح أنهما لا تدققان في شيء. .

لقد بدا لي ـ لأول وهلة ـ بثيابه النظيفة والانيقة، وعمامته البيضاء التي لا تفارق رأسه حتى وهو في منزله، وشعر لحيته التي خطها الشيب تماماً، بدا لي كأنه لم يعرف في حياته إلاّ الألم والأمر والنهي، ولكني سرعان ما وجدت على وجهه دلائل الاتزان والوقار والكياسة والمرونة واللباقة. . ولكن هل يمكن أن يقال إن له نظرة ثاقبة، وقدرة على إخفاء مشاعره؟

لا يسعني أن أجيب على هذا السؤال بالدقة. . . وجل ما يمكن أن أقوله إنه لم يعرف معنى السذاجة طول حياته. فهذا الرجل ذو الجسم الضئيل والوجه الذي يشبه وجه السيد المسيح، واللحية التي تفرض احترامها على السامعين، والنظرة الفاحصة المدققة، والعينين اللامعتين اللتين يعلوهما جبين يتوجه شعر أبيض خفيف. . هذا الرجل الذي يبدو في وداعة الطفل لا يعيش إلا بقوة الخيال والتصور وفي نيران الكفاح والنضال و. . . الصراع!

عندما التقيت به لأول مرة في منزله بالمنصورية في أوائل عام ١٩٦٩، كدت لا أشعر به وهو يدخل قاعة الاستقبال التي كنت أنتظره فيها، ولم أسمع وقع

خطواته على الأرض، فإن نعليه السوداوين اللذين يشبهان أخفاف المصلين كانا يتزحلقان على السجاد في ثبات . . .

لقد بهرتني هذه الشخصية الاسطورية التي دخلت هذه القاعة وكأنها ابت إلا أن تتحرك بطريقة هي أقرب إلى الطيف. ومن عجب أن في حركات المجاملة التي يقوم بها شيئاً ينم عن العزيمة الخارقة. . فإذا قدم الى ضيفه قدح الشاي الشفاف، أو طلب منه أن يجلس الى جانبه، خيل إلى زائره أنه يريد أن يعتذر دائماً عن اضطراره الى الاجابات المستمرة التي تستدعيه أن يغادر الصالة أكثر من مرة. . وخيل إليه أيضا أنه الصديق المفضل لديه!

ومن الثابت المحقق أنه يعرف قيمة الاتصالات الشخصية حق المعرفة، وهو بارع كل البراعة فيما يبديه من لطف ولين جانب حيال ضيوفه الكثر من مختلف الأعمار والاجيال والاراء. . . بل أن له قدرة عجيبة حقا على تحويل النقاش العادي الهادىء الذي يدور بينه وبين زواره الى حوار كله حرارة عن قضية فلسطين، ثم سرعان ما يصبح لكلماته التي تبدو عادية جرس قوي. . .

ويجيد الرجل الى حد مذهل حقا التحدث بلهجة بارعة الى جميع الأعمار، وإلى جميع الشخصيات. . . الى المقاتلين والى الشيوخ بصورة خاصة.

وتتجلى نعومته في الطريقة البالغة التبسيط التي يتكلم بها الى الشباب الفلسطينيين الذين نذروا انفسهم للموت من أجل إعادة حقهم المغتصب. . . وهذا الرجل هو بالتأكيد استاذ في وضع التكتيكات السياسية، وفي درء مناورات العدو وخبثه، وفي كشف الدعايات الصهيونية التي تسخر لخدمتها كل ذكاء ينطوي عليه من تركيب وتعقيد. . كان لاسمه في الثلاثينات والاربعينات وحتى الخمسينات وقع السحر في قلوب العرب، فاسم (الحاج أمين) في تلك السنوات العجاف كان أحد العوامل المؤثرة على نحو كبير في الابقاء على القضية الفلسطينية على سطح الأحداث العربية تغلي!

* * *

وهناك قصص كثيرة ترويها الجدات لاحفادها عن هذا الاسم الذي كان يهز الألوف ويدفعهم للموت. . كان الرجل اغنية على شفاه الصبايا والشباب، والأمل

الـذي يـداعب خيـال الـرجـال، وحب الحـاج أمـين لم يقتصر عـلى أبنـاء فلسـطين وحدهم، بل تعداه الى الساحتين العربية والاسلامية. .

وبالرغم من المعاناة الشديدة التي مارسها الرجل في حياته العريضة، إلا أنه لم يفقـد روح البهجة والأنس في جـو عمله، وهذه الـروح تعد إحـدى العـوامـل التي تستند إليها صلاته الودية الوثيقة بجميع القادة والزعماء والسياسيين الـذين اجتمعوا به. .

* * *

سـأروي في هذا الكتـاب مولـده، وطفولتـه، وشبابـه وتاريخـه من خلال مـا سمعته منه. . والسبب المباشر لاقدامي على هذه الخطوة هي تلك التهمة الملتصقـة بنا نحن الذين شاءت أقدارنا أن نتعرف عـلى القادة والـزعماء، والقـائلة بأن كتّـاب العرب أعقّ الكتّاب بحق رجالهم. . .

هـذه التهمة صحيحـة إلى حد مـا. . فما أن يغيب القـائد العـربي، والـزعيم العربي، والسياسي العربي، حتى نترك سيرة حياته نهبا للاعداء!

وظلم ذوي القـربى أشـد مضـاضـة عـلى النفس من وقـع الحسـام المهنـد

واظلم الحق لو انكرت على الحاج أمين ما قدمه لأمته من جهاد قومي. . لقد كان رسول قضيـة قبل أن يبلغ الـوعي بحكومـات العرب درجـة إدراك أن الحق لا يقف وحده. . ولو انكرت ذلك اذن لكفرت، على الظلم، بتاريخ طويل من الجهاد العربي الدؤوب كان الفلسطينيون وحدهم في معظم الأحيان جنوده وأبطاله. . .

لن أتعرض في هذا الكتاب الى خصومـات الرجـل، فلكل رحـل ملأ حيـاته بالنضال والعمـل أخطاء، ولكـل رجل اضـطلع بأرفـع المسؤوليات في أيـام اشتداد الازمات خصوم. . ولكن لنتذكر ونحن نخوض في الاحقاد والخصومات والعداوات أن للعدو اجهزة علمية منظمة مستمرة تعمل باستمرار لحجب الضوء عن رجـالات العـرب الـذين استـطاعـوا أن يشقـوا القشـرة العـربيـة ويخـرجـوا الى النـور كقـادة محترمين. . والحاج أمين واحد من هؤلاء دون أدنى شك.

لقد أحصيت مرة عدد الكتب التي صدرت في نقده وتجريحه في المانيـا الغربيـة

وحدها فإذا بها تتجاوز الـ ٩٤ كتاباً. . . رأيتها بأم عيني معروضة في مكتبة (بـون)، ومتيسرة لكل من حاول اقتناءها أو استعارتها. . . ففي هذه المكتبة موظف يهودي ما أن يراك تلتقط أيا من هذه الكتب حتى يقبل عليك هاشا باشا ويسألـك هل تـريد أحدها؟ فإذا أجبت بالايجاب يسارع الى مكتبه فيقدمه إليك مجاناً. . .

هكذا يعملون. . .

أتراني فعلت الكثير حين أعددت هذا الكتاب؟

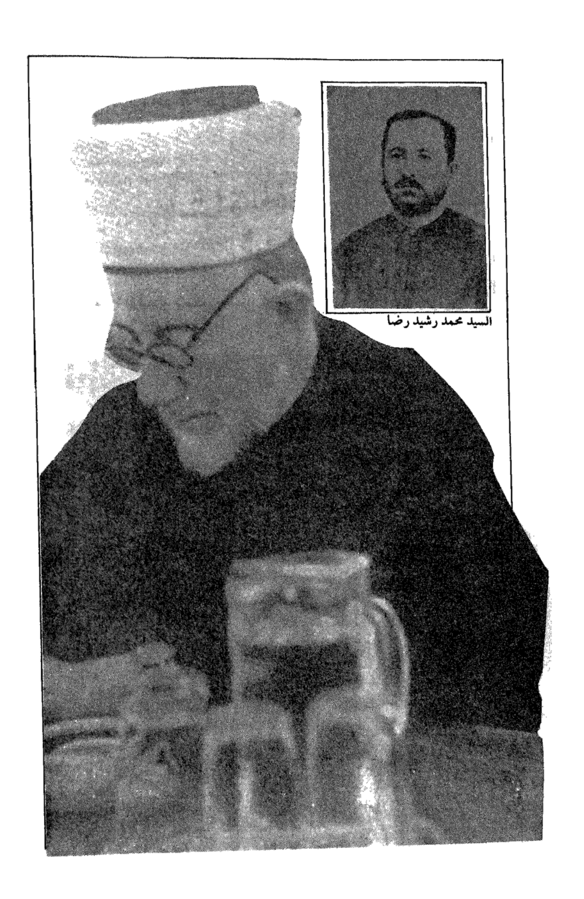
زهير المارديني

الفصل الاول

صورة تذكارية للمغفور له
السيد محمد امين الحسيني
عندما كان ضابطا في الجيش العثماني



نشأة المفتي وشخصيته



السيد محمد رشيد رضا

نشأة المفتي وشخصيته

يا صاحب السماحة، هل تكره اليهود؟

لقد كان يتوقع كل شيء ما عدا هذا السؤال، فإذا سألناه هل يحبّهم كان ذلك كثيراً عليه! فالانسان مهما كانت الدوافع، والأفكار التي تحركه، يتأثر بماضيه.. وبنظرته الى مستقبل لا يزال غامضاً..

وحرك بيده زراً كهربائياً فإذا بالنوبي يسارع لنا بالقهوة المرة أولا، يتبعها بالمرطبات وينتظر أمر صاحب الدار ليأتي بالشاي!

لم يغير المفتي عاداته قط.. فهو يتمسك بتلك العادات المتبعة في كبريات البيوت العربية. وقد أضاف المفتي على هذه العادات، عادة مميزة.. فهو لا يسمح بتسمية من يعاونه بالخادم، بل يناديه بالاسم، أمّا الخادم فيخاطب المفتي بقوله:

يا عمّي...

والضيف عنده يشعر وكأنه تحت خيمة كريمة..

سؤالي كان يتطلب تفكيراً، فهو يدعو إلى استرجاع أكثر من نصف قرن من المعارك، والرحلات، والمخاطر.. ولكنه يعيد إلى الاذهان صورة هؤلاء اللاجئين، أهله.. أصدقاؤه.. أبناء حيه الذين كانوا يشاركونه صلاته وأحاديثه.. الشباب الذين صارعوا الموت من أجل القضية التي آمنوا بها، واستشهدوا واسمه على شفتيهم.

إنهم الفلسطينيون المشردون حيث لا وطن لهم.. فقد أضحى وطنهم خيمة

بائسة يسكنها الجوع والسل عند أطراف المدن العربية، في مهب الريح، وتحت رحمة الأمطار والثلوج وامزجة الحكام!

من خلال هؤلاء اللاجئين الذين يبصقون الدم، بينما يموت أطفالهم في (الانميا) وفقر الدم، من خلالهم يرى المفتي الموقف من كل جوانبه.. فاللاجئون الذين لم يتخلوا أبدا عن الكفاح هم سبب شقائه.. ولكنهم بتمسكهم بأرضهم هم أمله.

تنهد صاحب السماحة وهو ينظر إليّ دون أن ينبس بكلمة واحدة.. ثم أرسل نظره عبر النافذة المطلة على سفح جبل لبنان الأخضر، وأطرق مفكراً تاركاً للرياح أن تحمل آلامه. أليس من حق هذا الرجل أن يمتلىء قلبه حقداً دفيناً؟

من له عليه شيء؟

لم يعد له وطن!

من السهل أن نقول له إن كل البلدان العربية هي وطنه؟. ولكن أين وجه الشبه بين الوطن المستعار، والوطن الأصلي؟

إن الوطن والأرض التي شهدت طفولته وذكرياته، بل كل ماضيه، قد أضحى محتلا... والآن وهو في العقد السابع من عمره عليه أن يخوض معركة طويلة ليؤمن مستقبلاً ما لهؤلاء الذين يقاتلون لاستعادة وطنهم!

كان سؤالي صعباً، فقد وضع سماحته أمام نفسه!

ترى هل فكر قبلاً في اتخاذ موقف شخصي من هذه القضية؟

لقد امتلأ الخلاف العربي ـ اليهودي. خلال السنوات الثلاثين الأخيرة بالاحقاد والفظائع، ألم يحدث هذا الخلاف أيضاً نزاعاً داخلياً عند المفتي؟ ماذا كان جوابه؟

(أنا رجل مسلم، ومواقفي مستوحاة من القرآن الكريم).

ثم أضاف:

(أنني أفكر دوما بالمأساة الفلسطينية، وبالرغم من كل ما حدث فإني أرفض أن أغمس قلمي في مداد الحقد..).

كانت مكتبة المفتي تضم العديد من الكتب التي تتحدث عن قضية فلسطين، تلك القضية التي لا تنفصل عن تاريخ المفتي، وبعد أن تفرس سمحاته في وجهي قال:

(إلى أي حد يمكن لموقف شخص واحد، مهما كانت مكانته، من تغيير وضع ما... إن الازمة قد غطّت الجهود المبذولة لايجاد حلّ... فالمشاعر لا تؤدي إلى شيء.. والآن ونحن في حلبة الصراع الدامي قد فرضت علينا المعركة وليس لدينا الخيار..).

منذ لقائي الأول مع المفتي لاحظت أنه لا يترك نفسه فريسة للأوهام... فهو يتفحص المشكلة بصورة عملية وواقعية...

من منّا لم يتعجب وهو يتطلع الى واجهات المكتبات ويرى هذا العدد الضخم من الكتب التي ظهرت حول القضية الفلسطينية.. ولقد دفعني الفضول والاهتمام الى جمع معظم المؤلفات التي تظهر حول هذا الموضوع، والصادرة باللغات التي أعرفها، ولكنني اضطررت إلى التوقف عن ذلك، لأني أدركت أنني أسعى لعمل المستحيل، فما أن أنهي قراءة واحد من هذه الكتب حتى تكون الاسواق قد امتلأت بكتب أخرى جديدة!

جاءت حرب حزيران ١٩٦٧، فشحذت رؤوس الأقلام، ولم يحدث في التاريخ أزمة أسالت هذا القدر من المداد، وملأت هذا العدد الضخم من الصفحات مثل تلك الأزمة.. والكتّاب الذين خاضوا تلك القضية يدعون عدم انحيازهم، وأن همّهم الوحيد هو البحث عن الحقيقة.

وإني لأتساءل إذا كانت تلك الجهود قد ساهمت في جعل الازمة أكثر وضوحاً!

وحسب رأيي أن النتيجة كانت عكسية.. فهناك عدد كبير من المؤلفات وضعت بغية إخفاء الحقيقة.. والقضية الفلسطينية تتعقد كل يوم أكثر من اليوم الذي قبله في نظر الجمهور. كل الذين لعبوا دوراً ما في هذه القضية قالوا كلمتهم، ولكن الذي لعب الدور الرئيسي لزم الصمت حتى الآن...

ولذلك جاء هذا الكتاب ضرورة ملحة لازالة الغيوم التي كثفت هذه

القضية، والهدف هو إخراج وجهة النظر العربية الصافية من الظلمات. . .

وحتى الآن انزوى المفتي في صمت تام، لماذا تصرف بهذه الكيفية؟

هل يمكن السكوت عندما تكون الحقيقة هي موضوع الكلام؟

ولتبرير سكوته أعطى اسباباً عدة لم يمليها في نظري سوى تحفظه الناجم عن تربيته النبيلة، فالكلام يعني كشف النقاب عن الكثير من الاسماء العزيزة عليه بالرغم من كل ماحدث!

في أحد الأيام فتح المفتي أمامي دفتر يومياته التي بدأها منذ أول شبابه، وقرأ عليّ بعض المقاطع فأخذني الذهول. . لقد اتضح لدي بأن تاريخ مأساة فلسطين يجب أن يعاد النظر فيه، بحيث يعطي إلى المواقف السياسة والرجال الذين عاشوا تلك المأساة قدرهم الذي يستحقونه في التاريخ!

لقد فرض المفتي على نفسه الصمت. . واختار النضال على طريقته. .

قد تكون ذاكرة الناس معرضة للضعف. . . أما ذاكرته فلا تخطىء، فهل هو سعيد؟

إن بشاشته وكلماته العذبة الموسيقية تخفي تحتها قصة المأساة. . لقد أوحى لي بانه يذيب نفسه. . إن الهزائم العربية قد خطّت آثارها على جبينه، وهو على أبواب الكهولة، وتركت كل معركة ظلا من الحزن على وجهه. ولكن وجهه يعكس معارك أخرى أيضاً. . إنها المعارك الملتحمة في داخله، وذلك ليس بسبب السن على أي حال. . ومع ذلك وبالرغم من كل المصاعب الشديدة التي واجهها احتفظت عيناه بنورهما الوقاد، وتعبيرها الشاب، فهما تسخران من الزمن ومن التجارب، ويجلس المرء أمام هذا الرجل وهو مبهور من شعلة الذكاء والحياة التي تشع من نظراته. . وكلما تكلم اقتنعت بأن مأساة فلسطين ما زالت حتى الآن تسبح في الألغاز وعليه أصبح من الواجب حمل هذه الشخصية السامية على الكلام علنا.

كانت المصادفة وحدها هي التي دفعتني إلى القيام بهذه المهمة، فلم يكن من السهل أبداً إقناع سماحته بأن يتكلم. . ولكن حريق المسجد الأقصى يومها هو الذي هزّ ضميره وصمته وجعله يتكلم!

وحتى وقوع هذه الكارثة كان الرجل ضحية صراع داخلي حاد، فكلما حاول دفن الماضي، كلما زاد ألمه، كان عليه أن يتحرر بأي ثمن.. ويتكلم! ولما قادته مخيلته الى الأقصى وهو يحترق، كانت الصدمة عنيفة جدا، ودفعت به إلى وضع حد لهذا الصراع بين الصمت والكلام!

كان اجتماعي الأول مع سماحته في منزله (بالمنصورية) التي تبعد بضعة كيلومترات عن بيروت.. وفي الساعة المحددة وجدته بانتظاري، وهو في الواقع دقيق المواعيد ولا يستقبل أحداً بدون موعد سابق، وكان كلما زرته ينتظرني في نفس المكان الذي استقبلني فيه لدى أول اجتماع، وكأنها أصبحت عادة مستديمة..

سألته:

ما هي أولى ذكريات طفولتك يا صاحب السماحة؟

فاتجهت عيناه الزرقاوان عبر النافذة لتغوص في أمواج الرياح والماضي البعيد متخطية بذلك الشباب والكهولة والشيخوخة.. متأملة الأحداث التي تركت آثارها على مصير ذلك الرجل.. مستقرة هناك حيث كان الطفل محمد أمين الحسيني يلعب مع أقرانه..

(إنها قبة الأقصى...).

وكان ذلك هو جوابه على سؤالي ثم أضاف:

(إنني اعتقد أن عيني تفتحتا لأول مرة على ضوء الفجر منعكسا عليها، وقد تلألأت كالجواهر، لقد ولدت على بعد خطوات من هذه القبة).

إن أحلى ساعات عمر المفتي وأهمها جرت في هذا المسجد.. فمنه قاد المقاومة الفلسطينية التي اقترن اسمه بها إلى الأبد.. وأياً كانت المؤلفات التي وضعت حول المسجد الأقصى، سياحية كانت أم تاريخية، أم أثرية... أيّاً كانت جنسية واضعيها ودينهم، فإنك تجد اسم المفتي مذكوراً فيها.. فهو الذي وقف بنفسه على اخر عمرة جرت لهذا الأثر العظيم المقدس وذلك عندما تسلم مهامه كمفتي لفلسطين، وكان المسجد قد بدأ يتداعى، ولكن وجود المفتي نفخ فيه روحاً جديدة فاستعاد المسجد مظهره الذي كان عليه أيام الامجاد.

ـ متى كانت أول مرة صليتم فيها في المسجد الأقصى يا سماحة المفتي؟

(كيف لي أن أتذكر ذلك. . إن الأطفال في أسرتنا يلقنون مبادىء الدين وهم في أول أدوار حياتهم. . ومنذ أن كنت طفلا كنت أذهب إلى المسجد للصلاة. . وكنت أثناء صباي أحب التنقل بين أروقة المسجد السبع المفصولة بالاعمدة، وكانت يداي تتحسسان السلاسل الواصلة بين تلك الأعمدة، فأشعر بالدفء يغمر راحتاي. . . وأكثر ما أحببت هو الجلوس في المحراب الرائع الجمال، وهناك كنت أصلي وأتأمل. . ولدى تلمسي الرخام الذي يكسوه كنت أشعر وكان روحا جديدة قد دبت بأوصالي. .).

- متى صليتم آخر مرة في المسجد؟

(كان ذلك عام ١٩٦٧، يوم أول (مارس)، كنت منقبضاً، وقد غمر قلبي حزن عميق، لقد ذهبت الى المسجد لأحاول استرجاع أفكاري. . .).

- يا صاحب السماحة ألم يدفعكم حدسكم وقتها إلى الشعور بالهزيمة المقبلة؟

(الواقع أني كنت منقبضاً وحزيناً جداً. .).

- أرجو ألّا يكون ذلك وداعاً نهائياً!

(لا. . . لن يكون وأنا واثق بأننا سنعود وسنسترد هذا المسجد. . . وفلسطين كلها).

وحرك بيديه الجرس وجاء النوبي فطلب منه احضار الشاي. . . لقد طالت الجلسة، وهكذا اضطررت إلى تغيير مجرى الحديث. .

يكفي توجيه السؤال إلى المفتي كي يكشف النقاب عن ذاكرته القوية وتنوع ذكرياته، فهو يصف أوائل القرن الحالي ببراعة وحيوية وكأننا نعيش هذه الازمنة الغابرة. . . إن صوته العميق يميط لنا اللثام عن لغز تعلق الشعب الفلسطيني بهذا الرجل مدة ربع قرن. وما أن شعرت بتسرب الألم الذي أحدثه ذكرى زيارته الأخيرة للمسجد الأقصى حتى بدأت أحاول أن أحمله على الكلام من جديد!

ألم يكن الناس من حولكم يحسّون بالخطر؟ -

(الناس الذين كانوا حولي كانوا مثلي يحسون بالخطر، وكانوا مخلصين الى أبعد الحدود، وقد سجلوا من البطولات ما يجعلهم فخر ابناء أمتهم، وكم أودّ أن يكون

لدي متسع من الوقت لاروي لأبناء الجيل الجديد ماذا فعل هؤلاء من أعمال ستظل خالدة أبد الدهر. .

كنت أحس وأنا أرى منظر اليهود الباكين حول الحائط بشيء غير اعتيادي يرفرف في الجو، كنت أشعر بقلق غامض يعتريني شيئاً فشيئاً. . وكنت أستمع جيداً إلى ما كان يحكى حولي. يبدو أن الحدس اللاشعوري باستطاعته أحياناً التنبؤ بالمستقبل، في الوقت الذي يعجز فيه الفرد عن ذلك. . فهو نسيج خرافة معتمداً على خطر ما زال في طوره الأول).

- هل لاحظتم يا صاحب السماحة تغييرات في المسجد الأقصى بعد هذا الفراق الطويل؟

(لقد وجدته كما تركته عام ١٩٣٧، فلم أزل أحس بأصابعي على الأعمدة، ولم أزل أسمع صدى صلواتي يتجاوب في قبته. . ولقد أوحشني المحراب الواسع، محراب صلاح الدين الأيوبي، وكم افتقدته. . . وجدته وكأنه يفتح ذراعيه لي، وقد اندفعت نحوه ليحتضني. . . ولم تكن لدموعي أن تتوقف طوال الصلاة القصيرة التي أديتها. . . لقد كان قلبي يدق كما كان رخام المحراب يدق أيضاً. . . كان من المستحيل أن أنام ليلة أول مارس ١٩٦٧. . . فقد كنت أسمع الأقصى يناديني. . . ولكن الطريق كانت تبدو لي وكأنها لا نهاية لها. . . وبينما كانت الطائرة تحلق فوق مطار القدس رأيت القبة وكأنها تبتسم لي. . لقد تركت قطعة من نفسي في كل ركن من أركان المدينة، على كل رابية من رباها. . . وكم تذكرت الجبل الذي استشهد فوقه ابن عمي عبد القادر وهو يدافع عن المدينة. .).

- لقد قابلتم يا صاحب السماحة الملك حسين، خلال هذه الزيارة، فهل تذكرون الآن ماذا دار بين جلالته وبينكم. . . لقد كان الظرف حرجاً جداً. . وكان التوتر بين العرب واسرائيل قد بلغ أوجه؟

صمت المفتي قليلا كأنه يستحضر ذاكرته المثقلة بأحداث السنوات القليلة الماضية ثم أخرج منديله من جيبه ومسح به جبهته. . وقال:

(في هذا اللقاء الذي تم في القصر الملكي بعمان رحب بي الملك حسين كثيراً

وكــان يــردد: هــذه البلد بلدكم ونحن بحــاجــة إلى رأيكم واستشــارتكم. . . واستعـرضنا معـا لقاءات سـابقة يـوم اتصل بي عـام ١٩٦١ وطلب مني العـودة إلى وطني، وكنت أعلم أن هذه العودة ستثير على جلالته الكثير من الحرج. . . ففضلت التـريث وشكرتـه في حينه. . وقـد شعرت وأنـا اصغي إلى حديث جـلالته بـرغبتـه الاكيدة في أن يبذل كل ما يستـطيع في سبيـل القضية الفلسـطينية. . وكنت أتلمس صبره وشجاعته وصموده وأذكر أنني قلت له:

إحـذروا الحلول السلمية. . فجلالتكم تعلمـون أن العرب مسـالمين والخصم يخادع، فإحذروا هذه الحلول. . .

وكنت قبـل أيام من هـذه المقابلة أصـدرت كراسـا حذرت فيـه من تعـريض الضفـة الغربيـة وهي الجزء الأكبـر من البقية البـاقية من فلسـطين لاجتيـاح يهـودي مسلح في الوقت الذي يختاره الأعداء لهذا الاجتياح، فتسقط في أيديهم غنيمة بـاردة دون أن يكون لها سند من دفاع عربي تعتمد عليه في دفع العدوان، وينشأ عن ذلك كارثة جديدة بضياع أقدس بقاع فلسطين وأهم مواقعها العسكـرية، وتشـريد بقيـة الفلسطينيين، وضياع ممتلكاتهم وأمـوالهم ومقدسـاتهم وفي طليعتها المسجـد الأقصى المبارك وسائر الأماكن المقدسة، وبخسائر فادحة في النفوس، كما وقع في قطاع غـزة عـام ١٩٥٦. . بل أشـد وأدهى. . وكان نص مـا ورد في هذا الكُـراس في مخيلتي حيث كنت اتحدث مع جلالته، وقد طمأنني، ووعـدني بأن يـظل دائماً الـوفيّ الأمين لهذه القضية المقدسة.

العائلة العريقة:

يعود اسم عائلة الحسيني إلى الحسين سبط الرسول (ﷺ)، ولذلك فإن عـائلة الحسيني من أعرق الأصول العربية والاسلامية. .

ولما كان الرسول لم يترك خلفاً ذكراً، فإن استمرار الذرية قد جرى عبر صهره وابن عمه وزوج ابنته فاطمة الـزهراء، الخليفـة الرابـع علي بن أبي طـالب كرم اللّٰه وجهه.

وكانت هذه الصلة ذات أهمية في الدور الديني والسياسي الـذي لعبه المفتي في القضية الفلسطينية.

قال المفتي عندما سألته عن شجرة عائلته:

(منذ حوالي ٨٠٠ سنة وصل السيد محمد بدر الدين الحسيني واسرته الى فلسطين قادماً من الحجاز حيث استقرت الاسرة الحسينية بالقدس منذ ذلك الحين، وأقام بعض فروع العائلة، في غزة واللد، وكان شقيقي الذي خلف والدي في منصبه إذ كنت أصغر الابناء. ورزق والدي بعشرة.. سبع بنات وثلاث ذكور، وعرف والدي السيد طاهر الحسيني بين أبناء قومه بعلمه الواسع في الشرع الاسلامي، وكان صالحاً تقياً، وحين ولدت عام ١٨٩٧ حرص والدي على تعليمي العادات الاسلامية..

ومنذ حداثتي لقنني أصول الدين، وبإشرافه بدأت قراءة القرآن الكريم وحفظه ودراسة العلوم الدينية، واللغةِ العربية.. ثم درست العلوم العصرية.. وبعض اللغات الأجنبية في مدارس الحكومة العثمانية.. ومدرسة الفرير في القدس وجامعة الأزهر والجامعة المصرية في القاهرة).

ـ هل كان لكم جيران من غير المسلمين؟

ـ (نعم، كان لنا جيران من المسيحيين، ومن اليهود أيضاً، وكان والدي يوصينا دائما بأن نحسن معاملة الجيران إلى أبعد مدى حتى كأنهم أقرباء، ولم يكن يشترط علي أن أمارس اللعب مع أطفال معينين، وذلك وفقاً لتعاليم الاسلام السمحة..).

* * *

... مع بداية النهضة:

إن ولادة المفتي وشبابه تميزتا بأحداث جسام رئيسية.

في عام ١٨٩٧ توفي في استنبول المفكر الأول ومبدع حركة التحرر الاسلامي في العصر الحديث السيد جمال الدين الأفغاني، أصله من كابل عاصمة أفغانستان، وابن السيد عبد الغني صاحب الطريقة (السلفية)، تحالف مع الأمير محمد أعظم وناضل ضد أخيه (شير علي) ولما انهزم حليفه اضطر لمغادرة بلاده، وبعد جولات متتابعة في الهند وفي الحجاز، استقر في القاهرة حيث تابع التبشير بأفكاره التي عاشت معه في أفغانستان.

وقد عرف كيف يكسب إلى جانبه الشباب المصري المثقف، وكان أبرزهم الشيخ محمد عبده. ولما خشي الخديوي من نشاط الأفغاني اخرجه سنة ١٨٧٩ من الأراضي المصرية التي كان قد لجأ إليها منذ ثماني سنوات. والحقيقة أن وجوده كان أكثر ما يزعج الانكليز الذين كانوا يعدون العدة لاحتلال مصر. وعاش الأفغاني في بومباي تحت الرقابة حتى عام ١٨٨٣ بعد سنة من هزيمة عرابي باشا من قبل القوات الانكليزية، وفي هذا التاريخ سمح له بمغادرة الهند. فقرر أن يقيم في باريس حيث لحق به صديقه وتلميذه محمد عبده الذي نفي من مصر أيضاً. وقد اشتركا معا في إصدار مجلة (العروة الوثقى) التي لاقت نجاحا منقطع النظير على الرغم أن عدة دول اسلامية قد منعتها.

ونتيجة الحاح السلطان عبد الحميد الثاني عاد إلى استنبول حيث وضع تحت تصرفه قصراً خاصاً، وأخذ هناك يستقطب المثقفين من الشباب العربي والاسلامي وظل مراقباً وممنوعاً عليه أية حرية تعبير وذلك في المرحلة الأخيرة من حياته حتى توفي بمرض السرطان عام ١٨٩٧.

وفي عام ١٨٨٨ صدر عفو عن الشيخ محمد عبده فعاد إلى مصر ليتابع الرسالة التي ابتدأها استاذه الشيخ جمال الدين وينشر المبادىء عينها. وكان ابرز تلاميذه الشيخ رشيد رضا الذي أسس كلية (الدعوة والارشاد)، وأصدر مجلة (المنار) الشهيرة لتحل محل (العروة الوثقى).

وحتى الحاج أمين الحسيني تتلمذ فيما بعد للشيخ رشيد رضا.

وعندما توفي الشيخ رشيد رضا عام ١٩٣٥ ثابر المفتي على مهمة استمرار رسالة الأفغاني وعبده ورضا، ومدرستهم (الايديولوجية).

وفي الواقع أن هذه (الايديولوجية) مجهولة تماماً لذلك عندما يدرس الاوروبيون العالم العربي ينطلقون غالباً من الحركات الثورية أو الرجعية، متجاهلين وجود تيار فكري آخر، هذا التيار الذي يمارس على الرغم من جميع المظاهر تأثيراً كبيراً على الجماهير، إذ يتخذ من القرآن منطلقاته، ومن المسجد مكان الملتقيات.

وكانت هذه (الايديولوجية) قد أطلقت مختلف الحركات الاسلامية والتي كان أقواها حركة (الإخوان المسلمين)، وفي مطلع حياة الحاج أمين كان مصير بلاده

يتقرر، وحتى قبل مولده ففي الخامس والعشرين آب ١٨٨٢ كانت الباخرة أصلان تنزل في يافا على الساحل الفلسطيني مائة عائلة يهودية أسست أول مستعمرة - بيتاح تكفا - (بطاح الأمل)، وبعد فترة وجيزة وصلت أسر اخرى لتبني مستعمرة أخرى. وقد رافقت طفولة المفتي انهيار الامبراطورية العثمانية التي لم يكن بقي لها في شمال أفريقيا سوى ليبيا «وكانت تعرف وقتئذ - بطرابلس الغرب وبرقه - ». وفي ليبيا تمكنت إيطاليا من تحقيق مطامعها في احتلالها.

وفي اوروبا تقلصت حدودها ولم يبق لها سوى قسم بسيط من البلقان.

وعندما خلع السلطان عبد الحميد حصل انشقاق عميق بين عنصري الشعب العثماني: العرب والاتراك. وجاء تولي (تركيا الفتاة) الحكم ليزيد من الانقسام وقد كان التعصب القومي عند حزب «تركيا الفتاة» يفضح بشكل سافر الخلاف الذي يغذيه تجاه العرب.

وكان الحاج أمين يحمل احتراماً وإجلالاً كبيرين للسلطان عبد الحميد، هذا ما لاحظته في أحاديثنا التي تركزت حول هذه الشخصية.

* * *

الحسيني في الجيش التركي:

عندما أعلنت تركيا الحرب الى جانب الالمان استدعي الشاب محمد أمين الحسيني للخدمة الالزامية ودخل كلية ضباط الاحتياط العسكرية.. وبعد تسعة أشهر أصبح ضابطاً مرشحاً في الفرقة ٤٦ المرابطة في ولاية أزمير.

تميزت تلك الفرقة كثيراً في الحرب العالمية الأولى وتحملت كثيراً من نتائجها.. لا نجد في سجله أية عقوبة أو عدم انضباط..

* * *

بداية التآمر الدولي:

كانت سنتا (١٩١٩ - ١٩٢٠) حاسمتين في حياة محمد أمين الحسيني، كان قليل النوم يغشاه قلق عميق. لقد قرأ ولا شك في هاتين السنتين كما لم يقرأ في سنيه الماضية الأخرى.

لقد وضح عنده أن مؤتمر فرساي أعطى الفرصة للحلفاء ولانكلترا خاصة لخديعة العرب فخانوهم افدح خيانة. . كانت الرسائل المتبادلة بين الحسين شريف مكة والبريطاني السير هنري مكماهون تنص على استقلال البلدان العربية ما عدا «عدن» وأفضلية في العلاقات الاقتصادية والسياسية مع البلاد العربية المستقلة.

غير أن الاتفاقات بين بريطانيا وفرنسا وروسيا تخالف ذلك.

«في الرابع عشر من شباط ١٩١٨ صدر بلاغ رسمي في باريس يقول:

استقبل وزير الخارجية الفرنسية المسيو ستيفان بنشون، سوكولوف ممثل الجمعيات الصهيونية الذي أبدى سروره للتعاون المجدي بين الحكومتين البريطانية والفرنسية حول إدخال اليهود إلى فلسطين».

في ١٩ أيار سنة ١٩١٨ قام سفير إيطاليا في لندن المركيز امبريال بزيارة المسيو سوكولوف وأكد له حسن نية حكومته في مساعدة اليهود في تحقيق رغبتهم بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم.

في ٣١ آب ١٩١٨ استقبل الرئيس ويلسون الحاخام ستيفان ويز وعبر له عن ارتياحه للنجاح الذي حققته الصهيونية وموافقته على وعد بلفور.

في كانون الثاني ١٩٢٠ خطب الوزير البريطاني اليهودي هربرت صموئيل لدى تعيينه مفوضاً سامياً في فلسطين قائلاً:

(أنا ذاهب لفلسطين لتنفيذ الأوامر المتعلقة بتحقيق مشاريع دولتي الرامية الى إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين).

يقول المفتي:

(كنت ابن ثلاثة وعشرين عاماً وأنا أشاهد بداية التجربة الكبرى في فلسطين التي فصلت عن الأمة العربية وخاصة عن سورية وقد احتلها الإنكليز وهموا بتقديمها لليهود. . كنا نحن الفلسطينيين إذن نجابه قدراً مأساوياً).

* * *

إبحثوا عن الصهيونية :

سنة ١٩٢٠ كان في فلسطين خمسون الف يهودياً يقابلهم مليون عربي، وكان اليهود يرون التحكم في كل شيء في البلاد، وكان الاحتلال البريطاني يقوم بمهمة الحرس لهم. كانوا يرغبون في خضوع الادارة البريطانية لهم وكانوا يعرفون بصفاقه انهم بفضلها يحققون الوطن القومي الذي يطالبون به، كان يكفي أن يتخذ البريطانيون موقفاً محايداً حتى يتهمهم اليهود بالميل نحو العرب واللاسامية. كانوا يريدون أن يعد العرب الفلسطينيون انفسهم لمغادرة وطنهم.

يتحدث وايزمن في مذكراته عن انتقال الشعب الفلسطيني لمصلحة اليهود. يتحدث عن ذلك ببساطة عجيبة كأن ذلك أمر طبيعي: (لم نشتر الكفاية من الأرض وهكذا لم نستطع إذن الحديث عن انتقال العرب). وكانت الادارة البريطانية تسلك سلوكا واضح الانحياز لهم. وكانت إرادتها في تنفيذ المخطط اليهودي لا تترك مجالا لشك، ولم تكن التصريحات الرسمية التي يؤكد فيها البريطانيون تمسكهم بالحياد ورغبتهم في إنشاء دولة (يمارس فيها المسلمون والمسيحيون واليهود حقوقا متساوية) مؤيدة بالواقع.

إن قراءة عاجلة لكتاب هربرت صموئيل (ذكرى) يكفي لفهم الدسائس التي كانت تحيكها الصهيونية للوصول الى أهدافها.

أمسك المفتي بالكتاب وأخذ يقرأ لي بعض المقاطع، ويقطع قراءته ليعلق بين حين وآخر بفكرة، (وقد يجهل البعض أن لدى المفتي مكتبة نادرة تحتوي على معظم ما أنتجه الصهاينة . . . وكان بعضها مترجماً إلى العربية).

يقول هربرت صموئيل:

(أذكر بالترتيب الاحداث التي سببت تعييني مفوضاً سامياً في فلسطين وارجو من القارىء أن يعود بذكرياته إلى بداية ١٩١٤ حينما بدأنا ننتظر فشل المانيا وحلفائها، في تلك الفترة ما كنا نشك في أن مستقبلاً جديداً يفتح أمام فلسطين أعني في اللحظة التي اعلنت فيها تركيا الحرب . . .

في الواقع تساءلت دائماً لم أعلنت تركيا الحرب. كان من غير الممكن أن تربح

شيئاً من ذلك بل كان عليها أن تخسر كل شيء. إن تعصب (تركيا الفتاة) لالمانيا والحماس لهذه الحرب كان غير المعقول الذي كانوا يعلنونه من أجل الحرب إلى جانب ألمانيا وكان بعيداً عن الادراك..

إن السياسة المعقولة كانت تقضي آنئذ الوقوف على الحياد.. مرة اخرى أقول: (ابحثوا عن الصهيونية). لو وقفت تركيا على الحياد لازدادت ثروة على حساب المتنازعين واحتفظت بأراضيها... أقدر أن الصهاينة كانوا يريدون جرها الى حرب ليست قادرة على النصر فيها..).

وتابع المفتي القراءة في كتاب هربرت صموئيل:

«تبدل الوضع. كان هناك قدر جديد لفلسطين. وكانت بريطانيا العظمى بالنظر إلى مصالحها الستراتيجية في الشرق الأوسط مدعوة كي تلعب أكبر دور في هذا القدر.

«كان على دولتنا أن تفكر فيمن يحل محل الاتراك في فلسطين البلد المجاور لقناة السويس. في ما يتعلق بي. كان لهذا الموضوع أهمية أساسية. كنت أول وزير يهودي يشغل منصب وزير في الحكومة البريطانية. ووضعت أولا خطتي...».

يتوقف المفتي عن القراءة ويقول:

أتساءل هل كان وزيراً بريطانياً يهودي الدين أم وزيراً صهيونيا في قلب الحكومة البريطانية... وهل كان يخدم مصالح هذه أم تلك؟.. لمن انتسب: للأمة الانكليزية أم للصهيونية.

ثم يستأنف قراءته:

«... لذلك قابلت وزير الخارجية لنتناقش في الأمر. وسجلت في مفكرتي أني تحدثت في ٩ تشرين الثاني مع السير أدوارد كري عن مستقبل فلسطين... أظن أني عرفت كيف انتهز الفرصة التي تمكن الشعب اليهودي من تحقيق آماله التاريخية بتأسيس الدولة اليهودية من جديد، أكدت للسيد إدوار غراي أن على بريطانيا العظمى أن تلعب دورها في تأسيس هذه الدولة وبالنظر إلى موقع فلسطين الجغرافي المتاخم لمصر كان لزاما على الامبراطورية أن تربح صداقة هذه الدولة. وسألني

اللورد غراي إذا كنت أقدر أن سورية يجب أن تكون جزءاً من هذه الدولة فأجبت: «على العكس. . . ليس من المناسب أن تحوي الدولة اليهودية مناطق مكتظة كبيروت ودمشق لأنه يصعب تمثل عدد سكانها الكبير» واضفت «من المفيد أن تحتل سورية بقية اجزاء سورية الكبرى ومن الأفضل لمصلحة الدولة اليهودية أن تجاور دولة اوروبية من أن تكون علاقتها مع تركيا. .».

* * *

كان الصهيونيون يتصرفون منذئذ اذن بخريطة الشرق الأوسط.

يستأنف المفتي القراءة:

«حظيت اليوم بمقابلة قصيرة مع لويد جورج حول الموضوع نفسه. فبعد أن أثار مسألة مستقبل فلسطين في مجلس الوزراء لخص عرضه قائلاً: «إني أتلهف لرؤية دولة يهودية هناك. . .» كتبت ملاحظاتي ووزعتها على زملائي. وعدت إليها في شهر آذار فأضفت إليها عدة تصحيحات ثم وزعتها مرة ثانية. رجوت في هذه المذكرة من بريطانيا العظمى أن تجعل فلسطين تحت حمايتها وأن تشجع الهجرة اليهودية إليها. ووافق مجلس الوزراء على دعم البند الأخير. وفي الخامس من شباط تحدثت مرة أخرى مع السير غراي وابديت له شكوكي في موقف العرب الذين يمثلون خمسة أسداس السكان». .

ينزع المفتي نظارته ويعلق:

لم تكن نسبة اليهود حتى واحد على عشرين.

ثم يمضي في القراءة:

(حول قبول حكومة دولية تتمثل فيها البابوية والولايات المتحدة الأمريكية وبمساعدة مجلس استشاري يهودي فقال لي: «هنالك حل آخر وهو إبقاء السلطة العثمانية وتأسيس دولة شبيهة بالدولة اللبنانية. .» فأقنعته بالأخطار التي تهددنا إذا حاولنا حكماً غير الحكم البريطاني، إن إرادة دولية تتعرض إلى تسلط دولة أوروبية أخرى.

وكتب إلي الدكتور وايـزمن من بعد أن تعـرفت على مستر بلفور في مـانشستر رسالة في ١٥ آذار ١٩٠٥ يقول فيها: (حظيت بحديث مع مستر بلفور إن مساعدته مضمونة إذا عرف موقف الفرنسيين بوضوح. إنه من غير المعقول أن يكون للسكان الحاليين لفلسطين ـ نظراً لضآلة عددهم ـ الحق بتقريـر مصير هجـرة اليهود وعـودة هذا الشعب الذي عاش فيها قبلهم وهذا راجع إلى أن اليهود أقاموا في هذه البـلاد مؤسسـات روحية وثقـافية ذات أهمية كبيرة لـلانسانيـة والتي تجتذب دائـماً الاهتمام خلافاً للفراغ الثقافي الذي يهيمن على هذه البلاد منذ ألف عام).

يتوقف المفتي عن متابعة القراءة ويقول:

لقـد تجاهـل ببساطـة كل الحضـارة العربيـة ومساهمـة الفلسـطينيـين في هـذه الحضارة، لقد كرس نفسه وهو وزير لتمثيل الصهيونية في قلب الحكومـة البريـطانية التي توصل لاقناعها بخطته. ولما إنتصرت بريطانيا جاء فلسطين مندوباً سامياً لتنفيذ الخطة كموظف بريطاني لا صهيونيا.

والحق أن الدولة الصهيونية ولدت لدى وصول هربرت صموئيـل إلى الأرض المقدسة واعطيت المراكز الحساسة ليهود أو لانكليز يساعدهم فيها يهود.

كـان مدير دائرة الهجـرة يهودياً اسمه «جـايمسون» كـما كان مـديـر التجـارة الخارجية يهودياً...

* * *

وأمسك المفتي بكتاب آخر رسمي عنوانه (فلسطين) أصدرته سلطة الانتـداب سنة ١٩٣٩ وعدد منه الاسماء اليهودية التي كانت تتولى المناصب الكبرى.

أما في مجال المالية فقد كان هنالك ثلاثة مـديرين يهـود من أصل خمسـة. كان هنالك مفتش بوليس عربي يقـابله ستة من اليهـود. وأخذ اليهـود يوجهـون اقتصاد البلاد بفضل هربرت صموئيل، واخذت تعطيهم السلطة املاك الدولة مجاناً. وفوق ذلك عفا عن اليهود الذين ارتكبوا جرائم بحق العرب وخبأ تقرير اللجنة البريطانية التي أدانت الصهيونية في مسؤولية أحداث سنة ١٩٢٠.

* * *

ـ هل تستطيعون سماحتكم أن تعطونا فكرة عن تلك الأحداث؟

ـ أمام التحديات الصهيونية، تحول قلق الشعب الفلسطيني إلى توتر أخذ يتزايد مع الزمن. كان مستحيلا على اليهود أن يفهموا لماذا نتمسك بأرضنا، لم يكن لنا إليهم أي حق فيها وكانوا يرون أن علينا أن نرحل فنترك لهم فلسطين. كما أن الاحتلال الانكليزي جعلهم عصبي المزاج.

سنة ١٩٢٠ جاء عيد الفصح اليهودي والمسيحي وعيد النبي موسى معاً في الرابع من نيسان. وخال لليهود أنهم الوحيدون الذين يحق لهم إحياء هذه الذكرى ولا بد من الذكر أن فلسطين كانت تحتفل قبل ظهور الاسلام والمسيحية واليهودية بهذا العيد وأظنه تقليداً كنعانياً[١].

في تلك السنة أعدت كل طائفة احتفالها وكان احتفالنا أهمها وأكثرها عدداً واجتمع الناس، كما في كل عام في الأقصى كي يسيروا منه على الطريق التقليدي الذي يؤدي إلى الجبل الذي فيه قبر النبي موسى وخرج الناس من المسجد وهم يحملون علم الوحدة العربية وما أن تجاوزوه قليلا حتى هاجمهم عدد من اليهود يقودهم جابوتنسكي «زعيم منظمة الارغون زفاي ليومي الارهابية» وانتزعوا العلم من حامله وداسوه... فبدأ القتال...

سألت المفتي:

ـ مع ذلك يزعم وايزمن في مذكراته أن اليهود لم يكونوا غير عدد ضئيل اجتمع ارتجالاً للدفاع عن الحي اليهودي الذي هاجمه العرب ويدعي اكثر من ذلك وهو أن التظاهرة اتجهت إلى الحي اليهودي فهاجمته بدل ذهابها إلى مقام النبي موسى «من غور الأردن قرب اريحا». ما رأي سماحتكم بذلك؟

أجاب المفتي ممتعضاً: «ما هذا؟ ليس الهجوم على المسالمين من طبيعتنا. وما كان هدف احتفال ديني الهجوم على الآخرين... وهذا ما ثبت خلال المحاكمات... كان اليهود عديدين ومنظمين يستهدفون هجوماً. هم الذين بدأوا

(١) المشهور في التاريخ الاسلامي أن عيد «النبي موسى» انشأته الدولة الصلاحية أو دولة المماليك لصد قراصنة الافرنج.

بالتحرش. ولا تنس أن شرارة كانت تكفي ليلتهب البارود. . . لقد دامت الحوادث أياماً خمسة.

- يلمح أيضاً، يا صاحب السماحة، الدكتور وايزمن بان السلطات البريطانية أبدت ميوعة وإهمالاً ظاهرين. . .

- أياماً خمسة كنا نقاتل فيها بلا سلاح ضد الجيش البريطاني واليهود، خاصة كانت النتيجة حسب البلاغ الرسمي: تسعة قتلى من اليهود وأربعة من العرب ومائتان وخمسون جريحا من الطرفين، وأعلن منع التجول أياماً عديدة في المدينة المقدسة.

- هل ساهمتم في الحوادث؟

- طبعاً! لقد ساهمت وسأساهم دائماً وفي الصفوف الأولى للمعركة كلما تعرضت أمتي لذلك.

حاولت السلطات الانكليزية توقيفي فاختفيت، لم تستطع العثور علي. وقد علمت أن الانكليز اوقفوا في ٢١ نيسان سنة ١٩٢٠ صديقي ورفيق الكفاح الأمير محمد الزناتي فهاجمت السجن مع بعض الشبان العرب فاحتللناه بعملية خاطفة وحررنا صديقي مع إخوانه المسجونين من المناضلين. بعد هذه الحادثة استدعى الانكليز قواتهم من يافا وطبرية للقدس بينما امتدت عملياتنا إلى سمخ وبيسان فاضطر اليهود إلى إخلائهما.

على أثر هذه الحوادث أصدر الجنرال بولز حاكم فلسطين العسكري البلاغ التالي:

(في البلاد توجد حكومة واحدة وهذه الحكومة هي التي أديرها أنا! إن تحت تصرفي قوة عسكرية مهمة مستعدة لسحق من يثير الفتن، وسأستخدمها في المستقبل دون حذر).

* * *

التواري الأول، ثم العفو!

وتألفت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن الحوادث وحكم على الشاب أمين الحسيني بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة، وبحثت عنه السلطات في كل مكان عبثاً فقد كان ساعتئذ في دمشق حيث كان الملك فيصل الأول ملك سورية. ولما احتل الفرنسيون سورية ترك المفتي سورية والتجأ إلى شرق الأردن، وما كانت عمان سوى بلدة صغيرة تحرقها الشمس. استقبله الأمير عبد الله الحديث القدوم من الحجاز بالحرارة نفسها التي استقبله فيها أخوه الملك فيصل. وبعد وصوله بأيام قليلة الى عمان جاء هربرت صموئيل في زيارة للأمير عبد الله، وفي خلال الغداء الذي أقامه له الأمير عبد الله سأل المفوض السامي الأمير:

ـ سمعت أن السيد محمد أمين الحسيني في عمان!

أجاب الأمير: نعم! هذا صحيح . . .

استأنف هربرت صموئيل، فقال: «وكان على علم بتحركات الحسيني واتصالاته بمشايخ البدو»:

ـ وما يفعل هنا؟

أجاب الأمير: إنه ضيفي. وقد تان أبوه صديقاً وأخوه من أفضل علمائنا. فلا استطيع أن أرفض ضيافته، له علي حق الاحترام.

قال المندوب السامي: ولماذا لا يعود إلى فلسطين؟

قال الأمير: أنت تعرف كما أعرف أنه محكوم بعشر سنوات مع الأشغال الشاقة.

ـ سأعفو عنه. نحن الأخرون نقدر صفات وحماس ووطنية هذا الشاب. أرجو أن تنقلوا له قراري هذا.

ـ لا استطيع إلا أن أشكركم.

وأتم سماحته قائلاً: كان واضحاً، وكان الأمير رحمه الله يعرف كما أكد لي أن المندوب السامي هربرت صموئيل كان يريد أن يكتسب مودتي فقد كان معروفاً

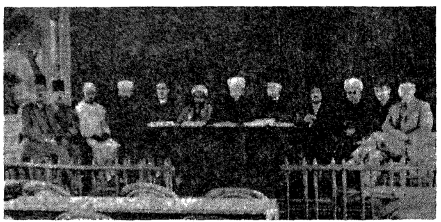
بحسن التصرف وترحابه بضيوفه ولكن هذه البادرة لم تكن تخفي خطته. كنت أعلم المهمة التي يريد تنفيذها».

بعد صدور العفو عن محمد أمين الحسيني عاد إلى القدس واقترح عليه بعض أصدقائه أن يزور المندوب السامي شاكراً فرفض.

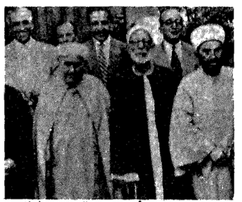
وبعد شهور من عودته توفي أخوه الشيخ كامل الحسيني مفتي فلسطين رحمه الله

الحاج امين مفتياً للقدس

الفصل الثاني



المفتي يتوسط اعضاء مكتب مؤتمر العالم الاسلامي الأول الذي عقد في القدس لنصرة فلسطين.



المفتي والي جانبه الأمير عبد الكريم الخطابي مع بعض الشخصيات العربية في القاهرة.



في بومباي بالهند في الرحلة التي قام بها المفتي ومحمد علي علويه باشا الى الاقطار الاسلامية عام ١٩٣٣. وفي الصف الخلفي مولانا شوكت وعدد من مسلمي الهند.



صورة جامعة لكبار اعضاء المؤتمر أمام دار خلية روضة المعارف. وقد بدا (حسب الترقيم)
١ ـ الحاج أمين الحسيني. ٢ ـ موسى كاظم باشا الحسيني. ٣ ـ محمد علي علوية باشا وعن يمينه مولاي شوكت أحمد، ٤ ـ السيد محمد زيادة مندوب الامام يحيى. ٥ ـ بشير السعراوي. ٦ ـ محمد باشا ابن جازب امير الحويطات. ٧ ـ الشيخ تمام الاعظمي. ٨ ـ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز.

في عام ١٩٣١ انعقد أول مؤتمر اسلامي دولي في مدينة القدس ثاني الحرمين الشريفين حضرته وفود من كل الاقطار العربية وايران والهند وافغانستان والملايو وسائر دول شرقي اسيا.



بعض اعضاء الوفود عند مدخل قاعة المؤتمر.



المفتي مع فريق من اعضاء الوفود.



الوفود اثناء الاستراحة.

النحاس باشا الى جانب المفتي وبعض رؤساء والوفود.

من مضارب القبائل العربية المؤيدة للمؤتمر.

جانب من المؤتمر

ابناء البادية جاءوا الى القدس لتأييد المؤتمر الاسلامي.

الحاج امين مفتياً للقدس

أصبح مركز الافتاء شاغراً. وكان على المسلمين أن ينتخبوا خلفاً له. في عهد العثمانيين كان يتقدم المرشح، ولم يكن أحد ينازع آل الحسيني في هذا المنصب. فكان العلماء يجتمعون في الأقصى كي ينتخبوا ذلك المرشح. كانت الانتخابات نوعاً من الرسوم الشكلية التي تدعم رسمياً هذا الحق (البيعة). عند موت كامل الحسيني كان وارث هذا الحق أخاه محمد أمين.

وكانت السلطات البريطانية ترى في ترشيحه وهو الرجل الذي حكمت عليه المحكمه العسكرية بعشر سنوات مع الأشغال الشاقة تحدياً لها، وكان زعماء اليهود من جانبهم يودون أيضاً أن يتقدم مرشح سواه لأن مركز الافتاء يمنح هذا الفتى «الثوري» نفوذاً شعبياً لدى العرب. وألح المتعاونون مع السلطات البريطانية على الشيخ حسام جار الله وهو المعروف بتقاه كي يتقدم بترشيحه. وعن ذلك يقول الحاج أمين الحسيني:

(كنت أكن له دائماً الاحترام، وليته لم يرشح نفسه فلقد تورط فيما لا ينسجم مع سمعته. كانت السلطات البريطانية تجهد في إبعادي عن المنصب كي تحدث انقساماً في الكفاح العربي ويتحول الشعب عنه إلى نزاع داخلي. وكان علي أن أفضح خطتهم. لقد انتهز (هربرت صموئيل) وهو الصهيوني المتعصب فرصة الانتخابات تلك حتى يجهض تجمع الفلسطينيين حول شخصي... كان يقول عني: (ما زال صغيراً...) إذ كان عمري سنة ١٩٢٢ لم يكن يتجاوز الخامسة والعشرين.

غير أن ألاعيبهم دعمت موقفي: ولولاها لمرت الانتخابات كسابقاتها في

خلال قرون هادئة. غير أنها هذه المرة أخذت شكل معركة صعبة. لقد أيقظت اهتماما عظيماً عند الشعب الذي أبدى حماسة رائعة لها. فجاءت برقيات التأييد لشخصي من كل جهات العالم الاسلامي. وجاءت وفود من المدن والقرى الفلسطينية لتدعم موقفي. وهكذا ساهمت المؤامرات اليهودية والانكليزية في تقوية كلمتي عند شعب فلسطين وأكدت التفافه حولي. لقد ساهم دعم البلاد الاسلامية في إعطاء معنى للكفاح الفلسطيني ولمركز المفتي الذي أخذ يثير إهتماماً كبيراً. لقد أقام هذا المركز صلات وثيقة بين تلك البلاد والمسألة الفلسطينية. أمام هذا التأييد المطلق لي اضطر المندوب السامي لأن ينحني وأكره على المحافظة على الحياد ولو ظاهراً.

ويوم الانتخاب فاز اسمي بالاكثرية الساحقة).

هكذا أصبح محمد أمين الحسيني «صاحب السماحة مفتي القدس». ويضيف المفتي:

(وبعد الانتخابات زارني هربرت صموئيل في دار الافتاء مهنئاً).

ثم انتخب سماحته رئيساً للمجلس الاسلامي الأعلى القائم على إدارة الاوقاف والمحاكم الشرعية الاسلامية واضيف لقب أكبر إلى لقب المفتي فاصبح «صاحب السماحة مفتي القدس الأكبر»، وأصبح بذلك ممثلاً أعلى سلطة روحية في البلاد.

كان محمد أمين الحسيني أصغر من حمل هذا اللقب، وشرع وهو في سن الخامسة والعشرين يحمل المسؤوليات الكبرى، لقد أراد أن يكون الكفاح مبنياً على قواعد مدروسة لا على الارتجال.

* * *

أول مهمة واجهته:

ـ هل تستطيعون التحدث إلينا عن الخطة التي وضعتم لمتابعة الكفاح؟

«كانت هذه الخطة بسيطة. كانت المسألة الفلسطينية مجهولة في العالم كله، وانتهزت الصهيونية ذلك كي تضمن تأييد الرأي العام معتمدة على وسائلها

الاعلامية الهائلة. لقد استطاعت الصهيونية بفضل سيطرتها على الصحافة وعلى علاقات الجالية اليهودية في أوروبا واميركا وعطف بعض العقول على ما حاق اليهود من اضطهاد وتعذيب كسب هذا الرأي العام وتسخيره لادعاءاتها بفلسطين.

أما أنا فقد كنت لا أملك من الوسائل والاسباب الضرورية لدعوتنا شيئاً. لقد وجدتني في وضع عسير، وكان علي الخروج منه. لقد عملت على تنظيم الدعاية فلاءمتها مع اتصالاتي التي لم تكن بسيطة. لقد عزمت على أن أثير اهتمام البلدان العربية أولا والعالم الاسلامي ثانياً وهما بالضرورة معنا في قضيتنا. وكان لزاماً أن يتنبهوا أولا لاهمية كفاحنا. لقد قررت أن ألجأ إلى كل الوسائل. كانت وسائلي قليلة ولكنه كان يجب أن أربح منها أكثر ما يمكن.

عندما انتخبت لمنصب المفتي كان الأقصى قد بدأ يظهر فيه الوهن. ولقد تعرض هذا المسجد لتغيرات هامة بعد بنائه، ولقد تهدم جزء منه بعد الهزة الأرضية التي اجتاحت فلسطين عام ٧٤٧ هـ فعمد العباسيون إلى ترميمه وتوسيعه ثمانية عشر متراً من الناحية الشمالية وأضافوا ثلاثة أعمدة لكل مجموعة من أعمدته. واضطروا لتبديل امكنة بعضها مما تأثر بالهزة ولكنها حافظت على شكلها الأموي. أما الألواح الخشبية الدقيقة الحفر والفسيفساء فقد ظلت على حالها. ثم جاء الفاطميون فبدلوا الأعمدة بما هو أضخم وأقوى دون أن يمسوا الألواح الخشبية، ولكنهم رمموا ما انهدم من الفسيفساء.

وبعدهم الأيوبيون، الذين أضافوا جناحاً شمالياً مقابل المسجد ثم جاء المماليك الذين دعموا الأعمدة بجدران فبدت مربعة بعد أن كانت دائرية. وبعد أن أقاموا أعمدة في الجناح الأيوبي تحل محل ما تخلخل ودعموا المسجد من كل جوانبه أضافوا جناحاً آخر من الناحية الجنوبية حتى يستطيع المسجد احتواء عدد المصلين الذي ازداد مع الزمن. وقد حافظ على هذا الشكل قروناً أربعة.

في بداية القرن العشرين أخذت بعض الأقواس والأعمدة بالوهن وكان يحز في نفسي أن أرى ذلك ولا اتحرك، فقمت بالمبادرة الضرورية لانقاذ هذا الأثر الذي له عدا قيمته المعمارية قيمته الروحية والتاريخية وهو إلى ذلك رمز المقاومة. دعوت مهندسين من المصريين والاتراك كي يرمموه ترميماً أولا ينقذه. فعمدوا إلى السقف

فرمموه ما عدا القبة التي فوق المحراب وقد بقيت على متانتها ونزعوا الألواح الخشبية وطلي مكانها بـالاسمنت يا لـلأسف. كما أنهم رفعـوا البيوت والابنيـة المجاورة التي تسيء إلى منظر الجامع الخارجي. أمـا في الداخـل فما غـير المهندسـون من المنظر إلا قليلاً مما تقتضيه الضرورة.

لم يكن لـدي من المال مـا يكفي لترميمـه كـامـلاً، فقـررت أن أقـوم بحملة تبـرعـات تمكنني من القيـام بعمليـة تـرميم واسعة، واختــرت البـدء بمصر فقمت بالاتصالات لتأليف وفد. وما أن علم هربرت صموئيل بالأمر حتى أرسل لي كتـاب توصية إلى الجنـرال اللنبي كي يسهل مهمتي وكـان يرمي إلى حصر مهمـة الوفـد في جمع التبرعات تفادياً للدعاية التي يمكن أن تثار من أجـل القضية الفلسـطينية وكنت من جهتي أعتقد أن مهمتي لا تكمل إذا لم أفرد للدعاية دورها الكبير.

كانت اللجنة تحوي في عدادها خير وجوه فلسطين.

كـان أول من استقبلني في مصر استاذي الشيـخ رشيد رضـا، بعد فـراق دام سبع سنين وبوسعكم أن تقدروا كم كان اللقاء حـاراً. عبر لي عن فـرحته الكبـرى برؤية تلاميذه يقودون حركة (اليقظة) قال لي:

(لم يكن جهدي إذن عبثاً!) وألـح علي أن يسـاهم بأعمـال الوفـد وأن يكون عضواً فيه وما كان بوسعي إلا الرفض فكيف أبيح لنفسي رئاسة وفد هـو عضو فيـه ولكني اضطررت للرضوخ لالحاحه لقـد أراد ـ على تـواضعه ـ أن يـدلل عـلى دعمه المطلق لعملي.

كان أول من قمنا بزيارته شيخ الأزهر (أبا الفضـل الجيزاوي) ولقـد ادهشني جهله المطلق لقضية فلسـطين. لم يكن هناك من يـدرك في مصر أن قضية فلسـطين ستصبح قضية العرب الاساسية وسبب الانقلابات والثورات وسقوط الأنظمة.

بـدأ الشيخ رشيـد رضا الحـديث مذكـراً بالاخـطار التي تتعرض لهـا فلسطين والتهـديد الـذي يتعرض لـه الفلسطينيـون بالـطرد من وطنهم... ثم تحـدثت عن الصهيونية والاستعمار وأهدافها المشتركة.

وإذا بشيخ الأزهر يسأل مثيراً عجب الوفد... (مـا تلك فلسطين هـذه التي تتحـدثون عنهـا؟ لم أصدق مـا تسمعه أذنـاي). كيف يمكن أن يجهل، وهـو العليم

بأمور الدين. إلى هذه الدرجة مبادىء الجغرافيا، كيف يستطيع أن يكون بعيدا عن المشاكل الصعبة التي تتهدد الأمة؟ وأعدت عرضي صابراً موضحاً ما استطعت التوضيح.

أجاب: أفهم مما تقولون أن مشكلتكم تتعلق ببعض اليهود الذين لا يحترمون حرمة الأقصى... أليس كذلك؟ سأتصل بحكمدار القاهرة كي يرسل قوة تطرد هؤلاء اليهود الخبثاء من القدس...

فأجبت: المسألة أخطر من ذلك، كل بوليس القاهرة لا يستطيع حلها فهي تتعلق بالانكليز ومدافعهم وجيوشهم، تتعلق بالامبراطورية البريطانية...

فأجاب: ـ آه... أرى أن المسألة سياسية... انتم تعلمون أني لا أتدخل في السياسة... اعتذر إليكم.

كانت الزيارات الرسمية التي قمنا بها لرئيس مجلس الوزراء ووزرائه مخيبة. كان السلطان احمد فؤاد يحكم مصر آنئذ تحت الحماية الانكليزية. ولكن السلطة الحقيقية كانت بيد الجنرال اللنبي، ولم يكن الوزراء والمسؤولون يرغبون بزيارتنا لأنهم كانوا يرون فينا (أعداء الانكليز)...

كان فندق الكونتيننتال قد تحول في أثناء إقامتنا إلى ملتقى للشخصيات المصرية الوطنية المؤمنة بالقضية العربية. ولقد زارنا عدد من اللاجئين السياسيين الذين تعرفت عليهم في القدس...

* * *

قمنا بإرشاد الشيخ رشيد رضا بتنظيم جمعية لجمع التبرعات لترميم الأقصى يرأسها الأمير محمد علي أخو الخديوي السابق عباس حلمي وكان من بين أعضائها شخصيات مصرية منها المؤرخ المصري الكبير ـ أحمد شفيق باشا...

* * *

مصر تتعرف على قضية فلسطين:

أراد الجنرال اللنبي أن يدلل على حسن نيته فأقام عشاء على شرف المفتي دعى إليه رئيس الوزراء والوزراء والوجهاء سأل الجنرال ضيفه عن الهدف من

الزيارة وما كان السؤال ليخفي قلقه عن الغرض منها، فقد كان يخشى ا
المفتي في مصر وامتداد أفكاره التي وجدت أرضاً خصبة لها في ذلك البلد
المحافظ في أمور الدين الحساس للضير الذي يلحق بالأرض المقدسة من ا
الانكليزي والصهيوني. كان واضحاً أنه لا يريد إثارة الرأي العام المصر
الوضع القائم في فلسطين.

أجاب المفتي على سؤاله قائلاً:

(تعلمون أن المسجد الأقصى تعرض لعدة هزات أرضية، ومن الض
ترميمه ولكن الأموال اللازمة غير موجودة لدينا، لقد كلف بناؤه خراج مع
سنين. . .).

اللنبي - كم يكلف الترميم؟

المفتي - نحن بحاجة لمائة ألف استرلينية على الأقل كدفعة أولى. . .

اللنبي - إن جمع التبرعات الذي تقومون به يبدو لي عديم الفائدة. يـ
أكتب رسالة إلى جريدة التيمس افتتح فيها اكتتاباً لترميمه حتى أحصل في ا
المبلغ المطلوب.

المفتي - إن هدفنا لا يتوقف على التمويل فقط بل لنا هدف اخلاقي
فنحن نرمي إلى توجيه أنظار العالم الاسلامي لاماكنه المقدسة ولسنا راغ
تبرعات لها صفة السؤال وإنما بالمساهمة. إن هدف الدعوة التي نقوم بها ه
المسلمين في جهد واحد. لو كانت المسألة مادية فقط لاستطعنا بنداء نـو
أغنياء العالم الاسلامي العديدين بين أبناء ديننا فيدفعوا هذا المبلغ. انني انته
المناسبة لاشكركم على دعمنا في المشاكل التي تعترضنا. . .

* * *

حوار مع السلطان أحمد فؤاد:

ولما رأى السلطان أحمد فؤاد[1] ألا خطر من استقباله للمفتي أقام لـ

(١) السلطان احمد فؤاد هو والد الملك السابق فاروق وبعد استقلال مصر ١٩٢٣ أصبح ا.
الأول.

على شرفه في القصر الملكي. ودار الحديث بين السلطان والمفتي باللغة التركية التي يتقنها الاثنان.

الملك ـ ما هذه اللجنة التي ألفتموها مفتي أفندي؟ أتجهلون أن الأمير محمد علي مختل ومجنون وأن الشيخ بخيت ذلك الأعور هو مجنون حقيقي؟! أما أحمد شفيق باشا فهو صفر. . . استطيع وحدي أن أدفع لكم ما أنتم بحاجة إليه. . .

المفتي ـ إن المبلغ الذي نحن بحاجة إليه هو مائة ألف استرلينية، جلالتكم. . .

الملك ـ هذا ليس بذي بال سأرسلها لكم حال عودتكم إلى فلسطين. . .

(وظهر فيما بعد أن جلالته نسي وعده تماماً فلم يصلنا منه قرش واحد).

* * *

قلت للمفتي:

ـ نستطيع أن نقول أذن إن رحلتكم الأولى خارج الحدود الفلسطينية لم تكن ناجحة.

المفتي ـ على العكس ظهر أنها كانت ناجحة نجاحاً كبيراً. لقد اجتزنا المرحلة الأولى فنجحنا بايقاظ اهتمام مصر وهي أكبر البلدان العربية. كان هدفنا الأول وأعيده عليكم أن نجمع العرب حول القضية الفلسطينية. . . قبل سفري لم أعلق كثيراً على النتائج فقد كنت لا أهتم كثيراً بالاوساط الرسمية وخاصة القصر. كان الشعب هدف الرحلة لأن معركتنا تؤول بالفشل دون دعم الشعب العربي. فقد كان العدو يعتمد على وسائل هائلة يستخدمها بذكاء وحيلة. كان يحاول إيجاد نزاع في قلب فلسطين بين المسلمين والمسيحيين لأن البابوية لم يتكن تنظر بعين العطف على (الوطن اليهودي) وكان مصير المسيحيين والامكنة المقدسة يقلقها وكان موقف مندوبها المونسينيور (سيريتي) عند توقيع الانتداب في جمعية الأمم معروفاً.

«وكانت الصهيونية عالمة بوزن الفاتيكان الروحي فقامت بلعبة مزدوجة فحاولت بشتى الوسائل إقناعه لمصلحتها. لقد بذل ممثلوها في زياراتهم لروما والفاتيكان جهوداً كثيرة لاقناع البابوية بأن اهدافهم سليمة في فلسطين وحاول

الصهيونيون ـ كمرحلة أولى ـ انقساما بين المسلمين والمسيحيين في مرحلة ثانية كي يكسبوا دعم الآخرين. لقد حاول هربرت صموئيل المستحيل كي يربح عطف المسيحيين ولكن دون نتيجة.

«لقد ألف المسيحيون والمسلمون منذ القدم وحدة متكاملة في البلدان العربية. لقد استمر التقليد الذي نشأ بعد الخليفة عمر إلى يومنا هذا. وما كان هذا التقليد نفسه إلا تعبيراً عن الشعور المشترك لكل المسلمين وكل المسيحيين الذين كافحوا دائماً جنباً إلى جنب. أبان الحروب الصليبية كان مسيحيو بيروت يتنكرون بثياب الصليبيين حتى يحملوا المؤن والذخائر عن طريق البحر إلى عكا المحاصرة، وحملوا السلاح في صف صلاح الدين ضد أبناء دينهم. لقد أبدوا نفس الحماس في الكفاح ونفس القوة التي أبداها المسلمون.

ـ هل تستطيعون إيراد أمثلة على ذلك؟

ـ أستطيع أن أورد لكم إلى ما لا نهاية! لقد كان فدائياً مسيحياً ذلك الذي فجر دار الوكالة اليهودية. كنا نجهل من هو الذي يبذل جهداً أكبر في الكفاح المسيحيون أم المسلمون. لم نكن نتساءل من المكافح أمسيحي هو أم مسلم كلهم كانوا عرباً.

* * *

سياسة بريطانيا ذات الوجهين:

ـ في تلك الفترة جاءت فلسطين ـ صاحب السماحة ـ لجنة (هاي كرافت) ولقد قيل كثيراً عن مهمتها وتقريرها من كلا الجانبين. ما رأيكم بها؟

المفتي ـ كان (هاي كرافت) قبل كل شيء قاضي القضاة من طينة القضاة البريطانيين الذين يدرسون الوقائع ببرودة حتى يصلوا الى الدوافع والتفاصيل في كل قضية دون إنحياز. إن وضعه يشبه كثيراً وضع الانكليز الذين كانوا يصلون في تلك الفترة الى فلسطين وهم مقتنعون بالصهيونية ثم يعودون إلى بلادهم بنظرة جديدة مختلفة عن المشكلة الفلسطينية واعطيكم مثلا لورد (نورثكليف) ولورد (بيفربروك). اعتقد أن الدعاية الصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى وفي السنوات التي تلتها شوهت أفكار كثيرين.

هنالك كثير من الانكليز، تدفعهم نزعة (بيرونية)[1] حديثة، دعموا الصهيونية. فلقد عرفت كيف تستغل الشعور الديني الذي توحيه القراءة وعطف الرأي العام على المظالم التي لحقت باليهود في المذابح وأخبار (الغيتو) فكانت تؤكد عليها، واستطاعت من هذا السبيل إعطاء فكرة عن فلسطين مختلفة عن الواقع. كانوا يصورون فلسطين صحراء ويزعمون أننا نحن الفلسطينيين بدو رحل، وزعموا أن الوطن القومي اليهودي لا يثير مشكلة إذ يكفي أن يشيروا لنا حتى نترك البلاد. كانت دهشة كثير من الشخصيات الانكليزية كبيرة لدى وصولها للبلاد عندما كانت تجد عكس ما ظنت، ولا ننسى أن مشروعاً برفض وعد بلفور قد عرض سنة ١٩٢٣ على مجلس اللوردات وفاز بالأكثرية وكان ينتظره نجاحاً مماثلاً في مجلس العموم لولا تدخلات تشرشل التي جعلت كفة الميزان تميل لمصلحته.

- لقد انطوى كفاحكم على كره شديد لتشرشل. فما هي الاسباب العميقة لذلك؟

- لقد رأيت فيه دائماً عدو العرب الأول الأكثر قسوة وتصميماً.

عندما جاء في زيارة لفلسطين في ٢٨ آذار ١٩٢٨ قام بزيارة الأقصى والقى خطاباً فيه فأشاد بشهداء اليهود والمسيحيين ووصف العرب «بالمخربين» فكان الخطاب سبباً في مظاهرات عربية... في زيارته تلك غرس شجرة نخيل في المكان الذي كانت تشاد فيه الجامعة العبرية وأعلن أمله أن تكون رمزاً لنجاح الحركة الصهيونية.

- تعتقدون إذن أن (هاي كرافت) كان محايداً في تقريره.

- إن تقرير (هاي كرافت) يفضح في الحقيقة ضعف الانتداب والنظرة الخاطئة الظالمة التي بنيت عليها نظرية الوطن اليهودي في فلسطين. وهو يظهر في بعض مقاطعه عدم أمانة السلطات المحلية في نقل واقع الحال.

وأخذ المفتي يقرأ لي بعض المقاطع من هذا التقرير: إن الشعب الذي ندرسه ليس شعباً عادياً لأنه دام عدة أيام وهو يحدث كلما التقت جماعة من المسلمين

(١) تلميحاً الى اللورد بيرون الذي ساعد اليونانيين ضد العثمانيين.

بجماعة من اليهـود وهو يشتـد يومـاً بعد يـوم وقد عـانت منه منـطقة يـافا وخـاصة المستعمرات اليهودية القريبة من تلك المدينة).

(لقد بات العداء نحو السكان اليهود عميقاً وقد لاحـظنا أن السكـان العرب يكـرهون الحكـومة التي يـأخذون عليهـا سياستهـا الموجهـة لانشـاء وطن يهـودي في فلسطين. . . فالبلاد كلها مقتنعة أن هذه الحكـومة تخضـع لضغط الصهاينـة وتبدي ميلا ظاهراً لها مع أن اليهود لا يمثلون إلا أقلية من السكان فالحكومـة تساعـدهم في تحقيق مخططاتهم. لقد أكد لنا بعض العرب، وهذا ما تأكدنا منه، أنه لـولا المسألـة اليهودية في فلسطين لما لاقت تلك الحكومة أية صعوبة في الادارة المحلية. إننا نعتقد أن سبب عداء العرب للبريطانيين هو سياسة حكومتهم الداعمة للصهيونية).

* * *

(لو ظل اليهود أقلية، كما كانوا في العهد التـركي، تحافظ عـلى الاعتدال، لمـا أزعجهم أحد. لقد حقـد عليهم العرب عنـدما رأوا تـطرفهم ورغبتهم في السيطرة عـلى البلاد فهم في كـل لحظة ينتـظرون بادرة من اليهـود تحـرك الـرأي العـام ضـد العرب. إن ذلك هو السبب الذي عرض وجهاء اليهود للاهانة).

ثم أضاف المفتي قائلا:

(ولكن تقرير (هاي كرافت) لم يؤثر في السياسـة التي اتبعها المنـدوب السامي وحكومته. لقد روج الانتداب ضد الحقوق الشرعية لشعب فلسطين كما يتضح ذلك من رد المفوض السامي على تقرير كرافت حين قال:

(. . . وضـع البلاد في شـروط سياسيـة اقتصاديـة إدارية تسهـل نمـو الـوطن القومي اليهودي). تلك هي الروح التي أملت كتاب تشرشل الأبيض الصـادر سنة ١٩٢٢ الذي يقول فيه: (إن عودة اليهود إلى فلسطين التي يـريدون أن يجعلوا منهـا وطناً قومياً لهم جديرة بالاهتمـام والاحترام. هـذه العودة هي حق لهم وليس منحـة يمنحونها).

أمام اعتراضـات العرب أجـاب الانكليز أنهم ينفـذون فقط صك الانتـداب الـذي أسندتـه لهم عصبة الأمم زاعمـين أنهم لم يكن لـديهم الحق ولا القـدرة عـلى

تعديله. كان ذلك هو الجواب الذي سمعته من رئيس وزراء انكلترا سنة ١٩٣٠. وفي نفس السنة سمعت، مستغرباً، رأياً مخالفاً لذلك من أمين عام عصبة الأمم السيد (أريك دراموند) وهو نفسه انكليزي.. قال لي: (إن عصبة الأمم لم تضع صك الانتداب لقد قدمته لها الحكومة البريطانية بعد موافقة الصهيونية).

ونجد في كتاب الدكتور وايزمن (ولادة إسرائيل) تأكيد ذلك قال: (كنا نعلم تماماً أن الوضع في فلسطين يصبح قلقاً وغير مرض ما لم تصدق عصبة الأمم على الانتداب. ولم يتم ذلك التصديق إلا في تموز ١٩٢٢...) ويتم وايزمن قائلاً: (لقد خلف كرزون بلفور في وزارة الخارجية وكان يهتم باتمام مشروع الانتداب، وكنا من جهتنا نعتمد على مساعدة (بن ف كوهن) الثمينة الذي ظل في لندن إلى جانبنا بعد استقالة زملائه البراندیسیین من المجلس التنفيذي. كان بن كوهين من أحذق صانعي القوانين في الولايات المتحدة، لقد كافح شهوراً لربح معركة الانتداب مع سكرتير كرزون الشاب أريك فوريست آدم الذي كان كثير الذكاء، فعالاً ولطيفاً. لقد عرضت مشاريع عديدة ورفضت وكنت اتساءل كيف الوصول إلى نص نهائي. كانت الصعوبة الجديدة هي في عرض الوقائع. ولقد توصلنا إلى الجملة التالية (اعترافاً بالعلاقات التاريخية التي توجد بين اليهود وفلسطين). كان الصهيونيون يريدون أن تكون الجملة (اعترافاً بالحقوق التاريخية لليهود في فلسطين) ولكن كرزون لم يقبلها بأي ثمن...).

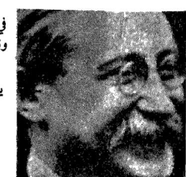
الفصــــل الثـالث

الصــدام مــع بريطـانيـا

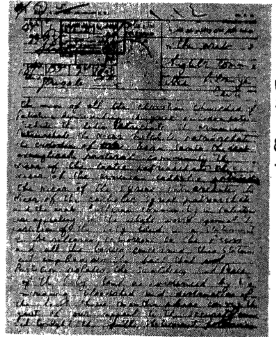


روزفلت وجه رسائل لزعماء اليهود
يد قراره في جعل فلسطين دولة يهودية

بالرغم من أن الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط، عـارض في تكـوين «فيلق يهـودي» فـان ونستــون تشرشـل صمم عـلى تـأليف هـذا الفيلق عـلى أن يكون ملحقاً بالجيش البريطاني.



ن بلوم واجه ضغط امريكا والصهيونية.



البرقية التي بعث بها المفتي الى الحكومة البريـطانية احتجاجا على المشروع البريطاني.

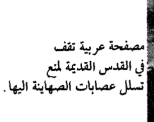


ين اتشيسـون وزير خـارجية اميـركـا
ضغط عـلى فرنسا من أجل اليهود.



استخدم اليهود كل أنواع الاسلحة والذخائر التي صنعت في بريطانيا وامريكا في الحرب ضد المجاهدين العرب الذين استبسلوا في الدفاع عن ارض الآباء والاجداد.





مصفحة عربية تقف في القدس القديمة لمنع تسلل عصابات الصهاينة اليها.



المجاهدون في القدس القديمة كانوا ينتصرون على اليهود بإمكاناتهم المتواضعة.

الصدام مع بريطانيا

يتحدث المفتي هنا عن تصميم الشعب الفلسطيني على انتزاع حقوقه بجميع الوسائل التي كانت متوفرة لديه. . . فيقول:

«لم يزد الزمن الوضع إلا تأججاً في فلسطين وخيم القلق على البلاد جميعاً. كان شعبنا المعذب وقد أعوزته الوسيلة للدفاع عن نفسه مكرهاً على خوض المعركة كي يعيش ضد بريطانيا وكانت يومئذ أكبر قوة عالمية وضد الصهيونية وإمكاناتها التي لا تنضب فهي تعتمد على ثروة اليهود في العالم وتسلط اليهود على بلدان كبيرة مثل الولايات المتحدة وبريطانيا. كانت القوى العالمية التي تدعمها تبذل كل ما في وسعها لتحطيمنا فالساسة يمالئونها طمعاً في الحصول على أصواتها الانتخابية وتأييدها ويجهدون في إبداء العطف عليها ومساعدتها. وما كان لدينا نحن في هذا الوضع غير حل وحيد: الشهادة! لقد أرادوا لنا الهجرة وذبح أعز أبنائنا وأشجعهم. ولو تعرض شعب غيرنا لما تعرضنا لاستسلم أما نحن الفلسطينيين فلم تزدنا الآلام التي احتملناها أكثر من نصف قرن غير الصلابة والعزم على أن نتمسك بأرض أجدادنا. إن أطفالنا الذين يولدون الآن في البؤس يحلمون منذ ما ينطقون بأولى كلماتهم بالموت على أرض الوطن الضائعة.

في السنوات المنقضية بين ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ أي منذ ما وجدت نفسي قائداً لهذا الشعب لم أضيع وقتي أبداً ولقد عولت على خوض المعركة على مختلف المستويات كي تكون مجدية وكان علي أولاً أن أنظم الشعب.

كان الصهيونيون وهم على ما هم عليه من تنظيم دقيق قادرين على النصر ولم

يكن لدينا من تنظيم حتى ذلك الوقت وكان لا بد من ملء هذا الفراغ فعزمت على استخدام كلّ ما لدي من وسائل. وما أن عرضت على المشايخ أن تكون المساجد همزة الوصل لدى الشعب حتى وافقوا على ذلك. قد تتساءلون: «والمسيحيون؟». كانوا على وفاق تام ولقد كانت في بلادنا عبر الزمن أبواب الجوامع والكنائس مفتوحة للمؤمنين مهما كان اعتقادهم ولكم صلّى المسيحيون والمسلمون في بلادنا جنباً إلى جنب في الجامع أو الكنيسة فليس من عادة المؤمنين أن يفكروا تفكير المتعصبين.

ولقد تكونت في كل مدينة وقرية حتى ما قصي منها لجان المقاومة ولست أزعم أن التنظيم كان مثالياً كاملاً فكان لا بد لنا من بعض الزمن حتى تتراصّ الصفوف ولكن تتابع الأحداث المذهل ساهم في تسارع تجمعنا وتمكين أواصر وحدتنا. كنت أعمل ليل نهار واتصل بنفسي بأكبر عدد ممكن من الناس. أذهب من مدينة لأخرى حتى الأماكن القصية من فلسطين قياماً بواجبي.

لم تكن الأحوال في سورية خيراً منها في فلسطين، كان شعبها وقد سلب حقه يعدّ نفسه لحمل السلاح ضد الفرنسيين وكانت الأخبار تصلنا مثيرة والواجب يقضي علينا رغم انشغالنا بمشاكلنا بمدّ العون لأبناء وطننا. وما كانت الحدود المصطنعة التي قسمت سورية أجزاء لتقنعنا بالبعد عن المعركة ضد المحتل أيّاً كان. في بداية ١٩٢٥ قامت الثورة في سورية».

* * *

في الخامس عشر من تشرين الأول ١٩٢٤ في الساعة الثالثة صباحاً طرق طارق باب سماحته لقد جاء هذا المجهول من جبل الدروز بعد أن قطع على قدميه الطرق الجبلية الوعرة القائمة بين السويداء والقدس ولقد عرفه سماحته رغم تخفيه. كان الرجل «رشيد بك طليع» أحد كبار أصدقاء الملك فيصل الأول ملك العراق. كان رائداً في الجيش العثماني وما أن قامت الثورة العربية حتى التحق بها وحين كان فيصل ملكاً لسورية عين هو محافظاً لمدينة حماه حتى إذا ذهب الملك انضم لثورة الشيخ صالح العلي سنة ١٩٢٠ وبعد فشل هذه الثورة طاردته السلطات الفرنسية فرحل إلى الأردن وهناك لاحقته السلطات البريطانية فعبر خفية الحدود السورية

الأردنية واختبأ في جبل الدروز وأخذ يساهم في إعداد الثورة.

عندما لمح الاستغراب الذي أحدثته زيارته المفاجئة على وجه المفتي الأكبر قال له شارحاً له مهمته: «ستقوم الثورة في سورية خلال أيام ولقد كلفتني القيادة بالاتصال بك كي أحيطك بذلك علماً فتقوم نحوها بالواجب. إن سلطان باشا الأطرش والدكتور شهبذر يرجوان منك أن تساهم بدفعة أولى قدرها ألف ليرة ذهبية».

ـ ستأخذها هذا الصباح!

ـ ولكني لا أستطيع الانتظار حتى ذلك الوقت. فالزمن يلح ويجب أن أعود في الحال ولا تنس أني ملاحق من قبل الإنكليز».

عندئذ أيقظ المفتي الأكبر حارسه وأرسله في الحال إلى مدير البنك العثماني ومعه كتاب يطلب فيه منه أن يسلم حامله المبلغ دون تأخير. وسلمها إلى رشيد طليع وارسل حرساً ثلاثة من خيرة أعوانه فرافقوه حتى السويداء.

وما أن سافر رشيد طليع حتى قام المفتي الأكبر بجولة بحجة تفتيش مكاتب الافتاء في فلسطين كي يدعو الشعب إلى المشاركة في الثورة فترك كثير من أصدقائه وظائفهم وعائلاتهم كي يقاتلوا في سورية ولم يدع المفتي حيلة يقدم بها المساعدات المالية والسلاح الا ولجأ إليها.

فكتب الرسائل للملوك والأمراء ورؤساء الدول والأحزاب الإسلامية يطلب فيها المساعدات للثورة وألف لجنة من عدة شخصيات فلسطينية ليسهروا على جميع التبرعات رأسها أحمد حلمي باشا ـ الذي أصبح فيما بعد رئيساً للدولة الفلسطينية ـ تحت اسم «جمعية مساعدة منكوبي الثورة السورية» ولقد بلغت المساعدات التي قدمت لهذه الثورة في سنوات ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧ مبلغ مائة ألف ليرة ذهبية.

ـ صاحب السماحة:

«نعلم من قراءاتنا ومما سمعناه من فم بعض الشخصيات السورية أن نشاطكم ما كان ليرضي سلطات الانتداب الفرنسية.

(كنا نريد أن ندفعه للكلام عن حدث دبلوماسي أحدث ضجة كبيرة تلك الفترة).

ـ آه. . . !».

وبدا لنا أن سماحته استطاع بصعوبة أن يكظم ضحكة. ولمع في عينه بريق ساخر ما يكاد يخفيه وكأنه يقول: «يا للملاعين من أين لكم تلك؟».

«. . . سأحدثكم بالقصة كلها.

كان المسيو بونسو سنة ١٩٢٩ مفوضاً سامياً في سورية ولبنان وأردت أن أقوم بزيارة للعراق فكان لا بد من مرور السيارة في الأرض السورية وفي درعا ـ وهي البلدة التي يقوم فيها مركز الحدود بين سورية والأردن ـ علمت بعد فترة انتظار أني ممنوع من دخول سورية وعلمت فيما بعد أن السلطات المنتدبة كانت ترمي إلى توقيفي ومثولي أمام المحاكم الخاصة التي كونت لمحاكمة المشتركين في الثورة. ولكن المسيو بونسو اكتفى بمنعي من الدخول خوفاً من تعقيد الموقف.

وفي السنة التالية قام المسيو بونسو بزيارة لمدينة القدس حلّ فيها ضيفاً على المفوض السامي الإنكليزي فقاطعت كل الحفلات التي أقيمت على شرفه وكان يتضمن البرنامج زيارة الأقصى ولما علمت ذلك كتبت رسالة إلى المفوض السامي أعلمه فيها أن زيارة المسجد ممنوعة على المسيو بونسو وأضفت أني سأعمد للقوة إذا حاول ذلك فأرسل إلي من يحاول إقناعي فهددت بمظاهرة قائلاً: «لن أقبل هذا التحدي!» وهكذا الغيت الزيارة.

«يقول حاييم وايزمن في مذكراته:

بعد زيارة المستر تشرتشل سرت شائعة تفيد أن بريطانيا تريد نشر كتاب أبيض تلبي فيه رغبات الفلسطينيين «يضع حدّاً للنزاع بين العرب واليهود» كما زعمت السلطات.

يقول وايزمن في كتابه «ولادة إسرائيل»: «لقد صاغ المذكرة الأساسية حسب ظني السير هربرت صموئيل». لقد صيغ الكتاب بشكل يهدىء خواطر العرب فهو يبدأ بذكر مخاوف العرب واليهود ثم ينتهي إلى بحث الانتداب ووعد بلفور والهجرة.

ويضيف وايزمن قائلاً: «قدمت لنا تلك المذكرة قبل نشرها ودعينا للموافقة على السياسة المحددة فيها».

كانت تلك المذكرة جزءاً مما سمي بدستور فلسطين الذي نصّ على قيام مجلس تشريعي فلسطيني مؤلف من «٢٢» عضواً عشرة منهم بريطانيون يعينهم المفوض السامي واثنا عشر آخرون إثنان منهم من اليهود واثنان مسيحيان وثمانية مسلمون كلهم منتخبون. وكانت قرارات المجلس بحاجة لتصديق المفوض السامي كي تصبح نافذة. وما كان يحق للمجلس أن يناقش في وعد بلفور («الانتداب»).

لذلك دعا المفتي الشعب لمقاطعة الإنتخابات فقاطعها بالاجماع وسقط المشروع وكان كذلك نصيب مشاريع أخرى مثل المجلس الاستشاري والوكالة العربية.

ـ لماذا رفضتم سماحتكم مشروع المجلس التشريعي الذي كان يعطي أفضلية للعرب ما داموا الأكثرية؟

ـ لنقم بحساب صغير: عشرة موظفون بريطانيون يضاف إليهم ممثلان يهوديان. ذلك نصف العدد فأين الأكثرية...

ـ والوكالة العربية؟

ـ يفهم من كلمة الوكالة العربية أن الحكومة كانت تريد استخدامها لأغراض إدارية إن وجود وكالة عربية ووكالة يهودية يعني أن فلسطين مقسمة إلى مجتمعين متساويين في الحقوق. وكنا نطالب نحن بحقوق سياسية وديمقراطية وتمثيل واقعي للشعب قائم على أساس الأكثرية لا على أساس تسليم فلسطين لليهود.

لقد انعقدت خلال السنوات ١٩٢٢ ـ ١٩٢٩ سبعة مؤتمرات عربية كان أهمها ذلك الذي انعقد في ٢٠ تموز سنة ١٩٢٨ والذي توصّل إلى تحديد مطاليب العرب في النقط التالية:

ـ انتخابات برلمانية ديموقراطية.
ـ حكومة ديموقراطية.
ـ التقليل من عدد الموظفين البريطانيين.

ـ الإعتراض ضد منح استغلال البحر الميت لشركة يهودية.
ـ الإعتراض على تفضيل العمال اليهود على العرب.
ـ إيقاف إصدار قوانين جديدة بانتظار انتخابات ديموقراطية.

ـ ماذا تعنون صاحب السماحة: بتفضيل العمال اليهود على العرب؟

ـ كان التمييز فاضحاً بين العمال العرب واليهود فقد كان لهم الأفضلية على الآخرين.

ـ أليس مرد ذلك إلى أنهم أكثر دأباً وإتقاناً.

ـ أبداً. ليس هذا صحيحاً. كان العرب يملكون أنئذ نصف مساحة الأرض المزروعة بالحمضيات وكان يعمل في موسم قطافها (١٥٠٠٠) عامل في البساتين العربية و (١٩٠٠٠) في البساتين اليهودية وكان الإنتاج متساوياً.

استقال هربرت صموئيل سنة ١٩٢٥ وعين مكانه الفيلد مارشال لورد بلومر الذي اتخذ وضعاً أقسى من الأول وفي سنة ١٩٢٨ تبعه جون تشانسلور.

أخذ اليهود بناء على دعم السلطات البريطانية لهم يبدو عداؤهم سافراً. بعد مؤتمر زوريخ الصهيوني سنة ١٩٢٨ استقال جابوتنسكي من المجلس التنفيذي الصهيوني لأنه «مائع» على حد قوله وألف الحزب التصحيحي الذي يدعو إلى استعمال القوة قائلاً إن استخدام القوة وحده يحقق الأهداف الصهيونية.

ـ عن أية قوة كان يتكلم، صاحب السماحة، ما دام اليهود أقلية؟

ـ من نافي القول أن أذكركم أن اليهود كانوا عازمين على احتلال فلسطين بالقوة وما كان الإنتداب البريطاني غير مرحلة انتقال لحمايتهم تسبق المرحلة التي يغدون فيها أكثرية فينتقلون إلى الهجوم ولقد أثبت الأحداث صحة هذه النظرية. لقد كانوا في مستعمراتهم يعيشون في نظام الثكنة العسكرية يتبعون فيها بالاضافة إلى الأعمال الأخرى تدريباً عسكرياً. ولقد أسسوا منذ سنة ١٨٧٠ قوة سميت «هاشومر» أو الحرس وبعد الحرب العالمية الأولى جاء فلسطين أكثر أعضاء «الفليق اليهودي» وكان عدده (٥٠٠٠) إلى فلسطين ليكونوا نواة الهاجاناه وما توقف هذا التنظيم من زيادة عدده حتى غدا (١٥٠٠٠) في بداية الحرب العالمية الثانية وألاحظ

لكم أن تدريبهم العسكري ما كان يثير اعتراضاً من السلطات البريطانية التي كانت تعطف عليهم وتشجعهم، رغم عدم مشروعية مثل هذا التنظيم.

إن اكثرية المهاجرين اليهود كانوا يصلون فلسطين وقد أتموا تدريبهم العسكري.

ـ من أين كانوا يستحصلون على السلاح؟

ـ من مصادر عديدة أهمها الجيش البريطاني نفسه. سنة ١٩٢٨ كان الماجور ساندرز. وأذكر لكم الأسم ـ مكلفاً بإعطائهم الأسلحة.

هل تستطيعون سماحتكم أن تحدثونا عن أحداث سنة ١٩٢٩؟

ـ في (١٥) آب سنة ١٩٢٩ اتجه موكب يهودي إلى حائط البراق الذي يدعونه «المبكى» وهم يرددون أناشيدهم الدينية. وعندما وصلوا الجدار وضعوا عليه علمهم. كان التحدي سافراً. وبقي العلم هناك حتى ٢٠ من نفس الشهر وفي ذلك اليوم حدث اصطدام في ممر البراق لم تستطع الشرطة تهدئته إلا بعد جهد. وأخذت بنفس الوقت جماعات مسلحة من اليهود تنزل إلى شوارع المدينة المقدسة وكأنهم دوريات من المحتلين أو كأنهم القائمون على نظام الأمن... وامتدت يوم ٢٣ آب الاصطدامات إلى كل المدينة وغدت الشوارع مسرحاً لقتال بين اليهود والعرب الذين لا يحملون إلا السكاكين والعصي والحجارة وما انتزعوه من أيدي عدوهم من سلاح. فقتل في ذلك اليوم ٢٨ يهودياً وجرح ١٣ من العرب.

وانتقلت أخبار الصدامات إلى كل فلسطين فحدثت صدامات أخرى في كل المدن التي يقطن فيها اليهود. في الجليل قتل (٦٠) يهودياً وجرح (٥٠).

وتجدد الصدام في الخليل فهاجم الشعب مراكز البوليس واليهود وقتل من الجانبين (١٠٠) قتيل. وفي صفر قتل تسعة من اليهود وجرح ٢٨ من الجانبين. امتدت هذه الثورة خمسة أيام قتل فيها ٤٧٢ يهودياً وقتل أو جرح ٣٧٨ عربياً.

وارتكب الإنكليز جرائم بشعة ولقد ذكرت رويتر في برقية مؤرخة في ٤ أيلول سنة ١٩٢٩ فظائع القوات البريطانية.

في الوقت الذي قامت فيه هذه الحوادث كان المفوض السامي البريطاني في لندن فعاد إلى فلسطين وما أن وصل حتى أعطى تصريحاً أتهم العرب فيه بالتوحش. فأعلن المجلس التنفيذي الإسلامي تكذيباً لتصريحه وقعه رئيسه موسى كاظم الحسيني في ١١ أيلول سنة ١٩٢٩ ذكر فيه الوقائع كما جرت فاضحاً تخرصات المفوض السامي داعياً إلى تحقيق حيادي يوضح الحقيقة ويثبت «أن تصريح المفوض السامي لا أساس له من الصحة».

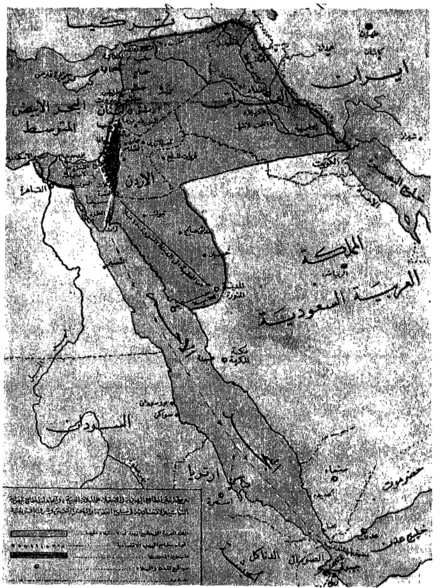
أوقف على الأثر مئات من الشباب العرب وحكم عشرون منهم بالاعدام ونفذ بثلاثة منهم دون تأخير: فؤاد حجازي، عطا الزير ومحمد جمجوم وحكم على (٢٣) أحكاماً مؤبدة وعلى (٨٧) أحكاماً مختلفة بين ثلاث وخمس عشر سنة وكان عدد المحكومين من العرب أحكاماً مختلفة (٧٩٢) رجلاً. وحكم على قرى كثيرة بدفع غرامات ووضع اكثر الزعماء العرب في الاقامة الجبرية.

أما الأحكام على اليهود فقد تميزت باللين ولأذكر حادثة: قتل شرطي يهودي اسمه شانكيز عائلة عون العربية المؤلفة من سبعة أفراد فحكم عليه بالموت ثم استبدل الحكم بالحكم المؤبد ثم أنزل إلى ١٥ عاماً وبعد قليل عفي عنه.

وفي ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ أذاعت رويتر أن محكمة حيفا حكمت على تسعة من العرب بالموت، وعلى اثنين آخرين حكماً بخمسة عشر عاماً لأنهم اتهموا، إتهاماً فقط، بقتل عائلة يهودية.

الفصل الرابع

في مواجهة بريطانيا والصهيونية



هذه الخريطة لاسرائيل الكبرى عثر عليها النازي في خزائن روتشيلد.

في مواجهة بريطانيا والصهيونية

وضح بعد أحداث ١٩٢٩ أن السلطات الانكليزية والصهيونية تريد بأي ثمن الخلاص من المفتي، وما كانتا تخفيان أنه عدوهما الأول... كانت صفته الدينية والمكانة الوطنية التي يتمتع بها في أرجاء العالمين العربي والاسلامي تدفعانها للتردد، وكان هو قادراً على كشف مخططاتها... ووصلت في نهاية تشرين الأول سنة ١٩٢٩ الى فلسطين اللجنة التي يرأسها المستر والترشو. وتمثل الأحزاب البريطانية وعقدت سبعاً وأربعين جلسة عامة وإحدى عشر سرية واستمعت إلى ٦١٠ شهادات من عرب ويهود، ورفعت في نهاية ذلك تقريرها الذي دعي فيها بعد كتاب (باسفيلد الأبيض) الذي تقول فيه:

«إن السبب الاساسي لهذه الأحداث الذي لولاه لما حدثت أو لما امتدت هو عداء العرب لليهود. إن عدم تحقيق أمانيهم السياسية والوطنية والخوف الذي يمليه مستقبل اقتصادهم ولدت مجتمعة خيبة أمل تزايدة لأنها نشأت عن خوفهم من فقدان أسباب المعيشة والتعرض لسيطرة اليهود السياسية بسبب الهجرة المتصاعدة وشراء الأراضي».

ويضيف التقرير:

«من الضروري تحديد طبيعة القلق الذي يهيمن على العرب نتيجة لوضعهم الحالي، فهم رغم أنهم يكونون اكثرية السكان لا يتمتعون بلسطة رسمية معترف بها تسمح لهم برعاية ما يعنيهم من أمر. مع أن أقلية من شعب آخر تتمتع بعلاقات رسمية تستخدمها لتوجه الحكومة بشكل يمكن لمصالح هذه الأقلية».

استقبلت الاوساط العربية تقرير (شو) استقبالاً لا بأس به برغم أنه لم يحو كل ما ترجوه. وسافر وفد من زعماء العرب السياسيين قوامه موسى كاظم الحسيني، والمفتي، والفرد روك وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني الى لندن للاتصال بالسلطات الانكليزية. وسافر في نفس الوقت وايزمن إلى لندن واستخدم كل الوسائل لالغاء الكتاب الأبيض وما كان ينقصه الاصدقاء مثل (بلدوين وسمطس وسير جون سيمون) وغيرهم... وكان يعمد إلى الحجة التالية مع من يراهم من البريطانيين (إذا كان التعهد الذي أخذته على نفسها سلطة الانتداب قد تقلص حتى غدا تعهداً تجاه ١٧٠ ألفاً يقابلهم ٧٠٠ ألف أي أقلية صغيرة ضد أغلبية تستطيع تفسير ما تلا ذلك من أمور. غير أن السلطة المنتدبة تحمل واجباً تجاه الشعب اليهودي وما المائة والسبعون ألفاً غير طليعته) لقد ثار وايزمن ضد روح (الحياد) فهو يكتب في كتابه (ميلاد إسرائيل): أذكر فقرات استخرجناها من جمل واردة في محضر إحدى الجلسات. في المقطع العاشر من الكتاب الأبيض يقول:

(أن الدفع إلى الفوضى والاضطراب أيا كان مصدره سيعاقب بشدة ولقد رأيت في هذا المقطع أثر الادارة الفلسطينية وموقفها الحيادي بين جزء من عدوين من الشعب كلاهما مسؤول) كانت كل بادرة تدل على بعض الانصاف تثير وايزمن...

واستقال وايزمن من الوكالة اليهودية كي يضغط على رئيس الوزراء فثارت لذلك الصهيونية العالمية وانهمرت برقيات الاحتجاج على عصبة الأمم ورئيس الوزراء فانصاع لهذا الالحاح وايزمن خشية عداء الصهيونية.

ولم يصغ أحد للوفد العربي وردت مطاليبهم في وقف الهجرة وبيع الأراضي وزوال الحكم الريطاني ليقوم مكانه حكم محلي.

وفي ٣٠ أيار ١٩٣٠ أذاع المندوب السامي البريطاني بلاغاً قال فيه:

(إن الحكومة المنتدبة ترى نفسها مضطرة لصرف النظر عن المطالب العربية لأنها تخالف روح الانتداب. إن الحكومة عازمة على السهر على سلامة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين وهي مصممة على الا تسمح باتباع سياسة تضر بمصالح هذه الطوائف والحكومة البريطانية، حسب توصيات لجنة شو سترسل السير

(جون هوب سمبسون) ليدرس مسألة الهجرة والتنمية على الأرض الفلسطينية نفسها وسترفع دراسته في تقرير).

قنع المفتي واخوانه آن في عدد اللجان المتزايد القادمة الى فلسطين لم يكن غير مضيعة للوقت لا يؤدي إلى أية نتيجة إيجابية، فهذه اللجان لم يكن الهدف منها سوى تهدئة الشعب الثائر القلق على مصيره، ولم يكن تقرير المستر سمبسون ليختلف عن تقارير من سبقه وأضاف لها متسائلاً كيف تسمح السلطات المنتدبة بتشغيل العمال الذين وصلوا حديثاً من ليتوانيا وبولونيا واليمن مع أن جزءا كبيراً من عمال البلاد عاطل عن العمل.

كان سيل الهجرة في تلك الفترة يتسارع عما قبل.

واشتدت حملة الصهاينة واصدقائهم ضد الكتاب الأبيض، وفي الرابع من تشرين الثاني ١٩٣٠ أرسل وزير المستعمرات رسالة الى جريدة (التايمس) يقول فيها إن الحكومة البريطانية الغت الكتاب الأبيض وأكدت عزمها على إباحة الهجرة، ويضيف: (إن هجرة العمال اليهود لن تتأثر بعدد العمال العرب العاطلين عن العمل من التكاثر).

ثم أرسل رئيس الوزراء البريطاني رسالة الى وايزمن يؤكد فيها محتوى رسالة وزير المستعمرات (للتايمس)، فانبرى المفتي فأطلق تصريحه المشهور وسمي فيه كتاب رئيس الوزراء البريطاني (بالكتاب الأسود)... وقال المفتي فيما قاله:

«ها هي بريطانيا التي تتهمنا بالسلبية قد رضخت وتنكرت لما سبق أن نشرته على العالم قبل أيام من اعترافها بتضرر العرب وانتشار البطالة بينهم وعدم استيعاب الأرض للمهاجرين واستحالة استخراج الفلاحين العرب من أراضيهم حتى في حالة التشكك في الملكية... إنها لا تقيم اعتباراً لبطالة ابنائنا والمستقبل المخيف الذي تضمره لهم الصهيونية. إنها تعد بمنح أراضي أملاك الدولة لليهود وهي عالمة أن هذه[1] الأراضي رغم تسميتها بهذا الاسم ليست إلا ملك ابنائنا

---

(١) أكانت تعني أملاك الدولة الأرض التي يملكها رسميا السلطان ولكن الفلاحين كانوا يشغلون =

ولقد عاش عليها اجدادنا قرونا مديدة، إنها تريد طردهم منها بالقوة كي تعطيها الى الذين يجيئون كي يحطموننا).

أول مؤتمر إسلامي:

بلغ الحماس أشده وتظاهر الشعب الفلسطيني وتحدث الناس عن الثورة وأخذ خطباء المساجد يدعون إلى الحزم في المقاومة وهاجم الجيش المتظاهرين فنجم عن ذلك جرح وسجن الكثيرين.. كان الفلسطينيون يواجهون الجيش الانكليزي من جهة والمنظمات الصهيونية من جهة ثانية...

وتحرك المفتي في أكثر من إتجاه فدعا إلى مؤتمر اسلامي في القدس، وتقبلت البلدان الاسلامية الفكرة بحماس ذلك أن مكانة المفتي في الاوساط الاسلامية

= اكثرها عمليا. وعلى ذلك كانت ملك الدولة قانونيا ولكنها عمليا ملك الفلاحين الذين يزرعونها كابراً عن كابر منذ قرون.

الوقف.. هو ملكية جماعية في الشرع الاسلامي، هناك نوعان من الوقف، الاملاك العائدة الى الاماكن المقدسة المساجد، والوقف الذري.

أ ـ وقف الاماكن المقدسة: كان أهل البر يعطون عن تقى أو تعطي الدولة أرضا أو بناء أو ملكا للانفاق من عائداته على خدمة الجوامع والمدارس التابعة لها وعلى القائمين على ذلك.

ب ـ الوقف الذري: كان بعض الملاكين الكبار رغبة منهم في الحفاظ على ما يورثون لابنائهم يوقفون في وصيتهم ما يملكون على ذريتهم فلا يستطيعون نقل ملكيتها لغيرهم ويعود عليهم دخلها.

وكان المفتي حفاظا على بعض الأراضي يشتريها للقرية بصفته رئيسا للمجلس الاسلامي الأعلى ويسجلها وقفا على أهلها فيمنع بيع القرية ويعمل الناس في هذه الأرض فيعيشون فيها مقابل جزء يدفعونه للمجلس الاسلامي الأعلى يعادل الخمس حسب ما تقتضيه الشريعة الاسلامية وهكذا يزداد فوق ذلك الحفاظ على الأرض.

في كثير من القرى في البلدان التابعة للعثمانيين كانت هناك أراض تدعى (المشاع) لم تكن مسجلة على اسم معين وانما كانت ملكيتها تعود للقرية كلها وكان يفلح عمليا تلك الأراضي الفلاحون الذين لا يملكون أرضا مسجلة باسمائهم.

كل أرض لم تكن مسجلة باسم ملاك كانت تعتبر ملكا للتاج أي الدولة وكان يعمل في تلك الأراضي منذ أجيال فلاحون دون أن تسجل باسمائهم نظراً للصعوبات التي يجدون لدى الموظفين المحليين.

وسمعته الوطنية، وقيمته كل هذا كان من شأنه أن يدفع بالمسلمين الى تلبية نـدائه السريع.

وانتقى المفتي موعداً للمؤتمر ليلة الاسراء ـ المعراج ـ وكان موعدها تلك السنة في أول كـانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣١، واشتـرك في هذا المؤتمـر عشرون بلداً مسلما بوفود هامة مثلت فيها وجوه الاسلام الكبرى، كضياء الدين الطباطبـائي وهو من أكبـر علماء إيران وسـاهم بنفسه في إعـداد المؤتمر، والشـاعر البـاكستـاني محمـد إقبال، مولانا شوكت علي زعيم مسلمي الهند، وعبد العزيز الثعالبي زعيم النضـال التـونسي، والشيخ رشيـد رضـا المصلح الاجتمـاعي، ومحمـد الحسين زعيم شيعـة العـراق، وعباس اسحـاقي زعيم مسلمي الأورال الذي عبـر خفية حـدود الاتحاد السوفياتي كي يحضر المؤتمر.

رأس المفتي الجلسات. كان التأثر بادياً عـلى وجوه أعضـاء المؤتمر، ألـح المفتي على أهمية وضرورة العون الاسلامي التي يجب أن يساهم فيها كل المسلمين قائلا:

(إن معركتنا ليست معركة بسيطة ضد السلطة المنتدبة. إنها معـركة مستميتـة ضد قوى عالمية، ونحن نقاوم معركة افناء لا سابقة لها في التاريخ..).

أتخذ المؤتمر مقررات نلخصها فيما يلي:

١ ـ مقاطعة البضائع الصهيونية ـ تلك التوصية كـانت الاساس في مقـاطعة الـدول العربي لـلانتاج الاسـرائيلي والشـركات التجـارية والصنـاعيـة المتعـاملة مـع إسرائيل. لقد نفذت هذه التوصيـة في تلك الفترة من المسلمـين في بلادهم حتى مـا كان منها محتلا بحزم، فلقد رفض الشعب شراء الانتـاج اليهودي رغم التسهيـلات التي كان يلقاها من سلطات الاحتلال.

٢ ـ وقف الهجرة.

٣ ـ تأسيس جامعة اسلامية في القدس.

٤ ـ تـأسيس شركـة زراعية تحمـل مسؤولية انقـاذ الأراضي حتى تبقى بـين أيدي أصحابها العرب.

ـ اسمحوا لنا يا صاحب السماحة بسؤال: الرأي العام مقتنـع بأن الـوكالـة

اليهودية قد اشترت جزءا من الأراضي الفلسطينية. والكتب التي ظهرت لمصلحة اسرائيل ما تفتأ تكرر ذلك. يقول مثلا (أرثر كوستلر) في كتابه (تحليل معجزة). . (لقد اشتروا بلادهم بالتقسيط اردبة اردبة. .) ويضيف: (لقد أخذ اليهود الأرض خلافاً لكل المستعمرين دون استخدام القوة والتهديد وإنما بما دفعوا من مال لقوم لم يكن همهم غير بيعها) هل تستطيعون أن توضحوا هذا الموضوع؟

- أتساءل كيف يمكن لكتاب يزعمون أنهم منصفون وانهم يحترمون القلم والكلمة أن يشوهوا الحقيقة والمنطق إلى هذا الحد. هؤلاء الكتاب يجانبون الاحصاء الذي هو أكبر تكذيب لادعاءاتهم.

في ١٥ أيار ١٩٤٨ لم يكن يملك اليهود رغم كل المساعدات البريطانية إلا حوالي ٧٪ من مجموع الأراضي الزراعية في فلسطين - كانوا يملكون مليوني دونم من أصل ٢٧,٥ مليون دونم.

لقد اتبع المجلس الاسلامي الأعلى سياسة نجحت بدعم الشعب لها في فشل خطط الشراء التي اتبعها الصهاينة ورسموها بدقة، مستخدمين لها كل ما لديهم من وسائل. ولاعطكم مثلا. . . كانوا يعرضون على المعوزين من الفلاحين الذين انهكتهم الديون والضرائب مبالغ ضخمة ويحاولون شراء أراضي القاصرين، فاتخذ المجلس الاسلامي الأعلى قراراً يمنع بيع أرض القاصر واشترى أرض المعوزين الذين رغبوا في البيع، كما عمد إلى إقراض المحتاجين واشترى أراضي بعض القرى وسجلها وقفاً باسم سكانها. لقد اشترى قرى كاملة مثل دير عمرو وزيتا بمبلغ قدره ٥٤٠٠٠ جنيهاً، وكذلك الأراضي المشاع في طيبة وعتيل والطيرة وغيرها. .

لقد ذكرت التقارير المقدمة الى لجنة الانتداب في عصبة الأمم أن المجلس الاسلامي الأعلى يجعل شراء الأراضي مستحيلاً من قبل الصهيونيين.

لم يبع الفلسطينيون للوكالة اليهودية من أصل المليوني دونما خلال سبعين عاماً إلا ٢٥٠ ألف دونم وخلال ظروف غامضة. لقد استولت الوكالة اليهودية على الباقي من ذلك بأساليب عديدة، فلقد تملكت في عهد العثمانيين ٦٥٠ ألف دونم من أملاك الدولة بحجة استصلاحها وتأسيس مدرسة زراعية ومنحتها السلطات البريطانية ٣٠٠ ألف مجاناً من أملاك الدولة ومئتي ألف أخرى بأجر رمزي،

واشترت ٦٠٠ ألفاً من ملاكين سوريين ولبنانيين.

ـ ألم يكن الملاكون المذكورون كثيري العدد؟

ـ لا . . . لقد آلت اليهم الملكية في العهد العثماني من أملاك الدولة في ظروف خاصة، واعتقد أن ذلك حدث في عهد السلطان عبد العزيز، فلقد أصدرت الدولة العثمانية في تلك الفترة قراراً باستصلاح أراض يستطيع الأفراد بموجبه أن يتملكوا ما يتسطيعون من أملاك الدولة وتقدم على هذا الاساس كثير من أولئك الملاكين بطلبات استملاك . .

ـ هل كانت تسمح الدولة العثمانية، بمنح مساحات واسعة للافراد؟

ـ لم تكن الطلبات بالواقع تقدم باسمائهم وحدهم. كانت تقدم باسم جماعة، وكان الامتياز يعطى باسم صاحب الطلب ورفاقه، وعلى ذلك كانوا يحصلون على التفويض باستصلاح الأرض وامتلاكها بعد فترة عشر سنوات، وكان بوسعهم بعد هذه الفترة تسجيل تلك الأراضي باسمائهم فيحلون محل الدولة بملكيتها، وكانت تزور كثير من القوائم، وقلما تدقق السلطات، وكثيراً ما كانت تنزع اسماء الكثيرين من الذين احتوتها قوائم الطلبات برشوة الموظفين المحليين، وهكذا يصبح المؤما اليه ملاكا لمساحات واسعة. في قرى كثيرة ظن الفلاحون أنهم فيها ملاكون سنين عديدة.

إن ورثة هؤلاء الملاكين السوريين واللبنانيين لم يكونوا يعرفون أين تقع أراضيهم، وأضيف أن هذه الأراضي لم تكن خالية من السكان كما زعمت الدعاية الصهيونية. لقد طرد الفلاحون الذين يعملون فيها بالقوة الانكليزية.

وأعطانا المفتي بعض المجلات التي كانت تصدر في تلك الحقبة وفيها وصف مسهب لاخلاء الأراضي . . .

نشرت مجلة الشباب التي يصدرها شيخ المجاهدين المرحوم الاستاذ محمد علي الطاهر في القاهرة في عددها الصادر في ٩ شباط ١٩٣٥ ريبورتاجا كتبه مراسلها يقول فيه:

(لقد شدهنا لما شاهدناه. كنا نرى بأعيننا مستقبلنا . . . رحيل العرب

والبؤس. . . لقد بتنا نعرف مستقبلنا. . سنطرد من القرى قرية بعد قرية. . قافلة اثر قافلة. .

لقد وجدنا اولئك المطرودين من أرضهم، نساء واطفالاً وعجزة على هضبة وقد فقدوا في صباح واحد كل ما يملكون الأرض والبيت. . .

حتى الجرحى لم يعالجهم احد. كانوا ينتظرون الاطباء الذين تطوعوا لعلاجهم. . .

سألت شيخاً منهم. . . كيف حدث ذلك فأجابني. . كنا نشتغل صباحاً في الأرض على عادتنا لا نأبه لشيء عندما جاءت قوة عسكرية وطلبت منا أن نترك الأرض فرفضنا فهاجمونا فقاومنا بالعصي. . دون فائدة. . . .).

وتابع المفتي قائلاً: لقد طردت بنفس الطريقة قبيلة الحوارث من الأرض التي كانت تملكها اسرة تيّان البيروتية، ٤٠٠٠٠ دونم واضطرت /٢٠٤٦/ عائلة على مغادرة عشرين قرية عربية مسلجة باسم آل سرسق التي باعوها للوكالة اليهودية ـ في مرج ابن عامر ـ.

كانت الأرض التي اعطاها الانكليز للوكالة اليهودية في منطقة بيسان ومساحتها ١٦٥ ألف دونم مسجلة باسم السلطان عبد الحميد يسكنها ١٥٠٠٠ عربي طردوا منها.

ـ نرى من ذلك أن بيع الأراضي لم يكن يتبع طريقة طبيعية؟

ـ إن الفلسطينيين القلائل الذين باعوا أراضيهم كانوا منبوذين من الشعب. لقد اضطر بعضهم لمغادرة البلاد وقتل منهم بعض آخر من قبل مجهولين، كما أن المسيحيين والمسلمين رفضوا ممن مات منهم أن يوارى في مقابرهم. . .

* * *

التوجه لاستنفار العالم الاسلامي:

كان صدى المؤتمر الاسلامي عظيماً حلت بعده القضية الفلسطينية في البلدان الاسلامية في مكان الصدارة، ولكنه لم يحقق عملياً كل ما توخاه المؤتمرون لأن البلاد الاسلامية كانت أكثرها خاضعة للاحتلال. وقرر المفتي القيام بجولة كبرى في

البلدان الاسلامية وخاصة الهند كي يتابع أعمال المجلس الأعلى ومهمته، وعندما وصل الى الهند قام بدعوة لجمع المال فإذا به يأتيه من مختلف الجهات.

ـ هل كان الانكليز يرغبون بفشل مهمتكم في الهند لأنكم تمثلون فلسطين فقط أم كانت هناك دوافع أخرى؟

ـ كانت دوافعهم عديدة، وأهمها أن بريطانيا كانت تقف في وجه كل تجمع اسلامي.. ولم يكن في نيتي إثارة أحد. فلقد حددت لمهمتي هدفها العملي وهو... تنظيم المساعدة المالية حتى نتمكن من تنفيذ مقررات المؤتمر الاسلامي الأعلى وان نتمكن خاصة من إقامة جامعة اسلامية. وكان من الطبيعي أن أتعرض لموضوع فلسطين، وكان الوفد متفقاً معي في ذلك من محمد علي علوية باشا إلى الشاعر إقبال والآخرين، لقد قاومت السلطات الانكليزية التبرعات لاسباب فلسطينية لقد قال لي أمين اللجنة الاسلامية في الهند ـ آنئذ ـ ووزير التربية في حكومة البنغال (فيروز خان نون) إنه اطلع على برقية مرسلة من لندن إلى نائب الملك السير ويلنغتون يطلب إليه فيها أن يعامل الوفد بكل احترام، وأن يعمل ما وسعه على إفشال مهمته لأن نجاحه يخلق مشاكل سياسية لسلطات الانتداب في فلسطين.

ـ أي نوع من المشاكل؟

ـ إن جامعة اسلامية في القدس تصبح مركز إشعاع للشبيبة وتساعد على تثقيفها وتحررها لا تتفق ورغبات الانتداب، كانت سياسة الانتداب ترمي الى تجهيل الشعب بدل تشجيع التعليم كما يقتضي الواجب عليها، كانت نسبة الأمية متساوية في كل الطوائف وخاصة في المدن ولكن هذه النسبة اختلفت بعد وصولهم. كانت فلسطين مقسمة في الواقع الى دولتين الانتداب والوكالة اليهودية وكانت لها تنظيماتها وميزانيتها الخاصة التي تعتمد على المساعدات الخارجية وكانت لهذه الوكالة مدارسها في المدن والمستعمرات بينما كان يعتمد العرب على الحكومة المنتدبة لتعميم التعليم وكانت نيتي أن نتولى نحن هذه المهمة.

كما إن إنشاء جمعية زراعية عربية يساعدها اغنياء المسلمين تتمكن من إفساد الخطط الرامية لشراء الأرض العربية.

* * *

أثارت زيارة المفتي للعالم الاسلامي ضجة كبيرة وحركت نفوس المسلمين، فلجأ المندوب السامي (تشانسلور) إلى لجنة جديدة كي يهدىء من الوضع الشعبي المتفاقم، وتألفت اللجنة من كبار الموظفين البريطانيين يرأسها المستر جونسون نائب مدير المالية، فقدمت اللجنة تقريراً يفضح سلوك الادارة البريطانية الشائن تجاه المزارعين العرب الذين ترمي بهم إلى الفاقة وتثقل كواهلهم بالديون، ولقد القى التقرير المسؤولية على سلطات الانتداب وفضح نيتها في إفقارهم كما بين حمايتها السخية للانتاج اليهودي.

وكيما يدلل المستر ماكدونالد على (نيته الطيبة) تجاه الصهيونية استشار الدكتور وايزمن في تعيين مفوض سام جديد اكثر حزماً من مستر تشانسلور قائلاً له:

(أريد أن اسمي جنرالاً قادراً على العمل مستعملاً عقله)، وعين السير أرثر واكهوب، وقد قال عنه وايزمن: لقد بدأ عمله سنة ١٩٣١ وحققت البلاد تقدماً عظيماً في عهده!

- كيف كان سلوك هذا المندوب السامي؟

- لقد أظهر السير واكهوب أنه أقسى المفوضين السامين وأكثرهم حيلة. كان يذهب إلى زيارة الفلاحين في قراهم كي يظهر بساطته ويرسل في الغد دون أن يؤنبه ضميره جنوده لطردهم منها. لقد عانت فلسطين في عهده أشد ما عانت من النير البريطاني...

- هل أدت تقارير المفوضين السامين المختلفين إلى نتيجة إيجابية؟

- أبداً... كنا ما نزال حتى سنة ١٩٣٢ على شيء من الأمل ولكنه زال مع الزمن. لقد ظننا فترة أن السلطة المنتدبة ارتكبت اخطاء عن جهل للواقع وأن الموظفين المحليين استغلوا حسن نية رؤسائهم في لندن، وأننا بفضل الصبر نتمكن من إقناع المسؤولين البريطانيين بعدالة قضيتنا، ولكننا للأسف الشديد أن السياسة البريطانية كانت تعمل الى أن تؤول بفلسطين إلى شهادة (استشهاد) جديدة. كل عذابنا... كل الامنا كانت تعد بعناية. لم يكن أمامنا غير الشهادة. كانت

الصهيونية وبريطانيا العظمى عازمتين على انتزاعنا من أرضنا وما كان ليشك أحد من الفلسطينيين بذلك.

ـ كل ذلك يدفع للاستسلام على ما يبدو!

ـ ألم تقرأوا هوراس لِكورنيل حيث يقول: ماذا تريد أن يفعل ضد ثلاثة؟

ـ أن يموت. . . .

* * *

مقاطعة سلطات الانتداب:

كان الوضع يزداد سوءا. وبدأ الشعب يبحث عن سبيل للخلاص فلا يجد. كان لا بد من الخروج من الازمة. فدعت اللجنة العربية العليا التي يرأسها موسى كاظم باشا الحسيني في شباط ١٩٣٣ إلى مؤتمر مثلت فيه المدن والشعب بمختلف طبقاته يعقد في مكاتب المؤتمر الاسلامي. وكان جو الاجتماعات متوتراً، وبعد دراسة موقف السلطات البريطانية أعلن المؤتمرون عزمهم على إعلان عدم التعاون على كل المستويات مع سلطات الانتداب كما اعلنوا عن مهلة شهر للسلطات تعلن فيها وقف شراء الأراضي وتوقيف الهجرة حتى إذا لم تنفذ السلطة ذلك دخلت المقاطعة في مجال التنفيذ. . .

وفي أول آذار سنة ١٩٣٣ أعلن الاضراب العام. وقامت اللجنة العربية العليا بزيارة ليافا لتنظيم المقاطعة، فشكلت لجنة للتنفيذ والدعاية لشراء أسهم شركة انقاذ الاراضي. . .

وعندما عاد المفتي ورفاقه الى القدس وجدوا المدينة في وضع متأزم. إثر الخبر بدخول /١٠٠٠٠/ يهودي جديد إلى فلسطين دون إذن وازداد القلق لأن التأشيرات كانت تمنح لليهود، ولقد أعلن المؤتمر الصهيوني المنعقد في براغ عن (ضرورة هجرة غير محدودة).

أخذت بريطانيا تسلح خفية المنظمات الصهيونية، ولقد حصلت اللجنة العربية العليا على الدليل سنة ١٩٣٦ إذ بدأت سلطات الانتداب تدخل في شرطتها

بعض أعضـاء (الهاغـانا) وتسلمهم البنـادق. وفي نفس تلك السنة وقعت الهـاغانـا اتفـاقاً مـع (قيادة الشـرق الأوسط العسكريـة) لتسليح قـواها وتـدريبها عـلى حرب العصابات كما أسست الادارة البريطانية مـدرسة تـدريب سرية في المنطقـة الواقعة جنوب شرق حيفا. .

وكان للصهيونيين الحق في التظاهر بينما كان حمل السلاح جريمة موصوفة وكان التظاهر ممنوعاً علينا.

أعلنت اللجنة العربية العليا آنئذ أنها ستقوم بمظاهرات تحدد زمنها دون إخبار السلطات. وكان ذلك بداية التحدي السافر. . .

وفي يوم الجمعة ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٣٣ خـرجت مظاهـرة اشترك فيهـا عدة آلاف من العرب من المسجد الأقصى بقيادة موسى كاظم الحسيني فهاجمتها قـوى الجيش وجرح ٣٥ عربياً. .

بعد هذا الحادث دعا المفتي الى اجتماع في المؤتمر الاسـلامي أعلن فيه متـابعة المظاهرات، وقـامت مظاهـرة ضخمة في يـافا منعهـا المندوب السـامي دون نتيجـة فهاجمت قوات الجيش البريطاني المتظاهرين أمام جامع يافـا الكبير بمشـاتها وخيـالتها ومصفحاتها فسقط ٣٢ قتيـلاً و١٦٧ جريحاً كان بينهم الشيـخ الجليل مـوسى كاظم الحسيني وعمره آنئذ ٧٥ عاماً، وقـد توفي بعـد ذلك في آذار ١٩٣٤ متـأثراً من هـذا الحادث. . .

وأعلن عن مـظاهرة ثـانيـة في يـافـا غـير أن الشـرطـة هـاجمت مبنى الجمعيـة الاسلامية المسيحية واوقفت وجهاء المدينة المجتمعين لدراسة تنفيذ المظاهرة ووضعوا في سجن عكـا. أما المفتي الـذي أصبح المسؤول الأول عن المقـاومة فقـد التجأ إلى المسجد الأقصى ولم تجروء السلطات البريطانية على الاقتراب منه خشيـة إثارة الـرأي العام الاسلامي. . .

(قال المفتي: كان علينا أن نحمل السلاح. . . وما من سلاح. . .)

أرسـل المفتي رجالـه كي يأتـوا بالسـلاح من البلاد العـربية المجـاورة، وأخذ الوضع يتأزم بمرور الزمن، ونشر المفوض السامي واكهوب جوا مرعباً في البلاد.

بداية الكفاح المسلح وظهور الشيخ عز الدين القسام:

في تلك الفترة كان يتردد على المفتي الشيخ عز الدين القسام، وكان المفتي يحيطه بعناية خاصة، لقد جاء من سورية لاجئاً فكان له المنصب الذي طلبه.

لم يكن الشيخ عز الدين القسام شيخاً فقط، فقد سبق له أن حمل السلاح وقاتل الافرنسيين عند دخولهم سورية حتى نهاية الثورة ثم لجأ إلى حيفا، كان صديق الفقراء معروفاً بفضله وعلمه، كان يدرس الدين في جامع حيفا الكبير، ولما كان تعيين العلماء في المساجد من اختصاصات المجلس الاسلامي الأعلى الذي يرأسه المفتي فقد أمر بتعيينه ليوفر له حياة شريفة، فانعقدت حوله حلقة كان يوجهها في أمور دينها ويحثها على مقاومة المحتل...

وحين بدأت فلسطين كلها تتحدث عن الثورة بدأ الشيخ القسام يدعو الى الكفاح المسلح ويدعو إلى المقاطعة. منذ سنة ١٩٢٢ لم يكن أي مسلم يخضع للاحتلال، لأن الخضوع له معناه أنه خالف تعاليم الدين....

ومنذ بداية ١٩٣٥ شهدت منطقة جنين وطولكرم ونابلس عدة اغتيالات لضباط بريطانيين وعمليات مغاوير فكانت القطارات تنسف وتهاجم الثكنات ويقتل من يتعاون من العرب مع الانكليز... وكان القسام يريد بأي ثمن أن يساهم بنفسه في هذه العمليات ولم يكن يرضى أن يظل بعيداً حين يذهب تلاميذه للموت...

ولقد استشهد القسام بعد أن أعلن الثورة رسمياً في غابة «يعبد» القريبة من جنين في الخامس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ وكان لاستشهاده صدى حزين وحداد في فلسطين وفي العالم العربي كله.

الشعب في فلسطين يحمل السلاح:

لقد حسم عام ١٩٣٥ استشهاد الشيخ محمد عز الدين القسام وهو من الوجوه المعبرة عن روح الثورة الفلسطينية فترة المعركة السلبية، فعزم شعب فلسطين على حمل السلاح. كان القسام يريد أن يعطي مثلاً وعاه الشعب فاحتذاه.

ولد الشيخ القسام (محمد عز الدين) في جبلة احدى مدن الشاطيء السوري

الصغيرة سنة ١٨٨٢ وهو ابن الشيخ عبد القادر القسام رأس الطريقة القادرية الصوفية في تلك المنطقة. وكان هذا فقيراً يجني رزقه من التعليم في كتّاب يعلم فيه القرآن الكريم والاناشيد الدينية.

رحل الشيخ عز الدين في بداية هذا القرن للقاهرة حيث درس في الازهر وكان لامعاً في دراسته، وتميز منذئذ بتدينه وبعد أن انتهى من تلك الدراسة أقام قليلاً في مسقط رأسه ثم قام برحلة لتركيا يدرس في مختلف جوامعها العقيدة كما كان يفعل المدرسون من السلف الصالح.

وبعد أن عاد الى بلدته أخذ يعلم مكان أبيه على مدى أوسع وقام بعمله على أكمل وجه، فكان يدرس الصغار نهاراً والكبار ليلا وعم المدينة حماس ديني شديد فكانت شوارع المدينة ترى مقفرة إذا اذنت صلاة الجمعة.

عندما غزت إيطاليا طرابلس الغرب دعا الشعب للجهاد وانتقى /٢٥٠/ متطوعاً وقام بحملة تبرعات كي يؤمن معاش هؤلاء الرجال وعائلاتهم واتصل بالسلطات العثمانية فأبدت ترحيباً حاراً وطلبت من هؤلاء المتطوعين السفر إلى الاسكندرونة انتظروا فيها أربعين يوما دون جدوى ثم تلقوا الأمر من السلطان بالعودة إلى بلدهم، فبنوا مدرسة بمال التبرعات لتعليم الأميين.

عندما دخل الفرنسيون سورية باع الشيخ بيته وهو كل ما يملك واشترى أربعاً وعشرين بندقية واعلن الجهاد وقاتل حتى سنة ١٩٢١ حين لجأ ورفاقه إلى تركيا بعد أن انتهت الذخيرة لديهم أما الشيخ فقد ذهب مع ستة من إخوانه إلى فلسطين كي يقوم بواجبه.

وفي فلسطين وجد الشيخ القسام كل ترحيب من المفتي الذي كان يعلم نضاله وورعه، واختار الشيخ القسام حيفا وجامعها مكاناً لاقامته، فعين كما اشرنا من قبل المفتي خطيباً رسمياً في المسجد ومدرساً، فكان يدرس في مدرسة خاصة للصغار وكان يعيش ورفاقه الستة حياة تقشف، كان الرفاق يعملون في ميناء حيفا بينما يدرس هو ويطهو لهم الطعام.

عرض عليه البعض التوسط لدى الفرنسيين للسماح لعائلته بموافاته وكانت ما تزال في جبلة فرفض قائلاً:

(أرفض كـل منح المحتـل) فقام بـالمهمة بعض اصـدقائـه السوريـين وسمـح لعائلته وعـائلات رفـاقه بمـوافاتهم الى فلسـطين، فعاشت العـائلات السبـع في بيت واحد لأنهم ما كانوا يملكون أجر بيت لكل عائلة. فلقد كانـوا يدفعـون اكثر جنيهم لتمويل المجـاهدين، وتعلم في تلك الفتـرة رفاقـه وكانـوا قبلا أميـين وساهمـوا بنقل رسـالته الى الجمهـور في حيفا ومـا كان يضيـع وقته، فقـد كان يـذهب الى المـزارع فيدرس الفلاحين وهو يساعدهم في عملهم الزراعي.

كـان مزاج الشيـخ المتصوف ينعكس عـلى سلوكه وتـدريسـه فـما كـان يقبـل الضعف أيا كان مصدره... يذكـر عنه أنـه لما عـين مدرسـاً للغة العـربية في دورة تدريسية مسائية لمـوظفي الدولـة لاحظ أن أحد هؤلاء التـلاميذ جاء الدرس سكران فصفعه أمام الجميع وحرم عليهم جميعاً التدخين في دروسه.

في سنـة ١٩٢٩ طلب وجوه المسلمـين في حيفا من السلطات البـريـطانيـة أن ترسل قوة للمحافظة على الجامع من هجـوم يهودي محتمـل. فثار القسـام ضد هـذا الطلب قائلاً في خطاب القاه بتلك المناسبة:

(إن جوامعنا يحميها المؤمنون منـا. إن دمنا هـو الذي يحمي مسـاجدنـا لا دم الآخرين..) ووصف الطلب بالجبن والمروق ودليـلاً على الخضـوع والذل. وعنـدما دعتـه السلطات للتحقيق فلم ينكر شيئـاً ممـا قـال، وعنـدمـا أوقف أعلنت المـدينـة الاضراب فاضطرت السلطات الى إخراجه من السجن..

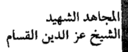
كان يتمتع بشعبية كبيرة.. عندما رأى أن موعد الثـورة حان القى خـطاباً في جامع حيفا استقال فيه من وظائفه ودعا الشعب إلى أن يلحق به في الجبال...

عنـدما هـاجمه الانكليـز ورأى أن مقدمـة الهجوم من الشـرطة العـربية صـاح برجاله: (لا تقتلوا أبناءنا) حتى إذا أحيط به من كل جانب انتظر اقتراب الجيش منه حتى يطلق الرصاصة الأولى المؤذنة بأولى معـاركه وأخـرها في فلسـطين. ولقد دامت ثماني ساعات. كانوا خمسة عشر رجلاً فقط...

الثورة الفلسطينية وتدخل الحكام العرب

الفصل الخامس





المجاهد الشهيد
الشيخ عز الدين القسام

الثائر محمد أمين الحسيني وهو في مطلع شبابه الأول الى اليسار مع فريق من المجاهدين العرب.



الثورة الفلسطينية وتدخل الحكام العرب

مرت البلاد في مرحلة تحفز، وساد الهدوء حتى لعجب الانكليز واليهود لأنهم لم يتعودوا ذلك، كان الشعب يتسلح سرا. .

عندما توفي القسام شهيداً كانت اللجنة العربية العليا قد عزمت على اللجوء إلى السلاح. . .

أعلن المفوض السامي قراره بتأليف مجلس تشريعي من ٢٨ عضوا (١٤) من العرب و (١٤) من اليهود والانكليز والاجانب ومنع انتقال الأراضي إلى العرب وتاركاً لهم قطعة من الأرض تكفي لأعالتهم. . . غير أن المسؤولين البريطانيين سحبوا هذا المشروع لأن الصهيونيين هاجموه بعنف، فأخذ المفتي وإخوانه يعدون بدقة القيام بالثورة. . .

أعلن في المرحلة الأولى في ٢٠ نيسان ١٩٣٦ إضراباً عاماً. . .

ودعا المفتي الى الوحدة الوطنية، واجتمع زعماء الاحزاب الفلسطينية وانتخبوا لجنة منهم تضم جميع رؤساء الأحزاب الفلسطينية بدون استثناء وانتخب المفتي رئيساً لها بالاجماع واعلنوا متفقين أهداف تألفهم وهي :

١ ـ ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين.
٢ ـ وقف بيع الأراضي.
٣ ـ تأليف حكومة برلمانية ديمقراطية.

وألفت لجان فرعية دعيت باللجان القومية في كل مدن فلسطين.

امتد الاضراب سريعاً إلى كل البلاد فأغلقت المدارس وامتنع المحامون عن الدفاع أمام المحاكم واغلقت غرف التجارة وتوقفت مكاتب المؤتمر الاسلامي عن العمل وساهم رؤساء البلديات والشرطة العرب وأعلن الاطباء أنهم يعالجون المرضى مجاناً طيلة الاضراب، وأضربت المتاجر، وأعلن الفلاحون عن عدم بيع انتاجهم بالسوق حتى السجناء المحكومون بالاشغال الشاقة امتنعوا عن العمل ولم تفتح أبوابها سوى الصيدليات والافران. . .

وملأ الاضراب عناوين الصحف العالمية فالتايمس تردد. . اليوم التسعون. . . العشرون بعد المائة للاضراب وتعاظمت الحركة وأخذ الخطباء في الجوامع والكنائس يدعون الى مزيد من المقاومة، وبدأوا يدعون الى حمل السلاح.

ودعت اللجنة العربية العليا الى مواصلة المقاطعة، كما دعت الى عدم دفع الضرائب، واستخدمت السلطات البريطانية المادة الرابعة من قانون الغرامات المعمول بها في فلسطين الذي يقضي بأن يدفع الشعب نفقات الجيش الذي يؤتى به الى البلاد لحفظ الأمن.

وفي أول أيار (مايو) أذاعت رويتر برقية تصف الحالة القلقة في فلسطين فتقول: (ألقيت قنبلة على مركز الشرطة في حيفا واحرقت في يافا مدرسة يهودية والقدس يسودها منع التجول، سبعة عشر جريحاً من العرب).

وأعلنت دوائر المندوب السامي عن وقوع حريق في ميناء حيفا تمكنت السلطات من حصره وعن حوادث عديدة في مختلف المدن الفلسطينية.

وجاء في تلك الفترة نوري السعيد وزير الخارجية العراقية الى القدس فزار المفتي كما حاول الأمير عبد الله ـ الملك عبد اللّٰه فيما بعد ـ وجد الملك حسين ـ أن يتدخل لتهدئة الوضع وايقاف الثورة غير أنهما لم يتمكنا من إقناع المفتي بتخفيف حدة الثورة. . .

في الثامن عشر من أيار أعلنت بريطانيا العظمى عن عزمها على إرسال لجنة ملكية لدراسة أسباب الثورة كما ألح المندوب السامي على المفتي لايقاف الثورة ولو الى فترة من الزمن فأعلن المفتي عن مقاطعة اللجنة.

أخذ اليهود يخلون المستعمرات واذاعت رويتر في ٤ حزيران ١٩٣٦ البرقية التالية:

(امتلأت القدس باللاجئين من المستعمرات حتى غدا تموينهم عسيرا..).

وفي ١١ تموز اطلقت النار على المندوب السامي. وأخذت البيانات الرسمية تتابع معلنة وقوع القتلى والجرحى والاغتيالات وحوادث القطارات... الخ. وأوقف بعض زعماء اللجنة العربية العليا وأرسلوا الى سجن الحفير، واشتد القتال فمن استطاع من الشعب الحصول على السلاح التحق بالثورة.

شهداء رفعوا راية الكفاح المسلح:

- صاحب السماحة ألم ترهقك هذه الاحداث؟

نظر إلي مندهشاً وقال: (ليس الانسان بمنجاة من الارهاق ولكن المسلم الحق من انتصر على نفسه، وفوق ذلك كان أولئك الذين يستشهدون على أراضي المعركة يقدمون مثلاً للعالم اجمع ولاعطكم مثلا... الشيخ قاسم محمد الشايب الذي قتل في ساحة الشرف وما كان يحمل غير قرآن واثني عشر قرشاً كانت كل ثروته. بعد معركة الكرمل جاءت قروية إلى أرض المعركة كي تعين الجرحى، وكانت تعلم أن ابنها من الثوار حتى إذا رأت أحد الشهداء قالت: انه يشبه ابني واقتربت منه فقالت: (إنه أبني) وزغردت فرحاً حتى إذا علم أهل القرية بموقفها جاءوها مهنئين. من يعيش بين هذا الشعب تزداد همته..).

أخذ الملوك والرؤساء العرب يلحون لايقاف الثورة وفي الثامن من تشرين الأول ١٩٣٦ أذيعت بيانات اربعة موقعة من الملك عبد العزيز آل سعود، ملك العربية السعودية، ويحيى حميد الدين ملك اليمن، وغازي ملك العراق، والأمير عبد اللّه أمير شرقي الأردن، تدعو الشعب لوقف الثورة وكانت تلك البيانات ذات نص واحد...

القدس - سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين...

إلى أبنائنا عرب فلسطين.

لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد اللّه ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل.. وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم.

وأذاع المفتي بدوره بياناً باسم اللجنة العربية العليا أعلن فيه أن اللجنة قررت بالاجماع وبعد استشارة اللجان القومية وموافقاتها باتفاق الاراء أن تلبي نداء أصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الأمير بالبيان المثبت أعلاه وأن تدعو الأمة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاد الى السكينة وإنهاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من صباح الاثنين الواقع في ٨ تشرين الأول وبأن يبكر أفراد الأمة العربية في صباح ذلك اليوم إلى معابدهم لاقامة الصلاة على أرواح الشهداء ورفع الشكر للّه تعالى على ما ألهمهم من صبر وجلد ثم يخرجون الى فتح مخازنهم ومزاولة أعمالهم.. بعد ذلك بقليل أعلن وزير المستعمرات في مجلس النواب عن دخول (١٨٠٠) يهودي جديد إلى فلسطين وبدأت البلاد تتحرك من جديد، وتلقى المفتي رسالة من العاهل السعودي..

(من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى حضرة صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا حفظه اللّه..

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته. فلقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والاسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية وبعد استماعنا لكل ما أبداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب فقد رأينا أن المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء إليها بمطالبكم العادلة لأن ذلك أضمن لحقوقكم وادعى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم... وقد أبدينا للوفد الكريم جميع ما لدينا من الاراء في ذلك ونحب أن تكونوا على ثقة بأننا لا نألو جهداً في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال بقدر إمكاننا وأنا لنرجو من اللّه أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير للاسلام والعرب. وأقبلوا احتراماتنا الفائقة).

أمام إلحاح الملوك العرب وجد المفتي نفسه مكرها على أن يقدم للجنة الملكية

في ١٢ كانون الأول سنة ١٩٣٦ المطالب العربية قائلا:

(وأخيراً فان العرب لا يرون أية فائدة أو أمل من إصلاح في إدخال تغييرات ثانوية لأن الداء إنما هو في الأساس وما لم يعالج الاساس معالجة صحيحة فان الداء يظل مستفحلاً والشر متفاقماً وفي اعتقاد العرب أن المعالجة الاساسية والصحيحة هي في:

١ ـ العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة التي نشأت عن وعد بلفور وأعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها والتي ألحقت الاضرار والاخطار بكيان العرب وحقوقهم.

٢ ـ إيقاف الهجرة اليهودية إيقافاً تاما وفوراً.

٣ ـ منع انتقال الأراضي العربية منعاً تاماً وحالاً.

٤ ـ حل قضية فلسطين على الأسس التي حلت عليها قضايا العراق وسورية ولبنان بانهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين تقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري تمثل فيها جميع العناصر الوطنية ويضمن للجميع فيه العدل والتقدم والرفاهية. والنتيجة فإن سياسة انشاء وطن قومي يهودي في هذه البلاد العربية من طبيعتها أن تؤدي الى استمرار القلق والاضطرابات وتجعل من هذه البلاد المقدسة وطنا دائماً للفتن بينما هي أحق بلاد العالم بالسلام والطمأنينة).

لم يكن لدى اللجنة الملكية الحق في دراسة منشأ الخلاف. كان هدفها كما أعلنه وزير المستعمرات في مجلس العموم أن تقوم بدراسة عميقة لاسباب النزاع كخطوة أولى للتهدئة: (إن رغبة حكومة جلالته هي إعادة النظام ومن أجل هذا الغرض تقترح على جلالته تعيين لجنة ملكية تدرس أسباب الفوضى ومطاليب العرب واليهود دون التعرض لروح الانتداب).

سميت اللجنة لجنة بيل باسم رئيسها. ولقد قدمت تقريرها في ٧ تموز ١٩٣٧ الذي يرمي الى تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب وبقاء السلطة البريطانية في منطقة القدس على أن يضم الجزء العربي للاردن.

ولأول مـرة يذكـر التقسيم كنتيجة طبيعيـة للتيه في تـأسيس الـوطن القـومي اليهودي.

لقـد دام الهدوء شهـوراً أربعة تحت الحـاح الملوك العرب وفي ٢٦ أيلول سنـة ١٩٣٧ هـاجم أربعة من الشبـاب العرب المسـتر اندروز حـاكم الجليـل ومسـاعـده كوردون وهما خارجان من الكنيسة الانكليكانيـة في الناصـرة واردوهما قتيلين وأوقف عدد من الزعماء والاطباء والسياسيين. . . واستؤنفت الثورة.

قال المفتي:

(أخذ يعاني أفضل رجالنا من ساسة ورجال دين اقسى التعذيب. . . الضرب بالسوط والتعذيب على اختلاف اشكاله. .

ـ اسمحوا لنا بمقاطعتكم. . . تزعم بعض الكتب الاجنبية أن الانكليز كانوا متسامحين مـع العرب ولم تشر تلك الكتب للتعـذيب. أما عن السجـون فالانتـداب البريطاني يقول إنه أدخل عليها تحسينـات، وقد كـانت أوضاعهـا مؤسفة في العهـد العثماني؟

أجاب المفتي على سؤالي بقوله:

«لقـد قتل ١٢ ألفـاً من الفلسطينيـين تحت الانتداب البـريطاني. ولاحـدثكم قليلا عن سجونهم. . لقد عذب المجاهدون بشكل لا يشرف الانتداب البريـطاني، لقـد خضعـوا الى أنـواع منـه تفضـح لا انسـانيـة ذلـك الانتـداب بـل لقـد أوجـد البريطانيـون سجونا لم يكن لها وجـود في العهد العثمـاني، ولأعـدد لكم السجـون الرئيسية. .

معتقل الحفير الواقع على عدة كيلومترات من بئر السبع. وكان مـركز اتصـال بين القطعات العسكرية في العهد العثماني واستخدمه الانكليز لمراقبة المهـربين وفي سنة ١٩٣٦ أصبح معتقلاً سياسياً نظراً لـوقوعـه على أطـراف الصحراء وبعـده عن المدن. ولقد اعتقل فيه عوني عبد الهادي وقدري طوقان واكرم زعيتر والشيخ صبري عـابدين وغيـرهـم. . . كان السجنـاء يعيشون فيـه في أبنية خشبيـة يعانـون منـاخـاً صحراوياً شديداً. . .

وسجن غزة المؤلف من زنزانات وقواويش غير صحية كان يعطى فيه السجين غطاء واحداً. وكان الميجر (هارنكتون) يشرف فيه بنفسه على التعذيب.

أما سجن عكا الذي لم يكن غير جزء من القلعة القديمة، كثير الرطوبة فكان يكدس فيه السجناء ويمنعون حتى عن التدخين.

وأقيم في ضواحي عكا معتقل المزرعة المؤلف من ابنية خشبية، بلغ عدد السجناء فيه سنة ١٩٣٧ (١٣٠٠) سجيناً كانوا يكرهون على الجلوس جميعاً القرفصاء صباحاً فيستعرضهم آمر المعتقل البريغادير (ستيل) فينقر على رؤوسهم واحداً بعد الآخر. في ذلك المعتقل شنق الشيخان فرحان السعدي وأبو درة...

وسجن المسكوبية... حول الانكليز سنة ١٩١٨ بناء الدير الروسي فجعلوه لمحاكم حكومة فلسطين واستخدموا قبو النبيذ المنعزل الى سجن يعذب فيه المجاهدون. لقد اقترفت في ذلك السجن أساليب لم تكن معروفة قبلا كان يؤتى بالشيخ ويكره على أكل قشور البطيخ أو أن تفرك وجوههم بها ويبدو أنهم وجدوا أن تلك الوسيلة أكثر حضارة من الضرب...

ثار الشعب، وكان لا بد من حمل السلاح...

ـ وهل حملتم السلاح؟

اني ضابط قديم لي خبرتي في الحرب وليس الدم الذي يجري في عروقي دم العلماء فحسب وإنما دم المجاهدين...

ـ زعمت بعض الشائعات بعد حوادث ١٩٢٩ أنكم كنتم تودن مغادرة البلاد؟

ـ أبداً... كانت تلك تخرصات لا صحة لها زعمها وفد المحامين الذي رأسه السير بويد مريمان، وقد جاء يدافع عن الصهيونيين أمام لجنة شو. لقد ذهبوا الى أني عزمت على القيام بجولة لاوروبا للدعوة لقضيتنا قبل ذلك فأعددت جواز السفر والتأشيرات اللازمة لتنقلاتي، ولما انفرجت الازمة أوقفت كل شيء وألغيت الرحلة وبقيت الى جانب إخواني. وكانوا يريدون من ذلك إقناع اللجنة بأني المسؤول الوحيد عما يجري في فلسطين وأن شعبنا كان يقبل الانتداب وبوعد بلفور

لولا وجودي. ولست بحاجة لاقيم الدليل على باطل هذه الحجة.

لقد اثبت تاريخ القضية الفلسطينية أن شعب فلسطين تعلق بها روحاً وجسداً ودافع عنها بشجاعة عظيمة. إنه لم يستسلم ولم يتخل عن المعركة رغم الآلام التي تحمل ورغم الشقاء الذي يهيمن على مصيره. ولقد أعلنت ذلك للجنة الملكية فقلت:

كنت في الحقيقة معولا على السفر وعندما تبينت التآمر الذي يحاك للشعب والشر الذي يراد به بدلت رأيي وعزمت على الوقوف معه في الساعات الحرجة. لقد أدعى الصهيونيون الى أني كنت سأترك البلاد.. أعلن أني لو كنت خارج البلاد لرجعت دون أن أتردد لحظة إلى ميدان المعركة كي أدفع العدوان عن ابناء وطني واتحمل الواجب المفروض على كل فلسطيني وخاصة علي أنا... وكيف يمكن لي أن أخيب رجاء شعب فلسطين الذي منحني الثقة من كان يستطيع التنبؤ ساعتئذ أني أكره بعد ثماني سنوات على مغادرة البلاد؟

ولم تكن في نيتنا فوق ذلك أن نوقف المعركة لولا تدخل الملوك والرؤساء العرب. كنت أرغب أن تستمر الثورة، ولكن الملوك والرؤساء العرب ظنوا أن تدخلهم يحل الازمة فقد المهم أن يروا شعب فلسطين معرضاً للاختيار بين ترك الأرض وبين الذبح. كانوا يريدون أن يوفروا عليه تضحيات لا جدوى منها وكنت أذهب الى أن التضحية وحدها هي التي تؤدي إلى حل مقبول لقضيتنا. كان علينا أمام عناد الصهيونية وبريطانيا العظمى أن نستمر بالمعركة مهما كان الثمن ولكني اضطررت أمام الالحاح على إفساح المجال أمام الملوك والرؤساء ليتلمسوا بانفسهم غدر بريطانيا والصهيونية.

في اليوم الذي اتخذنا قرار وقف الاضراب وما رافقه من أعمال ونفذ ذلك في ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦ سيطر على فلسطين جو ثقيل..

ارتأت اللجنة العربية العليا أن تدرس مع الزعماء العرب الموقف الواجب اتخاذه تجاه اللجنة الملكية (لجنة اللورد بيل) وكان الفلسطينيون ميالين لمقاطعتها وكنا نود التشاور مع الزعماء العرب في مثل هذا الموقف وذهبت عدة لجان الى مختلف العواصم العربية لهذه الغاية..

وسافرت أنا خلال فترة الحج إلى السعودية فقد كانت خير فرصة اشرح فيها للمسلمين الذين يجيئون من مختلف أرجاء العالم القضية الفلسطينية وكان أعضاء الوفد السيد عزة دروزة (فلسطيني) ورياض الصلح (لبناني) وكامل القصاب (سوري). . كنت أذهب دائماً برفقة وفود تمثل عدة بلدان عربية لاني اقدر أن مسألة فلسطين لا تتعلق بالفلسطينيين وحدهم وإنما بالعرب عامة والمسلمين قاطبة. .

وعندما اجتمعنا مع جلالة المرحوم الملك عبد العزيز سعود قدمت له عرضاً كاملاً للوضع وتطرقت رغم أن هدف الزيارة كان القضية الفلسطينية الى ضرورة بذل الجهد لتحقيق الوحدة العربية، فكلفني بأن انقل استعداده لتحقيق هذا الهدف للحكومة العراقية التي كانت تصلني بها احسن الصلات.

وما أن عدت إلى فلسطين حتى ذهبت إلى دمشق في وفد آخر كي أقابل المرحوم رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي ولم تطل إقامتنا في دمشق فقد جاءتنا أنباء مقلقة عن فلسطين دفعتنا للعودة إلى القدس على جناح السرعة.

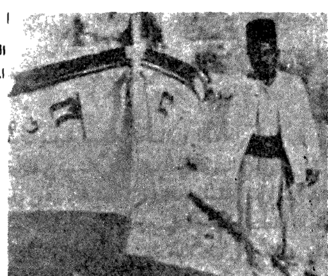
عندما قدمت لجنة بيل تقريرها في ٢٢ تموز إلى الملك سارت شائعات تفيد أنه يحوي قراراً بالتقسيم فثارت الأفكار. وفي دمشق علمت أن السلطات البريطانية خرقت الهدنة وعمدت الى تنفيذ التقسيم بالقوة واخذت توقف المناضلين ولقد استغربت السلطات البريطانية عودتي ظانة أني انتهزت فرصة الهدنة فنجوت بنفسي، وأخذت ترسل لاقناعي بقبول حلولهم وحاولوا معي كل وسائل الترغيب فعرضوا العروض المغرية من مركز وألقاب. . وأمام تشبثي تبدلت اللهجة فانقلبت من اللطف إلى التهديد وارسل لي مدير المخابرات بواسطة اصدقائه قائلاً إن الانكليز مصممون على اللجوء للاسباب التي تمكن لمصلحة بريطانيا وانهم مستعدون الى ركوب المخاطر واستخدام القوة للوصول إلى مراميهم ونصحوني بالحكمة خيفة على مصير عائلتي واصدقائي واثاروا الشائعات الزاعمة أني الوحيد الذي يقف ضد سياستهم وفي ذلك الحين وفي ١٦ تموز ١٩٣٧ نشرت جريدة التيمس مقالا تقول فيه: (ان المفتي هو العقبة الوحيدة أمام حل القضية الفلسطينية والتفاهم مع اليهود ولولا الخوف من محمد أمين الحسيني لظهر كثير من المعتدلين على المسرح وعلى

الحكومة البريطانية ألا تترك الساحة خالية لنشاطه بل عليها أن تقيله من مناصبه وخاصة من رئاسة المجلس الاسلامي الأعلى وأن تلجأ ضده للقوة وضد القسم المتعصب المتطرف الخ . . .) .

كان المقال يكشف عن نوايا الانكليز العدوانية ضدي واتخذت الاحتياطات لمعرفتي بعلاقات التايمس الرسمية وشبه الرسمية . . .

المفتي يغادر فلسطين

الفصل السادس



الزورق العادي الذي انتقل بواسطته المفتي من يافا الى جنوب لبنان.



المفتي حين وصل الى لبنان بعد أن غادر فلسطين سرا وافلت من حصار الانكليز.

المفتي يغادر فلسطين

على مدى اسبوع راح المفتي يروي لي قصة مغادرته وطنه والقدوم إلى لبنان، فقال:

في ١٧ تموز ١٩٣٧ في الساعة الخامسة حوصرت مكاتب اللجنة العربية العليا من قبل البوليس البريطاني الذي احتل الشوارع المؤدية اليها والحي المحيط بها، وكنت آنئذ أرأس جلسة عامة. وكان الضابطان ركس وفيزجيرالد يقودان تلك القوة وبعد أن قطعت خطوط الهاتف هاجمت القوة قاعة الاجتماع ولما لم تجدني بحثت عني في كل الغرف. في تلك اللحظات كنت اسلك طريقي بهدوء إلى المسجد الأقصى فلقد خرجت من الباب الخلفي عندما احتلت القوة الحي وكانت سيارتي تنتظرني كعادتها عند الباب عندما ازور مكاناً ما و «برناوي»[1] جالس الى جانب السائق وكان وجوده في السيارة يعني اني في المكاتب، واستطعت بهذه الطريقة الوصول الى باب المدينة القديمة التي تحيط بها أسوار عالية بنيت في العهد العثماني فدخلت الباب متجها الى بيتي الذي يشرف على الجدار الغربي للاقصى والرواق الكائن مكان البراق.

في حرم المسجد كان يقيم عدد من المجاهدين المدججين بالسلاح المستعدين للقتال...

---

(١) البرناوي: طفل نيجيري تربى في كنف المفتي ولازمه كظله في حله وترحاله، والرحلة الوحيدة التي تخلف عنها تلك التي اختفى فيها المفتي من طهران وظهر فيها بعد في بلاد المحور، والسبب في تخلفه يعود إلى أنه كان معتقلا من قبل الانكليز طيلة أيام الحرب العالمية الثانية.

وهكذا فشل المخطط البريطاني الرامي للقبض علي، فقد كانت هنالك على باب مكاتب اللجنة العربية العليا مصفحة مستعدة لنقلي الى حيفا ومنها إلى جزر موريس في المحيط الهندي على الطراد ريباليس. . .

أمام هذا الفشل وبعد أن عرف الانكليز أني في الأقصى حاصروا حرمه شهورا ثلاثة فأحاطت به قوة كبيرة وقطع عنه الكهرباء والهاتف، وفي هذه الشهور الثلاثة جاء الانكليز بقوة عسكرية من مسلمي الهند مستهدفين احتلال الاقصى بالقوة والقبض على المجاهدين. . .

تمسكت في تلك الفترة بالبقاء في فلسطين مؤملاً مشاركة المقاتلين والعمل بالثورة المسلحة ولكن هذه الرغبة لم تتحقق، وساهمت الظروف بغير ذلك، واخذت الاحداث تتلاحق سريعاً، وما كنت أريد أن يتحول الاقصى إلى ساحة قتال يسيل فيها الدم، كنت أخاف كثيراً عليه أريد أن أجنبه المخاطر وانقذه من التعرض لما ينال منه، وكيف اسمح لنفسي بالنيل من قدسيته وقيمته؟ كان قرار ترك فلسطين خارجاً عن إرادتي. كانت تلك إرادة الله. . .

* * *

ولعله من المفيد أن يلم القارىء ببعض الاحداث التي وقعت في تلك الفترة والمفتي في الاقصى. . خاب أمل الشعب الفلسطيني عندما اعلن تقرير لجنة بيل ورفض محتواه وارسلت اللجنة العربية العليا مذكرة للملوك العرب تعلن فيها رفضها للتقسيم وتصر على تحقيق آمال شعب فلسطين.

وفي آب (اغسطس) ١٩٣٧ قدمت الحكومة البريطانية المشروع الى عصبة الأمم فرفضته لجنة الانتدابات التي يرأسها المركيز (تيودولي) فعرضته الحكومة البريطانية على الهيئة العامة بعد شهر من ذلك بواسطة وزير خارجيتها المستر ايدن فهاجم المشروع وزراء خارجية مصر والعراق وايران وافغانستان والبانيا وخاصة الرئيس دوفاليرا رئيس وزراء ايرلندا ورئيس وفدها لدى العصبة الذي رد على برقية الشكر التي ارسلها اليه المفتي قائلاً: (إن التقسيم هو اكثر الاسلحة لا انسانية التي يتسخدمها الاستعمار لتمزيق قلوب الشعوب الخاضعة له).

وفي ٨ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٧ انعقد في سورية وفي بلودان الواقعة على بعد ٤٥ ك م من دمشق مؤتمر عربي جمع ٤٥٠ عضواً مثلت فيه مختلف الاتجاهات العربية رأسه ناجي باشا السويدي وناب عنه في الرئاسة الأمير شكيب ارسلان ومحمد علي علوبة باشا والمطران حريكة.

كان الهدف من المؤتمر بحث القضية الفلسطينية، واتخذ القرار بالاجماع (أن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والعرب يرفضون جميعاً تقسيمها أو إقامة دولة يهودية على أرضها). واقسم المجتمعون وقوفاً أمام الله والتاريخ والشعوب العربية والاسلامية أن يستمروا بالكفاح حتى تحرير فلسطين.

دفعت القضية الفلسطينية، وقد أخذت أهمية كبرى في نظر العالم عامة والعرب خاصة ومقاومة الفلسطينيين العنيدة من جهة ودفع الصهيونية المستمر من جهة أخرى السلطات البريطانية لاستخدام القوة. وكانت حادثة مقتل اندروز إيذاناً ببدء المعارك.

بدأت بريطانيا بحل اللجنة العربية العليا والمؤتمر الاسلامي وكلفت لجنة من ثلاثة موظفين - اثنان منها بريطانيان - يرأسها المستر كركبرايد بإدارة الأوقاف والمحاكم الاسلامية الشرعية وأوقف أكثر أعضاء اللجنة العربية العليا ونفوا الى جزر سيشيل. واتخذت لجان منظمة الجهاد قراراً بسفر قائدها إلى سورية قبل استئناف الثورة في ١٥ تشرين الأول.

* * *

يقول المفتي:

(عندما أكرهت على مغادرة البلاد أعددت بياناً دعوت فيه الشعب لاستئناف حمل السلاح في ١٥ تشرين الأول. لم يكن تركي بلادي سهلاً... كانت المدينة القديمة كما ذكرت لكم محاطة بالجيش البريطاني المعسكر حول الاسوار.

عندما وصلت إلى بيروت اتصلت بي الدايلي اكسبرس تعرض علي مبلغاً كبيرا لقاء مقابلة ابين فيها نفس الطريق التي تبعتها. فرفضت العرض اعتقاداً مني أنه قد يأتي يوم اسلك فيه نفس الطريق!) وها أنا اتحدث إليك عن ذلك.

التواري الثاني:

كنت اسكن أحد بيوت القدس القديمة وهي جزء من الحرم يتصل بالمبنى الرئيسي للأقصى وأظنه كان قديماً إحدى المدارس التي تحيط بالمسجد، ولقد اتخذت احتياطي منذ بداية الكفاح فأغلقت كل منافذ البيت (من أبواب ونوافذ) عدا ما اتصل بفناء المسجد واحدثت ممراً متصلاً ببناء قديم هو مدرسة تتصل بدورها بالابنية المجاورة. وفي اللحظة التي اجتزت فيها الممر تبينت كم كنت على حق فيما فكرت باقامته.

بعد أن خرجت من الأقصى تسلقت سور المدينة القديمة الجنوبي حتى بلغت قمته وكان هنالك حبل ثبته الاصدقاء ودلفت مستعينا بالحبل من علو عشرين مترا سع رفيق الرحلة عارف الجاعوني، وهبطنا في بستان كان صاحبه يرقب رواح وغدو الدوريات البريطانية، وعوت الكلاب لما رأتنا ولكن أحداً ما انتبه وظللنا في ذلك البستان حتى تأكدنا من سلامة الخروج منه ومن هناك نزلنا وادي الربابة ثم صعدنا الحي العربي القائم على جبل الشيخ حيث كان ينتظرنا بعض الاصدقاء في سيارة، كنت متخفياً في ثياب بدوي وتركت القدس في الساعة السابعة من مساء ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٣٧.

ولقد أوقفت الشرطة السيارة عدة مرات على طريق يافا، وفتشت. ذهبنا مباشرة إلى بيت الصديق المرحوم يوسف ضيا الدجاني الذي كان يسكن تلك المدينة على شاطيء البحر وكان قد هيأ مركباً لننتقل فيه إلى بيروت ولكن الانكليز صادروه وقد شكوا بأمره، ولما كنا مكرهين على الرحيل سريعاً قبل أن تكتشف أمرنا السلطات، استقلينا قارباً صغيراً لا يتجاوز طوله ثلاثة أمتار صاحبه بحار شجاع من يافا اسمه يوسف الطويل وسافرنا في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل متكلين على الله مجانبين ما استطعنا قوارب دوريات حرس الشواطىء الانكليزية البخارية. وأبحرنا محاذين الشاطيء كي لا نثير الانتباه، ينير طريقنا اشعة الابنية التي على الشاطيء. وسرنا سيراً بطيئاً حذراً وقضينا عدة ساعات حتى اجتزنا مرفأ يافا وتل أبيب، وعندما انبلج الصبح كنا أمام قرية سيدنا علي وهي قلعة ارسوف الصليبية الشهيرة، وشاهدنا اقتراب مركب حربي فنزلنا الى الشاطىء حتى يبتعد عنا ولما عدنا

الى البحر هبت ريح معاكسة اكرهتنا على طي الشراع واستخدام المجاذيف، وفي المساء نزلنا الشاطىء مرة اخرى كي نستريح عند صخرة، ولم نستطع في ١٥ ساعة أن نجتاز أكثر من ٤٠ كيلومتراً.

وبعد أن ارتحنا عاودنا السفر حتى الفجر الذي رأينا أول أنواره جنوب حيفا في محاذاة قرية طنطورة فتوقفنا هناك كي نأكل وننام قليلا في مغارة يلجأ إليها المهربون.

- بماذا كنتم تشعرون في هذه الساعات الصعبة؟

- صعب علي أن أحدد ذلك كان التعب يسيطر على كل العواطف الأخرى ولكن الخوف من أن يكتشف أمرنا كان يضطرنا على التغلب عليه وكان الخطر يدفعنا الى مضاعفة الجهد، وكنا نجد القوة رغم الانهاك. إن مقاومة الانسان لا حدود لها في الساعات الصعبة. كلما أجهد الانسان شد اللّه في أزره.

فارقت فلسطين وأنا أحس بمرارة شديدة ومع ذلك كنت أحافظ على الأمل بمتابعة الكفاح. كانت هذه الاحساسات ممزوجة بالخوف من أن يكتشف أمرنا. وفي الساعة التي أطبقت جفني كي أنام قليلاً جاءت دورية من الشرطة المكلفة بمكافحة التهريب فنهض يوسف يستقبلهم مرحباً فأجابه الشرطي: (ظنناكم مهربين) وألح على دعوتنا للغداء فاعتذرنا وعندما ابتعدت الدورية عدنا إلى القارب وجاءتنا ريح موافقة دفعتنا باتجاه لبنان وعدما تجاوزنا حيفا اخذ الكرمل يختفي قليلا قليلا عن عيوننا..

وقليلاً بعد أن تجاوزنا شاطىء فلسطين جاءنا مركب بخاري فرنسي من حرس الشواطىء فأوقفنا واقتادونا الى مدينة صور وهم يعتقدون أنهم قبضوا على مهربين يراقبونهم ولكنهم احسوا بالخيبة عندما وجدوا انهم أخطأوا. وقدمت لهم نفسي باسم محمد الجعفري فلم يقنعوا بذلك رغم قناعتهم أننا لسنا من المهربين، فقد شكوا في أمر ذلك المركب الذي يجيء من فلسطين، وجاء بعد ذلك مدير الأمن العام فحاولت اقناعه لاطلاقنا فما نجحت واقتادنا الى رئيسه مسيو كولومباني مدير الأمن في بيروت الذي عرفني حالاً رغم تنكري ومنعني من متابعة الطريق إلى دمشق. أوقفت توقيفاً مؤقتاً، وبعد أيام استمرت فيها الاتصالات بين السلطات

الانكليزية التي كانت تطالب بي والسلطات الفرنسية التي ارتبكت لوجودي، وسمح لي بعد ذلك بالسكنى موقتاً في بيت الدكتور سامح الفاخوري رئيس المؤتمر الاسلامي في لبنان. ثم أرسل إليّ بعد ذلك الكونت دي مارتل المفوض السامي الفرنسي في سورية ولبنان مدير غرفته كي يعرض علي الاقامة في باريس فرفضت.

وحاولت حينئذ الخروج من الورطة التي وجدتني فيها فقررت وزميلي أن نحاول الفرار مرة أخرى بواسطة الحبل وكان البيت الذي نسكنه في الطابق الثالث تحرسه الشرطة من الخارج وينام فيه بعض الضباط للحراسة، واستطاع صديقي الذي أعانني في الخروج من فلسطين الحصول على حبل واخذنا ننتظر الوقت الملائم لربطه بالنافذة، كان الغيث مدراراً تلك الليلة وكان بوسعنا التنفيذ فيها لندرة العابرين في الطريق..

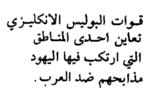
* * *

قامت ضجة كبرى في بيروت بعد وصولي إليها، وانتشرت في العاصمة انباء الاتصالات التي نجمت عن ذلك، فقام الشعب اللبناني بمظاهرات ضخمة لتأييدي والاحتجاج على نفيي إلى باريس، وتدخل القادة السياسيون في الأمر وزارني مرة ثانية مدير غرفة الكونت دومارتيل لينقل الي قرار المفوض السامي القاضي بمنحي الاقامة في لبنان مبدياً رغبته في أن تكون خارج بيروت وطرابلس فاقترحت مرة ثانية سورية فرفض.. وعندئذ انتقيت «ذوق مكايل» في منطقة كسروان فسمح لي بذلك.

الفصـــــل السَّـــابع

مواصلة الثورة الفلسطينية





قوات البوليس الانكليزي تعاين احدى المناطق التي ارتكب فيها اليهود مذابحهم ضد العرب.



فندق النبي داود نسفت ادواره العليا انتقاما من المؤامرة الاستعمارية ضد شعب فلسطين.



فوزي القاوقجي
اسندت اليه قيادة المتطوعين
في الجبهة الشالية.



مذابح اليهود ضد العرب تمت على أيدي اليهود المتدينين ورجال الدين الربانيين.

مواصلة الثورة الفلسطينية

ويمضي المفتي قائلاً:

(استأجرت داراً في ذوق مكايل بعد وصولي إليها، وبدأ أخواننا يصلون شيئاً فشيئاً الى القرية ويقطنون البيوت المجاورة فسرعان ما اصبح الحي حينا مما سهل علي الاتصالات مع من أريد رغم مراقبة السلطات الشديدة، وقد أمضيت الصيف في «قرنايل». وعندما كنت لا أقدر على الاتصال العلني ببعض الاشخاص كنت ألجأ إلى الاتصال بهم في السر، وهكذا تمكنت من أن أجتمع بعدد أكبر من الشخصيات واستقبل الرسل الذين يجيئون من جهات عديدة. . . .

استؤنفت الثورة كما كان متفقاً عليه أشد واعند من ذي قبل حتى لقد أثارت شجاعة المجاهدين وبطولتهم العالم بأسره الذي أخذ يرى شعباً من مليون نسمة يقاتل الامبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية. . . أخذ المقاتلون يهاجمون المعسكرات والثكنات والمطارات والقوافل العسكرية وينسفون خطوط المواصلات، وخطوط شركة النفط. . .

ولجأت السلطات البريطانية الى أساليب القمع المتوحشة وجلبت أربع فرق من أفضل الجنود الى فلسطين وزادوا عدد الشرطة حتى وصل إلى عشرة آلاف رجل. . . ووصل عدد الشهداء إلى ستة آلاف منهم ١٥٠ أعدمتهم المحاكم العسكرية، وأعيد ذكر اسم فرحان السعدي الذي شنقوه وعمره خمس وسبعون عاماً، وكان آنئذ صائماً في رمضان، ووصل عدد المعتقلين الى ٥٠ ألفاً. ونسفت أحياء كاملة في بعض القرى ونهبت البيوت. . .

في أواخر سنة ١٩٣٨ وصلت الثورة الى القمة وسيطرت على البلاد ما عدا المدن الكبرى ورحلت أكثر العائلات الانكليزية عن فلسطين وبدأ المجاهدون يظهرون بين حين وآخر في المدن، في جنين قتلوا حاكم المدينة العسكري في مكتبه الرسمي ولم تجرؤ الشرطة التي كانت تقوم بحراسة المحافظة من الاقتراب منهم، وعندما خرجوا الى شوارع المدينة لم يستطع أي شرطي الاقتراب منهم، وفي بئر السبع هاجموا سجن المدينة وحرروا السجناء مما سبب نقل حاكم المدينة الجنرال (ويفل) وتعيين الجنرال (هاننج) الذي عرف بفظائعه.

وامتدت الثورة الى شرق الأردن فوقعت معارك قريباً من اربد وعجلون وأخذ المناضلون يجيئون من البلدان المجاورة للاسهام في الثورة.

وحاول الانكليز خنق الثورة بكل الوسائل فما استطاعوا. لقد جاء الى فلسطين عدة قواد بريطانيون للقضاء عليها منهم (ويفل) و (ويلسون) خلال السنوات ٣٦ - ٣٩.

وجاء البريطانيون بعد ذلك بالسير (تيجارت) المعروف بخبرته بالقضاء على الثورات الشعبية. ولما رأى هذا أن المساعدات الاساسية للثورة تأتي من سورية ولبنان وشرق الأردن ارتأى إغلاق الحدود بوضع الاسلاك الشائكة والالغام في المعابر الموجودة في المنطقة، ولكن المجاهدين استطاعوا إزالة هذا (الجدار).

ووصلت حركة الدعم لقضيتنا في البلدان العربية الى الاوج، وكثرت الاجتماعات في مصر، فاجتمع في القاهرة مؤتمر نسائي عربي ارسل كتباً إلى مختلف الحركات النسائية في العالم طالباً إليها نجدتنا كما وقع ١٧٠ نائباً مصرياً من مختلف الاحزاب عريضة تدعو الحكومة لمساعداتنا، واجتمع بعد ذلك مؤتمر برلماني من مختلف البلدان العربية والاسلامية اعلن تأييده المطلق لقضيتنا ومطالبينا.

وانتخب هذا المؤتمر وفداً مؤلفاً من محمد علي علوبة باشا من مصر وشودري خليق الزمان وعبد الرحمن خليقي من مسلمي الهند فسافر الى لندن للدفاع عن قضيتنا.

ولجأ الانكليز الى وسائل مجردة عن كل خلق لايقاف الثورة فحاولوا إيجاد فرقة

بين العرب من مسلمين ومسيحيين بأن دفعوا عملاءهم لتوزيع منشورات لهذا الغرض يهاجمون فيها المسيحيين، وعمدوا الى عدة جرائم قتل ليبرروا هذه الحملة فقتل المهندس ميشيل متري ـ وهو مسيحي ـ رئيس اتحاد العمال تنفيذاً لذلك المخطط. . ولكن وحدة الفلسطينيين كانت أقوى من أن تتأثر بهذه المؤامرات، ولقد لقي قتلة السيد متري العقاب الذي يستحقون، لقد كان على الثوار أن يدرسوا تفاصيل تلك المؤامرة للقضاء عليها. .

ذات صباح استقبلت شاباً فلسطينياً كان يعمل ضابطاً في المخابرات البريطانية في يافا، استطاع أن يكسب ثقة رؤسائه البريطانيين. جاء إلى بيروت بحجة المعالجة في مستشفى الجامعة الاميركية، واحتال للخروج منه كي يأتي الي فيطلعني على ما يبيت الانكليز من جديد لفلسطين، ولقد وضحت، بفضل تلك الزيارة خططهم لدي. وهي تتلخص باستخدام كبار المجرمين للوصول لهذه الغاية. كان هؤلاء ينظمون في عصابات يخضع التسلسل فيها لعدد الجرائم فيقود أكثرهم جرماً أقلهم. كان يخرجهم الانكليز من السجون لأعذار مختلفة، ولقد تكررت في تلك الفترة حوادث الفرار من السجون. كانت السلطة تدفع لهم عدا الهدايا رواتب شهرية وتسلحهم. كان الضابط الذي ذكرت نفسه مكلفاً بتنظيم احدى تلك العصابات المؤلفة من ٢٠ رجلاً يقودهم مجرم معروف اسمه (أبو نجيم)، وكان يحمل كل منهم أوراقاً تساعده السلطات عند اللزوم واذناً بحمل السلاح، وكانت تلك الجماعات تقوم بنشاطها في الأمكنة التي يكثر فيها المسيحيون وخاصة في جبال رام اللّه، وكانت أقوى تلك العصابات تتمركز في منطقة القدس.

قدم إلي الضابط كل المعلومات الضرورية وخاصة اسماء المجرمين، في تلك الفترة هوجمت عدة قرى ونهبت مثل: (بيت جالا، والطيبة، وبئر زيت، وجفنة) وغيرها. . .

عندئذ أعطيت الأوامر لمنظماتنا للقضاء على تلك العصابات، وحمل عبد القادر الحسيني، الذي كان يعالج في لبنان من الجراح الخطيرة التي أصيب بها في معركة الخضر، والتي قتل فيها، سعيد العاص، مسؤولية ذلك، فعاد سريعاً الى فلسطين وهاجم الجماعات التي تعبث حول القدس وقضى عليها ثم اتجه الى

الجنوب لينهي العابثين بمنطقة رام الله فأخذ منهم اسلابهم وأعادها لاصحابها، وشكل محكمة عسكرية كي تقرر مصير من بقي منهم حياً . . .

أرسلت الحكومة البريطانية (لجنة فنية) كي تدرس امكانية تنفيذ التقسيم قاطعها العرب، وبعد أن قامت بعدة زيارات في الأردن وفلسطين عادت الى انكلترا لتقدم تقريرها.

وأعلنت الحكومة البريطانية أن مقاطعة العرب جعلت تنفيذ التقسيم مستحيلاً واقترحت عقد مؤتمر للحكومات العربية يمثل فيه اليهود والعرب لايجاد حل للمشكلة الفلسطينية . . . لقد سجلت الثورة انتصاراً اذن.

وألقى وزير المستعمرات خطابا في مجلس العموم حول تقرير اللجنة الفنية اعترف فيه بأهمية الثورة الفلسطينية واهدافها الوطنية . . .

وجرت اتصالات بين الحكومة البريطانية والدول العربية، مصر، السعودية، العراق، اليمن، الأردن، من أجل تحقيق ذلك المؤتمر، وتجاهل الانكليز اللجنة العربية العليا في الدعوة اليه والواقع أن المهم عندهم كان ألاّ أساهم أنا في المؤتمر . .

وكان ذلك شرفاً لي، لقد علمت أنهم يخافون المقاومة التي أمثلها، كان الفلسطينيون يريدون بأي ثمن أن تمثلهم اللجنة العربية العليا، وأن أكون أنا الممثل في المؤتمر، ولكني اقنعتهم بتجاوز هذه النقطة فلم أكن أريد أن يكون شخصي مانعاً من القيام بمحادثات قد تؤدي الى نتائج إيجابية . . ولقد قبلت في النهاية بقية شروط الفلسطينيين . .

ـ وما كانت تلك الشروط؟

ـ إطلاق سراح الموقوفين وخاصة اولئك الذين كانوا في جزر سيشل وحرية الفلسطينيين بانتقاء ممثليهم ورفض عقد جلسة عامة يجلس فيها العرب الى اليهود حتى لا يكون مجال للحوار مع ممثلي الصهيونية. عندئذ عينت اللجنة العربية العليا ممثلي فلسطين.

لهذا رفضت الحوار مع الصهاينة!

لقد تبنت السياسة العربية والشعوب العربية موقف المفتي في عدم الحوار مع زعماء الصهيونية حتى غدا عقيدة. في سنة ١٩٣٣ قابل بن غوريون بعض الشخصيات العربية كي يقنعها بالوصول الى اتفاق، فاقترح عليه هؤلاء أن يتحدث في ذلك مع الفلسطينيين وخاصة المفتي قائلين: (إن تقرير مصير فلسطين هو في يد الفلسطينيين) فأجاب بن غرويون.. (أنا مستعد لمقابلة الشيطان في سبيل الوصول الى هذا الهدف). وعندما جاء رسول يرجو المفتي السماح لبن غوريون بمقابلة سماحته أجاب: (لست مستعداً لمقابلة الشيطان!).

وفي ذلك يقول المفتي:

- إن أساس موقفي مبني على رفض الحوار مع الصهيونية لأن هذا الحوار معناه الاعتراف بحقها ببناء هذه الدولة والاعتراف بتمثيلها للشعب اليهودي وأرى أن اليهودية دين لا حزب سياسي. لقد استغلت الصهيونية معتقد اليهود الديني حتى تجرهم للقيام بأكبر مذبحة في التاريخ.. كنت أريد بأي ثمن إيقاف هذه المذبحة ولكنها تزداد مع مرور الزمن... إن اقتلاع شعب من وطنه يقتضي مقاومة هذا الشعب... هل وصل المخطط الصهيوني الى هدفه؟ لا... إنه ما زال في أول مراحله. لقد تساءلت دائماً إلى أية نتيجة يوصل الحوار... تهدئة النزاع؟ وكيف ذلك؟ أنا أعرف ما يريدون... تهدئة المقاومة. في ٧٠ سنة لم يقل أي زعيم منهم ما هي الحدود التي تطالب بها اسرائيل. إنهم عنيدون عازمون على تحقيق خطتهم. ولا أرى من فائدة للحوار. طوال النزال لم أجد نقطة واحدة يلتقي عليها الصهيونيون والعرب. لقد كان مؤتمر لندن أكبر مثال على ذلك ولقد انتهى الى الفشل..

أصدرت الحكومة البريطانية بعد التداول مع الحكومة المصرية في ١٧ أيار سنة ١٩٣٧ كتاباً أبيض يقضي بتأسيس حكومة فلسطينية مستقلة بعد عشر سنوات مشروطة باتفاق العرب واليهود، توقع بعد قيامها معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى. ويقام مجلس تشريعي منتخب كما يقضي بفترة انتقال تسمح للفلسطينيين بتسلم الادارة شيئاً فشيئاً ويسمح لآخر مرة بدخول ٧٥٠٠٠ مهاجر يهودي في خمس

سنوات على أن لا يسمح بدخول غيرهم إلا بموافقة العرب. كما أن القوانين الخاصة بانتقال الأراضي العربية ترسم حسب شروط المناطق المختلفة من فلسطين.

وزعت اللجنة العربية العليا بعد إعلان الكتاب الأبيض بياناً تنتقد فيه السياسة البريطانية والأسس التي يقوم عليها هذا الكتاب. ورفضته الوكالة اليهودية زاعمة أن محتواه ينافي حقوق الشعب اليهودي (الطبيعة الخالدة) لفلسطين. واستمرت الثورة. . .

الفصل الثامن

الهجرة من لبنان الى العراق



المفتي مع المجاهد إبراهيم أبو ديه في بيروت.

الهجرة من لبنان الى العراق

يقول المفتي:

تأزمت الحال في صيف ١٩٣٩ في أوروبا، وتقاربت فرنسا وبريطانيا، وطلبت الأخيرة من فرنسا أن تتبع في سورية ولبنان سياسة ضدنا، وأخذت السلطات الفرنسية تراقب بدقة نشاط الفلسطينيين في سورية البلد الوحيد الذي كانوا يأتون منه بالذخيرة، وأوقفت عدداً منهم ومثلوا أمام المحاكم العسكرية . . .

وفي شهر أيلول من تلك السنة ازداد الضغط الفرنسي، وألح الفرنسيون لتسليمي لهم، وأقيم معسكر اعتقال في تدمر وبكفيا كي يوضع فيه المجاهدون الموجودون في سورية، ووضعت تحت مراقبة شديدة. وصدرت الاوامر من المخابرات الانكليزية التي كانت جد قوية في تلك الفترة بلبنان الى عملائها لمراقبة حركاتي وسكناتي فكانوا يتلصصون ليل نهار حول المنزل في (ذوق مكايل). كان هؤلاء العملاء من مختلف طبقات المجتمع من موظفي الامن العام حتى التجار الى الدعاة . . .

ولقد كنت هدفاً لعدة مؤامرات اغتيال اكتشفت في الوقت المناسب. سنة ١٩٣٦ مثلاً اشترى الانكليز بعض الشراكسة في الأقصى وعندما اكتشف أمرهم وبلغ أهل قريتهم قضوا عليهم . .

وفي سنة ١٩٣٧ اكتشفت محاولة للغم البيت الذي اسكنه في ذوق مكايل.

ـ كيف استطعتم كشف هذه المخططات؟

في البدء كانت تأتيني المعلومات من جهات مختلفة وبشكل عفوي. إن الشعب الذي يخوض معركة يقدم إمكانات لا تحصى كان الناس يقدمون مختارين ما

يصلون إليه من معلومات، كان الشرطة الذين يعملون مع الانكليز يجدون وسيلة يوصلون فيها المعلومات التي تهم الثورة أو تعنى بشخصي. .

قررت بعد ذلك أن أنظم خدمات المتطوعين في تنظيم سريع لمقاومة التجسس، ولقد قدم لنا هذا التنظيم الكثير من الخدمات فقد توصلنا بواسطته الى معلومات هامة عن الهيئات العليا والاتصالات الجارية بين سلطات الانتداب الفرنسية والانكليزية ولقد علمنا بالوقت المناسب الخطة الفرنسية الرامية الى اعتقال أعضاء اللجنة العربية العليا في بكفيا والمجاهدين وضباطهم لنقلهم الى تدمر، فلقد علمنا الاسماء وكل ما يتعلق بهذه القضية، وهكذا استطاع المعنيون التسرب الى تركيا والعراق والسعودية. . .

وحدثت سنة ١٩٣٩ حادثة دفعتني الى إعداد الهرب. في أواخر أيلول من تلك السنة في الساعة الثانية والنصف صباحاً هاجمت قوة من الأمن العام بيتي في ذوق مكايل، ولكن حرسي الخاص المكون من المجاهدين الفلسطينيين ومن المتطوعين من البلدة ـ جرياً على العادة العربية التي تفرض المحافظة على الضيف ـ منع موظفي الامن العام من الوصول الى البيت. ولو لم استفق لاصطدم بعضهم ببعض. خرجت وسألت الضابط عما يريد فلما رآني اعتذر وانسحب مع القوة. فلقد ظن رؤساؤه إذ جاءتهم انباء مغلوطة اني تركت لبنان في الخفاء وبالواقع كنت أفكر جدياً بإعداد ذلك لأن الانكليز كانوا يضغطون ضغطاً شديداً على الفرنسيين لتسليمي.

كانت المراقبة الشديدة تجعل فراري في غاية الصعوبة، فوضعت خطة دقيقة قررت تنفيذها في ٥ تشرين الأول، ولكن حادثة صغيرة مضحكة أخرت ذلك. فقد دعاني سامي بك الصلح رئيس محكمة الجنايات ـ الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء ـ دعاني للعشاء في ٣ تشرين الأول، كان المسيو برتران مدير الأمن العام بين المدعوين وخلال المأدبة وجه السيد الصلح إلي الكلام منتقداً موقف الفرنسيين تجاهي قائلاً: (إننا نحن اللبنانيين نأسف لأننا لا نستطيع أن نقوم بالواجب نحوك وأرى أن تسافر للعراق أو مصر فهناك يقدم الشعب الواجب الذي تستحق).

لم يكن حتما على علم بنيتي ولكن كلماته كان من الممكن أن تنبه الامن

العام، وأخذ مسيو برتران يدافع عن موقف السلطات الفرنسية نحوي التي أملتها أوضاع الحرب واظهرت من ناحيتي تفهماً لوضعهم كي لا أثير الشكوك، وزيادة في الحذر أجلت موضوع السفر إلى ١٣ تشرين الأول وعدلت الخطة.

في السادس من تشرين الأول دعاني الاستاذ فؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية السعودية للغداء في بيته في رأس بيروت وهنالك التقيت بالمسيو بالبرو الوزير المفوض في جدة وهو صديق قديم تعرفت عليه في القدس حيث كان يمثل فيها فرنسا وابدى لي رغبة بزيارتي في بيتي في ذوق مكايل، وقياماً نحوه بالواجب ورغبة مني في إخفاء خطتي دعوت المدعوين الى الغداء في ٩ تشرين الأول ولكن الضرورات اقتضت سفر المسيو بالبرو الى دمشق فابلغني بواسطة السيد حمزة رغبته بتأجيل الغداء إلى ١٥ تشرين الأول فوافقت وعندما علم في ١٣ نبأ هربي لم يصدق قائلاً: (مستحيل فأنا مدعو عنده في ١٥ منه). كانت المصادفة غريبة أن أترك بيروت في ١٣ تشرين الأول ١٩٣٩ تماماً بعد عامين من خروجي من القدس، وفي نفس الساعة. . . لم يكن ذلك اختياراً إرادياً مني، ولكن الصدف هي التي حددت وكنت مع ذلك متفائلاً . .

ولم يكن أمر هذه الرحلة سهلاً، فقد كانت بيروت مركز قيادة الجنرال ويغان العامة قائد جيش الشرق. كانت حركة الجيوش مستمرة. . . المصفحات، دوريات البوليس المدني والحربي وفوق ذلك الجواسيس الذين يراقبونني. . . كان ذلك يجعل المهمة شاقة، خاصة بعد فرار المجاهدين من معتقل تدمر. . .

أخذ حراسي كما كان متفقاً عليه يلهون الحرس الفرنسي بتقديم العشاء حينما غادرت المنزل من الباب الخلفي المطل على بستان نمت فيه أشجار باسقة، وكانت البيوت المجاورة يسكنها فلسطينيون من رفاقنا، صعدت الجبل مع صديق لي حتى وصلنا الى سيارة تنتظرنا كي تنقلنا إلى بيروت، ومنها سلكنا الطريق إلى دمشق فقطعناه دون أية حوادث. . . وفي دمشق كانت تنتظرنا سيارة يقودها السيد محمد طبال من دير الزور يرافقه خبير وقد تعود كلاهما السفر في الصحراء السورية، وما أن خرجنا من المدينة حتى اطلقت علينا النار، ولكن أحداً منا لم يصب بسوء ذلك أننا لم ننتبه لاشارة الحرس بالتوقف. وقد سويت الحادثة بالحسنى.

بعد ساعة وصلنا الصحراء.. كانت تنتظرنا فيها مسافة ١٠٠٠ كيلومتر بين الرمال وكان علينا أن نبتعد عن الطريق المطروقة. وعن مراكز الهجانة - حرس الصحراء - والدوريات التي تمخر عباب الصحراء في مصفحاتها بحثاً عن المهربين والمتسللين، اقترح السائق على الدليل أن ينام قليلا كي يرتاح قائلاً.. (أنا أعرف جيداً هذه المنطقة) ومر كل شيء بسلام حتى لمحنا في الأفق أنواراً فقال السائق إنها مضارب قبيلة بدوية يعرفها واتجه نحوها ولما وصلنا وجدنا انفسنا في خيام الهجانة يحيط بنا الجنود، وقد رفعوا رشاشاتهم وأخذ قائدهم وهو أيضاً من دير الزور يحقق معنا. كانت تلك الليلة الأولى من رمضان. حاولت أن أقنع الرقيب صالح أننا تجار اغنام محاولين بهذه الصفة أن يتركنا وشأننا ولكنه عاند وقرر أن يأخذنا تحت الحراسة الى تدمر حتى نمثل أمام السلطات المختصة، ولقد قضينا الجزء الأكبر من الليل في مناقشة لم تثمر، ووجدت نفسي في موقف يقتضي أن ألعب الورقة الأخيرة واغامر بكل شيء، فطلبت من الرقيب صالح أن يكلمني على حدة، فقلت له: (أنا محمد أمين الحسيني)! فتراجع خطوة ذاهلاً... أضفت (اني راحل الى العراق!) فقال لي بعد هنيهة تفكير: (انتم اذن صاحب السماحة.. كيف اسمح لنفسي؟ انني اضع نفسي وجنودي ومستقبلي في خدمتكم... بوسعكم أن تسافروا.... أية خدمة استطيع أن أقدمها؟).

- (أكبر خدمة أن تسمح بسفرنا.. رعاك اللّه).

لن أنسى أبداً هذا الرجل الذي غامر بوظيفته وحياته من أجل انقاذي...

واتجهنا مع الفجر إلى بغداد وقطعنا المسافات الشاسعة من الرمال مبتعدين عن كل حي وأنا أذكر بيت الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت انسان فكدت اطير

الفصل التاسع

المفتي في بغداد

نوري السعيد.



فهمي سعيد
قبض عليه الانكليز.

محمود سليمان
قائد الطيران.



صلاح الدين الصباغ
القائد العسكري لحرب
العراق.

المفتي في بغداد

كان العراق في تلك الاونة يتمتع باستقلال نسبي، وكان اكثر البلدان العربية ملاءمة لقبول لجوء المفتي اليه[1].

---

(1) نجد من المفيد أن نذكر القارىء ببعض الاحداث التاريخية التي تبين الاوضاع التي كان عليها هذا البلد في الحرب العالمية الثانية والتي ادت بالمفتي الى السفر الى المانيا.

كان العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر محط اطماع انكلترا ولقد قال اللورد كرسون:

(ان بغداد مرفأ غير مباشر من مرافىء الخليج الفارسي ولا بد من ضمها الى المنطقة الخاضعة للنفوذ البريطاني).

وأبان الحرب العالمية الأولى دخل الانكليز بغداد بعد معركة قاسية واعلن الجنرال مود قائلا: (جئنا محررين لا محتلين). بعد أن انتهت الحرب استمر الانكليز باحتلال البلاد، وفي ١٩٢٠ وضع العراق تحت الانتداب البريطاني فقامت على الأثر ثورة في تموز من تلك السنة كانت خسائر الانكليز فيها فادحة، ووقعت هدنة شكلت على أثرها حكومة وطنية برئاسة عبد الرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد، وكلفت هذه الحكومة بالقيام بانتخابات مجلس تأسيسي والاشراف على استفتاء شعبي لانتخاب ملك. وكانت قراراتها خاضعة لموافقة المفوض السامي.

كان المرشحون للعرش أربعة. وبعد مفاوضات تم ترشيح الملك فيصل الذي أنزله الفرنسيون عن العرش بعد أن غلب في حربه معهم فأضعف ترشيحه الآخرين لأن الملك فيصل كان يتمتع بشعبية كبرى في العراق فأعلنته الحكومة العراقية ملكا شريطة استفتاء الشعب الذي قامت به في ٢٣ آب ١٩٢١ وحصل بنتيجته على ٩٦٪ من الأصوات، وأصبح العراق ملكية دستورية ديمقراطية.

كانت سياسة الملك فيصل معروفة بكلمة: (خذ وطالب). في ١٠ تشرين أول سنة ١٩٢٢ وقعت أول معاهدة انكليزية عراقية اعطيت فيها بعض الاستقلال للعراق وكانت هذه المعاهدة =

يقول الحاج أمين وهو يروي كيف وصل إلى بغداد:

«وصلت بغداد في الخامس عشر من تشرين الأول سنة ١٩٣٩ وقد انهكني التعب، وكنت بحاجة للنوم. . جاءني صديقي أمين بك التميمي الذي وصل قبلي كي يجس النبض ـ فأكد لي حسن نية الحكومة العراقية.

في اليوم التالي قمت بزيارة رئيس الديوان الملكي رشيد عالي الكيلاني، فاستقبلني استقبالاً حاراً فأبديت له رغبتي بزيارة مجاملة للوصي الأمير عبد الاله، وبعد دقائق استقبلني سموه استقبالاً جيداً وهتف إلى رئيس وزرائه نوري السعيد كي ينبئه بقدومي، فألح هذا على الأمير كي يأتي بأسرع ما يمكن، وبعد أن ودعت الأمير شاكراً حسن لقياه ذهبت لزيارة رئيس الوزراء في مكتبه بالرئاسة.

بعد تناول عبارات التهنئة التقليدية اخذ يسألني أسئلة غريبة عن كيفية وصولي الى بغداد والطريق الذي سلكت الخ . . .

كان يبدو أنه يستغرب عدم معرفة السلطات العراقية بدخولي إلى أرضها

= هدف معارضة شديدة وانتقادات قاسية كان فيصل يشجعها، وقد وافق البرلمان العراقي سنة ١٩٢٤ عليها

سنة ١٩٢٥ حصلت بريطانيا على امتياز استغلال حقول البترول في الموصل لمدة ٧٥ سنة، وقد جابه توقيع الاتفاق معارضة قوية في قلب البرلمان العراقي . .

سنة ١٩٢٧ ذهب الملك فيصل في زيارة رسمية لانكلترا نجح فيها باقناع الحكومة البريطانية، بتعديل بنود المعاهدة الانكليزية العراقية، واقترحت معاهدة جديدة لم تعرض على البرلمان.

سنة ١٩٣٠ سمي نوري السعيد رئيساً للوزراء فقام بمفاوضات جديدة مع البريطانيين ووقع معاهدة جديدة في ١٠ حزيران ١٩٣٠ تلك هي خطوطها الكبرى:

«تعترف بريطانيا باستقلال العراق وتساعده كي يصبح عضوا في عصبة الأمم ويساعد العراق بريطانيا في حالة الحرب في حماية خطوط مواصلاتها. . تحتفظ بريطانيا بقاعدتين عسكريتين في العراق. . . تساعد بريطانيا العراق بمستشارين ـ كان يعني هذا البند عند المعارضة نوعا جديدا من السيطرة لأن المستشارين كانوا يهيمنون هيمنة كاملة على الوزارات التي يقومون فيها على زعمهم بمهمة المستشارين ـ أن يكون رؤساء المحاكم من الانكليز. كما تساعد بريطانيا الجيش العراقي بتقديم الاسلحة والعون التقني له.

كانت مدة تلك المعاهدة خمس وعشرون عاما. =

وكان فوق ذلـك يريـد أن يعرف كيف سهلت السلطات الفـرنسية دخـولي العراق. فـأكدت لـه أنها لم تكن على علم بخـطتي ولو علمت لمنعتني من وصـولي إلى بلاده. وبدا لي رغم عبارات الصداقة الحارة أن تعبير وجـه رئيس الوزراء يفضـح قلقه من وجودي في بلاده. . . وكان وصل قبلي الى العراق مائتا مجاهد فلسطيني فأظهـر لهم الشعب والحكومة العراقية كرماً عظيماً، فلقد كان شعب العـراق أكثر النـاس حماسـاً للقضية العربية.

ولقـد انهالت علينا الـدعوات من المنـظمات الشعبيـة والهيئات الـدينية، فلم نقبل إلا الدعوات الرسمية واعتذرنا عما عـداها خـاصة مـا جاءنـا من مختلف المدن العراقية، فلقد قررنا حسب السياسة التي اختطيناها في البلدان العربية الأخـرى أن لا نتـدخل في المشـاكل الـداخليـة، وأن نكـرس جهـدنـا للبحث عن دعم القضيـة الفلسطينية، ولم تكن تعنينا الخلافات السياسية المحلية. . .

= لم يرحب الشعب بتلك المعاهدة. وكانت بالنسبة للملك فيصل الأول خطوة ربحها العراق من الانكليز، واستخدم نفوذه حتى صدقها البرلمان بعد أن وعد المعارضة بأن يـطالب بتعديلهـا في مفاوضات قادمة بعد توقيع تلك، وذلك ما حدث فعلاً.

سنة ١٩٣٢ قامت ثـورة آشوريـة شجعها الانكليـز، قضى عليها ولي العهـد والجنرال بكـر صدقي.

سنة ١٩٣٣ توفي الملك فيصل وخلفه ولي العهد غازي الأول الذي أصبح ملكا على العراق وعمره (٢١) عاما.

بـين سنوات ١٩٣٣، ١٩٣٦ أوصلت المعـركة السيـاسية بـين الاحـزاب البـلاد الى وضـع صعب.

وفي ٢٩ تشـرين الأول سنة ١٩٣٦ قـام أول انقلاب عسكـري في البلدان العربيـة، فلقـد انتهز بكر صدقي مناسبة المناورات السنـوية وسـار الى بغداد فـأسقط الوزارة وطلب من الملك تعيين حكمت سليمان لـرئاسـة الوزارة وتسميتـه هو رئيسـاً للاركـان، وبعد قليـل اغتيل بكـر صدقي. . . لقد جرب هذا حينها أصبح رجل العراق القـوي، رغم الفترة القصيـرة ان يقوي الجيش العراقي بشراء اسلحة من بلاد المحور، وسلك سياسة دعم لحركـة المقاومـة في سوريـة وللثورة الفلسطينية خاصة.

استـطاع الملك غازي أن يكتسب حب الشعب، ونعم بشعبيـة كبيرة في سـورية وفلسـطين وتوفي في ١٤ آذار سنة ١٩٣٩ في حادثة اصطدام سيارة، وثارت شائعات كثيرة أنه كان ضحية مؤامرة بريطانية قتل على أثرها المتظاهرون القنصل الانكليزي في الموصل وعين الأمير عبد الاله وصياً على العرش فقد كان الملك فيصل الثاني نجل الملك غازي ذا أربع سنوات من عمره.

أثار وصولي لبغداد قلق الانكليز. لم يكن الوضع ملائماً لهم فلقد كان العراقيون يحفظون لهم أكثر من كل العرب عدم وفائهم بعهودهم للشريف حسين، ويحقدون عليهم من أجل تلاعبهم أبان الحرب العالمية الأولى وخاصة من أجل وعد بلفور. . . ولم يكن يخفى على العراقيين رغبتهم لأن يخسر الانكليز الحرب وميلهم الى المحور، ولقد استقبل الشعب في العراق قطع العلاقات الديبلوماسية مع المانيا في ١٣ أيلول ١٩٣٩ استقبالاً سيئاً فلقد كان يستلهم موقفه من المثل القائل: (عدو عدوك صديقك). ولقد أزعج هذا الشعب توقيف الالمان الموجودين في العراق من قبل السلطات العراقية وتسليمهم الى الانكليز، وكانت إذاعة برلين التي اخذت تحظى بشعبية كبرى بين الشعب العراقي تساهم في تأليب الشعب على الانكليز، وكانت تذكر بمطالب العراقيين باستقلال حقيقي وبمواقف الانكليز، وتلح على خيانة الانكليز للعرب في الحرب العالمية الأولى وتحذر الشعب العربي من أن يستغل مرة أخرى، وكانت تحلل المعاهدة الانكليزية العراقية واصفة إياها بأنها استعباد مستور وكانت هذه الاذاعة تلقى صدى كبيراً في قلب الجيش العراقي. وكان نوري السعيد يلح دون جدوى على ضرورة إعلان الحرب ضد المانيا إلى جانب الانكليز حفظاً لمصلحة العراق، غير أن اجتهاده كان يلقى معارضة شديدة. . .

وما كان وصولي لبغداد إلا ليزيد في وضع الشعب العراقي العدائي للانكليز، وكانت السفارة البريطانية، وهي على قوة كبرى في ذلك الحين، تتجسس على اتصالاتي وتعترض لدى الحكومة على أية فعالية من فعالياتي. فقد كان يكفي أن أحضر حفلة ما حتى تعلن لومها. وكنت مراقباً بصورة دائمة. . .

وقد علمت من صديقي أمين باشا العمري قائد الفرقة الأولى العراقية أن المستشار ادموند وهو من المهيمنين على وزارة الداخلية العراقية قد وضع خطة لاختطافي وتوقيفي خارج الحدود العراقية.

ولم تكن تلك المرة الأولى التي يقترف فيها الانكليز هذا العمل. فلقد اختطفوا سنة ١٩٢٠ ياسين باشا الهاشمي الذي كان رئيساً للمجلس التشريعي في عهد الملك فيصل الأول وجاءوا به إلى معسكر صرفند الانكليزي.

كما أنهم اختطفوا طالب باشا النقيب وزير الداخلية العراقي بعد أن دعته

الانسة بيل ـ سكرتيرة الشؤون الشرقية لدى المفوض السامي ـ لتناول كأس من الشاي، وعند خروجه اقتيد الى البصرة ومنها إلى الهند حيث سجن.

ومع ذلك قرر أمين باشا العمري والعقيد صلاح الدين الصباغ آمر الفرقة الثانية إرسال دورية عسكرية للحراسة في شارع الزهاوي حيث كنت اسكن.

ولقد كنت هدفاً لمؤامرة من منظمة (ارغون) كلف فيها رئيس هذه المنظمة (راتسل) بنفسه، وفي الواقع عندما اعلنت الارغون ايقاف نشاطها ضد الانكليز والتعاون معهم في الحرب، وضعت كل أعضائها تحت تصرفهم؛ فكلفوا بمهمات خاصة، وفي شهر أيار ١٩٤١ وبعد إعلان الثورة العراقية، وصل راتسل مع بعض اعضاء منظمته للقيام بأعمال التخريب وكانت مهمتهم تقتضي دخول بغداد متنكرين بثياب الاعراب ونسف مستودعات البترول واختطافي. يؤكد ذلك ريتشار كروسمان ما قلت لكم في كتابه: (أهي ميونيخ ثانية؟).

انتهزت فرصة وجودي في بغداد فطلبت من السلطات العراقية أن تقوم بتدريب الفلسطينيين تدريباً عسكرياً فدخل عدد كبير من هؤلاء في مدرسة ضباط الاحتياط وحصلوا على شهاداتها».

* * *

كانت هناك معركة سياسية ضارية قسمت الاوساط السياسية وخاصة الجيش إلى معسكرين يتجمعان حول رجلين هما نوري السعيد ورشيد عالي الكيلاني. ولقد كان الأول ميالاً للانكليز يرى أن التعاون معهم في الحرب يوصل العراق في نهايتها الى حقوقه الوطنية وكان يؤكد أن الحلفاء سيحققون النصر النهائي رغم الظواهر الخادعة، حسب رأيه، التي تشير إلى انتصار المانيا. أما رشيد عالي الكيلاني فكان يرى أنه يستحيل الاعتماد على الانكليز الذين تسيطر الصهيونية على سياستهم، وكان يذهب إلى أن الالمان على عكسهم لم يسيئوا أبداً الى العرب وكان يذهب إلى أن نصرهم مؤكد ولهذه الاسباب يتمسك بسياسة الحياد.

* * *

ويقول المفتي: «كان الموقف دقيقاً في العراق وأخذت الأزمة تشتد، وبت

اخشى صداماً في قلب الجيش العراقي، وفي شباط استقال نوري السعيد، وكان المرشح للرئاسة هو رشيد عالي الكيلاني. .

وانشق زعماء الجيش فقد كان يرى بعضهم ضرورة مساهمة نوري السعيد في الوزارة مع طه الهاشمي بينما يرى القسم الآخر ابتعادهما، وهدد القسمان باللجوء إلى السلاح واعلنت الاحكام العرفية في معسكرات الرشيد والرشراش وباتت تكفي شرارة واحدة حتى يصطدم الطرفان في معركة، وفي ليلة ١٨ شباط أحيل رئيس أركان الجيش حسين فوزي باشا على التقاعد ومعه أمين باشا العمري واعتذر رشيد عالي الكيلاني عن مهمة تأليف الوزارة وبقي نوري السعيد المرشح الوحيد لها.

في التاسع عشر من شباط زرت رشيد عالي الكيلاني فوجدت عنده بعض الزعماء العراقيين الذين كانوا يتناقشون في احداث الليلة الفائتة. . .

وفي ذلك المساء زرت أيضاً نوري السعيد ولما سألته عن أسباب استقالة وزارته السابقة قال لي:

لقد نصحنا الانكليز بتبديل الوزارة كل سنة لأن عدد الطامحين إلى الوزارة هو أكبر من عدد الحقائب وهم يزدادون مع الزمن ويحقدون على الوزارة لعدم وصولهم إليها والتغييرات وحدها تهدئهم لأنها تعطيهم الأمل بالوصول إليها! ولم يخف علي عتابه لأني لم أساهم بحل المشكلة، وعندما أجبته عن عزم الفلسطينيين على اتخاذ موقف الحياد أزاء المشاكل الخاصة بالعراق أجاب: (في الأحوال الحاضرة المشكلة عربية تهم كل عربي!) واتفقت معه على أن أقوم بواجبي لجمع الشمل والمساعدة لتأليف حكومة تآلف يختار الوصي على العرش رئيسها وكان يريد هو أن يوقع رؤساء الوزارة السابقون والزعماء السياسيون ميثاقاً وطنياً يجمع جميع الاتجاهات لمجابهة حالة الحرب».

في تلك الفترة كان الحاج أمين الحسيني يتمتع بسمعة وطنية كبيرة من جميع الاطراف، فقد كان الرأي العام العربي بكامله الى جانبه بعدما لمس من مواقفه الوطنية الصلبة وتصديه للأعداء، جميع الأعداء ومجابهتهم.

ويستطرد المفتي قائلاً:

«قمت على الأثر بزيارات مختلفة وحدد موعد لاجتماع رؤساء الوزارات السابقين والزعماء السياسيين، وقد وقعوا جميعاً الميثاق المقترح من نوري السعيد فحملته الى الأمير الوصي.

وهكذا ألف رشيد عالي الكيلاني وزارته الأولى التي أعلنت الغاء الأحكام العرفية وأخرج من السجن رئيس الوزراء السابق حكمت سليمان الموقوف منذ اغتيال بكر صدقي مع وزيرين آخرين هما صبيح نجيب وإبراهيم كمال المتهمين بمؤامرة اغتيال الوزير رستم حيدر.

(طالب الانكليز بمرور جيوشهم وتمركزها في العراق وقطع العلاقات الديبلوماسية مع إيطاليا ولم يخف الانكليز غضبهم وهم الذين لم يتعودوا الرفض من المسؤولين العرب الرسميين وبدأت الاجهزة السرية بالتآمر ولعب في ذلك المستر دومفيل رئيس المخابرات في الجيش البريطاني المقيم في العراق أكبر دور وهو شخص التقيت به قبلاً بفلسطين..

- لقد روى أنه كان يلاحقك؟

- كان شعوري كذلك..

- ماذا كان منصبه في فلسطين؟

- زارني مرتين في مكاتب المجلس الاسلامي الأعلى بصفته مراسلاً للدايلي اكسبرس، في المرة الأولى ألقى علي عدة اسئلة عن المشكلة الفلسطينية أجبت عليها كما أجيب أي صحفي.

وفي المرة الثانية جلس حد مكتبي ولاحظت كأنه يقرأ بعض الأوراق، وأحسست كأنه يعرف العربية، وذلك ما تأكدت منه فيما بعد، فقد كان يحسنها باللهجة العراقية..

وفي المرة الثالثة جلس في مكتب سكرتير المؤتمر الاسلامي السيد جمال الحسيني ينتظر الأذن بالدخول علي، وانتهز فرصة غياب قصيرة من جمال فأخذ يقرأ في الملفات التي على المكتب، وفاجأه جمال الحسيني على غير انتظار فافهمه أني ليس لدي الوقت لاستقباله.

وبعد ذلك بزمن طويل أي حين عودتي من المانيا جاء دومفيل كي يزورني في مكان إقامتي في القاهرة في حلمية الزيتون فقال لي:

نحن الانكليز نفهم دوافع عدائك لنا ونحترمها ونأخذ عليك فقط ذهابك إلى المانيا وتعاونك مع الالمان. . فقلت له:

لو كنت انكليزياً لكان لكم الحق في ذلك ولكني لست كذلك. اني بصفتي عربياً يرزح وطنه تحت الاستعباد البريطاني رأيت من واجبي أن ألجأ لكل الوسائل التي تحرر أرضي. انتم تأخذون علي هذا الموقف على أنه خطأ، أما أنا فلا أرى فيه غير القيام بالواجب).

وبعد ذلك أرسل في مهمة إلى لبنان.

وفي سنة ١٩٥٠ عاد إلى القاهرة بوضع يائس فقال لي أحدهم إنه يقيم في غرفة بائسة في أعلى بناية كبيرة، وأنه لم يكن يملك ثمن القهوة وانه عزل من مناصبه لحبه العرب حسب دعواه ورغبة في مساعدتهم. وعندما سمعت ذلك ذهبت أفكاري الى ستيرلنغ.

- سترلنغ المشهور الذي جرح في محاولة إغتياله في دمشق؟

- هو نفسه. عندما وصل إلى حلب تقدم إلى المرحوم سعد الله الجابري رئيس وزراء سورية آنئذ يطالب مساعدته وقد تظاهر وزوجته بالفقر فأعطى الرئيس السوري أمره كي تعمل السيدة سترلينغ ممرضة في مستشفى حلب لكي تقوم باودها، وعندما اكتشفت صلات ستيرلنغ السرية رحل إلى دمشق وإذا به يتمتع بالثروة ويتصل بمشايخ البدو ويثيرهم ضد الحكم السوري وانتهت مهمته بالمحاولة التي تحدثتم عنها. .

- ماذا كانت مهمة دومفيل في العراق حسب رأيكم سنة ١٩٤٠؟

كان مكلفاً بكسب العراق الى جانب الانكليز حتى إذا لم ينجح أعد لاحتلال بريطانيا للعراق. . .

* * *

واستطرد المفتي قائلاً:

عاد بعد قليل الراغبون بالتعاون مع الانكليز والحياديون الى الصدام، وثارت شائعات تقول بهجوم انكليزي على العراق، ولقد أكدت صحة تلك الشائعات تصريحات المستر تشرشل سنة ١٩٤١ حين أعلن أنه كان يود إرسال قوة في حزيران ١٩٤٠ ولكن الفشل في جبهته في ليبيا أخر التنفيذ...

كان الانكليز يريدون استخدام العراق في الحرب لاهمية مركزه الاستراتيجي.

عندما زار المستر أيدن القاهرة سنة ١٩٤١ قدم لوزير خارجية العراق توفيق السويدي المطاليب التالية:

- قطع العلاقات الديبلوماسية مع بلدان المحور.

٢ - حرية مرور الجيوش الانكليزية في العراق وتمركزها في المكان الذي تراه ضرورياً لمتابعة العمليات العسكرية.

٣ - إرسال فرقتين عراقيتين لشمال افريقيا للمساهمة بالحرب ضد المحور.

وأضاف أن وضع الضباط العراقيين يبعث على القلق... لم يستطع الانكليز أن يدركوا الدوافع التي تحرك أولئك الضباط، أما أنا فكنت أفهمها، وكيف يمكن لضباط مؤمنين بالوحدة العربية خدعتهم السياسة البريطانية عشرين عاماً أن يقاتلوا الى جانب جيوشها؟ لم يكن يهمهم أن تنتصر بريطانيا فما كانوا يرون في مثل هذا النصر غير استمرار للاستعباد البريطاني لامتهم التي يجب أن يدافعوا عن حياضها أولاً... لقد جمعتني مع أكثرهم صداقات قديمة متنها الزمن، فقد كنا زملاء سلاح في الفرقة ٤٦، وقد كنت مع العقيد محمد سلمان في نفس الكتيبة، ولقد وجدت عندما التقيت بهم عام ١٩٣٩ أن الافكار التي ألفت بيننا قد انغرست أعمق مع الزمن... فلقد تضاعف حماسهم الوطني. كانوا يبحثون عن رجل سياسي يقودهم، ولقد لقبهم الانكليز (بالمربع الذهبي) انتقوا أول ما انتقوا نوري السعيد فلما اختلفوا معه التفوا حول طه باشا الهاشمي وعندما يئسوا أيضاً منه اتحدوا مع رشيد عالي الكيلاني الذي كان يؤمن بنفس افكارهم، كانوا متفقين جميعاً على تجنيب العراق مغبة الحرب والاحتفاظ بالقوة المسلحة لخدمة قضية الوطن.

وعقد اجتماع على جانب عظيم من الأهمية عند العقيد محمد سلمان قائد الطيران حضرته مع زميلين من زملاء الفرقة ٤٦ هما العقيدان فهمي سعيد وصلاح الدين الصباغ، وبعد مناقشة طويلة للوضع اتخذوا القرارات التالية:

١ ـ تطبيق المعاهدة العراقية الانكليزية بدقة والمحافظة على الحياد بين المتحاربين.

٢ ـ عدم التحرش ببريطانيا أو ببلاد المحور التي كانت في أوج انتصاراتها.

٣ ـ زيادة عدد وطاقة الجيش بالسلاح وتجنيبه مخاطر الحرب.

٤ ـ تحاشي الاشتراك بالحرب بأي ثمن والسهر على عدم إراقة الدماء العربية في سبيل بريطانيا التي لا يبشر نصرها بخير للعرب ونتائج الحرب العالمية الكبرى اثبتت أن البريطانيين ليسوا مستعدين أن يقوموا بالتزاماتهم وخاصة تجاه فلسطين.

٥ ـ مراقبة تطور الحرب لانتهاز الفرصة التي تخدم مصالح الأمة العربية، فإذا أعلنت اليابان والاتحاد السوفياتي الحرب على انكلترا واستمرت هذه على موقفها العدائي للعرب، اضطر العرب جميعاً لحمل السلاح ضدها.

٦ ـ إذا حانت هذه الفرصة تعلن الثورة اولا في فلسطين كما أعلنت سنة ١٩١٦ في مكة والحجاز فتكون بداية انطلاق ثورة عربية كبرى تحرر فلسطين أولاً والبلدان العربية الأخرى من الاحتلال الانكليزي والصهيونية.

لهذا فشلت ثورة العراق!

يقول المفتي:

اشتدت حملة السفارة البريطانية ضدي في بغداد وواصلت ارسال كتب الاحتجاج ضدي للمسؤولين العراقيين، فعرض علي نوري السعيد بكل لباقة ـ قبل استقالته ـ أن أقوم بزيارة للولايات المتحدة تستهدف العمل لكسب الرأي العام فيها واقناع المسؤولين الاميركيين بعدالة قضيتنا، ولما بينت له صعوبة القيام بهذا المشروع عرض علي وساطته لتسهيل مهمتي. في ربيع ١٩٤١ زار المسيو دونافان مبعوث الرئيس روزفلت البلاد العربية يدعوها لمساعدة بريطانيا وعلمت من وزير خارجية العراق انه يريد أن يراني، ولقد علمت منه خلال الحديث أن هدف رحلته مقابلة الزعماء العرب كي ينقل لهم رغبة الرئيس الأميركي الذي كان يرى تأجيل المطاليب العربية حتى نهاية الحرب زاعماً أن فترة الازمة ليست الفترة التي تختار لخلق الصعاب فأجبته: (أن انكلترا ليست مستعدة في الحرب أو السلم أن تلبي مطالبنا العادلة والعرب مصممون على نيل حقوقهم مهما كانت الظروف)..

* * *

بلغت انتصارات المانيا القمة وأخذت تثير حماساً كبيراً وعطفاً متزايداً من العرب وأخذ هؤلاء يعلقون أملاً كبيراً للوصول إلى أمانيهم وازداد كرههم لبريطانيا واصدقائها..

وهنا يستطرد المفتي قائلاً:

بعد أن عاد نوري السعيد من رحلته للقاهرة وقد كان وزيراً للخارجية في

وزارة الكيلاني، أطلعني على المحادثات التي قام بها مع الشخصيات البريطانية العسكرية والمدنية وخاصة الجنرال ويفل واللورد كيلرن ـ سفير بريطانيا في القاهرة ـ وقال لي: (نصحني العسكريون بمقابلة المدنيين ولم يستطع هؤلاء أن يعطوا أي جواب عن المشاكل العربية، فقد كانوا جميعاً في فوضى وقلق سببتها الغارات الالمانية على لندن)، دام الحديث طويلاً وقد وجدت فيه خيبة أمل كبيرة. .

قال لي: (لماذا لا ننضم من جديد إلى تركيا؟) قلت له: (إن تركيا اليوم ليست تركيا الأمس الاسلامية فلقد قطعت كل العلاقات التي تربطنا بها فهي تزعم أنها جزء من أوروبا وانكرت علاقتها بالاسلام مبرر وجودها).

بدت لي فكرته غريبة وهو الذي كان أول الذين تركوا الجيش التركي في الحرب العالمية الأولى كي يلتحق بثورة الشريف حسين، والذي قامت سمعته على هذا الموقف يفكر بأن يمحو الماضي ليعيد وحدة انتهت منذ عشرين عاماً! كان يفكر بطريقة خاصة به. لقد كانت واقعيته تحجب عنه رؤيا المستقبل، وما كان يرى إمكانية نهضة عربية دون مساعدة خارجية، وبعد أن خاب أمله بالانكليز أخذ يفكر بدعم آخر. كان خطأ سياسته أنها تعتمد على الربح السياسي الذي تقدمه فرص الخلافات بين الدول العظمى دون أن يعطي الدور الأول للشعب. . .

زارني بعد ذلك بقليل طه باشا الهاشمي ولمح الى ضرورة الاتصال بألمانيا من خلال المنظمات الفلسطينية، وكان يرى أنه من غير الملائم أن تقوم بذلك دولة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة وأضاف قائلاً: (ذلك هو أيضاً رأي نوري السعيد وهو يود لو تقوم أنت بالمبادرة) قلت له: (نحن الفلسطينيين لا نملك الوسائل لذلك). ذلك أن بعض الداعين إلى التعاون مع الالمان ما كانوا يحظون بثقة الوطنيين.

تفاقمت الازمة بين الداعين للتعاون من السياسيين مع انكلترا، وبين الزعماء الوطنيين الراغبين في الحياد.

في تلك الفترة جاء الكولونيل نيوكمب، رفيق لورنس خلال ثورة الشريف حسين إلى بغداد موفداً من قبل اللورد لويد وزير المستعمرات البريطاني ليتصل بالزعماء العراقيين والفلسطينيين والتحدث معهم عن المشاكل التي تعنيهم وخاصة المسألة الفلسطينية.

دعاني نوري السعيد بعد أن استقبله، لزيارته مع بعض اعضاء اللجنة العربية العليا للمناقشة في مهمة نيوكمب التي تتلخص فيما يلي:

١ ـ إعلان الفلسطينيين موافقتهم على محتوى الكتاب الأبيض.

٢ ـ التعاون مع بريطانيا على أساس السياسة المنصوص عليها في ذلك الكتاب الابيض.

بعد ذلك الاجتماع مع نوري السعيد رفضت رؤية نيوكمب مرة ثانية علما مني بأن مهمته ليست سوى حيلة، ولعدة أسباب... أولها أن انكلترا أثبتت أنها غير قادرة على تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض. والثاني أن التعاون بينها وبين الصهيونية لم يكن يوماً أشد منه في تلك الفترة، وكانت الاخبار التي تأتيني من فلسطين تؤيد ذلك، وقد أذاع راديو برلين خبر تشكيل الفيلق اليهودي وكانت بريطانيا تستخدم الصهيونية لجر الولايات المتحدة للحرب ضد المانيا. وكان تقديري أنه ما ينبغي أن نضيع وقتنا في آمال لا طائل تحتها، وفضلت العمل لتشجيع الاخوان العراقيين على توحيد العرب بدل إضاعة الوقت في التفكير بالتعاون أو عدم التعاون مع الانكليز. وما كان بوسعنا أن نملي شروطنا ما دمنا ضعافاً.. كانت الاوساط السياسية العراقية تتحدث عن الوحدة العربية، ولكن كيف الوصول إليها؟ ومع أي بلد تبدأ المحاولة؟ تلك كانت هي الاسئلة المطروحة..

اقترحت خطة لتحقيق الوحدة بين السعودية والعراق. كان واجباً قبل كل شيء أن نسوي الخلافات القائمة بين البلدين حول القبائل البدوية التي تقطن البلدين حسب الفصول.. كان يرى بعض العراقيين أن ظروف الحرب لا تسمح بهذا الجهد الوحدوي.

ألحيت على ضرورة الاتصال بالسعوديين معتمداً على الحديث الذي دار بيني وبين الملك عبد العزيز سنة ١٩٣٧، وكنت موقناً أنه من الذين يتمسكون بوعدهم وأبلغت رأيي لرئيس الوزراء وطه باشا الهاشمي اللذان سهلا مهمتي عند الأمير الوصي وباقي الوزراء، وبفضل هذه الجهود ذهب وفد إلى جلالة العاهل السعودي. وعقد اتفاق وتحسن الجو بين البلدين..

كـان الانكليز قلقـين لهذا النشـاط، وأخذت اجهـزتهم السريـة تبذي نشـاطاً عظيماً. قال لي بعض أعضاء الوفد إنهم لاحظوا وجود المستر دومفيل في الطائرة فلقد أندس بين طاقم الطائرة، وهكذا كان المسؤولون العراقيون يعملون مكشـوفين دون القدرة على الاحتفاظ بأي سر. . .

خلال الأحاديث التي جرت بيني وبين طـه باشـا الهاشمي ابـدى لي قلقه من هـذه الناحيـة. قلت له: (وجهـاز مكافحـة التجسس ماذا يفعـل؟) فـأثـار جـوابـه دهشتي: (ليس لدينا مثل هذا الجهاز. إننا نرفض أن نقتدي بالسلطان عبد الحميـد فنحن لا نريد التجسس على الناس. . .).

قلت لـه: (ولكني لا أتحدث عن التجسس عـلى المواطنـين وإنما عن مكـافحة التجسس).

وما كان يجهل فوق ذلك طه باشا أن المستر ادموندس مستشار وزارة الداخلية ثم مستشار الداخليـة والخارجيـة المعروف بعـدائه للعـرب ـ كان يـوقع بـين العرب والاكراد ـ كان يشرف على كل فعاليات العراق بأجهزته. . .

قلت له: (نأخذ على السلطان عبـد الحميد تنـظيمه اجهـزة سريـة! أرى من جهتي أن ذلك دليل ذكاء ومهارة، فقد كان يكافح لسلامة الدولة ضد أجهزة الدول الكبـرى. هل تنسى أن الحلفـاء كانت لهم اجهـزة للدفاع عن الـدولة. . تـذكر أن الرسول نفسه كانت له عيون ترقب حركات العدو. . .).

بعد أن اقتنع برأيي ابلغني فيها بعـد أنه خصص مبلغ الفي دينـار من ميزانيـة الـدفاع لتـأسيس مكافحـة التجسس، لقد اقنعتـه بالـواقع ولكني أظن أنـه لم يقـدر الموضوع حق قدره. . . كان المبلغ ضئيـلاً. . . لقد اضـطررت للاتصـال بمسؤولين اخرين من أجل إقامة هذا الجهاز. . .

كـان العراقيـون يهتمون أيضـاً بتسليح الجيش العـراقي. من هذه النـاحية لم يطبق الانكليز نصوص المعاهدة الانكليزية العراقية.

كـان العراقيـون منـذ ١٩٣٦ يبحثـون عن السـلاح واعـداد جيشهم، ولقـد اشترى بكر صدقي قبل اغتياله كمية من السلاح من المانيا. وعندما يئس العراقيون

من الانكليز التفتوا الى الولايات المتحدة التي باعتهم بعض الطائرات ولكنهم اكتشفوا أن تلك الطائرات لم تكن مجهزة بالسلاح والعتاد، فلا هي صالحة للسلم ولا للحرب. . .

وكان لدى الجيش العراقي معملان صغيران للذخيرة (استعارهما) الانكليز طيلة مدة الحرب. . . كان سهلاً أن نعرف نية بريطانيا. كانت تريد جر العراق بأي ثمن إلى الحرب دون أن تهتم بمصلحة العرب. . . كان الانكليز يريدون استخدام الأرض العراقية وكأنها مستعمرة ليس لشعبها الحق في السهر على مصالحه وجر العراق الى الحرب لخدمة بريطانيا فقط. كانوا يتعللون بالديمقراطية والحرية بينما يخضع أكثر شعبنا للنير البريطاني عدا عن وعد بلفور الذي نرزح تحت عبئه. كان السفير البريطاني السير (بازل نيوتن) يريد توجيه السياسة العراقية ويتدخل حتى في تفاصيل تلك السياسة. وكان يستهدف اسقاط وزارة رشيد عالي الكيلاني، فاستقال منها عدة وزراء. . واستغرب المسؤولون العراقيون سفر الأمير الوصي المفاجىء الذي ترك بغداد إلى الديوانية في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٤١ وهكذا أكرهت الوزارة الكيلانية على الاستقالة والف الوزارة طه باشا الهاشمي، وطالب الانكليز بتبديل قادة الجيش فاستقالت أيضاً وزارة الهاشمي، وفي ٣ نيسان هرب الوصي مرة ثانية في قارب بخاري الى الدورة واستقل منها سيارة اوصلته الى الحبانية واستقل من هناك طائرة الى البصرة ولجأ هناك الى الباخرة الحربية الانكليزية (كوك سبير) في ٤ نيسان. . .

عندئذ ألف السيد رشيد عالي الكيلاني وزارة دفاع وطني ودعا البرلمان الى اجتماع في ١٠ نيسان، وعين الأمير الشريف شرف وصيا. . .

واشتد النزاع بين أنصار الحكم الماضي وبين الوطنيين الحياديين. . .

في الثامن من نيسان أمر تشرشل أن ترسل فرقة هندية للبصرة بحجة التحاقها بالقوات البريطانية في جبهة شمالي افريقيا وعارض الجنرال ويفل الذي رأى قواته تتبعثر في مناطق واسعة وما كان يرغب في أن تقوم قواته بمعركة لا فائدة منها. . فأرسل له تشرشل برقية وضعته أمام الأمر الواقع: (نحن بحاجة لقاعدة البصرة كي نحافظ على بترول ايران).

قلقت الحكومة العراقية من جراء ذلك، فاعترضت وحاول الانكليز تطمينها مؤكدين لها أن هذه القوة لن تقيم في العراق، وأنها ستغادر في فترة أيام ثمانية.

وعين في العراق سفير انكليزي جديد هو المستر كونواليس.

زارني آنئذ الاستاذ جورج انطونيوس «المفكر العربي المعروف ومؤلف كتاب يقظة العرب» ليحذرني من فداحة الموقف، وطلب مني أن أتوسط له كي يقابل السيد الكيلاني فذهبنا معا لرؤيته. واتفقنا معه رغبة منا في تجنيب العراق صداماً مسلحاً على السماح بمرور الفرقة الانكليزية خلال أيام ثمانية وأعلنت السفارة الانكليزية مضمون هذا الاتفاق وتعهدها بتنفيذ بنوده، وفي ١٧، ١٨ نيسان نزلت الفرقة الهندية في البصرة ولكنها لم تتحرك منها، فطلبت إليها السلطات العراقية مغادرتها حسب الاتفاق المذكور ونصوص المعاهدة العراقية البريطانية، وجواباً على ذلك جاء الانكليز بفرقة ثانية للمدينة في ٢٩ نيسان، ورغم اعتراض العراق احتلت القوات الانكليزية البصرة وعينت لها حاكما عسكريا ودعمت قواها في الحبانية ـ المطار الواقع على بعد ٨٠ كلم من بغداد ـ بقوة مصفحة. كانت شكوكنا وتنبؤاتنا حول السياسة البريطانية اذن صحيحة. . .

في تلك الفترة وصلت الدعاية الالمانية الى الأوج. وأخذ المسؤولون العراقيون يطلبون مني إيجاد اتصال مع الالمان. ولم لا؟ لقد كان شعبنا خاضعاً للاستعباد الانكليزي لا الالماني، ولقد أبدى الالمان منذ عهد السلطان عبد الحميد عواطف الصداقة، ولقد كان هتلر يتمتع بشعبية عظيمة.

لقد أكدت لنا الدراسة الدقيقة التي قمنا بها للوضع أنه آخذ بالتدهور فقررنا الاتصال السري بالالمان، فاقترحت على أحد معاوني الامناء وهو سكرتيري الخاص الاستاذ عثمان حداد أن يقوم بذلك الاتصال الأول. وهو من أهل طرابلس التحق بنا منذ بدايات النضال وابدى غيرة واخلاصاً للقضية العربية، وكان آنئذ يعيش معنا في بغداد وكان يعرف لغات كثيرة، واعطي جواز سفر عراقي وكتب الاعتماد اللازمة ورسائل في غاية الاهمية منها رسالة لهتلر، فسافر في بداية ١٩٤١ الى تركيا حيث قابل فون بابن. . لقد ذكرنا في الرسائل التي أرسلناها النقط التي حددنا بموجبها التعاون مع الالمان. .

١ ـ الاعتراف الرسمي من قبل دول المحور بالبلدان العربية المستقلة . . مصر، السعودية، العراق، اليمن.

٢ ـ الاعتراف بحق البلدان العربية الخاضعة للانتداب ـ سورية، لبنان، فلسطين، الاردن ـ بالاستقلال.

٣ ـ الاعتراف بحق البلدان العربية الخاضعة للاستعمار الانكليزي بالاستقلال. . السودان، البحرين، الكويت، عمان، مسقط، قطر، حضرموت، إمارات الخليج العربي.

٤ ـ إعادة عدن وبقية الاقسام المنفصلة عن اليمن والتي يستعمرها الانكليز.

٥ ـ الاعلان من قبل دول المحور أنها لا تطمع بمصر والسودان.

٦ ـ الاعتراف بحق العرب بالوحدة استجابة لآمال الشعب.

٧ ـ الاعتراف بحق العرب بالغاء الوطن القومي اليهودي واعلان المحور بعدم الاعتراف به.

واتصل فون بابن ببرلين التي اعلنت استعدادها لاستقبال الاستاذ حداد فقابل هذا بعد وصوله برلين بمساعدة صديقي الكبير الأمير شكيب ارسلان، من قبل الهر فايتسكر أمين عام وزارة الخارجية الالمانية والهر ميلتشرز مدير الدائرة الشرقية في الوزارة.

فتلقيت والسيد رشيد عالي الكيلاني هذه الرسالة:

وزارة الخارجية الالمانية

برلين في ٣ نيسان ١٩٤١.

تلقى الفوهرر رسالتكم المؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤١ التي أرسلت بواسطة سكرتيركم الخاص. . .

لقد اهتم كثيراً بالتفاصيل المتعلقة بالكفاح العربي وحظيت باهتمامه، وهو

يشكركم لبادرة الصداقة التي ابديتموها باسمكم واسم الشعب العربي.

إن الفوهرر ينتهز هذه الفرصة ليعلن لكم تمنياته، ويشكركم بلسان وزير خارجية الرايخ الثالث الهر فون روبنتروب وهو راغب في المساعدة لنجاح الجهود التي تقومون بها من أجل القضية العربية.

وبما أنكم تودون معرفة سياسة المانيا التي تتبعها بالنسبة للقضية العربية فانا مفوض بأن أنقل اليكم ما يلي:

إن المانيا لم تحتل أبداً أرضاً عربية وليست في نيتها أن تضم لها أي جزء من البلدان العربية، إنها ترى أن الشعب العربي الذي أبدع حضارة كبرى وأثبت مقدرته في الادارة والكفاءة العسكرية، إن المانيا تعترف بناء على ذلك باستقلال البلدان العربية المستقلة وحق غير المستقل منها بالاستقلال. . .

إن الشعبين الالماني والعربي متفقان على الكفاح ضد العدو المشترك الانكليز واليهود. إن المانيا مستعدة للتعاون معكم وأن تقدم لكم حسب طاقتها المساعدة العسكرية الضرورية في حالة اضطراركم لاعلان الحرب على الانكليز والوصول الى أهدافكم. وبناء على صداقة المانيا للشعب العربي ومن أجل تحقيق الرغبة التي ابديتموها بواسطة سكرتيركم الخاص أنا مكلف بأن أنقل اليكم ما يلي:

أن المانيا مستعدة في الحال لتقديم العون العسكري ودعم الشعب العربي في حرب قد تقع مع انكلترا إذا مكنتها وسائل المواصلات من نقل هذه المساعدات.

وانصحكم بأن ترسلوا من جديد الى المانيا سكرتيركم الخاص كي يتمكن من البحث في التفاصيل المتعلقة بتعاون الصداقة القائم بيننا أو بأن ترسلوا رسولاً آخر، إذا لم تسمح الظروف بعودة الاستاذ حداد.

وأرجو بقاء هذه الرسالة سرية، لقد جرى الاتصال اللازم بالحكومة الايطالية التي وافقت على مضمونها. وسينقل لكم سكرتيركم الخاص عن باقي انطباعاته وبوسعه أن ينقل لكم تأكده من نصر المحور المحقق ومن حتمية انكسار انكلترا. . .

وأرجو أن تكلل جهودكم بالنجاح واهنئكم للقرار الذي اتخذتموه لخدمة القضية العربية.

المخلص لكم

هير فون فايتسكر

امين عام وزارة الخارجية الالمانية

ثم جرى اتصال آخر قام به مع السفارة الالمانية في انقرة الوزير العراقي ناجي شوكت الذي أعلن فيه أن وضع العراق الدفاعي هو جيد وطلب فيه عوناً بالطيران والاسلحة المضادة للطيران والمدافع ضد الدرع.

الفصل العاشر

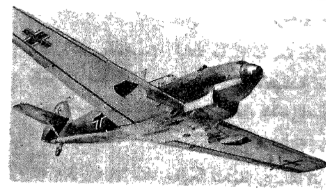
بداية التعاون مع المانيا



الدكتور فريتز غروبا
وزير المانيا المفوض في العراق ١٩٣٢ - ١٩٣٩، ثم في مايس ١٩٤١



«غروبا» مع الحاج أمين وبينهما عثمان كمال حداد سكرتير المفتي.



طائرة المانية في سماء بغداد



المفتي في برلين عام ١٩٤٢.

الجنرال فلمي
قائد سلاح الطيران الالماني.



بداية التعاون مع المانيا

(نكل الانكليز مرة أخرى بوعودهم) . .

في أول أيار التقطت المخابرات العراقية البرقية التالية : (سيخطب المستر بللي المس كورنواليس غداً) ، إن كلمة يخطب لا يمكن أن يفهم منها الخطوبة ، فالمستر بللي مفتش البريد كان بعيداً عن مثل ذلك وفهم من ذلك العراقيون العسكريون أن العمليات الحربية تبدأ في ٢ من ذاك الشهر . . .

وفي الواقع ضرب الطيران الانكليزي القوات العراقية المتمركزة على بعد ٢٥ كم من قاعدة الحبانية ، وعند ذلك عزم العراقيون على الدفاع عن انفسهم ، واتصلوا ببرلين لاعادة العلاقات الديبلوماسية مع المانيا مبدين الرغبة بعودة «فريتش غروبا» ممثلاً لالمانيا في بغداد .

* * *

كان كروبا المثيل الالماني للورانس . عين سنة ١٩٣٢ وزيراً مفوضاً في بغداد والسعودية بعد أن كان قائماً بالأعمال ـ كان التمثيل على هذا المستوى بين المانيا وهذين البلدين ـ ولقد كان صديق الشخصيات العربية الكبرى من الملك فيصل الأول حتى الملك غازي الى الملك عبد العزيز آل سعود ، وكل الرؤساء للوزارات العراقية المتعاقبين ، ومن عدد كبير من الوزراء ، وكان المفتي قد التقى به عقب حل اللجنة العربية العليا في ١ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ بواسطة القنصل الالماني في القدس . .

كان القلق الذي احدثته السياسة البريطانية لدى الشعب فرصة الساسة

العرب كي يربحوا الرأي العام العراقي الى جانب المانيا.

لقد استطاع بكر صدقي بفضل صديقه غروبا الذي كان يزوره يومياً شراء اسلحة المانية وجلب اختصاصيين ألمان..

كان بكر صدقي يخشى وقوع صدام مع الانكليز واحتلالهم بغداد فقرر - في هذه الحال - متابعة الحرب في المناطق الجبلية في شمال العراق، وعلى ذلك طلب من صديقه غروبا أن يأتي بخبير عسكري الماني يضع له مخططاً لهذا الاحتمال. فوصل الكولونيل الالماني هاينتز شخصياً بصفة عالم آثار فدرس مكان العمليات ووضع لبكر صدقي خطة مفصلة هيأت بدقة.

عند قطع العلاقات الديبلوماسية رجع فريتز غروبا الى المانيا وحل ضيفا على رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني.

* * *

- ماذا كنتم تتوقعون صاحب السماحة بالنسبة للعزم على الدفاع المشروع؟

- كان تفاؤلي أقوى من كل شعور آخر. في مثل هذه الظروف لا أدع الصعوبات تسيطر علي.. أرى النصر مهما كانت فرصته قليلة فاندفع للعمل في سبيل النصر..

* * *

وبالواقع كان الوحيد الذي يوحي بالأمل بين المسؤولين الذين ضعضعتهم الأحداث..

كان كبار الضباط وابناء الشعب يجيئون اليه للتوجيه. كان بالفعل روح المقاومة...

* * *

ويقول المفتي:

في المعارك التي حدثت في يومي ٣، ٥ أيار عانى الجيش العراقي خسائر كبيرة اضطرته للانساحاب من الفلوجة والتمركز في الرمادي وبقي مع ذلك جسر الفلوجة

بيديه، وكان مستحيلاً على الدبابات البريطانية أن تتقدم لأن العراقيين كانوا يستطيعون إغراق الأرض بالماء وما كان الجيش العراقي قادراً على احتلال الحبانية لأنه لم يكن يملك مدافع ضد الدرع والطيران. احتل العراقيون عدة محطات لشركة الاي بي سي وما كان ينقصهم البترول.

اندفع المتطوعون الفلسطينيون وبعضهم كان يتدرب في الكلية الحربية العراقية للدفاع عن قلعة الرطبة ليقطعوا الطريق على الجيش الانكليزي المرابط في الأردن وعلى القوات الاردنية. .

(في الثاني عشر من أيار وفي اجتماع حضره الرئيس الكيلاني والجنرال امين زكي باشا رئيس الاركان وفريتز غروبا، وحضرته أنا، عرض علينا العقيد الصباغ حاكم بغداد العسكري الموقف الحربي على الخارطة، وأضاف أن القوات العراقية تستطيع لو كانت لديها الطائرات ووسائل الدفاع ضد الدرع والطيران أن تحتل الحبانية، فعرض غروبا على العراقيين أن يأتوا بالجنرال فيلمي من ألمانيا وهو الذي خدم في الحرب العالمية الأولى في سيناء مع الاتراك بصفة مستشار لوزارة الدفاع العراقية فأجابه العقيد الصباغ: (نحن لا نثور ضد الانكليز كي يحل محلهم الالمان. .) فأجابه غروبا: (ليس لكم ما تخشون من تعيين فيلمي فهو سيكون قائدا للقوات الالمانية في العراق فيرتدي البزة الالمانية ويقبض راتبه من الحكومة الالمانية ويقدم لكم النصح. .) في ١٥ أيار احتلت القوات الانكليزية والاردنية الرطبة بقيادة كلوب باشا ورفض بعض القوات الاردنية حمل السلاح ضد العراقيين. تدهور الوضع وزالت قوة الجو العراقية وأصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات البريطانية الى بغداد. كان على القوات العراقية أن تحتل الحبانية ولكن المساعدات لم تصلها. .

وصلت بعض الطائرات الالمانية الى الموصل وبعض الطائرات الايطالية الى كركوك، كان من الضروري تخريب جسر المجرة في جنوب الحبانية لمنع القوات الانكليزية الموجودة في الرطبة من مساعدة القوات المحصورة في الحبانية وكان ضرورياً وجود طائرات (الشتوكا) التي لم يكن لدى العراق شيء منها، والموصل تبعد ساعتي طيران عن الحبانية، ولم يكن ممكنا تدخل الطيران الالماني وكانت الطائرات

الايطالية بحاجة الى الوقود الذي لم يكن موجوداً في محطات الشركة التي يسيطر عليها العراقيون . .

بين ١٦ ، ٢٠ أيار قذفت الطائرات الالمانية القليلة التي استطاعت الوصول الى بغداد مطار الحبانية ولكن بعد فوات الأوان .

في التاسع عشر منه احتل الانكليز الفلوجة ويئس المسؤولون ، وسافر ناجي شوكت للمرة الثانية الى انقره لطلب المساعدات من السفارة الألمانية . .

في ١٩ نفسه قرر المسؤولون العراقيون تنفيذ خطة بكر صدقي ـ هاينتز.

في ٢١ أيار قام الجيش العراقي بهجوم معاكس في الفلوجة ودخل المدينة ولكنه لم يستطع احتلالها لعدم وجود آليات لديه .

في ٢٣ أيار صدر عن أركان هتلر العامة الأمر السري بمساعدة العراق عسكرياً .

* * *

الاستعداد لمغادرة العراق :

ويمضي المفتي قائلاً :

في السابع والعشرين من أيار تقدمت القوات الانكليزية نحو بغداد فقاوم العراقيون بضراوة .

وفي مساء ٢٩ منه حوالي منتصف الليل اتخذت الحكومة العراقية في اجتماع خاص قراراً باستئناف القتال في شمال العراق . ونقلت الخزانة العراقية للشمال برفقة وزير المالية والاركان العامة .

واستقل رئيس الوزراء والضباط الكبار والزعماء والمجاهدون العرب قطاراً خاصاً .

وصلنا خانقين على الحدود الايرانية في صباح الثلاثين من أيار كي نتجه الى الموصل وعلمنا هناك أن الجسور امامنا قد هدمتها جميعاً الطائرات الانكليزية ،

وصدقنا الاخبار مع أنها كانت كاذبة، فقررنا أن ندخل إيران وهي بلد صديق فنعود من راوندوز الى العراق . .

وفي إيران علمنا رغم الاستقبال الحسن أننا بتنا لاجئين سياسيين لا يسمح لنا بالعودة الى العراق.

ـ أي درس نستفيد من هذه التجربة صاحب السماحة؟

ـ كان الفشل من جهة، وحقق شعبنا درساً كبيراً، كانت تجربته اعطتنا دليلاً عملياً على تفاني شعبنا وسهولة توحيده . .

منذ أن أعلنت الثورة جاء الكثيرون من العرب كي يساهموا بها من سوريين وفلسطينيين ولبنانيين الخ . . ولو أن الزمن امتد بها لجمعت شعبنا كله . .

وكان للفشل عدة أسباب . . .

كان كثير من الأعمال مرتجلاً فلم تمكن الخلافات الداخلية ـ خلال سنين عديدة ـ الزعماء العراقيين من إعداد الثورة قبل الحرب، لقد كانوا على حماس كبير، ولكنهم كانوا قليلي الواقعية.

كما أن المخربين كانوا كثيرين في قلب الشعب، فلقد أضر الكثيرون منهم وأخروا جهد العاملين بالشعارات الكاذبة التي يخيل أنها تخدم الشعب.

ولو أن العرب عرفوا كيف يستفيدون من هذه الفرصة لتغير مصيرهم.

ـ لو أن هذه الثورة انتصرت صاحب السماحة أما كانت تضيع الثمرة عندما ينتصر الحلفاء؟

لو أنها استطاعت طرد الانكليز لاستطاعوا بعد نصرهم على الالمان، ما داموا حلفاء لروسيا، والاميركان أن يعودوا للعراق ويضعوا يدهم عليه فتذهب جهود العرب عبثاً؟ . . .

ـ لا اعتقد ذلك. اظنهم كانوا يترددون أمام جيش عربي قوي.

ـ هل تظنون أن المخربين وحدهم سبب الهزيمة؟

ـ وحدهم لا . . . ولكنهم مسؤولون عن جزء كبير منها واني لاتساء
كنتم تعطونهم الاهمية التي يستحقون، كان علينا أن نكافح ضد (آلة) عالمية
مخابرات بريطانية وخاصة الصهيونية. لقد استخدمت هذه اكثرية اليهود العرا
فقد كان هناك موظفون صغار يبدون وكأنهم لا وزن لهم أساءوا كثيراً، منهم =
هاتف أو كاتب، أو محاسب الخ . . لقد استطاع هؤلاء أن يفضحوا أ
أسرارنا . . . وأستطيع أن أضرب لكم امثلة كثيرة . .

ـ لم تكن تلك الثورة اذن غير مرحلة بطولية . . ؟

ـ بل أقول بداية الملحمة الكبرى!

* * *

إيران . . انقره . . بلغاريا:

ـ كيف استطعتم الهرب من إيران بعد أن تعذر بقاؤكم فيها؟

اضطرت الحكومة العراقية وقادة الجيش لدخول الحدود الايرانية ا
للوقوع في أسر القوات البريطانية وكان قادة الجيش يعتزمون إقامة خطوط
واستئناف المقاومة في المنطقة الجبلية في شمال العراق فلما تبين لهم أن ا
(الكباري) المقامة على نهر دجلة قد نسفتها الطائرات البريطانية ولم تعد ص
للعبور، فكروا في إمكان الوصول الى المنطقة الشمالية عن طريق «راون
الايرانية حيث أن إيران دولة جارة وصديقة للعراق (حينئذ) وأن للدولة الالماني
نفوذاً كبيراً.

لكن لم يلبث أن ظهر أن الانباء عن النفوذ الالماني في إيران مبالغ فيها،
لذلك تنفيذ خطة الدفاع من المنطقة الشمالية. واحسنت السلطات الايرانية اس
الوافدين من عراقيين وفلسطينيين وسوريين وغيرهم.

ثم لم تلبث الحرب أن نشبت بين المانيا وروسيا في ٢٢ حزيران (يونيو
بعد وصولنا طهران بأقل من ثلاثة أسابيع، فتشاءمت من هذا الحادث إذ كنت
علم بما كان الانكليز يبيتونه لايران، وأن دول الحلفاء كانت قد أعدت
عسكرية لاحتلالها في عام ١٩٤٠، في اجتماع عسكري عقده قواد الحلفاء بـر

الجنرال «فيغان» بصفته قائداً عاماً لجيوش الحلفاء في الشرق الأوسط حينئـذ، وكنت عرفت هذه الخطة من العقيد صـلاح الدين الصبـاغ الذي دعى حينـذاك كمندوب عن الجيش العراقي لحضور ذلك الاجتماع العسكري. فرأيـت من الـواجب إبلاغ الحكومة الايرانية خبـر تلك الخطة لتتـدبر أمـرها وقـابلت وزير الخـارجية الايـرانية «آقاي عامري» واطلعته عليها، دون ذكر مصـدرها، معـززة بخريـطة تبين الـطرق التي ستسلكها القوات البريطانية من جنوب إيران وغربها. فشكرني الوزير العامري على ذلك لكنـه على مـا بدا لي لم يصـدق النبأ وقـال إنه ليس بيننـا وبين بـريطانيـا خصومة ولذلك فإني لا أتوقع منها أي عدوان على إيران.

ولم تكد تنقضي بضعة أسابيع على حديثي مع وزير خـارجية إيـران حتى وقع العـدوان البريـطاني على إيـران وفق الخطة العسكـرية التي سلمتهـا اليـه، وسلكت القوات البريطانية في عدوانها الطرق المبينة في تلك الخريطة.

وقد تبين لنا على أثر إعلان المانيا الحرب على روسيا، ولمعرفتنا بخطة بريطانيـا لاحتلال إيران، أن مقامنا بها لم يعد مأمون العاقبة. فراجعنا سفـير تركيـا في طهران «سعاد» بك ليستأذن لنا حكومته للاقامة بها، وجاء الجواب بعد لأي بالسماح للسيد رشيد عالي الكيلاني وأفراد آخرين كان منهم ناجي باشا السويدي وزير مالية العراق حينئـذ واحد كبـار زعمائـه، وأمين بـك التميمي عضو المجلس الاسـلامي الأعـلى بفلسطين واحد أبرز رجالها الوطنيـين، وكان سبب السمـاح لهما أنهما كـانا من كبـار المـوظفين في العهـد العثماني لكنهـما لم يتعجـلا السفـر وتـريثـا حتى فـوجئت إيـران بالاحتلال الانكليزي ـ الروسي. ولم يلبث الانكليز أن ألقوا القبض عليهما وساقوهما الى المنفى في روديسيـا مع جمـاعة آخـرين من الفلسطينيـين والسوريـين والعـراقيـين فوافاهما الاجل فيها رحمهما الله.

أمـا أنا فلم تسمـح لي تركيـا بالالتجـاء إليها واعتقـد أن سبب ذلك الضغط البريطاني، وعندئذ اتصلت بالسفارتين الالمانية والايطالية، ثم بالسفارة اليابانية، ولم نلبث أن علمنا من السفير الالماني الهر (ايثل) أن بريطانيا وروسيا انذرتا إيران نهائيـاً بتسليم ٤٠٠ المـاني كانـوا مهندسـين وخبراء في المصـانع الايـرانية بحجـة التجسس فتمسكت بهم حكومة الشاه رضا بهلوي لحاجتها إليهم وقـالت انها لا تستغني عنهم

وانهم رجال فنيون لا يتعاطون بالسياسة، لكن الحلفاء أصروا على طلبهم وأصرت إيران على مواقفها وظهرت بوادر الحرب.

وعلى أثر ذلك عقدنا اجتماعاً حضره الوزراء والقادة العسكريون ولفيف من وجوه العراقيين والسوريين والفلسطينيين، تدارسنا فيه الوضع واتصلنا بوزير الخارجية الايرانية وبحثنا معه موقفنا بصفتنا لاجئين سياسيين، فقال الوزير مؤكداً: إنكم لاجئون سياسيون وضيوف لدينا ولا تسمح القوانين الدولية ولا شرف إيران بتسليمكم الى خصومكم فاطمئنوا...

ولم تلبث الطائرات البريطانية أن أخذت تحلق في سماء طهران، واقتحمت القوات البريطانية المناطق الجنوبية من إيران من نفس الطرق التي سلمت خريطتها الى وزير خارجية إيران، فنشأ عن ذلك ذعر كبير، وشرع بعض الناس يجلون عن طهران. وازداد موقفنا حرجاً، فرأينا أن نلجأ إلى أفغانستان وذهبت الى سفارتها وقدمت كشفا باسماء عدد من الوزراء والقواد وغيرهم من المجاهدين وكبار الوطنيين بطلب اللجوء إلى أفغانستان، فأبرقت السفارة فوراً إلى «كابول» ولم تلبث حكومة افغانستان أن استجابت للطلب وقبلت لجوءنا جميعاً، وكنت واثقاً من استجابتها ومن استعداد الشعب الافغاني الشجاع للفداء والدفاع عن مثله العليا.

ومع أن أفغانستان كانت بعيدة عن ميدان حركتنا ونشاطنا، في ذلك الظرف، إلا أنني كنت أسعى جاهداً لسلامة رفاقنا. وقد رابني موقف موظف في السفارة الافغانية ثم عرفت فيما بعد أنه هندي الأصل وعميل للمخابرات البريطانية. ولا ريب في أنه أطلع المخابرات البريطانية على خطتنا ورغبتنا في السفر الى أفغانستان، فكان لاطلاع الانكليز على ذلك فائدة كبرى لأنهم ركزوا جهودهم في البحث عني في حدود إيران الشرقية الشمالية الموصلة الى افغانستان وبثوا فيها العيون والارصاد، فكان في ذلك فشلهم ونجاتي من كيدهم.. لكن سرعة الزحف على طهران لم تمكن أحداً من الخروج منها وكنت أعددت لي ولسائر أخواننا مخابيء عديدة حذراً من مباغتة الاعداء لنا.

وفي ٢٨ اغسطس غادر الشاه رضا بهلوي واسرته طهران الى «أصفهان» فكان ذلك نذيراً بدنو الخطر، وكانت قوات الاحتلال الروسية قد وصلت «كرج» على بعد

بضعة عشر كيلومتراً من طهران وسيصبحون فيها وكان الانكليز يسرعون في الوصول اليها أيضاً. فأرسلت رسولا ليوقظ الوصي الشريف شرف ورئيس الاركان اللواء أمين زكي ويدعوهما للخروج فوراً إلى المخبأ الذي أعددناه، وارسلت رسولاً آخر إلى القواد والاشخاص الآخرين الذين يخشى عليهم أن يبادروا بالخروج الى مخابئهم السرية. لكن الوصي ورئيس الاركان تأخرا بعض الوقت، فكان ذلك كافياً لاحاطة الشرطة بالمكان ومنع أي شخص من مغادرته وعندئذ أسرعت بالخروج من المكان الذي كنت أقيم به إلى دار السفارة اليابانية ومكثت فيها أرتقب الحوادث.

وفي اليوم التالي احتل الروس طهران من الشمال واحتلها الانكليز من الجنوب. وتعذر الخروج منها، ولم يكن مناص من التربص والاختفاء إلى حين، واستمرت الحال على هذا عدة أيام ثم حدثت مفاوضات بين الانكليز والسلطات الايرانية وسعى الانكليز للتفاهم مع الشاه وزينوا له العودة الى طهران فعاد، ولما أخذت الحياة العادية تعود الى حالتها الطبيعية اصدرت الحكومة الايرانية بياناً دعت فيه جميع اللاجئين السياسيين من العرب إلى الطمأنينة والظهور، ومما يؤسف له أن معظم إخواننا استجابوا لتلك الدعوة فخرجوا من مخابئهم وعادوا الى منازلهم. فلما ظهروا قابلهم رئيس الوزارة ووزير الخارجية وسألاهم عني واكدا لهم أن ليس علي ولا عليهم أي خطر أو ضرر وطلبا إليهم إبلاغي ذلك. . لكني لم أقبل الظهور وعادت تحذيري لهم ألاَّ يطمئنوا إلى هذه التأكيدات الموعز بها من السلطات الاجنبية المحتلة وأن يعودوا الى الاختفاء، لكنهم ويا للأسف لم يعملوا بنصيحتي ولم يصدقوا تحذيري إلا بعدما اصبحوا في قبضة السلطات البريطانية. وعندئذ تذكرت قول دريد بن الصمة:

نصحتهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

(ولهذه المناسبة، ولتتالي الكوارث والنكبات على فلسطين والاقطار العربية المجاورة، اذكر هنا أنني كثيراً ما نبهت أولي الأمر والزعماء العرب، الى الخطر الصهيوني والمطامع اليهودية وأنها ليست منحصرة في فلسطين وحدها بل ستتعداها الى الاقطار المجاورة فكان بعضهم يظن أن في ذلك مغالاة ومبالغة، فلم يولوا الأمر حقه من الاهتمام الجدي ولم يعدوا العدة للخطر المقبل وها هو العدو اليوم يحتل

فلسطين كلها وسيناء المصرية برمتها، ومنطقة الجولان السورية متخذاً منها قاعدة لمهاجمة سورية والأردن معاً).

وهكذا لبث إخواننا في الاعتقال بضعة أسابيع ثم نقلوا الى غياهب سجن «الأهواز» في الجنوب فمكثوا نحو ستة أشهر ثم نقلوا الى روديسيا في جنوب أفريقيا وهم الوصي الشريف شرف ومعظم الوزراء العراقيين: ناجي السويدي وموسى الشابندر ورؤوف البحراني ومحمد علي محمود واخوه عبد الجبار ومحمد يونس السبعاوي ورئيس اركان الجيش اللواء أمين زكي والعقداء الثلاثة محمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب. والمحامي داود السعدي وصديق شنشل وعبد القادر الكيلاني وغيرهم، ومن الفلسطينيين امين التميمي وجمال الحسيني وأخوه الدكتور داود وعارف الجاعوني ومحمد محمد شعيب ومن السوريين عثمان كمال حداد وغيرهم.

وبعد مدة استقدمت السلطات العراقية، بايعاز من الانكليز، العقداء الثلاثة والوزير محمد يونس السبعاوي من ميناء «دوربان» ثم العقيد صلاح الدين الصباغ الذي اختفى في إيران بعض الوقت، ثم استطاع أن يتسلل الى تركيا واعتبرته السلطات التركية لاجئاً سياسياً فأقام بها مدة الى أن طلبت منه مغادرة بلادها بضغط من الانكليز فغادرها الى سورية، وبحيلة وتآمر القي القبض عليه في إحدى نقاط الحدود وتم تسليمه الى السلطات العراقية حيث نفذ فيه حكم الاعدام شنقاً كما نفذ من قبل في زملائه العقداء الثلاثة والوزير السبعاوي. وتوفي في المنفى في روديسيا ناجي السويدي وأمين التميمي وعارف الجاعوني رحمهم اللّٰه جميعاً.

ولما دخل إيران المارشال ويفل القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط أذاع بياناً بدفع مكافأة مالية سخية لمن يقبض على المفتي أو يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض عليه حيا أو ميتاً. وطلب ويفل من الشاه شخصياً أن يبذل جهده لتسليمي الى السلطات العسكرية البريطانية، كما علمت بذلك من المرحوم يوسف ذو الفقار باشا سفير مصر في طهران حينئذ، وهو والد الملكة فريدة وقد غمرني بكرم اخلاقه وشهامته. وكان مدير الشرطة العام «أقاي مقدادي» يلح على إخواننا ليدلوه على المكان الذي كنت اختفي فيه ويعرض عليهم جائزة المرشال ويفل.

وأخيراً في مساء ٢٣ أيلول (سبتمبر) وبعد أن بدلت مكان إقامتي أكثر من مرة خلال تلك الفترة الحرجة خرجت من طهران في سيارة باص إيرانية مع عدد من المسافرين وسلكت السيارة طريقها الى الحدود التركية مارة بكرج فقزوين فزنجان فتبريز في اذربيجان حيث كان الروس يحتلون تلك المنطقة ويفتشون المسافرين تفتيشاً دقيقاً، ومكثنا في تبريز خمسة أيام إذ أوقف الروس كل السيارات والقوافل ثم سمح لها بالسفر. واستغرق سفري في الأراضي الايرانية بضعة عشر يوماً كانت كلها في مناطق الاحتلال الروسي وقبل أن اجتازها الى الحدود التركية استوقفني ضابط المخابرات الروسية نحو عشر ساعات لاشتباهه بجواز سفري ثم اجتزت الحدود التركية مع قافلة من المسافرين من ولاية ارضروم قريباً من جبال ارارات الشهيرة ومنها إلى ولاية «سيواس» حيث ركبنا القطار الى انقره. وفي تركيا اختلفت وسائل السفر فكانت السيارات حينا والدواب احياناً.

ولما وصلت انقره لم امكث بها إلا بضع ساعات تجولت خلالها في شوارعها ثم استأنفت السفر بالقطار الى استانبول حيث اجتمعت فيها باثنين فقط من أخلص إخواننا واسبقهم في خدمة قضيتنا الوطنية وهما لاستاذان محمد اسحق درويش والشيخ حسن أبو السعود الذي توفاه اللّه في القاهرة بعد عودتنا جميعاً إلى مصر. ومن طريف ما حدث أنني عندما كنت في استانبول استريح من عناء تلك السفرة المضنية، سمعت من الاذاعة تصريحاً للمستر ايدن وزير خارجية بريطانيا حينئذ رداً على اسئلة بعض النواب في مجلس العموم البريطاني جاء فيه: (أن المفتي الذي هو العدو الأول لبريطانيا قد اصبح في قبضة يدنا وان المكان الذي يختفي فيه في طهران مطوق الآن بقواتنا).. ثم استأنفت السفر بالقطار من استانبول الى ادرنة ثم إلى بلغاريا ومنها إلى رومانيا فالمجر فالنمسا فايطاليا، وليس صحيحاً ما ذكر من أن طائرة ايطالية حملتني من انقره الى إيطاليا.

الفصل الحادي عشر

المفتي في ايطاليا والمانيا

صورة وجدت داخل البوم هتلر .

العرب هاجس موسوليني .

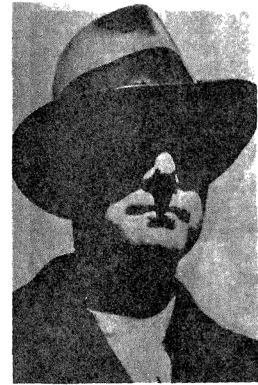


الصـورة الوحيـدة لاجتمـاع هتلر والمفتي التقـطهـا مصور هتلر الخاص، وكان الحاج أمين يحتفظ بها.



سملر رئيس فرقة (اس. اس) النازية يرحب بالحاج أمين الحسيني في برلين.





الفرد روزنبرغ.



كارل ايخمان الـذي اختطفه اليهود من الارجنتين واعـدموه في اسـرائيـل... رفض الادلاء بشهـادة كاذبة عن المفتي... اثناء محاكمته.



فون روبنتروب
كان معجبا بالثورة العربية

كونت
شيانو
وروبنتروب

هنريش هملر رئيس الجستابو

يوسف غوبلز وزير الدعاية
. . فيلسوف الاعلام الموجه .

المفتي في ايطاليا والمانيا

ويمضي المفتي قائلاً:

«وجدت نفسي بعض الهدوء في القطار الذي اقلني الى صوفيا وتركت لذاكرتي العنان باستعراض شريط احداث السنة الأخيرة».

لماذا لم يبد الالمان فعالية أكبر؟ كان يقلقني هذا السؤال الذي لا أجد له جواباً فقد كان بوسعهم أن يفعلوا افضل مما فعلوا، وما كانت المسافة التي تفصل بين جزيرة كريت التي احتلوها وبيروت إلا ثمانمائة كيلومتراً، أما رودس فهي أقرب. وكان أرسال المساعدات اذن سهلا. كما أن احتلال قبرص كان ممكنا بل ضرورياً بعد النكبة التي مني بها الاسطول الانكليزي في الاسكندرية..

لقد فتح الهجوم الانكليزي الفرنسي الحر على سورية مسرحاً جديداً للعمليات ولقد قدمت المقاومة الفيشية للحلفاء التي استمرت اكثر من أربعين يوماً رغم قلة القوى التي لديها، امكانات للمساعدة الالمانية التي كان يمكن أن تصل العراق عبر سورية مجالاً للتعاون بين فرنسا الفيشية والمانيا بحيث تنفذ اتفاقيات (مونتوار). وكان بوسعنا أن نعد جيشاً عربياً من مليون مقاتلاً في مدة وجيزة وفي مثل هذه الشروط كان يتبدل مصير الحرب كله. كنا بعد تحرير أرضنا نعطي فرصة كبرى بالنصر للالمان...

لقد وجدت الجواب على سؤالي بعد وصولي الى المانيا فلم تكن عمليات حوض البحر المتوسط إلا ثانوية لأن المانيا حشدت قواها في عملية (باربا روسيا الكبرى) ـ عملية الهجوم على روسيا ـ ولقد تحرك بعد وصولي الى برلين ثلاثة ملايين

رجل و ٦٠٠٠٠ حصان و ٦٠٠٠٠ آلية عسكرية، و ١٩٠٠٠ قطاراً باتجاه الحدود السوفياتية. . .

سنة ١٩٤٠ اعطى هتلر أوامره لاعداد هذا الهجوم الكبير وهو ما عرفه التاريخ حتى ئذ. . . لقد قامت ثورتنا اذن في زمن غير مناسب».

* * *

في أواخر سنة ١٩٤١ بدأ مصير الحرب ينقلب على هتلر. . . وصل المفتي الى برلين في ١٩ تشرين الثاني من تلك السنة، وقد بدأت الجيوش الحليفة تمد سلطتها قليلاً قليلاً في منطقة الشرق الأوسط.

وقد خفت فعالية الهجمات الجوية الالمانية تدريجياً على لندن. كما أن أضرار الغواصات الالمانية بالاسطول الانكليزي أخذت تقل شيئاً فشيئاً، وتدنت نسبة المراكب التي أغرقتها هذه الغواصات من ١٥٤ في شهر نيسان الى ٣٤ من تلك السنة، وبدأت الصناعة الانكليزية تعود الى مجراها المعتاد. . .

أخذت بريطانيا العظمى تجمع قواتها على مسرح القتال في الشرق الأوسط وأخذ الوضع يتحسن لمصلحتها خاصة بعد أن اتجهت معظم قوات المحور الى الجبهة الشرقية، وما بات الطيران المتمركز في كريت وصقليا يهدد القوافل البحرية الانكليزية. وجاوزت جزيرة مالطة عملية عسكرية مشابهة لعملية جزيرة كريت وعادت تلعب دورها كقاعدة انكليزية فعالة ضد قوافل تموين (الجيش الافريقي) حتى لقد انبأ الجنرال رومل في تشرين الثاني سنة ١٩٤١ القيادة العامة الالمانية أنه لم يتلق غير ٥٠٩٣ طناً من العتاد مقابل ٦٠٠٠ طلبها وهكذا اضطر جيشه المؤلف من الفرقتين المدرعتين الالمانيتين (١٥ و ٢١) والفرقة الخفيفة ٩٠ وثماني فرق ايطالية سبعة منها مشاة وواحدة آلية إلى التوقف عند طبرق دون القدرة على الهجوم على مصر. وهكذا سنحت الفرصة لانكلترا لاحتلال ليبيا. . .

أما على الجبهة الروسية فقد رُدَّ الجيش الالماني عن موسكو بعد أن غدا على بعد ٢٢ ك م منها في السابع عشر من كانون الأول هاجمت ٤٢٧ طائرة يابانية بيرل هاربور. . . .

في هذا الوضع بدأت المرحلة الأولى من إقامة المفتي في بلاد المحور. . .

ـ لماذا المحور وليس الحلفاء؟

ـ «سألتم: لماذا المحور وليس الحلفاء؟. . . إن مصلحة امتي هي التي تملي اختياري. إن مصير فرد يعتبر لا قيمة له عندما يتعلق الأمر بمستقبل الأمة. إن انتصار الانكليز كان يعني أن فلسطين ضائعة. لم يكن شعبنا قادراً على الدفاع عن نفسه وحيداً. كان لا بد لنا من البحث عن دعم، دعم من هو أقوى من عدونا. وكانت انتصارات جيوش المحور لا تدع مجالا للشك في نهاية الحرب وما كان في نيتي أن أنتظر دون عمل حتى النصر النهائي والخضوع لرغبات المنتصرين. كنت أريد أن يحمل العزب السلاح لا إلى جانب المحور، بل من أجل قضيته من أجل تحرير بلادي، ولم يسبق طيلة مدة الحرب أن قاتلنا الى جانب المحور، إن الشعب لا يطمح إلى تحقيق أمانيه إلا عبر التضحيات ودم ابنائه. . .

إن الشعب يعرف حقيقة رجاله فمنذ عام ١٩٢٢ الى ١٩٤١ والشعب يعرف قضيته ويعرف أعداءه، وذهبت إلى بلاد المحور بحثاً عن التأييد لقضية بلادي. . . وبهذه الصفة قابلت الدوتشي والفوهرر.

ـ صاحب السماحة أثارت إقامتكم على أرض المحور في أوروبا حيث تركت الحرب العالمية الثانية وخاصة النازية والفاشية ذكريات مؤلمة وتعليقات كثيرة ـ فلقد اتهمتكم الصهيونية بالتعاون مع النازية والفاشية. . .

ـ قاطعني قائلاً:

«إن الرأي العام من عمل وسائل الإعلام التي تنقل الأحداث وقد شوهت حقيقتها في غالب الأحيان، وليس لنا نحن العرب وسيلة للتعبير عن انفسنا. . أن وجهة نظرنا لم تشرح، أو إنها لم تعلل ولم توضح. . .

ـ ولكنا لا تنقصنا وسائل الاعلام. . ؟

ـ نعم. . . ولكننا نسيء استعمالها. إن الأسس التي تعتمدها دعايتنا أو دعاياتنا خاطئة تساهم في فشلنا. . قولوا لي هل افادتنا دعاياتنا شيئاً في أوروبا؟ أنا أعرف ما تعتقدون. . . إنها لم تنفعنا بشيء. لقد كانت أمام تخرصات أو صراخ

أجش. وعندما كنت اقرأ ما يكتب عن إقامتي في المانيا كنت أتساءل:

أين كانوا يريدون أن أذهب؟... إلى المنفى؟ إلى السجن؟ أن أسلم نفسي للانكليز؟ هل كانوا يريدون أن أذهب الى أعدائي بمحض إرادتي؟ ما هو الثمن؟... لم يخفني الموت أبداً... ولكني كنت أريده موتاً مجديا لامتي...

كانت الامبراطورية البريطانية كلها تلاحقني... تتبعني أينما كنت، وفي الحق لم أكن راغباً بترك أرض وطني... هؤلاء الذين ينتقدونني هل يعرفون حياة الخفاء... الترقب... الخوف الدائم من البوليس... الموت وما الذي ينجم عن ذلك؟ هل عاشوا مثلي على انتظار الغيب الذي يحسم ... يخشون الصوت الضئيل الذي يمكن أن ينبه الجواسيس. كلمة لا معنى لها يقولها صديق يمكن أن تكتشف مخبأك... غلطة... إشارة لم يحسب حسابها... يمكن أن تضعك تحت رحمة العدو؟

كان علي في تلك الظروف الشاقة التي كانت تواجه شعب فلسطين، وذلك حق بل واجب ما دمت معه في المقاومة، أن ألجأ إلى كل الوسائل التي تمكنني من انقاذه. ولم أكن ملزماً بتقديم حسابي عن اتصالاتي إلا للشعب نفسه، وهذا الشعب يعرف من أنا ويعرف ماذا أفعل ولمصلحة من أفعل...

أنا لم أذهب إلى بلاد المحور كي أضع نفسي تحت تصرفهم. لقد ذهبت في سبيل خدمة قضيتي التي هي قضية امتي بكاملها... ذهبت مفاوضاً لا متعاوناً. كنت أتوق لأن تكون إقامتي ذات نفع لفلسطين خاصة ولوطني العربي الكبير عامة وللاسلام الذي أحمل أكبر مهمة من أجل إعلاء كلمته.

- لقد أثار انشاء الجيش المسلم انتقادات حادة...

- وكيف نحرر أرض الوطن؟ هل تظنون الكلام قادراً على ذلك؟ كان المسلمون في البوسنة والهرسك يقتلون، ويذبحون وكان علينا أن نوفر لهم شيئاً من الحماية....

- أثيرت أقاويل مصدرها الصهيونية وعملاؤها بأنكم قد سكتم على تعذيب اليهود في المانيا؟

ـ على العكس تماماً! لم تكن مشكلة تعذيب اليهود مطروحة في المانيا حين وصلت، كان الالمان يعرفون ماذا يفعلون، ولم يكن لنا دخل في هذا الموضوع، كانت عملية تعذيب اليهود قد استنفدت أغراضها، إن للالمان تاريخاً مع اليهود وكانوا قد خططوا ونفذوا، ولا شأن لنا بما يفعله غيرنا، كنا هناك ضيوف لنا قضية، وكل ما كان يهمنا هو قضيتنا. . . وفوق ذلك كان الالمان والطليان يفكرون أولا بمصالحهم، وكان علي أن انتزع منهم الاتفاقات وكنت مضطراً إلى تحاشي أمور كثيرة. . . .

كنت أرى أنهم كثيراً ما يرون اقحامنا فيما لا نريد منتهزين وضعنا الضعيف. وكنت أعارض بشدة. . .

لم تكن مهمتي سهلة في بلاد المحور وبوسعكم أن تروا ذلك فيما سأرويه لكم عن ظروف تلك المرحلة. . .

* * *

مقابلة موسوليني:

ويمضي المفتي قائلاً:

كنت أعلم قبل أن أصل روما أن مهمتي لن تكون سهلة فيها، وأن صعوبات كثيرة تنتظرني فيها، وأولها وأصعبها ألا أسمح لهم بالظن أن وجودي يمكن أن ينفعهم بشيء. . .

كان بين العرب وإيطاليا حساب طويل وقديم، ولم أغذ نفسي بالوهم. . كانت ليبيا تعاني من الاحتلال الطلياني ما تعانيه بقية الاقطار العربية من الاحتلالين الفرنسي والانكليزي. ومنذ سنة ١٩١١، أي منذ نزول الجيوش الايطالية في الشواطيء الليبية وشعب ليبيا خاضع للظلم والاضطهاد، ولكم سال دم إخواننا عبر المقاومة التي امتدت حتى سنة ١٩٣٣، لقد لاقى عمر المختار قائد تلك المقاومة ـ وهو الشيخ ذو الستة والتسعين عاماً الموت رغم عمره بعد أن أسر في معركة بالسلاح الأبيض ـ حتفه فشنق رغم احتجاجات العالم. . .

وكانت إيطاليا الفاشية فوق ذلك تطمح لاحتلال تونس.

بعد أن اتصلت بي السلطات الايطالية حددنا موعداً لزيارة موسوليني . . وفي اليوم الموعود جاء موظفو المراسم الي في فندق اكسيلسيور وجدت نفسي في السيارة التي تحملني إلى موسوليني جنباً إلى جنب مع الايطاليين الذين قتلوا القائد العظيم عمر المختار . . . أمام المسؤوليات الكبيرة لا بد لنا من أن نواجه الواقع وأن نتصرف . . .

استقبلني في مدخل قصر فينسيا ـ الشهير بشرفته التي يخطب منها الدوتشي في جموع الايطاليين الذين كانوا يأتون لاستماعه ـ البارون (انفوزو) نائب وزير الخارجية نظراً لغياب الكونت شيانو في زيارة رسمية في برلين . . .

كان موسوليني ينتظرني في باب مكتبه الواسع وكأنه قاعة محاضرات . .

استقبلني بسرور ظاهر. كان مظهره ومشيته يبعثان في الشعور أني جئت احيي أحد أولئك القادة الرومان وكأنه بعث وتزيي بزي إيطالي. كان رأسه المرتفع وخيلاؤه تظهر قوة فكيه وكانت عيناه تدفعاني للتفكير بنابليون وانطونيوس . . وبعض حركات يديه في باغنيني . .

كانت طبيعته القوية الحازمة تقربه من نابليون. إذا تحدث عن التاريخ الروماني بدا بليغاً وظهر إعجابه بروما التاريخية وامبراطوريتها والأمل الذي يعيش عليه بأن يكون باني إيطاليا الجديدة . . . إيطاليا الغازية . . نرى إلى أين كان يذهب به خياله؟ لم يكن علي صعباً فهم مطامحه التي يخفيها بكثير من اللباقة الدبلوماسية . . .

كان صوته يبدي عاطفة حسية كان بريق عينيه الذي يلتمع في نظراته يكشف عن حدس السياسي الذكي وحلم الانسان العاطفي . . . انطونيوس على شواطيء مصر! كانت شخصيته تظهر اتزاناً بين رجل الدولة والفنان . . . كان فن عزف الكمان ظاهراً في حركات يديه . . .

وقد سمعت أنه كان عازفاً ممتازاً . . .

كان يرى أن مهمته ـ وكان يتحدث عن ذلك بايمان ـ في أن ينهي الميوعة الايطالية وان يبني ما تهدم خلال قرون . . . كان معجباً بغاريبالدي محرر ايطاليا

وكان يقدر أن شرف اتمام رسالته المحررة وإحياء المجد الروماني يعود إلى موسوليني نفسه . . قال لي وهو يشد على يدي : احييك باسم الشعب الايطالي وحكومته وباسمي أنا . . .

ورافقني حتى مكتبه فجلس كل منا على مقعد أمام الآخر . . وبقي البارون انفونزو - جريا على عادة موسوليني بالنسبة لمعاونيه في الزيارات الرسمية بأن يظلوا واقفين .

وبعد أن هنأني سألني عن الطريق التي اتبعت حتى وصولي الى البلقان . كان الحديث يدور بالفرنسية التي يتقنها إلى جانب لغات عديدة أخرى . . .

لقد ادهشني بمعرفته لتاريخ ومشاكل الشرق الأوسط . . . كان يستمع إلي بانتباه شديد فشرحت له مواقفنا دون أن أترك أي التباس يمكن أن يؤدي في المستقبل إلى سوء تفاهم . فلقد عزمت من المقابلة الأولى على توضيح كل شيء وما كان بودي أن أعيد مع المحور الخطأ الذي وقعنا فيه مع الحلفاء . كنت أعلم أن هتلر يكن احتراماً خاصاً لموسوليني وعلمت أن هذا الأخير كان يعارض في حرب ضد الاتحاد السوفياتي . وكم تساءلت ما هي الأسباب التي دفعت بالفوهرر لعدم قبول نصيحته . . .

لقد أوحى لي في هذه المقابلة الأولى رغم طموحه أنه رجل لا ينسى الواقع ، وكان حسه العملي يمكنه من التمييز بين الواقع والوهم . كانت أفكاره نتيجة تفكير طويل مبني على الحساب . . . منطق واقعي يومي باستراتيجيته ، ولقد أوحى لي أيضاً أنه انسان موهوب بذكاء عملي لا تغيب عنه العملية في مهمته التي كانت ترمي لتحقيق مثل أعلى اعني إعادة بناء الامبراطورية الرومانية . . .

شرحت له بوضوح مطالب العرب بالاستقلال والوحدة ورفض كل أشكال الاستعمار ، من الاستعمار المباشر حتى الحماية والانتداب والقواعد العسكرية . ولقد تبينت ولا اكتمكم ذلك من ملامحه أنه لم يكن ينتظر كل هذا الموقف الصارم مني .

قلت له : إن هدفنا الأول هو انقاذ فلسطين من المؤامرة العالمية وأن نلغي مرة واحدة مفهوم الوطن القومي اليهودي على أرضنا . إن إيماننا بالدفاع عن وجودنا هو

الـذي يملي علينـا الكفاح ضـد الوطن القـومي اليهودي، وليس التعصب كـما يزعم المتخرصون. إنه الحق الذي يمنحنا إياه انتسابنا لارضنـا. إن كل وطني لـه الحق في أن يـطالب بأرض وطنـه وليس التعصب دافعاً لقضيتنـا. لقد كـانت العـلاقـات في الوطن العربي أخوية دائمة بين المسلمين والمسيحيين لقد تعاون العرب دائماً في سبيل وطنهم وفق اعتقادهم الديني..

أجابني: أعرف ذلك إن ما أعلمه عن العرب وخـاصة عن الـدين الاسلامي هو كثير لقد درست القرآن والتاريخ الاسـلامي والتسامـح الذي يحله الاسـلام محلاً أسمى ولكن هؤلاء وأشار إلى الكونت انفوزو لا يعلمون شيئاً..).

تساءلت بيني وبين نفسي: ترى هل يستصغر معاونيه أم أنه لا يحترمهم؟

استمـر قائـلاً: (إن مطالبكم تحـظى باحتـرامنا واهتـمامنـا. إننـا راغبـون في مساعدتكم على تحقيقها ونحن عـلى استعداد لـلاعتراف بـأمانيكم. أمـا عن الوطن القـومي اليهودي فلكم كـل الحق في كفاحـه. إننـا نـدعم هـذا الكفـاح ونقف إلى جانبكم..

لقد حاول الـ ٤٦٠٠٠ يهودي المقيمون في إيـطاليا والـذين لا تتجاوز نسبتهم ١ من ١٠٠٠ من السكـان السيطرة علينـا. إنهم رغم تمتعهم بحقـوق المـواطن التي أعـطاهم إيـاهـا شعبنـا لم يعـطوا أي دليـل عـلى تعلقهم بهذا الشعب. كـل منهم جاسوس إنهم يقومون بـالدعـاية ضـد إيطاليـا ويسانـدون أعداءهـا.. إنهم طابـور خامس بيننا. وسنتخذ الموقف الذي يستحقه موقفهم منا. وأضاف في نهاية حديثه: أنتم اصدقاؤنـا وحلفاء بـلاد المحور في هـذه الحرب التي ستبـدل كثيراً في مستقبلنـا ومستقبلكم. إننا نتعاون معكم تعاونا مبنيـاً على الثقـة والتعاون المتبـادل. انني بهذه الـروح أرحب بكم بيننا. لقـد وصلتم في الوقت الـذي توقظ فيـه منـطقـة الشـرق الأوسط اهتماماً كبيراً وأنا من ناحيتي أهتم بذلك اهتماماً كبيراً وأنا سعيد بـرؤيتكم بيننا، وعندما تذهبون الى المانيـا أرجو أن تنبهـو الفوهـرر إلى أهمية الشـرق الأوسط وخاصة قناة السويس.. إنها عنق الامبراطوريـة البريـطانية. هنـاك نستطيـع خنقها وإلى الأبـد... إن جبهـة الشـرق الأوسط هي التي تسـاهم في النصر الـذي يبـدل مصير الحرب!).

فهمت من كلامه أنه يعتمد علي كي أقنع الفوهرر بعدم جدوى الحملة التي يعدها ضد روسيا. . كان يعلل موسوليني حجته بإظهار الستراتيجية الكلاسيكية الروسية التي تتلخص في جر جيوش الاحتلال الى الثلج والجليد والسهول فتعمد بعد ذلك إلى إفنائها في هجوم معاكس. ولمح في الحديث الى نابليون وشارل الثاني عشر ملك السويد اللذين وقعا في الفخ. صحبني الدوتشي إلى باب القاعة وهو يكرر تهانيه ويلح على البارون انفونزو بتلبية طلباتي اثناء إقامتي في إيطاليا. . . . وأكد لي الكونت انفونزو أنه سينفذ أوامر زعيمه بدقة وأنه سيضع نفسه تحت تصرفي. فطلبت إليه بعد الشكر أن يسهل لي شكليات السفر اللازمة الى رحلة أقوم بها لبرلين في أسرع ما يمكن. . .

فسألني قائلاً دون أن يخفي دهشته: منذ الآن؟ لماذا لا تقيمون بيننا؟

فأجبته: لا بد من السفر وسأعود لروما عندما تتهيأ الفرصة. . .

وبدلاً من أن نذهب إلى الفندق رافقني الموظفون الى فيلا عظيمة في ضواحي روما هي فيلا سكارلاني التي وضعتها الحكومة الايطالية تحت تصرفي، وقد وجدت أن حقائبي سبقتني إليها.

لم أقم في هذه الفيلا غير يومين قبل سفري إلى برلين نقلت على أثرهما إلى قصر آخر هو فيلا كولونا الكائنة في جبل مونتي ماريو المشرف على روما[1]. . .

---

(١) وهنا يروي المفتي القصة التالية:

لا بد لي من أن اتوقف عن رواية ذكرياتي لأحدثكم عن حكاية تتعلق بهذا القصر لها علاقة بتاريخ فلسطين. . .

كان جد عائلة كولونيا من الصليبيين وقد حمل معه عندما عاد من القدس عمودا زعم الرواة أن السيد المسيح جلد عليه وقدمه هدية للبابا الذي منحه لقب أمير كولونا، ولقد ورثت العائلة منذ ذلك التاريخ الثروة واللقب والجاه. ولقد تزوج أحد أفراد العائلة سيدة لبنانية من عائلة سرسق التي لعبت دوراً هاماً في السياسة الايطالية خلال الحرب العالمية الثانية بفضل ذكائها وفهمها وكرمها وسعة اطلاعها، ولقد كانت تعمل في خدمة الحلفاء. كانت أبواب قصرها مفتوحة لعلية القوم في روما يؤمها الامراء والارستقراطيون والوزراء والاغنياء. وكان من عداد ضيوفها الدائمين الكونت شيانو يأتي الى ولائمها وحفلاتها. وكانت تحيطه بالرعاية والاصدقاء والصديقات. كانت تحاول اقناعه بقوة الحلفاء وتفوقهم في الانتاج الحربي، العامل =

يستأنف المفتي الحديث:

خرجت من مقابلتي الأولى مع موسوليني ممتناً. لقد أيد الدوتشي الاماني العربية في الاستقلال والسيادة قائلاً: باسم الحكومة الايطالية أجيب رغباتكم بالاعتراف بأمانيكم الحقة وبمساعدتكم بتحقيقها مع حكومة الرايخ التي تتبنى - على ما أعتقد - نفس الموقف).

لقد أدت المفاوضات التي دارت بيننا وبين الحكومتين الايطالية والالمانية الى تصريح رسمي وقعه وزيرا خارجية الدولتين وسأروي لكم بالتفصيل قصة هذا التصريح . .

* * *

إلى برلين:

يستأنف المفتي حديثه:

(ثاني يوم قابلت فيه موسوليني استقبلت في فيلا سكارلاني السفير الالماني فون ماكنزن حفيد المارشال الألماني الشهير يصحبه الكونت فون بسمارك المستشار في سفارة الرايخ الثالث في روما وتحدثنا عن تفاصيل الزيارة التي نويت القيام بها إلى المانيا . . .

في ٨ تشرين الثاني ١٩٤١ تركت روما بالقطار قاصداً برلين، وفي التاسع منه وصلت ممر بريبر الذي اشتهر بعد مقابلات هتلر وموسوليني فيه. كان على رصيف المحطة وفد رسمي في استقبالي يرأسه وزير الدولة الدكتور (اوتومايسيزا) يحيط به

= الوحيد الذي يقرر مصير الحرب والعالم وخاصة ايطاليا. وكانت هذه السيدة تقنعه بأنه الرجل الذي تنتظر ايطاليا مبادرته كي تمكن له مستقبلا عظيماً نظراً لكفاءاته الثمينة ولمركزه العالي . .

ولقد نجحت السيدة اللبنانية بالتأثير تأثيراً عظيماً على الكونت صهر موسوليني وأقرب معاونيه اليه فدفعته لأن يكون في صف المعارضين الأول لموسوليني في جلسة ٢٥ أيلول ١٩٤٣ الشهيرة حيث خانت الاكثرية في المجلس الفاشستي الأعلى الدوتشي. في ذلك اليوم أوقف موسوليني بعد لقائه مع الملك فيكتور عمانوئيل وبقي في سجن سري حتى انقذه الضابط الالماني الشهير (سكورزيني) وأخرجه من قلعة مونتي ساسو في ١٣ كانون الأول سنة ١٩٤٣ . .

ذلك فصل صغير مما سمعت أثناء الحرب . . .

رئيس البروتوكول والدكتور ملتسرز مدير عام الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الالمانية والدكتور غروبا. ورافقوني إلى برلين حيث حللت ضيفا على الحكومة الالمانية التي احلتني في قصر (شلوس بلفور) الذي بني عام ١٧٨٥ والقائم في حي (نيو غارتن)..

قام طيران الحلفاء بغارة ليلية في اليوم الثاني لوصولي للعاصمة الالمانية، فأيقظني الموظف المكلف بشؤوني وقادني الى ملجأ القصر. لقد عجبت لما رأيت... عدة غرف للنوم، وقاعات للطعام والاستقبال وعيادة مجهزة بما تتطلبه العمليات الجراحية والعناية بالجرحى.

بقيت في ذلك القصر أسبوعين ثم انتقلت الى «غوته شتراسه» في ضاحية تسيلنورف البعيدة ١٦ كم من برلين..

كان وزير خارجية المانيا غائباً عن برلين في زيارة لقيادة المنطقة الشرقية في بروسيا، فانتهزت هذه الفرصة لرؤية عدة شخصيات اسلامية من اذربيجان وقوقازية وتركستانية وسواها ممن يعيشون في برلين. اذكر من تلك الزيارات خاصة زيارة غلام صادق خان وزير خارجية الافغان السابق وشاندرابوز الزعيم الهندي الشهير وعدو الاحتلال الانكليزي الكبير الذي بقي في برلين حتى سنة ١٩٤٤ حيث اتفق مع الالمان على تنظيم ثورة ضد الانكليز في بورما والهند فأخذه الالمان في غواصة الى الشرق الاقصى وهناك قضى في حادثة طائرة استقلها للوصول الى بورمان...

وأقيمت على شرفي عدة حفلات قابلت فيها عدة شخصيات المانية تحدثت معها في المواضيع التي أردت اثارتها...

دعاني الدكتور ميسز ثاني يوم لوصولي لبرلين لتناول الشاي عنده..

وأقام الدكتور نورمان حفلة غداء، وهو مدير الشؤون السياسية في وزارة الخارجية وبعده الدكتور فايتساكر. وفي ٢٠ تشرين الثاني استقبلني فون بروبنتروب في وزارة الخارجية الالمانية القائمة في ويلهلم شتراسة، ودام الحديث معه ساعة ونصف...

لقد فوجئت حين قابلت هذا الرجـل، فلم تكن الصورة التي كـانت في ذهني عنه من خلال الصحافة تتفق مع صورته الحقيقية، لقد جهدت الصحافة في تشـويه شخصيـة الوزيـر لدى الـرأي العام، فلقـد وصفته عـلى أنه وصـولي ماهـر ومحـدود الضمـير والعقيدة. وجـدتني أمام مخـطط حقيقي وقور لا تخفـاه الـوقـائـع. ولم تكن بساطة حديثه تخفي دقـة احكامـه. كانت النـاحية العقـلانية الـواقعية في شخصيتـه تطغى على الناحية العاطفية. وكان يبدو لي علميا أكثر من غيره من الالمان.

قـال لي وهو يستقبلني: (أخيـراً اتشرف بمعـرفة الـرجل الاسـطوري.. لقـد تتبعت نشاطكم باعجاب).

كان خلال الحديث مستمعاً يقول فكرة بين الفينة والفينة..

قال لي: (يجب أن تحل القضية الفلسطينية ضمن نظرة عـالمية دون الاهتمـام بموقف الانكليز، هذه القضية يمكن أن تثير احداثاً عالمية خطيرة، إن فلسطين عربية وحل قضيتها يجب أن ينبثق عن هذه الحقيقة مهما كانت الشروط..).

وقال بالنسبة لاحداث العـراق: (كنت أود لو أنها تـأخرت حتى ظـروف اكثر ملاءمة نستطيع فيها أن نقدم عونا مجدياً لقد تألمنا لمصير هذه الثورة وللنتائج الحـزينة التي تعرض لها اصدقاؤنا الشجعان).

فهمت من الحديث أنه يستنكر على الدكتور غروبا وبعض اصـدقائـه تشجيع العراقيين على القيام بمحاولة في غير أوانها. فأكدت له أن العراقيين يشاركونـه الرأي ولكن الانكليز لم يمكنوهم من انتظار الفرصة المناسبة.

وأبلغني التاريخ المتفق عليه لموعد مع هتلر وسألني عن موضوع الحديث الذي أريـد الخوض فيـه معه فشـرحت له اهـداف كفاحنـا التي سببت وجودي في المـانيـا وقلت: (نحن نريد أن نقيم التعـاون المتبادل بتـوقيع معـاهدة مـع المانيـا وحلفائهـا تعترف فيها بحقوق العرب في الاستقلال وتساعد في الغاء وعد بلفور...).

لقد أرسلت الى هنا سكرتيري الخـاص السيد حـداد لأن التصريـح الالماني لم يكن بنظرنا كافياً ونريد تصريحاً مفصلاً ودقيقاً. إن تجربة شعبنا وخيبته مـع الانكليز تدفعنا لهذا الالحاح. ولكنا بعد أن تلقينا رسائل أوضح مع مساعدكم الأول هرفون فايتساكر يوجد لدينا الأن القواعد الأساسية لهذه المعاهدة...

أجابني نحن عازمون على الاعتراف باستقلال البلدان العربية ومساعدتها في تحقيق أمانيها ولكن الفوهرر يفضل حفاظاً على مصلحة الطرفين ألا يعطي تصريحات تزعج المجهود الحربي الآن وتثير ضجة لدى بعض الأمم التي تفضل الآن عدم إحراجها). ولما سألته من يعني. . أجاب، (تركيا مثلا لها بعض المطالب في الأرض السورية). . . قلت له. . إن مصلحة تركيا أن يكون على حدودها دولة صديقة بدل دولة كبيرة كفرنسا. . بوسعنا أن نرسل رسولاً إلى فرنسا يطمئن الاتراك الى نوايانا الطيبة وأن يقوم بمفاوضتهم بهذا الأمر. .

قال بوسعكم أن تنقلوا رأيكم للفوهرر، واؤكد لكم على كل حال أننا متفقون على قواعد التعاون التي تؤول إلى تحقيق ما تطمحون إليه.

اتصلت بعد ذلك من أجل هذا الهدف بالهرفون فايتساكر وكان على جدار مكتبه خارطة مفصلة. قلت له:

(انظر ـ وأنا أريه الوطن العربي ـ هذه البلاد الممتدة من الاطلسي حتى حدود إيران والموارد الطبيعية فيها وعدد سكانها. . . وموقعها الستراتيجي والعواطف الصادقة لدى شعبها بالنسبة للالمان).

قال: (أنا موافق ولكننا عندما نقارن قوى الشعوب في زمن الحرب لا نتوقف عند مساحة الأرض وإنما عند عدد الفرق التي تحشدها هذه الشعوب. إن تركيا تملك الآن ثلاثين فرقة وخمسين عند النفير وما تملكه الدول العربية جميعاً هو سبعة. إن طاقة العرب هي للأسف تحت تصرف العدو. . . وليس معنا من العرب إلا أنتم المقيمين هنا بيننا. . . أما بقية طاقة شعبكم فيستغلها الخصم).

فكرت عندئذ بجواب الخليفة علي في حربه مع معاوية التي انتهت إلى أن يحكم الاخير للذين قالوا له: قلوبنا معك. . . فقال قلوبكم معي وسيوفكم مع معاوية. . .

* * *

مع هتلر:

يقول المفتي:

في الرابعة والنصف بعد ظهر ٢١ تشرين الثاني ١٩٤١ قابلت ادولف هتلر

فوهرر المانيا وزعيم الرايخ الثالث. لم أكن انتظر أن استقبل بمراسم استقبال رسمي. عندما ترجلت من السيارة في ساحة المستشارية في مدخل بوابتها الكبيرة استقبلتني الموسيقى العسكرية وطلب إلي مرافقي موظف المراسم في وزارة الخارجية الالمانية أن استعرض سرية حرس الشرف ثم صحبني عبر قاعات المستشارية الكبرى وممراتها حتى قاعة الانتظار فطلب إلي رئيس المراسم أن انتظر حتى يعلن عن قدومي وبعد أقل من دقيقة استقبلني هتلر في مكتبه وأبدى لما دخلت الترحاب. كان يحيط به عدد كبير من معيته وبينهم ترجمانه الخاص الهرشميدت الذي نقل لي حديثه إلى الفرنسية.

قال لي بعد أن طلب إلي الجلوس أمامه: «أهنئك واهنيء نفسي أن قد نجوت من عدونا المشترك. لقد تابعت قلقاً مراحل تنقلك من طهران إلى برلين إني أعتبر خلاصك نصراً. إن تاريخ حياتك معروف عندي بتفاصيله. إن كفاحك يحظى باحترامي. إني أقدر المعركة العظيمة التي خاضها الشعب الفلسطيني بشجاعة وحيداً لا يعتمد على أحد ضد الامبراطورية الانكليزية واليهودية العالمية. إن جرأة هذا الشعب وتصميمه العنيد وتمسكه بحقوقه وتفانيه تستحق إعجاب العالم».

كانت قوة صوته ولهجته الصارمة العميقة تخيل لي أنها تتردد في القاعة. كان تعبير وجهه يرتسم على وجوه الذين حوله حتى لكأن كلا منهم يردد في داخله أقواله التي تقطعها الترجمة ولاحظت أن شفاه بعضهم تتحرك كأنها تتمتم معه ما يقول. وكانت عيونهم تتسع حدقاتها أو تصغر وفقاً لحركة عيني الفوهرر وكانوا يقطبون حواجبهم أو يحركون رؤوسهم معه تبدو عليهم المشاركة في التعبير كأنهم مأخوذون بمغناطيسيته. كان جو الحديث حاراً على هدوء وكانت لهجة الفوهرر المليئة تضاعف معنى الكلمات فتحفرها في ذاكرة محدثه حتى لكأن لها معان أبعد من معانيها الحرفية ينعكس فيها مزاجه العنيف.

قال: «إن لاقامتك بيننا معنى كبير ويجب أن تؤتي بثمارها وأعلم أن هدفك الأول أن تعبر عن الآمال العربية وإرادة هذا الشعب بالكفاح ضد عدو الانسانية المشترك...».

وترك لي بعد ذلك مجال التحدث وبعد أن شكرته لكرم الضيافة الذي لقيته في

المانيا ذكرت العلاقات الطيبة التي تجمع بين المانيا والاسلام والتي تحققت في عهد السلطان عبد الحميد، قلت له: «إن المانيا لم تعتد عبر تاريخها الطويل على أي بلد عربي أو إسلامي. لقد عانى شعبنا أعباء سياسات محدودة غير شاعرة بحقوق الشعوب في الحياة والحرية. لقد فرضت هذه السياسات الظالمة على شعبينا الاستعباد فقد رزح شعبكم تحت معاهدة فرساي ونتائجها المخربة وعلى شعبنا وعد بلفور والاستعمار والحماية والانتداب والانفصال... لقد جمعتنا الآلام المشتركة في قدر واحد. إن كفاحنا واحد يجمعنا. إن رسالتنا تستحق تضحيات كبرى. إن الشعب العربي الذي نكلت بريطانيا بعهودها التي قطعتها له في الاتفاقات المعقودة مع الشريف حسين، لن يتوقف عن الكفاح. أما نحن الفلسطينيون فسنظل أول من يقاتل حتى آخر ابنائنا. سنتمسك بأرض الوطن تمسك حياة أو موت. ولن نسمح للانكليز بأن يجعلوا من أرضنا رقبة جسر للاستعمار البريطاني. إن شعبنا الذي قاسى من تجربة الحرب الكبرى ليرغب في عقد معاهدة مع بلدان المحور وخاصة مع ألمانيا تحفظ حقوقه وتعلن على الرأي العام حتى إذا انتهت شكوكه انضم إلى المعركة التي هي معركتنا ضد عدونا المشترك.

لاحظت وأنا أعرض رأيي على الفوهرر أن جفناه أقل حركة مما عند الآخرين وكان سكونهما يعطي وزنا وقوة لنظرته الصارمة. وكان لوجهه الهادىء تعبيراً متعالياً يبدي طبيعته المتحدية المسيطرة، رأيت أن انتباهه شديد لا يترك كلمة من كلماتي تفوته واحسست كأنه يستعيد آرائي وبعد الجواب عليها في دخيلته. يحس محدثه أنه قريب بعيد مما يحبب في شخصيته على صرامتها.

استأنف قائلاً: لقد شرحت استراتيجيتي في «كفاحي» أولا: سأكافح اليهود دون وني...».

كان لكلمة يهودي وقع خاص عندما يلفظها.

«... إن الغاء الوطن القومي اليهودي هو جزء من معركتي. إن اليهود...
كان يشدد على آخر حرف من يهودي Juden فيلفظها Judem.

... يريدون أن يقيموا دولة مركزية تكون قاعدة لنشاطهم واهدافهم المخربة. إنهم يريدون أن يهدموا كل الدول... كل شعوب العالم. إنه من الثابت

أن اليهـود لم يقومـوا بأي عمـل بناء في فلسـطين. دعايتهم كـاذبة. كـل مـا بني في فلسطين بناه العرب لا اليهود منذ ما قبل التاريخ. إن طبيعتهم لا تسمح لهم بالبناء ولقد قررت أن أجد بأي ثمن حلاً دقيقاً نهائياً للمشكلة اليهودية وبعد ذلك سأدعوا أولاً كـل دول أوروبا ثم البلدان التي من غـير أوروبا أن تتعـاون معي لنضـع حـداً نهائياً لليهودية العالمية التي تشكل خطراً يهدد العالم أجمع».

كـان هتلر هادئـاً في حديثـه احسست أنه يفتـح قلبـه فلم يخف علـي قنـاعتـه بضرورة وضع حـد لجرائم اليهـود واستمر قـائلاً: «أليس عجيبـاً ومخيفاً أن يتعـاون عـدوان مختلفان مبـدأ وهدفـاً الولايـات المتحدة والاتحـاد السوفيـاتي، أقصى اليمـين واقصى اليسار؟ تناقض عجيب! لقد استطاعت اليهودية العالمية احتيالاً . . .» ارتفع صوته وتقلصت عضلات وجهه ـ وأخذ يشدد على مخارج الحروف كما يفعل الخطباء العـرب حين يشددون على حـروف القلقلة. كان يقتـرب مني وهو يتحـدث وتزيـد إشارات يديه في معنى كلماته فتتقلصان فتقويان تعبير وجهه وعيناه تقدحـان شرراً.
«. . . أن تجمع المتناقضين الرأسمـالية والماركسية وتقـرنهما بحبل واحـد كي يخدمـا مصالحها ولكن هذا الأمر لن يدوم. . .» وقطعت يده شيئاً مـا يراه هـو وحده. «إن ذلك ضد الطبيعة!».

تابع حديثه صـافي الهدوء وفي عينيـه نظرة ملهم: «إننـا نتابـع كفاح مـوت أو حياة، معركة تحسم نهائياً بـين الوطنيـة الاشتراكيـة واليهوديـة ونجاحهـا يأتي بعـون إيجـابي هام للعـرب الذين يكـافحـون معنـا. إن وعـداً عـاطفيـاً لا معنى لـه. إن الضمـانات التي تـدعمهـا القـوة المنفـذة هي وحـدهـا ذات معنى واقعي. والحـرب العراقية خـير مثل لـذلك فـرغم كسب العراقيـين لدعم الشعب الالمـاني العاطفي لم تمكنا الظروف من أن نأتيهم بالمساعدة العسكرية الضرورية لهم. لقـد رأى الشعب الالماني في الثوار العراقيين رفـاق سلاح وآلام. فلقـد عانـوا نفس ما عـانينا ولم تكن المساعدات التي أرسلناها كافية للنصر على القوة البريطانية.

أمـا عن الكفاح الـذي يقرر مصـير العرب فـلا أسمـح لنفسي بـالحـديث إلا كمبدأ أي مؤمن برسالته وكقائد عسكري وجندي شاعر بواجباتـه. كل من يسـاهـم في انتصار هذا الكفاح النبيل يخـدم قضية العـرب وعلينا أن نميـز بين مـا ينفعنا ومـا

يضر بنا في سيرنا المنتصر ضد اليهودية العالمية وبريطانيا العظمى واعدائنا الآخرين وعندما نحقق النصر تدق ساعة تحقيق الآمال العربية.

إن الوضع في هذه الفترة هو كما يلي: نحن نقاتل الآن كي نشق طريقاً لنا في القوقاز الشمالي ونلاقي صعوبات شديدة في النقل سببها خطوط المواصلات: تخريب الطرق والخطوط الحديدية والشتاء والبرد والثلج... إننا إذا استعجلنا بإعلان تصريح يتضمن استقلال سورية يضعف موقف حكومة فيشي وتتخلى عنا بينما يشتد موقف ديغول وسلطته. ويظن الفرنسيون أن دعمهم لانكلترا يخدم مصالحهم ويستخدم اعداؤنا سورية مثلاً لاثارة مخاوف الفرنسيين على إمبراطوريتهم. مثل هذا التصريح يخلق لنا مصاعب كبرى تمنعنا عن حشد جيوشنا في الشرق».

وبعد وقفة قصيرة استمر وقد بدا عليه التفكير: «أريد أن أقول لك شيئاً يجب أن يظل مكتوما بيننا: أولا سأتابع الكفاح حتى القضاء على اليهودية العالمية... ثانياً عندما تصل جحافلنا المصفحة وقوات الطيران الالماني الى منحدرات جنوبي القوقاز يصبح الوقت مناسباً للتصريح الذي تطلبون ويحين تحرير العرب. إن المانيا ليست لها أية مطامح في أية دولة عربية.

«ثالثاً: أنا سعيد أنكم نجحتم بالوصول سالمين. إني أؤكد لكم أن الساعة التي تقودون فيها العرب إلى الحرية باتت قريبة وعندما تأتي لن أحفل بالنتائج التي تترتب على هذا التصريح عند الأمم الأخرى.

«رابعاً: أعتقد أن انتصارنا في الشرق سيسبب سقوط الامبراطورية الانكليزية إن الطريق من روستوف لايران ثم العراق هو أقصر من الطريق من برلين إلى روستوف. أنا أعرف أن العرب قلقون من أجل التصريح الذي عنيتم ولكن اسمح لنفسي بأن أذكركم أني في السنوات الخمس الأولى من وصولي للحكم لم أعط أي تصريح رسمي فقد انتظرت الساعة التي استطيع فيها دعم تصريحاتي بقوة السلاح..

«ولا ننس أني عندما أساعد العرب فإنما من أجل خدمة المانيا أولا وأنا أعرف أني عندما أساعدكم فاني أقوم بواجبي لمصلحة المانيا. وفوق ذلك فإن المانيا ليست

لها مطامح استعمارية خارج اوروبا فلقد ذهب زمن الامبراطوريات الاستعمارية ولن أعيد أخطاء الامبراطوريات الكبرى التي كانت تحلم باجْتياح العالم. إن قواتنا العاملة الآن في شمال افريقيا لا تستهدف احتلال الأرض وإنما كي تتابع الحرب ضد العدو. لن أطالب بمستعمرات المانيا القديمة التي أخذت منها بعد الحرب العالمية الأولى، إن الرايخ الثالث لا مطامح له إلا في القارة الاوروبية ذات الحضارة القديمة حيث يستطيع الشعب الالماني أن يحيا ويتفتح وعندما يغلب الانكليز ستعود قواتنا الموزعة في العالم كي تلعب دورها التاريخي الحضاري.

ليست لنا مطالب في البلدان العربية فنحن اصدقاؤكم وبوسعكم أن تعتمدوا علينا ولكن اعتمدوا على انفسكم أولاً فنحن نفكر أولاً بمصالح المانيا وعليكم أن تفكروا انتم بمصالحكم أولا . . . ».

لم يكن هتلر اذن راغباً في إعطاء تصريح رسمي كنت اعتبره هاماً وأساسياً في متابعة الكفاح. كانت الحرب قائمة وفي الحروب تقرر القوة وحدها مصير الأمم، وكان على العرب أن يؤلفوا جيشاً ويحملوا السلاح للدفاع عن قضيتهم إن من يتخذ موقف المشاهد بين المتحاربين ينتهي الى أن يخضع لرغبات المنتصر أيا كان. لقد حددت الظروف اختيار شعبنا. التحالف مع الحلفاء؟ لم يكن السؤال مطروحاً فلقد كانوا مبدئياً ضدنا. مع المحور؟ إن اللجوء إلى هذا الحل يفترض تحديد شروط التعاون. كان يبدو لي انتظار احتلال الالمان للقوقاز غير معقول، فالزمن كان يمر سريعاً وكان علينا أن نؤلف نحن جيشنا ـ ولا بد لذلك من بعض الزمن ـ وألاّ نعتمد على الالمان للدفاع عن قضيتنا. إن ابناءنا وحدهم يجب أن يحملوا عبء هذه المهمة الكبرى.

أمام الوضع العام الذي شرحه الفوهرر اقترحت عليه معاهدة سرية فقال: «إن الاتفاقات السرية لا تظل بالضرورة سرية فلا بد من أن يطلع عليها بعض الاشخاص فتنكشف بعد قليل. لقد اعطيت في حياتي تصريحات قليلة على عكس الانكليز الذين أعطوا تصريحات كثيرة دون أن ينفذوها. أما أنا فأتقيد بوعودي قلت مرة لماريشال فنلندا إن بلاده تستطيع الاعتماد علي إذا هاجمها العدو مرة أخرى، وكانت هذه الكلمات القليلة أكثر أهمية من تصريح مكتوب ولألخص لكم قراري . . . » كانت لهجته هادئة صارمة « . . . أعلن لكم أننا عندما نصل جنوب

القوقاز تحين ساعة تحرير العرب وبوسعكم أن تعتمدوا على هذه الكلمة».

دام الحديث ساعة وخمس وثلاثين دقيقة. عندما تركت الفوهرر كنت أشعر ببعض القلق رغم تأكدي من الاستراتيجية التي يتبع. وكنت قانعاً قناعة مطلقة بعزمه على الكفاح ضد الصهيونية واعوانها الاستعماريين فلقد كان رجلاً لا يتزعزع ايمانه بأفكاره شديد الحماس بتحقيق اهدافه ولم يكن على تلاعب الساسة الانكليز الذين يظهرون حب الشعب العربي أو أي شعب آخر ثم يخدعونه، وكان صريحاً في خطاباته وأحاديثه الخاصة، وكانت مصلحة الرايخ هي همه الاساسي. كان ما ينفع الشعب الالماني يحظى بحبه أو حقده أو اهتمامه. فقد كانت المانيا عنده كل شيء. كانت عاطفته القوية وطبيعته المسيطرة سبباً في عنفه الذي يشارف الهوى ورأيت أنه من العبث اقناعه في تلك الفرصة ولكني لست الذي ييأس من الوصول الى هدفه فقررت أن أصل له خطوة خطوة بأن اتصل فأقنع الموظفين المختصين بالشؤون الشرقية.

- هل سنحت لكم الفرصة بمقابلة الفوهرر غير هذه المرة؟

- قابلته مرات ثلاث. ثالثها كانت في حفلة استقبال رسمية وكان ذلك عقب دخول الولايات المتحدة الحرب، ولاحظت أنه كان راغباً في التحدث إلي. عندما حييته اعتذر لي قائلا: انه يود رؤيتي ولكن أعماله كثيرة ولقد تحدثنا طويلاً ذلك المساء، ولقد تحدث عن اليهود الالمان.

قال لي: «لم أكن أجد أي فرق بين مسيحي ويهودي المانيا كان أم نمساويا ولذلك عجبت لتبدل وضع اليهود المفاجيء في المانيا بعد وعد بلفور فلقد شدوا ضد كل المؤسسات الالمانية وأخذوا يخربون في دوائر الدولة والجيش ويقومون بدعاية هائلة لنقط ويلسون الاربعة عشر التي لا تفرق - كما زعموا - بين غالب ومغلوب.

ولقد أدت هذه المؤامرة إلى الانهزامية في ألمانيا وعاثت المنظمات اليهودية بنفس الوقت فساداً في التموين التابع للجيش فخسرنا الحرب.

- أجبته بأنهم لعبوا في بلادي نفس الدور. وفكرت بالفتاة اليهودية سارة أهرنسون التي روى لي حكايتها الجنرال التركي جواد رفعت أتيل خان رئيس الاستخبارات التابعة للجيش الرابع العثماني. ثم أكد لي القصة فيما بعد الدكتور

حسن إبراهيم باشا الحلبي رئيس أطباء ذلك الجيش. فلقد كان يتناول فطوره في حيفا ـ كان البيت الذي يسكنه ملكا لعائلة يهودية ـ فرأى حمامة تحط وتنضم إلى باقي الحمام ورأى في رجلها حلقة فأمسكها وإذا به يجد رسالة سرية مرسلة من سارة اهرنسون الى الجيش البريطاني. . . ».

استأنف هتلر حديثه قائلاً: «إن اليهود هم الذين دفعوا بالولايات المتحدة لدخول الحرب ضد المانيا سنة ١٩١٧، ورأيت بعد أن أسست الحزب الاشتراكي الوطني أن زعماء اليهود يتابعون محاولاتهم لتدمير المانيا بزرع الفوضى والافكار الماركسية وأذكر لكم مثلا: كارل ليبكنشت زعيم الثورة الشيوعية في برلين سنة ١٩١٨ ـ ١٩١٩ وروزا لكسمبورغ وبعد ذلك «اوجين ليفني» الذي أعلن نفسه الديكتاتور الشيوعي لبافاريا سنة ١٩١٩، كان اليهود يريدون أن يقطعوا كل أمل بنهضة المانيا. ولهذا السبب اقتنعت أن مهمتي الأولى ومهمة كل الوطنيين الاشتراكيين بل كل الالمان أن يستمروا في كفاحهم دون شفقة ضد اليهود.

ـ أجبته: نحن العرب نعتقد أنها الصهيونية التي قامت بالتخريب لا اليهود.

قال هتلر: انتم شعب عاطفي. ادعوكم لزيارة معهد الدراسات الذي أسسته كي اقنعكم بفكرتي وستجدون ان قناعتنا ثابتة علمياً».

* * *

اتصالات مع شخصيات ألمانية ويابانية:

ويستطرد المفتي في الحديث عن تلك الفترة فيقول:

«علمت في تلك الفترة أن المفوض السامي الالماني في فرنسا الهرشولتتز المسؤول الأول عن العلاقات الفرنسية الألمانية هو الذي كان يعارض في إعطاء التصريح الذي أطلب فانتهزت فرصة وصوله الى برلين ودعوته للعشاء مع الشخصيات الالمانية المختصة بالشؤون الشرقية والعربية في وزارة الخارجية الالمانية. وقد ساعدوني أنفسهم في إقامة هذه الحفلة. وكان الحديث طويلاً جربت فيه أن اقنعه أن مصلحة المانيا ليست في ربح الشعوب العدوة وإنما الصديقة وأخصها العرب. واعتقدت بعد أن غادر المنزل أن المناقشة كانت مفيدة وأنها بدلت موقفه.

ولم أكتف بالاحاديث مع الهر فايتسكر والهر فورمان المدير السياسي العام في وزارة الخارجية وشخصيات اخرى المانية وايطالية ولقد اتصلت أيضاً بسفير اليابان في الرايخ الالماني الجنرال أوشيما الذي تعرفت إليه في حفلة الاستقبال التي أقيمت في الرايخستاغ بمناسبة دخول اليابان الحرب إلى جانب المانيا بعد الهجوم الخاطف الذي قامت به اليابان في ٧ كانون الأول سنة ١٩٤١ على بيرل هاربور. كان السفير الجنرال اوشيما هو ضيف الشرف في تلك الحفلة التي حضرها هتلر ومعه كل وزرائه وكبار قادته. بعد هذه الدعوة عقدت الصداقة مع الجنرال اوشيما وتزاورنا كثيراً ولقد ساعدنا عند المحور وهو المختص بالشؤون الشرقية.

وصل رشيد عالي الكيلاني الى المانيا اثناء إقامتي فيها فتقدمنا بعدة مشاريع لتصريح رسمي أو معاهدة بين العرب والمحور كان آخرها في ٢٨ أيلول سنة ١٩٤١ عدلناه بعد مناقشات طويلة مع المختصين ثم رفعناه الى وزارة الخارجية الالمانية.

نص المشروع:

تعلن دولتا المانيا وايطاليا، بصفة رسمية، عن سياستهما تجاه الأقطار العربية على النحو التالي:

١ ـ تعترف المانيا وايطاليا باستقلال الدول العربية التي ظفرت باستقلالها فعلا وهي: مصر، العراق، العربية السعودية، اليمن.

٢ ـ تعترف المانيا وايطاليا باستقلال الاقطار العربية الموضوعة في الوقت الحاضر تحت الانتداب البريطاني كفلسطين والأردن، أو هي رازحة تحت الحكم البريطاني كالسودان والكويت والبحرين وقطر ودبي والشارقة وأبو ظبي وغيرها من إمارات الخليج وعمان ومسقط وحضرموت والمحميات في جنوب اليمن.

٣ ـ تعلن المانيا وايطاليا انهما لا تعارضان أي عمل تقوم به سورية ولبنان في سبيل الحصول على الاستقلال الكامل.

٤ ـ تعلن المانيا وايطاليا بطلان جميع التحفظات البريطانية فيما يتعلق باستقلال مصر والسودان.

٥ ـ لا تثير المانيا وايطاليا أية اعتراضات في سبيل استقلال الدول العربية

استقلالاً تاماً، كاللاعتراضات التي يهيئها نظام الوصاية الـذي ابدعتـه عصبة الامم والدول الاستعمارية كوسيلة لاخفاء مطامعها الاستعمارية.

٦ ـ تعترف المانيا وايطاليا بحق الدول العربية في تحقيق وحدتها القومية وفقاً لمصـالحها ورغبـاتها. وتتعهـد دول المحور الا تثير أية اعتـراضات في سبيـل الدول العربية في جهودها لتنفيذ أية خطة تستهدف تحقيق الوحدة العربية.

٧ ـ تعترف المانيا وايطاليا بعدم شرعية الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وبان لفلسطين وغيرها من الاقطار العربية الحق في حل المشكلة اليهودية في فلسطين وفي البلاد العربية الأخرى بما يتفق ومصلحة العرب.

٨ ـ ليس لالمانيا وايطاليا في الاقطار العربية أي مأرب أكثر من أن تريا الأمة العربية جمعاء تتمتع بالحرية والاستقرار والـرفاهيـة، وتؤدي دورها التـاريخي في هذا العـالم، وأن يكـون تعـاونها الاقتصـادي مـع دولتي المحـور عـلى أسـاس مصــالـح الفريقين، وعلى قدم المساواة، وهما تطالبان الدول الغربيـة باحتـرام الحالـة الراهنـة (ستاتوكو) في فلسطين وغيرها فيما يتعلق بالشؤون الروحية وضمان الحرية في ممارسة الشعائر الدينية.

وبعد ستة شهور من محادثات ومناقشات طويلة، وبعد موافقة هتلر، وفي ٢٨ نيسـان (ابريـل) ١٩٤٢، تمكنا من الحصـول على عهـد رسمي من كـل من ألمـانيـا وايطاليا موقع عليه من فون ريبنتروب وزير الخارجية الالمانية، والكونت شيانـو وزير الخارجية الايطالية، بالاعتراف بالحريـة والاستقلال لـلاقطار العـربية الـواقعة تحت الحكم البريطاني وبالعمل للقضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وفيما يلي الترجمة الحرفية للكتاب الموجه إليّ من فون ريبنتروب باللغة الألمانية، وتلقيت كتاباً مماثلاً لهذا النص من الكونت شيانو وزير الخارجية الايطاليـة. (وتلقى السيد رشيد عالي كتابين مماثلين من ريبنتروب وشيانو).

«برلين ٢٧ ابريل ١٩٤٢

إلى صاحب السماحة مفتي فلسطين الأكبر محمد أمين الحسيني

صاحب السماحة:

«جواباً على كتابكم الذي ارسلتموه الي هذا اليوم، بالاشتراك مع سيادة رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني، وتأكيداً لمحادثاتي معكم، فاني أتشرف بابلاغكم ما يأتي:

«إن الحكومة الالمانية، تقدر كل التقدير، ثقة الأمة العربية في دول المحور وأهدافها، واستعدادها للمشاركة في الكفاح ضد العدو المشترك، حتى يتحقق النصر النهائي. كما أنها تدرك تماماً ما اوضحتموه من الأهداف القومية للاقطار العربية في الشرق الأدنى، التي تقاسي الالام تحت نير الاضطهاد البريطاني في الوقت الحاضر.

«ولذلك فإني اتشرف بأن اؤكد لكم، باتفاق تام مع الحكومة الايطالية أن استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الآن تحت الحكم البريطاني، هما هدف من أهداف الحكومة الالمانية.

«وبناء على ذلك فإن المانيا مستعدة لتقديم كل ما تستطيعه من مساعدة للاقطار العربية في الشرق الأدنى الرازحة الآن تحت نير الاضطهاد البريطاني، وأن تعترف بسيادتها واستقلالها، وتوافق على وحدتها، إذا كانت مرغوباً فيها ممن يعنيهم الأمر، وعلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

«وعلى كل حال، فمن المتفق عليه أن يظل نص هذا الكتاب ومحتوياته سراً مكتوماً، إلى أن يتقرر خلاف ذلك، بتفاهم مع الجانبين.

وتفضلوا سماحتكم بقبول ابلغ احترامي الأكيد.

«ريبنتروب»

* * *

موقف المانيا الهتلرية من مسائل المغرب العربي:

يستأنف المفتي حديثه:

كان واضحاً أن النص يعني دول الشرق الأدنى العربي وأن المحور يتجنب مسألة الشمال الافريقي العربي وكانت أسباب هذا الموقف عديدة أولها أن المانيا

وايطاليا لا تريدان إثارة فرنسا واسبانيا والسبب الثاني أنهم ما كانوا يريدون ذكر ليبيا التي تحتلها ايطاليا وتونس التي كانت تطمع بها وكان علي أن أضاعف الجهد للوصول لاتفاق على هذا الموضوع.

هذا وقد زارني في كانون الأول سنة ١٩٤١ وبعد وصولي بأسابيع قليلة الى برلين الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي ولفت نظري إلى ضرورة العمل لتحرير الأمير محمد عبد الكريم الخطابي بطل المغرب السجين لدى الفرنسيين بعد الثورة التي قادها بشجاعة ضد الاسبان والفرنسيين بين ١٩٢٣ و١٩٢٨. لم يكن هذا الرجل بعيني بطل الريف والمغرب فقط وإنما كل البلدان العربية والاسلامية.

فكتبت حالا مذكرة رفعتها الى وزارة الخارجية الالمانية بينت فيها التقدير الذي يكنه العرب للأمير عبد الكريم الخطابي ورجوت فيها الحكومة الالمانية للتدخل من أجل تحريره مما يسعد العرب ويسهل مهمتنا في البلدان العربية القائمة على التعاون مع الالمان. لأن تعاون هذه الشخصية يدعم موقفنا.

غير أني لقيت معارضة شديدة في وزارة الخارجية الالمانية التي طلبت مني أن أؤجل هذه المحاولة كي لا أزعج الفرنسيين والاسبان. وكانوا يأملون في تلك الفترة الوصول الى تعاون قوي مع الاسبان كما أن العلاقات بين حكومة فيشي والمانيا كانت تسير في طريق التحسن كما طلبوا مني أيضاً تأجيل المطالبة بتحرير الزعماء الوطنيين التونسيين: الحبيب بورقيبة، صالح بن يوسف، يوسف الرويسي والدكتور حبيب تامر، ورشيد ادريس حسين التريكي ورفاقهم الذين كانوا في السجون الفرنسية. ولقد صمتنا عن الموضوع حوالي سنة ثم قدمت بعد ذلك مذكرات تم على أثرها إخراجهم من السجون.

وبهذه المناسبة اروي لكم حادثة معبرة تعطيكم فكرة عن موقف الزعماء العرب الذين كانوا يعيشون في بلاد المحور. بعد أن خرج من السجن السيد بورقيبة ابدى الالمان الرغبة بأن يعطي تصريحاً لمصلحتهم ولما كان موقف المحور غير واضح أجاب: «أن فرنسا لم تسجن شخص بو رقيبة ولكن الذي تتجسد فيه آمال شعب تونس الوطنية. فأنا لا أربط بلادي بمستقبل المحور فهي تقاوم الاحتلال الاجنبي أيا كان مصدره وليس بيدي أن أعطي باسمها تصريحاً سياسياً في زمن الحرب».

وأمام الحاح اصدقائه من أجل أن يعطي على الأقل تصريح شكر فقط ترك باريس على قدميه وهو لا يملك قرشا ومشى حتى مرسيليا وهناك اندس في باخرة نقل متهجة الى الشرق فعمل على ظهرها كعامل عادي ولما وصل الى بور سعيد ترك الباخرة ودخل مصر.

لقد جربت بكل الوسائل أن أقنع الالمان بفائدة التعاون مع بلدان المغرب واطلعتهم على الرسائل التي تصلني من زعمائه وبعد الاتصالات الأولى قمنا بمحادثات حول هذا الموضوع. لقد سنحت الفرصة بإثارة مسألة المغرب جدياً في بداية ١٩٤٢ وكانت لدى الالمان معلومات غامضة عن الاستعدادات الامريكية للهجوم على تلك المنطقة ووصلتني رسائل من بعض الزعماء المغاربة عن تلك الخطة واكد لي أحدهم أهمية الاستعدادات السرية وحدد لي يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٤٢ لنزول القوات، فكتبت لوزارة الخارجية الالمانية احذرها من مفاجأة ممكنة فلم تعر ذلك كثير انتباه ظانة أنها إشاعات، وسافرت في تلك الفترة لروما وحدث نزول القوات في التاريخ الذي حددته الرسالة.

استقل أحد موظفي الخارجية الالمانية الكبار الطائرة وجاء خاصة الى روما لمقابلتي وسؤالي كيف استطعت الوصول الى معرفة التاريخ الصحيح للغزو الاميركي فأجبته: «من الرسالة التي وصلتني واشرت لها في المذكرة».

بعد ذلك أبدى الالمان اهتماماً كبيراً برسائلي الخاصة بأفريقيا الشمالية. فانتهزت تلك الفرصة كي أطلب من المحور الاعتماد على التعاون مع بلدان المغرب (مراكش والجزائر وتونس) لرد الهجوم الامريكي الذي كان واضحاً فيه الاثر الصهيوني واليهودي العالمي. فلم يخف وايزمن آنئذ غبطته من احتلال تلك المنطقة، فقد أعلن أن الجزائر وفيها ١٤٠ ألفاً من اليهود تكون جسراً يربط نيويورك بالقدس كما أن محافظ نيويورك لاغوارديا وهو يهودي كان في تلك الحملة مديراً للتموين.

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ قدمت مذكرة اعرض فيها مطالب المغرب.

ـ يبدو صاحب السماحة، أن الالمان تأخروا كثيراً في فهم أهمية الدور الذي تلعبه تلك البلاد!

ـ الزمن الكافي لهزيمتهم.

ـ ماذا كانت الخطة التي كان يجب أن يتبعوها حسب رأيكم؟

ـ كان تقديرهم للقوى بعيداً عن الواقع فلقد كانت نظريتهم مستمدة من قواعد بليت فلم تكن نظرتهم عن العالم الثالث تسمح لهم برؤية ما يخبئه المستقبل لهذا العالم. لم يجن الالمان الثمرة المرجوة من نصرهم في معركة فرنسا ولم يتبعوا سياسة واقعية لأنهم لم يدركوا اهمية هذا النصر والنتائج المترتبة عليه فلقد قدروا قواهم فوق قدرها وظنوا أنهم يستطيعون التحالف مع فرنسا مع أن الدراسة مهما كانت سطحية للعلاقات الالمانية الفرنسية تدحض هذا الظن، وأرى أنه ما كان ينبغي عليهم التوقف عند محادثات مع الفرنسيين بل كان عليهم أن يذهبوا للمستعمرات ويتحالفوا اولا ودون انتظار مع أفريقيا الشمالية مما كان ممكناً آنذاك. كان بوسعهم أن يعدوا جيشاً من مليونين الى ثلاثة ملايين رجل فيكون نصرهم في العلمين سهلا. تلك القوة كان يمكن أن تتضاعف في زمن قليل وما كان شعب مصر ليتردد عن المساهمة في الكفاح ولقد أرسل لي الملك فاروق نفسه رسالة يعلن فيها رغبته في الالتحاق بالمحور.

* * *

الملك فاروق يفكر في الفرار الى المانيا:

ـ الملك فاروق صاحب السماحة؟

ـ بنفسه... لقد عرض أن يترك القاهرة بالطريق الصحراوي حتى يصل ليبيا واتفقنا مع السلطات الالمانية في برلين على أن ينتظر اشارات ثلاثة من الاذاعة الالمانية، ولقد أعطيت له الاشارة الثانية حينما وصل رومل الى العلمين، ولكن تراجع جيشه ألغى مخطط فرار فاروق. كنت أعتقد أن جيشاً عربياً من عدة ملايين كان بوسعه أن يحرر إيران فتنضم إلينا وحينئذ يصبح احتلال القوقاز مظاهرة عسكرية فقط.

يبدو لي أن الالمان لم يكونوا يعطون لمثل هذه الخطة الاهمية التي تستحق وكان يظهر لي أن الغاية من جيش رومل كانت مشاغلة الجيوش الحليفة لمنعها من متابعة المعركة في اوروبا والحيلولة دون مساعدة الاتحاد السوفياتي. كانوا يرون الخطة العامة بشكل معاكس تماماً لرأيي: لقد بدأوا حيث كان يجب أن ينتهوا. لقد نجحت

باقناعهم ولكن بعد مرور الزمن. فلقد كان جيش رومل يقاتل حينئذ متراجعاً. في ١٦ كانون الثاني ١٩٤٣ قدمت مذكرة ثانية لا تختلف إلا قليلاً عن الأولى ولكن جيوش المحور كانت قد بدأ يظهر عليها الضعف ولقد قبلت الفكرة في الوقت الذي لم تعد ذات قيمة.

الفاشستية والفاتيكان:

- ما الذي استرعى انتباه سمحاتكم في زياراتكم العديدة لايطاليا؟

- جهدت أن أدرس وأتعلم في أسفاري جميعاً، لقد كانت الفاشستية والفاتيكان موضوع تأملي الطويل. . .

- ذلك مفهوم صاحب السماحة. لقد كانت الفاشية موضوعاً هاماً بالنسبة لكم كزعيم سياسي وما كان يمكن أن تغفلوا أمر الفاتيكان بصفتكم تحملون أرفع المناصب الدينية. . . .

- من الممكن أن نعيد أقوال أعداء الفاشية بعد سقوطها وأن نصفها بأسوأ الصفات. . . لقد حللتها موضوعياً ودون انحياز محاولاً أن استخرج منها درساً مفيداً. لقد كان للفاشية جانب سلبي ولكن الجانب الايجابي لم يكن لينقصها. لقد استطاع موسوليني النهوض باقتصاد البلاد وانعاشه ولكني لاحظت كثيراً من الغرور وخيالاً كثيراً. لقد أراد أن يتحمل مسؤولية إعادة بناء الماضي الروماني فهل كان ذلك ممكناً تحقيقه؟ كنت أسائل نفسي عن ذلك. . . أن نعيد ماضياً ما بتنا نملك تبديل قدره، أن نملأ فراغ القرون الماضية مع كل التبديلات والتحولات التي تمخضت عنها يبدو لي خطأ أساسياً. إن الشعب الايطالي الآن ليس هو بالشعب الروماني. لقد ولد من المزيج البشري الذي حصل في إيطاليا، أمة جديدة تختلف طبيعتها عن الأمة الرومانية والشعب الايطالي له صفات تختلف عن صفات الشعب الروماني دون أن تكون أقل أهمية. . . لم يعد كما يبدو لي شعباً محارباً وحاكماً ولكنه يقيم الدليل على مواهب فنية عظيمة. . . إن قائد شعب يجب أن يعرف أولاً ما هي ميول شعبه العميقة وأن يكون لمواهبه الكامنة فرصة التفتح. . . إن الشعب الايطالي موهوب لتحقيق إبداع فني. وكان على الفاشية أن تعير هذه الحقيقة اهتمامها وتبني عليها أيديولوجيتها. لقد فعل الغرور فعله بموسوليني وقادة الفاشست الذين لم

يكونوا سوى تلاميذ له هيمنت عليهم شخصيته الضخمة وصلابة طبعه لقد أراد أن يبدل رسالة وقدر الشعب الايطالي.

وأنا أرى أنه يجب أن نترك للشعب حرية التعبير العميق عن نفسه لا أن نملي عليه تعبيراً نضعه له. إن حرية الاختيار لدى الشعب هي التي تمكنه من قدرة الافصاح الحرّ عن مكنوناته وبالتالي أن يبدع. إنه من الممكن تحويل نفسية شعب بالتربية فيعبر تعبيراً مختلفاً عن تعبيره الذاتي ولكنه يتعرض إلى أن يصبح نوعاً من التعبير الايمائي البعيد عن طبيعته وعفويته. . .

تلك هي حال الجيل اليهودي الجديد الذي نما في المستعمرات. إن الصهيونية لم تتعلم الدرس الذي جاءها من تجربة النبي موسى. اسمح لنفسي بالقول إن اليهود بدلوا آنئذ من طبيعتهم في سيناء أو بالأحرى تعلموا طبيعة جديدة، تلك الطبيعة لم تكن موقتة لأنها نشأت في ظروف شاذة. لقد ارتكبوا حينما اصبحوا محاربين جرائم وحشية وعندما سكنوا المدن عادوا إلى طبيعتهم الازلية يعانون ذات المشكلة التاريخية. . . أيعيشون حياة الشعوب الأخرى أم يستعبدونهم ما داموا قانعين أنهم الشعب المختار. لقد أدى بهم التعلق بهذه العقيدة الى أن يستعبدوا وإلى أن ينفوا. . . لقد كان غرورهم والتحدي الناتج عن ذلك ممن عداهم من الشعوب سبب اضطهادهم الاساسي. لقد أدت بهم هذه العقيدة إلى الافتراق عن أبناء الأوطان التي عاشوا فيها ومن ثم إلى إحياء الكيتو والمذابح. لقد جعلهم نظام (الكيبوتز) متوترين حاقدين فتميز سلوكهم بالمعارك الثلاث التي قامت بينهم وبين العرب بنفس سلوك اجدادهم في أريحا فهنالك. . دير ياسين وقبية والنابالم. . . وإني لاتساءل كم من الفظاعة سنشاهد في المستقبل. .

ـ نفهم من سماحتكم انهم يتعرضون الى أخطار السلم أكثر من التعرض لخطر الحرب. وما دام الامر كذلك فلم لا نترك لهم مجال معاناة خطر السلم؟

ـ لقد تبدل الأمر في عشرين قرناً. . . في الماضي كان اليهود يتمركزون على حدود دول أقوى منهم، ما كان بوسعهم أن يطمحوا إلى احتلال أرض أخرى فكانوا مكرهين على الارتداد على أنفسهم ومشاكلهم الخاصة. أما في العصر الحالي فهم محاطون بدول نامية يضاف إلى ذلك اعتمادهم على دول قوية خارجية

ومساعدات اليهود في العالم، وهي قوة تحلم بإسرائيل الكبرى، وإسرائيل كما يتضح من مخططاتها عازمة اذن على الامتداد. إن دولة تقوم على مثل خطأ وهو طرد شعب من وطنه بالقوة كي تحل محله تغذيها روح الاحتلال هي دولة هدامة. إذا توقف العرب عن الكفاح لن ترضى إسرائيل بما احتلته من أرض. . .

لنكن منطقيين، إن إسرائيل لا تألوا جهداً بدعوة اليهود في العالم من القدوم إليها وهل يكتفي يهود العالم بأرض فلسطين؟ من المؤكد أن لا! إن اسرائيل لا تعاني مشاكل السلم إلا إذا كان السلم ممكناً، وبما أن إسرائيل لن تكتفي بحدودها فهي ستغزو. . . والسلام اذن مستحيل!

إن شعباً تتبدل طبيعته بالتربية المقسورة ليس أهلاً لابداع عظيم. . .

ـ ماذا تأخذون سماحتكم على التربية الفاشية؟

ـ الغرور. . . الغرور الذي كان من دعائمها. . .

لقد كان نظام (الباليلا) برأيي، أعني نظام المدارس الابتدائية التي يربي الاطفال تربية عسكرية، نظاماً جيداً. . . ستة ملايين طفلٍ يعيشون في نظام دقيق. . .

ـ ألا تجدون سماحتكم أن التربية العسكرية شديدة القسوة على الأطفال؟

ـ على العكس. . . في شعب ينقصه النظام هي الوسيلة الوحيدة لتعويده عليه. . . كيما يتفتح الشعب يجب أن يتعود تنظيم نفسه، ولكنه من الخطأ أن نربيه على الغرور الذي ينبع منه الحقد فالاعتداء. . .

ـ هل تعتقدون أن تطبيق هذا النظام مفيد في بلادنا؟

ـ لو سنحت لي الفرصة لما ترددت في تطبيقه. أن ننشىء أبناءنا في نظام عسكري يعتمد على روح القرآن كان يمكن أن يقدم للانسانية الروح التي تنقص الحضارة الحديثة. .

كيما ننشىء شعباً يجب أن ننشىء الانسان، وذلك بتهذيبه. إن التخلف التّقني ما هو في الحقيقة غير تخلف انساني. يظن بعض المفكرين أنه يكفي أن نعطي الآلة

للبلدان المتخلفة حتى تتقدم. إن استخـدام الآلة ليس لـه من نتيجة إلا أن يفضـح التخلف أكثر. . . ولا بدّ أولا من تلاؤم بين الآلة والانسان. إن الآلـة الحديثـة هي تعبير عن الحضارة الحديثة. صورتها الآلية. فهي تعبير عن قـانون السببيـة وتسلسل التعليل الحسابي. ولا بد من وجود الانسـان المهذب (بتـربية خـاصة) كي يستجيب لروح الآلة وأن يستخلص منها النتائج العملية كي يستطيع استخدامها وبعـدئذ كي يبدع في مجال الميكانيك. . .

لقـد كان لتعميم التعليم في بـلادنا نتـائج ايجـابية ونتـائج سلبيـة، لقـد أدى التحرر باجيالنا الجـديدة الى احتقـار قيمنا الخلقيـة واحتقار العمـل. إن شبابنـا بعد حصولهم على الشهادة لا يبحثون إلا عن عمل في مكتب والرضى بـراتب محدود لأن التعليم غير مبني على روح الكفاح. . . إن مهمته الوحيدة هي التلقين. . .

إن أسلوب التعليم عندنا يخالف أساساً كل التقـاليد. ولست ممن يتمسكـون بـالتقاليـد الباليـة ولكني أرى أنها يجب أن تتطور مـع عقلية الحيـاة الحديثـة وتتلاءم معها. إن الاخلاق التي نمت هذه التقاليد يجب أن تتفتح في نهضـة شعبنا أو كـانت هذه النهضة دون معنى إذا هي جانبت الاخلاق. يجب أن يكون التعليم عندنا مبنياً على مثل أعلى حتى تتمكن أجيالنا من تحقيق تطور عميق. .

- قلتم سماحتكم إن نظام (البليلا) بدل الطبيعة الايطالية. .

- أعيد عليكم لا آخذ عليه مبدئيا غير الغرور. .

- بالنسبة الى سمحاتكم يجب أن يكون التعليم دينيا. . .

- بالضرورة. . .

- لم يكن كذلك التعليم الفاشي؟

- وهذا النقص هو برأيي أحد أسباب نقمة الفاتيكان أقـول أحد الاسبـاب، فقد كانت هنالك أسباب أخرى. .

- كان الفاتيكان مبدئياً ضد الفاشية؟

ـ نعم . . .

ـ لم لم تتخذوا ـ وانتم الرجل الديني ـ موقفا معاديا من الفاشية؟

ـ يختلف موقفي أساسياً عن موقف أية جهة أخرى، فأنا ابدأ من نظرتي أن الانسان طيب بالطبع وانه معرض للخطأ إن واجب رجل الدين أن يقدم النصح والعزاء . . انني أرفض الافكار السابقة التي تدفع لاتخاذ موقف نهائي من نظام ما . كنت أرى ما هوسيء وما هو حسن . . انني في إقامتي في أوربا لم أترك فرصة إلا وحاولت اقناع المسؤولين بمعاملة الجميع معاملة انسانية، إن الغرور هو أكبر ضعف انساني . . . إن المعركة الحقيقة التي يجابهها رجل الدين هي تلك التي تتمخض بها نفسه فتوقظ انسانيته وتقنعه بأن يسمو على الغرور بالتواضع . .

ـ ماذا تعتقدون موقف الفاتيكان سماحتكم؟

ـ اسمحوا لي أن أصحح . . أنا لا أنقد . . قلت إن موقفي كان مختلفا . وهذا عائد الى نظرتي الاسلامية للدولة . واعتقد أن الفصل البيّن بين الدولة والدين في الغرب هو في أصل الشك بين رجال الدين والدولة . إن نظام رجال الدين لا وجود له في الاسلام، فرجل الدين هو مواطن عادي كغيره تمكنه هذه الصفة من اتخاذ موقف خاص به، ومن تحمل مسؤولياته كمواطن وهو يستطيع مع المحافظة على صفته أن يعمل في السياسة وان يصبح مسؤولا وأضيف أن الاخلاق السماوية التي تلهم الرجل الديني في منحه شعوراً اسمى بمهمته السياسية . .

وهكذا ينبغي على رجل الدين أمام نظام سياسي ما، خاصة إذا تعلق الأمر ببلاده وأمته، إلا يقف بالضرورة ضده، وإنما عليه أن يحلل هذا النظام بوضوح وأن يصحح أخطاءه لا أن يقنع بالنقد والعداء له، وطيلة حياتي كان كفاحي إنسانياً . . .

ـ هل تعتقدون سماحتكم أنه كان من الممكن اقناع موسوليني؟

ـ لاحظت أن ذلك ممكناً رغم مظهره العنيد، ومهما كان الأمر لا يجوز لرجل الدين أن ييأس من إقناع البشر . يجب أن يحاول المستحيل في سبيل الوصول لهذه الغاية وأن يبحث عن أصعب المهمات . ولا ننسى أن موسوليني حاول أن يقيم علاقات طيبة مع الكنيسة وهو الذي وقع مع الكاردينال كاسباري معاهدة «لاتران»

التي انهت الخلاف القائم بين الكنيسة والحكومة الايطالية ودام حتى سنة ١٩٢٩، تلك المعاهدة التي كانت أساساً في وجود دولة الفاتيكان القانوني، ومع ذلك فقد لاحظت أثناء زياراتي العديدة لروما أن العلاقات بين الفاتيكان والدولة الايطالية لم تكن على ما يرام. وفي كرواتيا حيث الاكثرية كاثوليكية لاحظت أن الشعب ناقم على النظامين الالماني والايطالي رغم أنهما اعطياها الاستقلال ومكناها من تأسيس جيش قوامه إحدى عشر فرقة واظن أن الكنيسة سبب هذا الكره. كان قداسة الباب بيوس الثاني عشر لا يخفي كرهه للنازية منذ كان قاصداً رسوليا في برلين وخاصة بعد المناقشات التي حصلت بينه وبين هتلر ولقد كانت الكنيسة في عهده بكل قوتها ضد المحور...

كما أن موقع الفاتيكان ساهم كثيراً في النيل من المجهود الحربي العسكري لدول المحور، ولقد لعبت السفارات اكبر دور. كانت دول الحلفاء ممثلة فيه وكان دبلوماسيو هذه الدول يتمتعون بالحصانة الديبلوماسية في إلفاتيكان التي ليست سوى جزء من روما واستفادوا من هذا الحق لتنظيم شبكات التجسس في روما والاستفادة الكبيرة منها، لقد استطاعوا اكتشاف اسرار عسكرية بالغة الخطورة وخاصة ما تعلق بنقل البترول لليبيا، ولقد غرقت كثير من ناقلات البترول في المتوسط، أو اقتيدت لمالطة كي تخدم أعداء المحور، واضطر رومل وقد أعوزه البترول للانسحاب أمام مونتغمري واخلاء الشمال الافريقي. ولقد ساهم كره الفاتيكان لموسوليني بالاساءة له لدى الشعب الايطالي مما أدى إلى الاسراع بسقوطه..

ـ ما الذي استرعى انتباه سماحتكم أكثر من غيره في دولة الفاتيكان؟

ـ شيئان.. الجزويت وموقفه من فلسطين.. عند الجزويت شاهدت عن قرب في أوربا الدينامية والدقة اللتين تتميز بهما هذه المنظمة فتثبت فعاليتها ونظامها... يبدو أن اينياس دولويلا، عندما أسس نظام الجزويت استلهم النظام أولا... أما عن موقف الفاتيكان من القضية الفلسطينية فلم استطع حتى الآن فهمه، ففلسطين هي في عين البابوية الأرض المقدسة وللقدس عندها المكان الأول في المسيحية فهذه المدينة أكثر قيمة من روما وهنالك أيضاً بيت لحم، وطريق الآلام... لقد كان موقف البابوية دائماً متهرباً...

ـ ولكن كيف يمكن للفاتيكان يا صاحب السماحة أن يعلن موقفه ازاء هذه المشكلة؟ فهو لا يملك وسائل الاقناع الارضية، نعني العسكرية؟

ـ لديه مركزه الديني الذي ليس هينا، واذكر لكم حادثة معينة.. البابوية هي التي ساعدت فرانكو بالاحتفاظ بالسلطة لقد أراد الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية وقد أزعجهم موقفه الممالىء للمحور فقرروا مهاجمة اسبانيا واسقاطه فاستخدم الفاتيكان نفوذه عند الحلفاء وخاصة عند الولايات المتحدة فافسد الخطة لأن الرئيس الاسباني على علاقة حسنة معه.. لقد اقحم الفاتيكان نفسه بالنسبة للقضية الفلسطينية بحياد عجيب. إن ابناء المسيحيين الأول الذين يجري في عروقهم دم حواريي المسيح وأولئك الذين شاهدوا معجزاته وسمعوا الكلمة الطيبة ونعموا ببركته يخضعون الآن للطرد والاحتلال والاضطهاد تحت سمع العالم وبصره دون أن يقول الفاتيكان كلمته.. اني اسائل نفسي... إن رجل الدين يجب أن لا يتردد عن تحمل مسؤولياته مهما كانت كلفته من أخطار...

نحن العرب مسؤولون الى حد كبير فقد كانت بعثاتنا لدى الفاتيكان هزيلة ولم تقم البلاد العربية بأي جهد يتناسب مع أهمية هذه الدولة الصغيرة العالمية لجهلهم ذلك. منذ سنة ١٩٤٦ اثناء إقامتي الاجبارية في فرنسا كتبت الى عزام باشا بعد أن علمت أن لبنان هو الدولة الوحيدة الممثلة في الفاتيكان، حين كان أميناً عاماً لجامعة الدول العربية. انبهه لأهمية تلك الدولة الدينية، ونشرت بعد ذلك تلك الرسالة في الاهرام. ولقد أقامت الدول العربية بعد ذلك علاقات ديبلوماسية مع تلك الدولة دون أن تكون بعثاتها على العدد من الموظفين اللازمين في تلك البعثة.

ـ كيف كان موقف الليبيين في روما؟ فنحن نعلم أن كثيراً منهم كانوا آنئذ منفيين في المانيا وايطاليا..؟

ـ كانت علاقاتنا على أحسن ما تكون. كانوا يجيئون لزيارتي أو التقي بهم في بيت الأمير سليمان القرمانلي أمير ليبيا ولقد تعرفت اثناء إقامتي هناك على السيد محمود المنتصر الذي أصبح فيها بعد رئيس وزراء ليبيا وعلى السيد وهبي البوري وزير خارجيته وشخصيات أخرى. كان وضع ليبيا ومستقبلها من مواضيع أحاديثنا،

أذكر بصورة خاصة أن وفداً ليبيا كبيراً جاء يهنئني بمناسبة العيد الكبير وكان آنئذ جيش رومل يهدد العلمين، وكان الفلسطينيون والعراقيون ظاهري السرور فوقف أحد الليبيين وقال.. (نحن الليبيين لا نستطيع إلا أن نشارككم في فرحكم رغم أن الوضع الحالي لا يبشرنا بغير دوام الاستعباد والبؤس) فقلت.. له (لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون. إن كفاح شعب ليبيا ليس عبثاً. إن تضحياتكم ستؤدي عاجلاً أم آجلاً إلى النصر والحرية إنكم ستنجحون وتحصلون على استقلالكم وتقطفون ثمار الكفاح). كنت واثقاً من قولي بأن أرى ليبيا وقد تحررت. وبالواقع وصلتني من جنيف ١٩٥٠ بينما كنت أعالج في مستشفى المواساة في القاهرة رسالة من الدكتور البوري يذكر المناسبة السعيدة التي لمحت لها في السابق في خطابي...

كتب يقول.. (ليس لي أن أذكركم بكلمات قلتموها سنة ١٩٤٢. لقد استجاب الله دعاءكم بشأن ليبيا وآمل أنكم لم تقنطوا من رحمة الله بما يخص مستقبل فلسطين).

فأجبته بعد ذلك.. (لست يائساً أنا واثق من رحمة الله).

وأعيد القول عليكم أنتم... أنا لم أيأس أبداً إني شديد الأمل حتى آخر نفس...

-ألم تحاولوا سماحتكم خلال إقامتكم في إيطاليا أن تقنعوا الطليان بإيجاد حل لمشكلة ليبيا؟

- قمت بواجبي نحو تلك البلاد كلما سنحت الفرصة بإثارة موضوعها. أثرت هذا الموضوع مرة خلال عشاء أقامه على شرفي فيلبيني وهو مدير عام في وزارة الخارجية فأجابني قائلاً.. (لقد خدعنا الفرنسيون والانكليز سنة ١٩١١ فاحتلوا المناطق الخصبة في أفريقيا واقنعونا بالاكتفاء بليبيا، وماذا وجدنا؟ رمال الصحراء، ورصاص المقاومة. ولم نربح الاعداء العرب والمسلمين. علينا أن نبدل سياستنا بعد الحرب بشكل نعيد فيه العلاقات الطيبة مع العالم الاسلامي).

الفصل الثاني عشر

الجيش العربي



المفتي يتوسط عدداً
من المتطوعين في الجيش العربي .



الجيش العربي

ويستطرد المفتي قائلاً:

«إن المسألة الفلسطينية وكل المسائل العربية لا تحل إلا بقوة السلاح! إن اتباع سياسة مبنية على الثقة بالخصم وحسن نيته وقناعته هو سياسة وهم لا سياسة رجل مؤمن بالعمل. إن الحق الذي لا تدعمه القوة يصبح لدى الرأي العام دعوى باطلة. تلك هي قضية الحضارة الحديثة الكبرى. إن مفهومها عن الحق هو حق الاقوى، قد تقولون لي ولكنه نقص لا يتوقف عنده مثالي... ولكن محرر أمة يجب أن يبدأ تحقيق رسالته من الوقائع. كان سبب هزائمنا جميعاً عدم وجود جيش قوي.

لقد استقبلني المحور كحليف وكان بحاجة لنا نحن العرب والمسلمين لتحقيق اهدافه وكنا نحن بحاجة الى تأسيس جيش يكون وسيلتنا الوحيدة للدفاع عن حقنا.

كان المحور يهيمن أو يستطيع الهيمنة على جزء كبير من الوطن العربي وبعض البلدان الاسلامية وكان من الممكن إذن تحقيق الفكرة ومن عناصر مسلمة.

لقد كان تأسيس جيش عربي يدافع عن القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين أهم اهتماماتي اثناء إقامتي في بلاد المحور. لم اتخل عن هذه الفكرة حتى في الوقت الذي تأكدت منه أن المانيا ستخسر الحرب. كنت مقتنعاً أن يوماً يأتي يكون فيه لهذا الجيش فائدته ولذلك الحيت على وجوب تدريب مواطنينا تدريباً عسكرياً. لأني كنت أعتقد أننا نستطيع أن نستمر بالكفاح معتمدين على أنفسنا إذا خسر

المحور الحرب كما أني أرى أن ابناءنا هم الذين يجب أن يقاتلوا على أرضنا فكان لا بد من أن نعدهم للقيام بواجبهم.

قدم خلال ثورة العراق سنة ١٩٤١ عدد كبير من الطلاب العرب طلبات تطوع في الجيش الالماني وبدأوا بعدما قبلت طلباتهم التدريب فشجعت الفكرة منذ وصولي إلى برلين وطلبت إلى السلطات الالمانية أن توسع مجال عملها بشكل يتمكن فيه كل العرب المقيمين في بلاد المحور من الانضمام الى هذا الجيش... وفي تلك الفترة جاء الانكليز بعدد كبير من العمال العرب إلى اليونان فلما سقطت في يد الالمان أخذ أولئك العمال اسرى وكان أكثرهم من الفلسطينيين فتفاهمت مع السلطات الالمانية على إخراجهم من المعتقلات وارسالهم الى مراكز التدريب واسست لذلك مدرستان حربيتان إحداهما تخرج منها مائتا ضابط والأخرى لتخريج صف الضباط وأحدثت دورة في لاهاي لتدريب ٦٠ مقاتلاً على أعمال المغاوير تبعتها دورات أخرى في مناطق متعددة وهكذا أصبحت لدينا نواة الجيش الأولى المدربة على مختلف الاسلحة قوامها الأساسي من العرب.

ولقد تميزت عناصرنا بمهارتها اثناء التدريب، وقد حضرت شخصياً حفلة التخرج للدفعة الأولى من المغاوير وكان أكثرهم من الفلسطينيين والمغاربة فأبدوا براعة مدهشة في استعمال الاسلحة المختلفة التي اخترعت حديثاً خلال الحرب في يوغوسلافيا لمعارك العصابات ولم يخف الالمان إعجابهم بلياقة جنودنا الجسدية والنفسية ولقد ثبت ذلك فيما بعد في معارك ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨.

عندما يتحدث المفتي عن هذا الجيش الذي أسسه تلمع عيناه حماساً فيقول:

«كانت هذه النواة مثلاً لجيش المستقبل الذي يجب أن يحتذى فلقد كانت عناصره من شتى بلدان امتنا العربية الكبرى: المغرب، تونس، مصر، العراق الخ..

... هذا الجيش يجب أن يكون وسيلة مزج عناصر الأمة ومقدمة الوحدة. فلقد فعلت الحدود التي قامت بين أجزاء أمتنا في عصور الانحطاط والاحتلال ففرقتها فنشأت فروق في اللهجات والعادات ولا بد لتوحيد الأمة من توحيد ثقافتها... أي أن تمر في مرحلة يسهل فيها التبادل السياسي والاقتصادي والتجاري

وغيرها حتى توجد مرة أخرى حياة مشتركة بين العرب. وتحقيق مثل هذا الهدف صعب.

منذ وصولي لالمانيا علمت بإعلان انكلترا تأسيس «الفيلق اليهودي». الذي يخدم فيه اليهود شهوراً ستة حتى إذا انتهت جلبوا الى فلسطين وتركوا فيها باسلحتهم الخفيفة كما وصلتني معلومات عن استعدادات اليهود العسكرية في فلسطين وعن أعمال التخريب التي يقومون بها على أرض الوطن. ذلك دفعني لأن أضاعف الجهود من أجل تدريب من أمكن من العرب كي نعد أنفسنا للمعركة المنتظرة بين العرب واليهود بعد انتهاء الحرب.

سنة ١٩٤٤ بدا واضحاً أن امكانية النصر قد افلتت من يد الالمان وكان علي أن أتخذ العدة لمثل هذا الاحتمال وبعد اتصالات عديدة بواسطة الهر هملر اعطى الفوهرر أوامره بمساعدتنا في حالة قيام حرب مقبلة في فلسطين وقررت الحكومة الالمانية أن تنشيء «الجيش العربي» وأعلن هذا القرار في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ في اجتماع عقدناه في مقر التنظيمات الالماني للاحتجاج ضد وعد بلفور. ثم أعلن الفوهرر موافقته على مدنا بالاسلحة اللازمة. ولتحقيق هذا الهدف بنى الالمان مستودعا كبيراً تخزن فيه الاسلحة الحديثة الخفيفة. ولقد وضع الالمان تحت تصرفنا أربع طائرات من ذات المحركات الاربعة لنقل العتاد ووضعه في مخابىء سرية لتدريب المجاهدين في فلسطين لاستعمال هذه الاسلحة وإعداد المعركة المقبلة. ولقد كلف الهر شلونبرغ في هذه العملية. ولقد سافر على طائرة أولى ضابطان فلسطينيان مع ثلاثة ضباط المان من الاختصاصيين مع بعض الاسلحة للقيام بالتجربة الأولى وكان هدف هذه الرحلة تجميع السلاح وتدريب المجاهدين من جهة وإقامة الاتصال باللاسلكي من أجل إرسال الكميات الأخرى وكان مقرراً عدم الصدام مع القوات البريطانية طيلة مدة الحرب والاستعداد لما بعدها. وهكذا سافرت الطائرة الأولى يقودها المجاهد الشيخ حسن سلامة وبعد وقفة في الطريق تموّنت بها بالبنزين وصلت الى فلسطين ونزلت منها الاسلحة والضباط بالمظلات من ارتفاع (٢٠٠٠) قدم في ناحية اريحا. وأرسلت بعد ذلك طائرة أخرى بقيادة المجاهد العراقي قاسم الكرادي الذي اشتهر في معارك ١٩٣٦.

كنت أعول كثيراً على نجاح هذه العملية فلقد كانت كمية الاسلحة: آلاف

البنادق والمترايوزات والاسلحة الأخرى لحرب العصابات التي سوف تقوم بجبال فلسطين ولقد أخذت ترسل الكميات الضخمة منها ومن العتاد، وأقيم في رودوس مخزن كبير وكذلك في ليبيا حيث خبئت ثلاثون ألف قطعة من أجل إرسالها الى فلسطين حتى يستخدمها جيشنا عندما تدق الساعة.

* * *

برقية من مصطفى النحاس باشا

انقذوا المسلمين في يوغوسلافيا

- ما هي الدوافع الأخرى - غير دوافع القضية الفلسطينية - التي حفزتكم لتجنيد العناصر العربية في جيش المفروض أنه سيقف الى جانب المحور؟

أجاب المفتي:

«وتوالت المآسي والفواجع في يوغوسلافيا إلى أن سقطت تحت الضربات الالمانية في ربيع سنة ١٩٤١. ووافق الالمان وحلفاؤهم الطليان على قيام الحركة الكرواتية المتطرفة «اوستاشي» بانشاء دولة كرواتيا وضم بوسنة وهرسك اليها.

وكان من السهل التنبؤ بالموقف الذي ستتخذه الدولة الكرواتية من الصرب القاطنين في اقليمها، وبالسياسة التي ستتبعها في بوسنة وهرسك، وهي تأمين الرجحان للقومية الكرواتية فيها نهائياً، بتطهيرها من الصرب اعتبارهم عنصراً دخيلاً فيها، وباطلاق شعارات تؤكد أوثق الصلات التي تربط المسلمين البوشناق بالكروات، وأن المسلمين هم من صميم الشعب الكرواتي.

وكان من الواضح كذلك أن الصرب لن يقبلوا البتة بأن تمتد سيادة الدولة الكرواتية الى بوسنة وهرسك، حتى ولو لم تمسهم تلك الدولة بسوء..

فلم يكن بد من أن يؤدي هذا الخلاف بين القوميتين - بعد ضم بوسنة وهرسك الى كرواتيا - إلى اصطدام هائل بينهما، تكبد المسلمون البوشناق خلاله أكبر الضحايا في بوسنة الشرقية، ثم اتسع نطاق عدوان الصرب على المسلمين في مناطق أخرى، فاصبحت بوسنة ميداناً لمجزرة كبرى عندما أصدر الجنرال دراجا ميخائيلوفيتش وزير حربية يوغوسلافيا وقائد العصابات الصربية تعليمات الى تلك

العصابات بتاريخ ٢ ـ ١٢ ـ ١٩٤١ توضح أن القصد من كفاح الصرب هو «إيجاد حدود مشتركة مباشرة بين صربيا والجبل الأسود بالقضاء على المسلمين في سنجاق يني بازار، الفاصل بينهما، وبين صربيا وبلاد السلوفيين بالقضاء على المسلمين والكروات الكاثوليك في بوسنة وهرسك!».

وعلى أثر ذلك شرعت العصابات الصربية في شن هجماتها الوحشية بقيادة ميخائيلوفيتش مع صفوة من ضباط جيشه وجنوده في الجبال الشاهقة، وتربص فيها حتى سنحت له الفرصة بانتقال القوات الالمانية الى الميدان الروسي، فانقض بعصاباته الوحشية المسماة «شتنيك» (وهي تعمل لاقامة صربيا الكبرى وإبادة كل من في البلاد من العناصر، اسلامية كانت أو كاثوليكية عدا الصرب الخلص)، على الشعب البوشناقي المسلم الاعزل، وأمعنوا فيه فتكا وقتلاً حتى أربى عدد القتلى على مائتي ألف. . وعدد المشردين منهم على ما يزيد عن ذلك.

لقد كنت في روما يوم ١٩ كانون الأول عام ١٩٤٢ حينما اتصل بي السيد مصطفى بوصولاجيتش البوشناقي الطالب في جامعة روما وانبأني بالمجزرة الوحشية التي اقترفت في المسلمين في منطقتي بوسنة وهرسك من قبل عصابات الشتنيك الصربية. ثم تتابعت الانباء المحزنة تفصل تلك الفظائع الرهيبة.

ولما كان بعض زعماء البوشناق قد اشتركوا في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١ وكان لي بهم صلة ومعرفة سابقة، فقد ابرقوا إلي في برلين مستنجدين، ثم وصلتني رسائلهم شارحة تلك الفظائع الوحشية التي اقترفت فيهم. ثم جاءني وفد من هرسك برئاسة مفتيها حافظ عمر افندي جابيتش ومن أعضائه الشيخ أحمد افندي قره بك وآخرون، وحدثني الوفد عما يجري في تلك البلاد من إبادة المسلمين، فبادرت بمراجعة وزارة الخارجية الالمانية واطلعت وكيلها الهرفون وايتسيكر على حقيقة الامر وعلى البرقيات التي وصلتني من زعماء بوسنة يطلب السماح لوفد منهم بالقدوم الى برلين لمقابلتي. فأبدى شديد أسفه وقال إن تلك المناطق هي في «المجال الحيوي» لايطاليا فلا يمكننا أن نقوم بعمل جدي قبل الرجوع إليها. .

* * *

مقابلتي الثانية لموسوليني:

فسافرت في اليوم التالي إلى روما وطلبت مقابلة الدوتشي موسوليني. فاستقبلني فوراً في قصر فينيسيا، وكانت تلك مقابلتي الثانية له، وكان البحث فيها منحصراً في المجازر المروعة التي تقترف في مسلمي يوغوسلافيا لابادتهم واستئصال شأفتهم.. وحضر المقابلة الكونت شيانو وزير الخارجية. وذكرت لموسوليني أنباء تلك المجازر التي تجري في تلك المناطق التي تحتلها نحو تسع فرق عسكرية ايطالية وفرقتين المانيتين من قوات المحور. وقلت له: لو حدث جزء يسير من هذه الفظائع في الشرق للاوروبيين، لقامت الضجة العظيمة وانطلقت الدعايات والاتهامات... فأبدى موسوليني اهتماماً شديداً ونظر الي شيانو الذي ظل واقفاً على قدميه طول مدة الحديث وقال له: «إن هذا الموضوع خطير، فاتصل بالسفير الالماني في روما لاتخاذ جميع الوسائل مع السلطات الايطالية والالمانية لوقف هذه الحالة المؤسفة».

(وكان السفير الالماني حينئذ الهر فون ماكنزن نجل القائد الالماني الشهير فون ماكنزن القائد العام لقوات المانيا وحلفائها في البلقان في الحرب العالمية الأولى).

فلما رجعت إلى برلين وصلتني انباء تدل على أن المجازر مستمرة وأن عدد القتلى بلغ مائتي ألف، وأن أكثر من هذا العدد أصبحوا بلا مأوى في تلك الاصقاع الشديدة البرد، كما علمت أن السلطات الالمانية لم تسمح لوفد من بوسنة بالقدوم الى برلين. فقابلت فون وايتسيكر مرة أخرى وطلبت منه السماح لي بزيارة تلك البلاد، فقال إن هذا متعلق بالدولتين الكرواتية والايطالية، فقابلت سفير كرواتيا في برلين الموسيو «بوداق» وحدثته في الموضوع، ومن اجل اطمئنانه اقترحت عليه أن نسافر معاً الى «زاغرب» عاصمة كرواتيا ومنها الى «سراييغو» عاصمة بوسنة. فوافق على ذلك لكن وزارة الخارجية الالمانية ظلت على موقفها السلبي. فاتصلت حينئذ بالجنرال «برغر» رئيس أركان قوات الصاعقة (اس اس)..

واقنعته بضرورة سفري واعلمته بموافقة السفير الكرواتي على ذلك، فأعد لي الجنرال «برغر» طائرته الخاصة العسكرية وثمانية من الضباط الالمان لمرافقتنا، ثم لحق بنا سفير كرواتيا «بوداق» فسافرنا وبرفقتنا بعض إخواننا من رجال مكتبنا في برلين الى «فيينا» يوم ٢٤ مارس ١٩٤٣، وكان يوماً غزير المطر شديد، ثم إلى

«زاغرب» حيث انزلتنا الحكومة الكرواتية في ضيافتها، وقابلت رئيس دولتها الدكتور «آنته بافيليتش» ورئيس وزرائها «جعفر بـك كولينـوفيتش». وقد أدب لنـا بافيليتش مأدبة عشاء وابدى اهتمامه بالقضية التي نسافر من أجلها وعطفه على مهمتنـا وتبرع بمليون «كونه» كرواتية لمساعـدة المنكوبـين، وكذلـك أدب لنا رئيس الـوزراء مأدبـة أخرى، وكذلك وزير الدولة «حقي حـاجيتش» الذي تـولى أمر الاتصـال بي خلال إقامتي في زاغرب. . .

وفي اليوم التاي وصـل بالـطائرة الى زاغـرب الكومـانداتـور ماليني من وزارة الخارجية الايطالية (تولى في أواخر عهد موسوليني وزارة الخارجيـة) يصحبه منـدوب من وزارة الخارجية الالمانية، وقد حاولت الحكومة الكرواتية، بالاشتراك مع سفيري المانيا وايطاليا في «زاغرب» أن يثنوا عزمي عن السفر إلى بـوسنة متـذرعين إلى ذلـك الحـرص على حيـاتي من المجازفـة في تلك البلاد المضـطربـة والمملوءة بـالعصـابـات الدموية الخطيـرة، لكنني اصررت عـلى السفر وكتبت إليهم كتـاباً سجلت فيـه «اني اتحمـل مسؤولية مـا قد يصيبني من تهلكـة في زيارتي لبـوسنة رغم نصـائح الـرجال المسؤولين في كرواتيا وممثلي المـانيا وإيـطاليا. وامضيتـه وسلمته اليهم، ثم استـأنفت السفر الى «سراييفو» أي «بوسنة سري» ورافقنـا في السفر الشيـخ عاكف خـانجيش مفتي الجيش الكـرواتي، لكن عـاصفـة ثلجيـة أرغمت طـائـرتنـا عـلى العـودة الى «زاغرب»، وبعد بضعة أيام عاودنا السفر، لكن طائرتنا لما وصلت بوسنـة سراي لم تستطع الهبوط لشدة العاصفـة الثلجية، فعـادت الى «بانيـا لوقـه». فلما خرجنـا من المطار، دهشنا لمشـاهدة أهـل بانيـا لوقـه يلبسون العمـائم والـطرابيش، ونسـاؤهم متحجبـات، وشعرنـا كأننـا نجتاز شـوارع القدس القـديمة، أو سـوق الحميديـة في دمشق، أو حي السيدة زينب في القاهرة، وبقينا في بانيا لوقه ثلاثة أيام دعانا خـلالها إلى الغداء فضيلة مفتيها الحـاج حافظ مصـطفى نورفيتش، وهـو رجل عـالم فاضـل ويحسن اللغة العربيـة، فلما جلسنا الى المـائدة قـال معتذراً عن بسـاطة الـطعام: لا تؤاخذونا فقد غلا قدرنا (بكسر القاف) على قدرنا (بفتحها).

وأخيراً غادرنا بانيا لوقه الى بوسنة سراي حيث اجتمعنا بزعماء بوسنة وهرسك وبعد البحث معهم ومع قيادة القوات الألمانية في كيفية المحافظة على حيـاة البشانقـة والدفاع عنهم ومنع وقوع المذابح فيهم، وافقت الحكومة الالمانية عـلى تجنيد الشبـان

منهم وتدريبهم وتسليحهم للدفاع عن انفسهم وعائلاتهم داخل بلادهم. وقبل أن أغادر بوسنة كان قد تم تسجيل نحو سبعة آلاف متطوع ولما عدت الى برلين تم الاتفاق مع الحكومة الالمانية على تأليف فرقة عسكرية بوشناقية سميت باسم «فرقة خنجر» وتولى قيادتها الجنرال الالماني «زاوبر تسفايغ». ثم تلا ذلك انشاء فرقة أخرى باسم «فرقة قاما» وبلغ عدد جنود الفرقتين نحو ٣٧ ألفاً، كما تألفت قوات محلية أخرى من شرطة ودرك وحرس (ميلس) بلغ مجموعها كلها قرابة مائة ألف مقاتل، وبذلك استطاع أهل بوسنة وهرسك أن يدفعوا عن انفسهم الخطر المحاق الذي كان يهددهم.

ولم يكن من سبيل لحماية المسلمين في تلك البلاد من الابادة إلا بالتفاهم مع السلطات الالمانية والتعاون معها، فتم الاتفاق على ما يلي:

١ - تجنيد عدد من الشبان المسلمين في مقاطعات بوسنة وهرسك وسنجق «يني بازار» لتأليف قوات عسكرية، وقوات للأمن العام والشرطة.

٢ - يناط بهذه القوى حماية النفوس والاموال من المعتدين عليهم داخل بلادهم في المناطق المذكورة.

٣ - لا تكلف هذه القوات بالقيام بأي عمل عسكري خارج بلادهم، ولا بأية مهمة أخرى غير الدفاع عن انفسهم وممتلكاتهم.

٤ - تتعهد الحكومة الالمانية بتسليح هذه القوات وتدريبها، وبابقاء الاسلحة مع أفرادها خلال الحرب وبعدها.

وقد قامت القوات البوسنوية التي أربت على مائة ألف من أشجع الجنود، بمنع المجازر عنهم وعن جميع مسلمي البلقان وشرق أوروبا وعددهم نحو ستة ملايين، وغدا الجنرال ميخائيلوفيتش وغيره من طغاة البلقان يدارونهم ويتوددون اليهم. ولما ظهر في تلك البلاد، رئيس يوغوسلافيا الحالي، (يوزيب بروز تيتو) واشتد خطره تم التفاهم بين الالمان وميخائيلوفيتش، على مقاومة تيتو لأنه كان يتلقى الاسلحة والعتاد من روسيا، فأمد الالمان ميخائيلوفيتش بالسلاح والعتاد. فلما شعر هذا بالقوة حاول أن يعود سيرته الأولى من الفتك في المسلمين ولكن بالسلاح الالماني هذه المرة!

ولما أعلمني البوسنويون بذلك قابلت الجنرال «برغر» واطلعته على حقيقة ما يقوم به ميخائيلوفيتش، فاهتم للأمر ولما تأكده، أصدر أمراً سرياً للمعامل الالمانية لتصنع ذخائر البنادق والمدافع التي يتسلمها ميخائيلوفيتش بطريقة فنية تؤدي إلى إفساد تلك الاسلحة، وإبطال مفعولها، وقد تم ذلك فعلاً . .

بعد عودتي من بوسنة سراي كتبت إلى المرحوم مصطفى النحاس باشا خبر هذه الكارثة وتفاصيلها مشفوعة برسالة من زعماء المسلمين البوسنويين وقد حملها المرحوم الدكتور مصطفى الوكيل الذي كنا نتعاون وإياه في أوروبا وكان من أخلص العاملين وأفضل الشبان الذين عرفتهم في حياتي، وتوجه الى استنابول حيث سلمها الى قنصل مصر العام السيد أمين زكي وهو من أفاضل المصريين وخلصائهم، فحملها السيد أمين زكي الى النحاس باشا. وقد وصفت له في تلك الرسالة حالة مسلمي بوسنة وهرسك على حقيقتها ورجوته أن يعمل ما في وسعه لمساعدتهم، وأن يحدث ملك يوغوسلافيا بطرس الثاني في شأنهم لأن ميخائيلوفيتش كان من اتباعه. وكان الملك بطرس حينئذ لاجئا في مصر بحكم علاقاته الودية مع بريطانيا وحلفائها في الحرب، وكذلك عدد من الوزراء والشخصيات من الرعايا اليوغوسلافيين لاجئين اليها.

وقد أثارت الرسالة حمية رئيس الوزراة المصرية وشعوره الانساني وتوجه من فوره فزار الملك بطرس وحدثه في الأمر، ثم هدد بإخراج جميع الرعيا اليوغوسلافيين من مصر إذا لم يتسجتب الملك بطرس ويعمل على وقف المذابح في مسلمي يوغوسلافيا، وكان لذلك الموقف الحازم اثره في نفس الملك بطرس وتخفيف وطأة تلك المذابح المروعة.

ولم تكتف الحكومة المصرية بذلك العمل بل تبرعت بخمسة وعشرين ألف جنيه وتبرع الهلال الأحمر المصري بخمسة وعشرين الفا أخرى وتم إرسال الخمسين الفا الى الصليب الأحمر لتوزيعها على منكوبي المسلمين في يوغوسلافيا وقام الصليب الاحمر مشكورا بهذه المهمة الانسانية.

وقد تلقيت جوابا على رسالتي مشتملا على ما اتخذته مصر من إجراءات في هذا الشأن.

وبعدما أتم الجيش الالماني تدريب الفرقة البوسنوية الأولى «خنجر» ذهبت

والدكتور مصطفى الوكيل لزيارتها في قرية «نوى هامر» في مقاطعة سيلزيا، ومكثنا أربعة أيام في تلك الزيارة، فرأيناها مجهزة تجهيزاً كاملاً بأنواع الاسلحة والمدافع، وكان قائدها الجنرال «زاوبر تسفايغ» الالماني يرافقنا في زيارتنا لكل فوج من أفواج الفرقة. وقد أعجبنا بروح الجندية الرائع الذي كان يتحلى به أفرادها وبالنظام الدقيق الذي كانوا يتبعونه.

عند البدء في تأليف فرقة «خنجر» كانت «التعبئة الروحية» من أهم ما عنينا به لأن العقيدة والايمان ضرورة اساسية لكل جيش، ولأن الجندي الذي لا يتمتع بالايمان ولا يرتبط بعقيدة ولا يدري لماذا يقاتل ويضحي بروحه، لا يمكن الاعتماد عليه. ولدى جميع الأمم الواعية دوائر خاصة بالغذاء الروحي في جيوشها، لأنه ضرورة قصوى كالغذاء المادي، بل أكثر أهمية، والجيوش التي لا تعتنق عقيدة ولا تقاتل في سبيل هدف معين فمصيرها الهزيمة والخزي.. وعلى أثر ذلك اتفقنا مع السلطات الالمانية على إنشاء معهد للائمة لتوزيعهم على وحدات الفرقة. وقد انشيء المعهد في مدينة «غوبن» واختير له عدد من علماء البوشناق لتوجيه أولئك الأئمة. وقمت بالقاء بعض المحاضرات فيه وكذلك الشيخ حسن أبو السعود والدكتور مصطفى الوكيل، فقد كانا يلقيان المحاضرات والدروس في ذلك المعهد الذي تخرج فيه ائمة أفواج الفرقتين. وكان المعهد يعنى الى جانب التدريب الروحي، بالتدريب العسكري الوافي، حتى أصبح كل إمام منهم ضابطاً مدرباً. وقد كنا في زياراتنا للمعهد، نحادثهم ونأكل معهم ونتحدث فتتطرق أحاديثنا الى قضية فلسطين، فكانوا يتحرقون شوقاً للجهاد في فلسطين. وبالفعل جاء عدد من ضباطهم وجنودهم بعد انتهاء الحرب العالمية الى فلسطين وساهموا في معاركها ببسالة رائعة، ولو اتسع مجال الجهاد حينئذ، ولو لم تحل المؤامرات الاجنبية والتيارات الاستعمارية دون استمرار معركة فلسطين، لرأينا الألوف من أولئك الجنود البوسنويين البواسل، وغيرهم من المجاهدين يساهمون معنا في تحرير فلسطين وانقاذ الاماكن المقدسة. وأملنا كبير في أن الفرصة التي أضاعت علينا المؤامرات والتوجيهات الاجنبية ومنحت الصهيونيين فرصة خمس وعشرين سنة من الوقت للاستعداد والتأهب ووضعت القضية الفلسطينية في ثلاجة (كما صرح جيمس غرانت وكيل الخارجية الامريكية في ٣٠ نيسان ١٩٦٣) لن تضيع مرة أخرى وأن المجال

سيفسح لجميع المجاهدين الصادقين المخلصين ليقوموا بواجبهم نحو فلسطين.

وكذلك انشأنا، بالاتفاق مع الالمان، معهدا آخر في «درسدن» لتخريج الائمة الاذربيجانيين والقوقازيين وغيرهم، وبذلك أربى عدد المجندين في بلاد المحور من عرب وبوسنويين، واذربيجانيين وغيرهم، على مائتي ألف مقاتل.

من أخص مزايا مسلمي البوشناق ثقافتهم الاسلامية، واخلاقهم الكريمة، واقبالهم على حفظ القرآن الكريم وتجويده، رجالاً ونساء وأذكر أن أعيان سراييفو أقاموا حفلة شهدها عدد كبير من القراء المثقفين لتلاوة القرآن فلما سمعت تلاوة كثير منهم أعجبت بهم، فهم كأحسن القراء في مصر، كما أن بعض النساء كن يحفظن القرآن كله. وقد زارني في برلين عام ١٩٤٣ وفد بوشناقي كان من أعضائه سيدة حافظة للقرآن وهي مهندسة متخرجة من جامعة برلين، وقد سمعناها تتلو القرآن الكريم، تلاوة لا تقل في جودتها واتقانها وحسن ادائها عن أحسن القراء. . .

وقد زرنا في سراييفو المعهد الاسلامي الشهير مدرسة غازي خسرويك، التي خرج القضاة والعلماء وسائر رجال الدين. ولهذه المدرسة فضل كبير في نشر الثقافة الاسلامية. ولا ندري ما فعل الدهر بها اليوم. فقد بلغنا أنها تحولت عن وجهتها الاساسية.

وصلينا الجمعة في جامع سراي بوسنة الكبير (جامع الغازي خسرويك) وسمعنا من الخطيب الذي كان يلقي الخطبة بالعربية الفصحى، مما أثار إعجابنا. وقد تكلم بعد الصلاة كل من الشيخ محمد خانجيتش والاستاذ قاسم دوبراجة، فأحسنا كل الاحسان، وأعجبنا بعربيتهما الفصحى، وبراعتهما في الالقاء.

ولقد عرف البوشناق بالشجاعة النادرة. شهد لهم بذلك كل من عرفهم. ولما سمع هتلر بانشاء الفرقة البوسنوية الأولى قال: «اني عرفت جنودهم في الحرب العالمية الأولى فقد كانوا من أبسل الجنود في الجيوش النمساوية، وكانت قيادة الجيش النمساوي حين تحتدم المعارك وتشتد الحاجة الى اختراق جبهة، تستدعي الجنود البوسنويين الشجعان، فقد كانوا يقتحمون الميدان بشجاعة عظيمة، وحين يقتربون من الاعداء يستلون «قاماتهم» (والقامة سيف قصير صقيل ذو حدين) ويعضون عليها بنواجذهم حتى إذا التحموا بالعدو نقلوها الى أيديهم فأبلوا بها أحسن البلاء.

الفصل الثالث عشر

قصة الخلاف بين المفتي ورشيد عالي الكيلاني



المفتي والكيلاني في المانيا.



آخر صورة للسيد رشيد عالي الكيلاني (نيسان ١٩٦٣).

قصة الخلاف بين المفتي ورشيد عالي الكيلاني

جميع الذين ارخوا هذه المرحلة من التعاون العربي الالماني افرغوا الصفحات العديدة للخلاف الذي نشب بين الحاج أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني، وقد اصدر البعض كتباً عديدة عن هذا الخلاف وذكروا الأضرار التي لحقت بالقضية العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة من جرائه... لهذا كان لا بد من سؤال المفتي عن طبيعة هذا الخلاف واسبابه ومسبباته.. فقال:

ـ الخلاف بيني وبين المرحوم السيد رشيد عالي الكيلاني بولغ فيه كثيراً، وقد حاول البعض توسيع شقته لكننا حسمناه حسما نهائيا، وكان أمده قصيراً باتفاقنا على اللقاء مرتين في الاسبوع، مرة في منزله، ومرة في منزلي... والسيد الكيلاني صديق كريم وعربي أصيل، وكنت واياه في العراق وفي أوروبا على تعاون وثيق وكنا نؤمن بمبادىء واحدة. وقد يكون للاصدقاء وجهات نظر تختلف أحياناً، لكن أكثر وجهات نظرنا كانت واحدة. ولم أحاول في أي وقت أن أخاصمه أو أنافسه، ولم تصدر عني قط أية كلمة ضده لأي أجنبي طيلة المدة التي كنا فيها في المانيا وايطاليا، ولم اؤثر نفسي عليه في شيء، وكنا نتشاور في كل الأمور عندما كنا في منزل واحد في برلين، فلما جاءت اسرته من تركيا الى المانيا انتقل بها إلى منزل آخر، وهذا أمر طبيعي. ولكن ذلك لم يحل دون اتصالنا واستمرارنا في اللقاء والتشاور. وكانت مساعينا السياسية لدى دولتي المحور لصالح القضايا العربية تتم بالاشتراك بيننا، إلى أن افترقنا قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية، ولما قيض اللّه لنا اللقاء بعد عودته من المملكة العربية السعودية الى القاهرة، بقينا على ما كنا عليه من الصفاء والوفاء وتبادل الزيارات.

ثم التقينا مراراً في مكة المكرمة، وفي الرياض، وتبادلنا الزيارات الودية، واستمرت علاقاتنا الاخوية بعد عودته الى بغداد. وبعد وفاته رحمه الله في بيروت ودفنه في بغداد، استمرت علاقاتنا مع اسرته الكريمة وأقاربه على ما كانت عليه من مودة وصداقة . . .

ولست أرى مبرراً للتركيز على موضوع الخلاف بيني وبين السيد الكيلاني إلى حد القول بأنني اعلنت الحرب عليه.

لقد روى البعض أن الكيلاني رفض العمل تحت قيادتي، وأن رشيد عالي الكيلاني حاربني بعنف، وانني تحالفت مع هملر ضده . . . فأنا لم أطلب قط من السيد الكيلاني العمل تحت قيادتي، ولا كان سفري إلى المانيا وايطاليا خلال الحرب العالمية الثانية سعياً وراء شهرة أو زعامة، بل لمتابعة العمل والخطة التي اعتقدت أنها قد تؤدي إلى إنقاذ فلسطين من الصهيونية وتحرير الأمة العربية من الاستعمار، واستمرت مساعينا السياسية مشتركة وتمكنا من حمل دولتي المحور على الاعتراف رسمياً باستقلال الاقطار العربية.

- ما هي حقيقة الخلاف بينكم وبين الدبلوماسي الالماني غروبا؟

كان الدكتور غروبا وزيراً مفوضاً لالمانيا في بغداد إلى أن أعلنت الحرب العالمية الثانية وقطعت حكومة نوري السعيد علاقتها الديبلوماسية بالمانيا استجابة للضغط الانكليزي، وسلمت الرعايا الالمان الذين كانوا في العراق الى السلطات البريطانية فاحتجزتهم في الهند الى نهاية الحرب، ولما نشبت الحرب بين العراق وبريطانيا عام ١٩٤١ وأعاد العراق علاقاته الدبلوماسية بالمانيا رجع الدكتور غروبا الى العراق، لكنه لم يلبث أن عاد إلى برلين قبيل دخول القوات البريطانية بغداد.

وكانت بعض الشركات الالمانية ترغب في الحصول على امتيازات اقتصادية في العراق فتوسط لها غروبا لدى السيد رشيد عالي بعد وصوله الى برلين، لعقد اتفاقات اقتصادية خاصة بالنفط وغيره من الموارد الاقتصادية. وقد حدثني السيد رشيد عالي حينئذ في هذا الموضوع، فكان رأيي التريث في عقد اتفاقات اقتصادية مع الشركات الالمانية الى أن تنتهي الحرب.

وكان يقيم باستانبول عندئذ السيد ناجي شوكت والدكتور محمد حسن

سلمان وهما وزيران في وزارة السيد رشيد عالي الاخيرة فاقترحت عليه أن يستدعيهما الى المانيا لاستشارتهما في الشؤون العراقية، فاستدعاهما فكانا خير مستشارين. أما موضوع الاتفاقات الاقتصادية فقد ارجىء إلى ما بعد الحرب. وأعتقد أن هذا الموقف ساء غروبا وقد بدا ذلك في تصرفاته فيما بعد.

أما القول بأن الهر فون ريبنتروب وزير خارجية المانيا أيد غروبا في التفرقة بيني وبين الكيلاني وأنه اقتنع بسياسة غروبا هذه وأعطاه حرية التصرف لتحقيق هذا الهدف وأن موقف ريبنتروب هذا لا يمكن أن يوصف إلا بأنه خيانة للعرب، فهي أقاويل وادعاءات لا اعتقد صحتها، فلم يكن فون ريبنتروب يعمل للوقيعة بين زعماء العرب ولا هو ايد غروبا في عمله هذا.

وكذلك ليس صحيحاً أن سفري إلى روما كان لتثبيت مركزي في إيطاليا قبل أن يصلها «نفوذ» غروبا، وللحملة على غروبا والكيلاني معا وأن مقابلتي الأولى لموسوليني كانت في فبراير عام ١٩٤٢ والصحيح أنها كانت في أواخر اكتوبر عام ١٩٤١، أثر وصولي روما بعد مغادرتي طهران الى تركيا فالبلقان فالنمسا فايطاليا. ولم أكن قد ذهبت الى المانيا، ولم يكن السيد رشيد عالي قد وصل إلى أوروبا من استانبول حيث كان مقيماً.

وإثباتاً لذلك أورد هنا نص البرقية السرية التي أرسلها القائم بأعمال السفارة الالمانية في روما الكونت بسمارك (حفيد البرنس بسمارك السياسي الالماني الشهير) الى وزارة الخارجية الالمانية عن وصولي الى روما ومقابلتي لموسوليني وأن الحديث في المقابلة كان حول القضية العربية على وجه الحصر.

وهذه البرقية منقولة عن السجلات الرسمية البريطانية، التي اصدرتها المكتبة الملكية البريطانية تحت عنوان: (وثائق ديبلوماسية عن وزارة الخارجية الالمانية)، وهي من ضمن مجموعة الوثائق التي استولت عليها دول الحلفاء عند احتلال المانيا.

ترجمة البرقية رقم (٤٢٨)
٥٠٨٩٣/٧١
من القائم بالاعمال في إيطاليا الى وزارة الخارجية

برقيـة

سري

رقم ٢٧٢٣ في ٢٨ تشرين الأول

بالاشارة الى برقيتي رقم ٢٦٩٥[1] المؤرخة في ٢٥ تشرين الأول، فإن التقرير المبلغ عنه في البرقية المذكورة آنفا بشأن وصول المفتي الأكبر إلى إيطاليـا قد تم نشـره في الصحف الصباحية أمس، إن التأخير ليوم واحد جاء نتيجة لأن الدوتشي، لكونه غـائباً عن رومـا، لم يكن قادراً عـلى استقبال المفتي الأكبـر أمس الأول لكنه استقبله امس صباحاً بحضور انفوزو.

اخبرني انفوزو أن شخصيـة المفتي الأكبر قـد تركت انـطباعـاً مرضيـاً جداً في الدوتشي. لقد كان رجلاً في منتصف الاربعينات من عمره واعطى انطباعاً على كونه ذكيا، وقد بدا أنه يعرف تماماً ما يريد. وقـد دارت المناقشـة، التي دامت وقتا كافياً وجرت باللغة الفرنسية حول القضيـة العربيـة على وجـه الحصر، وأبلغ المفتي الأكبر الدوتشي أن هدفه الاساسي كان استقلال فلسطين وسورية والعراق. وأوضـح أيضاً أنه سيطلب في الوقت المناسب إلى الحكومتين الايطالية والالمانية تصريحاً بأن مساعي الحكومتين مطابقة لمساعيه السياسية التي وافق عليها الدوتشي.

وأضـاف انفوزو أن المفتي الاكبـر رغب أولاً في انتظار وصـول الكيـلاني ومن المحتمل بعد ذلك أن يذهب لزيارة برلين.

روما في ٢٨ تشرين الأول ١٩٤١

«بسمارك»

* * *

ـ قيل ونشر بانكم شكوتم غروبا الى وزارة الخارجية الالمانية؟

ـ هـذا ليس صحيحاً، فـالذين روجـوا لهذه الانبـاء زعموا انني بعـد مقـابلة موسوليني شرعت في الحملة على الدكتور غروبا والكيـلاني في دوائر وزارة الخـارجية

(١) أبلغ بسمـارك في هذه البـرقية (رقم ٥٠٨٩٢/٧١) أن الصحـافة ستنشر في ٢٦ تشـرين الأول أخبار وصول المفتي الأكبر الى مطار إيطالي.

الايطالية ولقيت تأييداً قوياً منها ومن الكونت شيانو.

ولو كنت أريد أن أشكو الدكتور غروبا لشكوته الى وزارة الخارجية الالمانية لأنها مرجع الشكوى، ولا يعقل وأنا في أول زياراتي لروما أن أجعل فاتحة عملي فيها الشكوى من ديبلوماسي ألماني. ثم أن غروبا لم يكن يستطيع أن يفرض رأيه على وزارة الخارجية الايطالية، ولم تكن السلطات الالمانية العليا راضية عن تصرفه عندما كان في بغداد ومحاولته تحريض العراقيين على محاربة الانكليز قبل أن يكونوا مستعدين للحرب وقبل أن تصلهم الطائرات والامدادات العسكرية من المانيا التي كانت معظم قواتها منصرفة الى محاربة روسيا.

المفتي وزعماء النازية:

ـ لقد مكنتم، صاحب السماحة، إقامتكم في بلاد المحور من معرفة عدد من الشخصيات غير هتلر وموسوليني. لقد حوكم عدد منهم كمجرمي حرب ولقد ساهمت أحقادهم في أن تعطي عنهم صورة مشوهة لدى الرأي العام ولا بد أنه كان لشخصياتهم جانبها الايجابي. لقد اعترف بعض المؤرخين كما تطرقنا لذلك في أحاديثنا أن الصورة التي لدينا عن بزون غير أمينة لحقيقته. لقد حكمتم على هؤلاء الأشخاص بروح موضوعية حتماً فهل لكل أن تعطونا عنهم بعض الانطباعات؟

ـ إن ديننا يفرض علينا احترام الموتى وذكراهم فهم بين يدي اللّه وهو وحده الذي يحكم عليهم إن الإسلام يمنع قالة السوء خاصة عن الموتى.

ـ لقد سألناكم صاحب السماحة آخذين بالاعتبار هذه القاعدة الدينية. ونحن من المسلمين ـ عن الناحية الايجابية في شخصياتهم وليس في نيتنا أن نصل بالحديث إلى نقد أخطائهم فنحن متأكدون، ولا نخفيكم أسفنا لذلك، أن تسامحكم لا يمكنكم من مثل هذا النقد.

ـ إن الحديث عن كل من قابلت طويل وسأكتفي بالبعض وخاصة اولئك الذين أثاروا كثيراً من التعليق: غوبلز وهملر وروزنبرغ.

كان غوبلز أكثر أعوان هتلر تفانياً ودأباً وكان برأيي المفكر الذي لم يتسع له الزمن كي يمنح ايديولوجيته فرصتها فقد أخذ العمل كل وقته. كان له وجه استاذ

فلسفة أو أدب كان بليغاً يتغلب عليه الطابع الفكري على السياسي ولكن حيويته ومراسه في العمل كانا أشدّ مما يبيح له أن يكون مفكراً حقيقياً. ولقد كان عبقري فنّ الإعلام عرف اسراره واستخدمها بشكل عظيم. كان سيّد وزارته يضع الستراتيجية ويهتم بالتفاصيل والتقنية الاعلامية. كان ذكاؤه نادراً.

قمت بزيارته بعد أيام من المؤامرة الشهيرة ضد هتلر سنة ١٩٤٣ فروى لي أنه فوجىء بضابط جاء على رأس قوة كي يوقفه فسأله: «لمصلحة من تعمل؟ فأجاب الضابط: لمصلحة المانيا - ما رأيك بالفوهرر؟ - قالوا لي إنه مات - إنه حي وبوسعك أن تكلمه. . .» وعند ذلك طلب غوبلز هتلر بالهاتف وأعطى السماعة للضابط الذي صاح: «هايل هتلر!» وانسحب كي يوقف زملاءه وهكذا فشلت المؤامرة.

- حادثة معبرة عن طبيعة غوبلز!

- نعم كان يدرك النفس واعتمد على فهمه نفسية الجمهور كي يقنعه فيدفعه إلى تأييد النازية.

كان غوبلز يختلف بطبيعته عن هملر فقد كان يبدو على هذا وكأنه عالم بحّاثة. كان هادئاً حسن الإستماع على حيوية لا تقل عن حيوية ذاك. كان واسع الإطلاع على التاريخ وتاريخنا خاصة. كان حاضر البديهة يختلف مظهره اختلافاً بيّناً عن السمعة التي كانت له فقد عرف عنه أنه أقسى النازيين وزعيم الجستابو وفرق الهجوم (S.S)، كان مظهره أقرب إلى البساطة والالفة.

كنت أدعى سنوياً إلى قيادته العامة القريبة من قيادة هتلر. كان معاونه المباشر الجنرال برجر قائد فرق الـ (S.S) يدعوني للعشاء في أركانه العامة الساعة التاسعة عشر ثم نستقل القطار بعد العشاء لزيارة هملر في بروسيا الشرقية التي كنا نصلها بعد ظهر اليوم الثاني وكنت أبقى يومين في ضيافته. كان يقوم بخدمته على المائدة الضباط المكلفون بحراسته فقد كان هملر يخشى أن يلتقط الخدم أثناء تناول الطعام بعض الأحاديث التي يمكن أن تخدم العدو وهكذا كان يحيط نفسه بمن يثق بهم حتى لا يتمكن غريب من أن يندس بين خدمه. كان يدهشني عندما يتحدث في التاريخ، وكان يحيط نفسه دائماً بالعلماء وكنت أتساءل كيف يستطيع رغم صعوبات

الوضع العسكري أن يجد الوقت لأحاديث تتعلق بالفكر البحت. ولقد كان وهو الذي عرف عنه أنه أقل النازيين عاطفة، يبدو لي عاطفياً في أحاديثه. كنت أتساءل بيني وبين نفسي اليست سادية رجاله عاطفية مبالغ فيها. كان إيمانهم المتطرف وتسرعهم في تحقيق اهدافهم مصدر عنفهم. كان هملر لا تناول المشروبات الروحية. ذات مساء عند العشاء لاحظت زجاجة على المائدة فانزعجت ـ ولقد جرى مسؤولو الرايخ وإيطاليا على ألاّ يقدموا المشروبات في الدعوات التي أدعى إليها ـ فقال هملر لما رأى أني انظر إلى الزجاجة: «ليس هذا إلاّ شراب الفرامبواز فأنا مثلكم لا أشرب الخمر».

كانت أحاديثنا سياسية وكنت أجد أنه أكثر أعوان هتلر اهتماماً بأفكاري. كانت آرائي حول المستقبل تدفعه لكثير من التفكير وكان أكثرهم اقتناعا بها رغم ما عرف عنه من التصلّب. لقد كانت مساعدته لي ثمينة حين تكوين الفرق اليوغوسلافية والفرقة الالبانية وكانت اكثر أحاديثنا تدور حول هذه الفرق. وفوق ذلك كانت دعواته تتميز بكثير من الطرائف.

أذكر أني التقيت عنده بأصغر الجنرالات الألمان عمراً وهو الذي كان يقود فرقة الخيالة الوحيدة التي أبقيت عليها الأركان العامة لمقارعة الفرسان القوزاق بعد أن حولت بقية الفرق إلى فرق دبابات ومصفحات. كان لطيفاً مهذباً يعرف الكثير عن الخيل وأنسابها وعاداتها. قال لي: «إن الخيالة هي أكثر الأسلحة فخراً. إننا نحس على السرج كأننا أبطال اسطوريون على جرأة فرسان القرون الوسطى الذين كانوا يغادرون في وجه الأخطار بحثاً عن مفخرة...» فعلقت على فكرته بيت لشاعرنا المتنبي:

«أعزّ مكان في الدنا سرج سابح   وخير جليس في الزمان كتاب».

كان يرى هذا الجنرال الشاب أن الحصان العربي هو انبل الخيل يعرف كل ما يعرف عن أنساب خيلنا كان يظهر احتراماً كبيراً للفرسان القوزاق. قال: «إن شجاعتهم ومهارتهم لا تجارى». وروى لنا عدة قصص عن الحرب. ثم قال: «على الفارس ساعة الهجوم أن يوجه حصانه بشجاعة نحو الهدف يغمض عينه على وابل الرصاص حتى تلتقي الخيول ببعضها وحينئذ يرفع سيفه أو مسدسه كلما كانت

المعركة خطرة كلما كان النصر عظيماً. إن صهيل الخيول موسيقى تزيد من نشوة النصر». قلت له وصفك للمعركة يذكرني بيت لشاعر آخر:

أطيب الطيبات قتل الأعادي ‍ ‍ ‍ ‍ واختيال على ظهور الجياد

قال وقد اعجبه البيت خجلاً: «إن أحلى شيء لقيا حبيب بعد فراق طويل يكون أحدهما على خط النار والآخر موزعاً بين الانتظار والخوف من فقدانه» فاتممت ببيت آخر من نفس القصيدة:

وحبيب يأتي على غير وعد ‍ ‍ ‍ ‍ وحبيب يأتي على ميعاد

كان هملر وهو يسمع هذه الأحاديث كثير التأمل وكان يدلل عند تدخله على معرفة واسعة بالحضارة العربية وكانت استنتاجاته تبدو لي غريبة على نازي مؤمن بعقيدته. قال لي ذات مساء: «سنحت فرصتان لأوربا وألمانيا خاصة أن تجانب فيهما الحروب الدينية ومذابحها التي فقد فيها الشعب الألماني ثلاثين مليونا من خمسة وثلاثين. كانت الأولى فتح العرب للأندلس والثانية الغزو العثماني. لقد أوقف الجرمن الغزوين بعد تضحيات جسيمة وخسارة كبرى بالأرواح ولكنهم اوقفوا تقدم شعلة الحضارة التي كانت ستعم أوربا».

قلت له بعد أن لمحت إلى الدعاية التي تشوه الحقيقة: «أترى كيف يشوه التاريخ!»

قال: «نحن لا نهتم بالدعاية. إن التاريخ يسطره نصر الغالب. إن اليهود أكبر مزدري التاريخ». كان يحتقر اليهود ويحقد عليهم حقداً شديداً.

قال: «عندما قررنا جمع اليهود الهولنديين في معسكرات مستثنين من قدّم منهم خدمات لألمانيا وجيشها ولكنهم اختفوا وأخذوا يقومون بنشاط ضدنا. فأعلنا عن جائزة ١٠ فلورينات عمن يدل على مخابيء الأشخاص المطلوبين ولقد جاءنا عدد من المخبرين وكم كانت دهشتنا كبيرة لما وجدناهم جميعاً من اليهود دون أن يكون بينهم هولاندي واحد. إنهم يضطهدون العالم كله وهم يزعمون أنهم المضطهدون. إن أنانيتهم هي مصدر الحروب. إنهم يدفعون للنزاع كي يجنوا الأرباح المادية دون أن يتحملوا النتائج السيئة. لقد أساءوا كثيراً لألمانيا وسيتحملون

نتائج جرائمهم ثم سألني: «كيف تفكرون بحلّ المسألة اليهودية عندكم؟» قلت له: «سنطلب إليهم أن يعودوا إلى البلدان التي جاءوا منها». فأجاب: «لن نسمح لهم بالعودة الى ألمانيا».

كنت كلما قابلته وجدته يفكر بطرق أنجع ضد اليهود. عندما كنت أقول له إن ديننا لا يسمح بالإضطهاد كان يجيبني: «انتم المسلمين والعرب خاصة عاطفيون لا تستطيعون إنهاءهم وليس بوسعي إلا أن أحترم دافعكم..».

لقد ظلّ حتى اللحظة الأخيرة كبير الأمل بنصر المانيا. في صيف ١٩٤٣ أبديت له شكوكي عن مصير الحرب خلال حفلة دعيت إليها في بروسيا الشرقية لحضور تجربة الدبابات التي تسير على الأرض والماء فأجابني: «أسرّ لك أننا اكتشفنا سلاحاً جديداً، رهيباً هو القنبلة الذرية! وأنت الآن من الأشخاص القليلين الذين يعرفون بذلك. إن الحلفاء يحاولون اكتشاف هذا السر ولكننا سبقناهم بما لا يقل عن ثلاث سنوات في أبحاثنا تضمن لنا النصر».

ولكنّ الأجهزة السرية للحلفاء اكتشفت المعمل الذي يصنع فيه المفاعل الذريّ في بروسيا الشرقية. لأن عدداً كبيراً من الجواسيس أندسَّ في ألمانيا تحت ستار العمال الأجانب الذين جلبوا إليها للعمل في المعامل الألمانية فقد بلغ عدد هؤلاء العمال ١٧ مليوناً وبوسعكم أن تتخيلوا عدد الجواسيس الذين دخلوا بينهم. وأغار الطيران الحليف على المعمل فقتل عدد كبير من العلماء الألمان وخرب المعامل الذري وتأخر الاكتشاف ونقل الألمان المعمل إلى جزيرة مقابلة للدانمارك فحفروا نفقاً من الشاطيء الدانماركي إلى الجزيرة ظانين أن هذه الاحتياطات تحمي المعمل وتحافظ على سرّيته.

وابتدأ العمل من جديد وما أن أحرزوا بعض التقدم حتى اكتشفت اجهزة الحلفاء السرية المكان الجديد وقام الطيران من جديد بتخريب المعمل مؤخراً بذلك الجهود الرامية للإكتشاف اليس ذلك دليلاً على قوة الجاسوسية الحليفة؟ لقد اتصل بي أنها نجحت بشراء الأميرال كناريس مدير عام المكتب الثاني الألماني.

كانت كل هذه الشخصيات الألمانية في عهد هتلر، وهلمر خاصة شخصيات تخرج عن المعتاد، من معدن يختلف عن الآخرين. إن أكثر الناس وخاصة الكتاب

عندما يتحدثون عنهم يذكرون قسوتهم بكثير من الحقد. فهل يستحقون كل هذا العداء؟ ليس لي أن أحكم عليهم ولكنهم مظهر اجتماعي جدير بالدراسة فهم تعبير إنساني وهل الإنسان خال من الخطأ؟ لا تستطيعون أن تقولوا بلى. هل كان هؤلاء وحدهم هم الذين أساءوا استعمال السلطة واستخدموا وسائل التعذيب؟ وهل تطورت الإنسانية بعد ذهابهم؟ أؤكد أن لا. واللاجئون أيا كان أصلهم وفي أية أرض وجدوا هم دليل على ذلك. إن السجون والتعذيب موجودة في أكثر بلدان العالم. لقد اثبت الانسان أنه إذا ثارت غرائزه أقرب للشر منه للخير. عندما ندرس هؤلاء الأشخاص علميًا فإننا نستخلص منهم الدرس للأجيال المقبلة. إن الحقد لا ينتج غير الحقد ومن اجتر العداء للآخرين أهل لأن يرتكب أخطاءهم متى سنحت له الفرصة. إن المذابح التي قام بها ميخايلوفتش ضد المسلمين أقسى من الفظائع النازية ضد اليهود. إن الحرب نفسها هي التي تجر إلى القسوة. فهي تبيح كل شيء يستحيل فيها الانسان إلى وحش صالح للقتل. وإني اتساءل ألم تكن هناك وسيلة أخرى غير الحرب لاقناع النازيين. لقد لاحظت أن عدداً منهم كان قادراً على تبديل آرائه وروزنبرغ أفضل مثل.

ـ صاحب السماحة إننا ننتظر بفارغ الصبر أن تتحدثوا عن العلاقة بينكم وبينه فنحن نعلم اختلاف الآراء بينكما عن العرب.

ـ كنت بالواقع أحب أن أراه فلقد كانت الأفكار التي أتى عليها في كتابه «خرافة القرن العشرين» موضع تأملي واعتراضي. اقترح علي هتلر كما قلت لكم أن أزور مركز الأبحاث اليهودية ثم جاءتني دعوة تؤكد هذا الأقتراح من روزنبرغ نفسه سنة ١٩٤٣.

ذهبت برفقة بعض معاوني في ١٢ نيسان ١٩٤٣ إلى فرانكفورت وبقينا فيها أياماً ثلاثة. كان يعمل في ذلك المركز سبعون عالماً مختصين بالتاريخ والتحليل النفسي والأجناس والتربية وعلم الاجتماع وما شابهها أو تعلق بها من فروع العلم وكان هؤلاء العلماء منتقين من عدة أمم من المانيا وهنغاريا والسويد... وكان فيه أكثر من ستمائة موظفاً بين مدير وسكرتير ومترجم ومختص بالإحصاء لمساعدة هؤلاء العلماء.

قدم مدير المعهد الدكتور رايشوفر المعلومات التي سألنا عنها وأطلعنا على نتائج دراسات المعهد وقدم لنا الإحصاءات الدقيقة ومنها إحصاء لأصدقاء واعداء اليهود في العالم. وكانت محفوظاتهم مدهشة بغناها. وكانت لديهم مقالات عن اليهود من مختلف صحف ومجلات العالم وكان في المعهد مكتبة ضخمة.

لقد استطاع بعد تأسيسه سنة ١٩٣٣ أن يجمع معلومات دقيقة نادرة وفي خلال الحفلة التي أقامها المدير على شرفي القى خطاباً أبدى فيه اطلاعاً واسعاً عن العرب وعدد حوادث كنت أظنها مجهولة من العالم أجمع قال لي: «نحن نعرف جيداً تاريخكم فلقد حملتم قبلنا عبء الكفاح ضد الصهيونية. إن التاريخ ليحفظ لكفاحكم أنصع صفحاته».

كان ينشر المعهد مجلة تصدر في ١٥ لغة فانتهز القائمون عليه فرصة زيارتي وطلبوا من أن أكلف أحدا بنشر المجلة باللغة العربية فعيّن الدكتور عادل مسكي لهذه الغاية. وعمل في المعهد وهكذا ظهرت المجلة باللغة العربية.

ـ هل توصلت بحوث المعهد لإعطاء الأجوبة على أسئلة هتلر؟

ـ نعم ولقد كانت كالتالي:

١ ـ إن اعتقاد اليهود بأنهم الشعب المختار وأن العالم خلق من أجلهم وأن الشعوب الأخرى (الكوييم) هي شبيهة بالحيوانات حرم عليها الملك والحكم، قوت أنانيتهم وحبهم للسيطرة وغرورهم وحقدهم نحو الآخرين.

٢ ـ لقد فشلت كل محاولات تمثلهم بالزواج والمعاملة الحسنة والاتصال بغيرهم من البشر.

ـ ماذا تعتقدون صاحب السماحة بهذه النتائج؟

ـ إنها تحوي جزءاً كبيراً من الصحة. إن علماء اليهود أنفسهم يعترفون بصعوبة اندماجهم في مجتمع آخر. وبعض يرى ذلك دليلاً على عقدة التفوق التي تبرهن عليها دراسة (الكيتو) كما أني لاحظت أن بعض نتائج دراسة المعهد سيطر عليها المفهوم السابق. وإني لأتساءل أليست الفرصة العلمية خاضعة دائماً للمفهوم السابق. وفوق ذلك كنت على خلاف معهم من ناحية الاستنتاجات الأخلاقية

وخضت حول ذلك مناقشات طويلة مع روزنبرغ وغيره من القادة الألمان. كان سلوك هؤلاء اتجاه اليهود يزعجني. وكانت تثيرني نجمة اسرائيل التي أكرهوا على حملها. هذا التفريق العنصري واحتقار الكائن الانساني يخالف روح الاسلام وما كنت أوافق على اضطهادهم فقد منع عليهم الجلوس على المقاعد في الحدائق العامة ولم يكن لهم الحق بالجلوس في الترام. كان يسألني بعض الألمان فيما إذا كنا سنطبق عندما نتحرر على اليهود نفس النظام أم لا وكنت أجيبهم إن ديننا لا يسمح بالقسوة ضد الآخرين.

بينما كنت اتنزه في فرانكفورت مع حاكم المدينة العسكري وهو ضابط من فرق الصاعقة مررنا بمعسكر أسرى ليس فيه سوى الانكليز. توجه إلى آمر المعسكر سائلاً: «لماذا تحتفظون بهؤلاء الخنازير؟ اقتلوهم حالاً!» قلت لهم: «انتم قساة» فأجابني «انكم تجهلون هؤلاء الملاعين. إنهم مجرمون كاليهود بل أكثر جريمة منهم وانتم خير من يمكن أن يعرفهم ويعرف جرائمهم ويكفي أن نرى ما صنعوه عندكم...» قلت له: «هذا صحيح ولكن قتل الأسير جرم لم نقترفه عبر تاريخنا أياً كان أصل الأسير أو دينه. إن الاسلام لا يجيز ذلك».

لقد حاولت أثناء زيارة قمت بها لهتلر سنة ١٩٤٢ لبحث الجيش الاسلامي أن الفت انتباهه إلى المعاملة السيئة التي كان يعامل بها اليهود فقلت له: «اسمح لنفسي أن ابحث موضوعاً لا يعنيني مباشرة وما كنت أفعل لو لم يكن ذلك في مصلحتكم ولو لم أكن رجل دين. إن سلوك الجستابوبالنسبة لليهود يبدو لي مبالغاً فيه وهذا يسيء عاجلاً أم آجلاً لسمعة المانيا ونحن لا نجيز ذلك رغم كل ما يجري في بلادنا في فلسطين وفي بقية البلدان العربية لم ترتكب ضدهم حوادث فردية. إن اليهود يعيشون في سورية والعراق ومصر بسلام وحرية كبقية المواطنين...»

كان هتلر في تلك الفترة شديد القلق على وضع الجبهة الشرقية فأجابني بعصبية: «أنتم العرب شعب عاطفي جرت عليكم عاطفيتكم التي لا حدود لها مصائبكم. أنتم تجهلون الإساءات التي سببها اليهود لألمانيا والشر الذي يصنعون أينما وجدوا... هذا الشعب المجرم القاتل الذي يدعي أنه شعب الله المختار... انهم شعب الله المحتال... إنهم مجرمون... مجرمون... مجرمون...!».

كـان يرتجف غضبـاً كلما ذكر أمـامه اليهـود فيحتقن وجهه وتتغضن عضـلات وجهه وقبضته فيتهدج في حديثه.

كـان حقد زعيم الـرايخ عـلى اليهود يبلغ الهـوس الـذي يقضمـه. أمـا عنـد روزنبرغ فكان ذلك حقيقة علمية مبرهنا عليها تدعم نظريته الفلسفية وتثبت صحـة فرضياته.

كان روزنبرغ من أولئـك المفكرين الألمـان الذين يؤمنـون بأفكـارهم اكثر من أيمانهم بحقائق هذا العالم من أولئك الذين تنبع نظرياتهم الغائمـة من الشعر. كنت المح في فكره ڤاغنر دون كانت. كانت هنالك غمامة رؤيا تلفّع روحـه. وكان يعتبـر فيلسوف النازية. أما عندي فقد كان رجل الرؤيا الذي تشاهد بصيرته اندراج عـالم يختلف عن عالمنا نحن، عالم ابدعه خياله الموهوب لشعر الملحمة. كانت نظريته عن الأتلانتيد تدفعني للتفكير بالأوديسا وثانهاوزر ولقد كـان روح الاسطورة عنـده تعبيراً عن الفكر النازي. ولقد كانت تسيطر على النازيين جميعاً روح الملحمة. كـان موت هتلر مسرحياً كأنما أخرجه ڤاغنر. . . موسيقى غروب الآلهة ثم نعي انتحاره. مـوت غوبلز وعائلته على شكل هاراكيري اجماعي (الإنتحـار على الـطريقة اليـابانيـة) كان أيضاً مأساوياً. هـذه الرومـانتيكية السيـاسية التي بلغت أوجهـا لدى زعـماء الرايـخ الثالث لم تستطع عندما جـاء دور العمل أن تنـطوي أمام الـوقائـع التي لا يمكن أن تطابق الخيال فنجم عن ذلك سادية جماعية شهدنا جميعاً نتائجها وعبـرت عن نفسها فردياً بأعمال ماسوشية. لقد غدا الانتحار لديهم تعبيراً رواقيّاً (Stoicisme) لصوفيّة خاب أملها فاتجهت ضد الذات. إن الإخراج المتقن لهذه الانتحارات تدل على أنـه كان يشغل ذهنه قبل حدوثه ويعبـر عن حالـة نفسية هي بـرأيي نتيجة الصـدام بين الحلم والـواقع. لقـد أدى هذا التبـاين إلى تحـدي الكـائن الانسـاني والى التعـذيب والموت.

كان فكر روزنبرغ يعبر أولا عن الحلم والاحتقار وما رأيـه بالحضـارة العربيـة إلاّ شاهد على ذلك.

قلت له: تذهبون في كتابكم «خـرافة القـرن العشرين» إلى أن الحضـارة هي آرية فقط وترفضون أن يحمل الابداع العربي هذا الأسم.

ـ إن الحضارة شبيهة بالكائن الانساني ولها مثله شخصيتها. . .

قلت متمماً فكرته التي كنت أعرفها جيداً: . . . التي تتكامل على مرّ الزمن، التي تتوق إلى المثل الأعلى ولا نصل إليه وهذا سبب رقيّها.

فقال روزنبرغ: إن وحدة شخصية المبدع هي الضرورة الأولى للإبداع. إن الإبداع هو عمل نقي ينبثق عن كائن نقي يتحلّى بصفات عالية وأذهب إلى أن الإبداع كامن فيه يتجلى متى وجدت شروط البيئة الملائمة. إن عمله شبيه بإنبات البذور. إن البذرة الطيبة في أرض خصبة تنبت الشجرة.

إن الحضارة هي عمل المبدعين المستمر. كيما يبدع الانسان يجب أن ينتسب للشعب المبدع الذي هو الشعب الآري.

ـ تلك فكرة سابقة تقدّمت دراسة العمل الانساني الفني. لقد بدأت بتأكيد وجود الإبداع الألماني وإنكار إبداع الآخرين. وضعت الفرضية وآمنت بها ولما لم تجد ما يدحضها بين يديك اتخذتها حقيقة مبرهناً عليها أيدتها تجربتك الخاصة. وما وسعت حقل تجربتك الا بعد أن وضعت القانون الذي حكمت به على ما قدمت لك التجربة.

كذلك كان التعليل الذي آمنت بنتيجته بشعب الاتلانتيد. لما لم تجد ما ينفي وجوده آمنت به ولكنك لم تثبت مع ذلك وجوده ولقد أقحمت نفسك في مجهول يمكن أن يدحضه العلم في المستقبل.

ـ لقد تركت الباب مفتوحاً للعلم وله وحده أن يكتشف أصل الآريين السابق للتاريخ. هذا الشعب موجود وليس من الممكن إنكار وجوده وما حقّق من أعمال. وليس علي أن أثبت جذوره البعيدة فذلك يبدو لي بديهياً. وعلى العلم أن يجد منشأه ليدرس تطوره. مثل هذه الدراسة ستؤدي بالعلم إلى اكتشاف تكامل عمله المبدع. . . وأضيف فأقول: الإبداع الحضاري. هذه الدراسة لا علاقة لها بالفكر الفلسفي وإنما بالعلم.

ـ إنك تؤكد أن هذا الشعب قد حط على قارتنا بعد غرق الأتلانتيد فوجدها خالية من الإبداع الحضاري ـ كما فهمت من قراءتك ـ فقام، وحده، بالعمل

الحضاري. بهذا التأكيد تلزم نفسك بإنكار عمل الآخرين. لقد بدأ الإبداع الفني بالأدوات الأولى للإنسان والقول بأنه وقف على الآري يعني الإيمان بفرضية دون برهان. لقد اكتشف العلم هذه الأدوات ولكنه لم يقل إنها من عمل الآريين. إن حضارتنا هي تكامل هذه الأدوات وتطوير صنعها. ولا استطيع أن أقول إن صانعيها أريون كما لا استطيع أن أقول العكس.

ـ إن العمل الحضاري هو اتمام ما بدأه البشر الأوائل. إن الشعب الذي لا يستطيع الاستمرار بالعمل ليس قادراً على إبداعه أصلاً. لقد استطاع الآريون الأستمرار بالعمل الحضاري مما يثبت أنهم أبدعوا البدايات الحضارية. إن العلم لم يستطع الكشف عن هوية مبدعي الأدوات الأولى ولكنه حدّد الذين كفلوا تطورها أعني الآريين.

ـ لقد تعهدوا شكلا من أشكال الاستمرار ولكن هنالك شعوب ساهمت بتكامل الأعمال المبدعة الأولى والشعب العربي مثل على ذلك.

ـ لم أنكر على الشعب العربي مساهمته ولكني أكدت أن للحضارة شخصيتها، ماهيتها، والآريون هم الذين عبّروا عن هذه الماهية.

ـ أرى أن كل إبداع يعكس الماهية، مثلما كان الانسان من خلق اللّه وتعبيراً عن خالقه.

ـ إن الحضارة العربية ينقصها امتلاء التعبير.

ـ أعلم أنك انتقدتها على انها ليست سوى زخرفة وتناظر مبني على معرفة المحلّ الهندسي.

ـ ما رأيكم في ذلك؟

ـ أرى أنك على حق ولكنك لم تقدر حق التقدير المعنى العميق لأسس حضارتنا. ومردّ ذلك، حسب ما أظن، إلى تصورك الجرمني للحضارة ولاعجابك بإبداع الجرمن الذي يمنعك من تقييم حضارات الآخرين في قيمتها الحقيقية.

إن التناظر يترجم توازن النفس العربية. بيت الشعر العربي يختلف عن بيت الشعر عندكم بأنه جزءان متماثلان متناظران وهو يكون وحدة صغيرة من الوحدة

الكبـرى التي هي القصيـدة الكـاملة. إن بعض أوزانـنـا هي ضـعف الـوزن الاسكنـدري ـ في كل صـدر بيت نغم مكرور في العجـز يسـاهم في إكمـال تعبيـر القصيـدة كاملة. ونجـد هذا التنـاظر في الأبيـات في أعمدة وأقـواس جوامعنـا. إن التعبير عندنـا هو كـل يتراءى في أجـزاء متساويـة متسقة، متـوازنة. أمـا عن المحلّ الهندسي فهو طريقتنا في رؤية الفضاء، المكان الذي نـرى منه الـلانهاية. إنـه شكل لتعبيـرنا عن الشعـور الديني. ولا ننسى أن العـرب اكتشفوا الصفـر هـذا الـلاشيء الـذي ليس عدمـاً، هذا الأثـير الذي لا نحسـه ولكنـه مـوجـود. من الصفـر تبـدأ اللانهاية العظمى واللانهاية الصغرى. منه يبدأ التأمل. . . منه يبدأ المكـان. . . إن فهم معنى المحل الهندسي هو فهم شكل أعلى للإبداع الحضاري.

أما عن التزيـين فالنفس العـربية مـأخوذة بـالوشي. إن الكلمـة العربيـة هي صفة، هي زينة.

وبيت الشعر صورة والقصيدة وحدة موشاة. وقصر الحمراء قصيدتنـا الكبرى الكاملة بتناظرها الجميلة بزخرفتهـا. . . »[1].

كـانت منـاقشتنـا الأولى طـويلة رويت لكم منهـا الأهم. قـال لي في نهايتهـا روزنبرغ: «لقد لفتم صاحب السماحة نظري إلى آراء هامة».

ـ هل تعتقدون صاحب السماحة أنه اقتنع؟

ـ أرسل لي بعد ذلك عدة مقالات نشرهـا تبدي أنـه بدّل رأيـه عن الحضارة العربية.

ـ ألم تحاولوا تبديل موقفه من اليهود؟

ـ كان ذلك مستحيلا من هذه الناحية. عندما كنا نصل في المنـاقشة إلى هـذا الحد كان يبدو مستحيلاً تبديل آرائه أو تخفيفها. كانت عنده قناعات شبه دينية. ولا تنسـوا أني لم أذهب لبلاد المحـور كي أدافـع عن قضيـة اليهـود. فقـد كـانت لـدي مهمّات أخرى ولكني مع ذلك كنت أعلن عن رأيي في الدعوة الى التسامح نحـوهم عندما تحين الفرصة.

(١) انتقد روزنبرغ في كتابه الحمراء قائلا إنه لا يرى فيه غير براعة في التناظر.

ـ كنتم تختلفون إذن بالرأي عن مسئولي المحور؟

ـ أساسيًّا. وما كانوا يخفون استغـرابهم كما لاحـظت وأنا لم أذهب إليهم كي أبدّل رسالتي لقد ذهبت كحليف وبصفة المفاوض كما قلت لكم.

هؤلاء تعرفت عليهم في المانيا

خلال سني الحرب العالمية الثانية، لقيت في أوربا، وفي المانيا خاصة، عدداً كبيراً من مشاهير المسلمين والعرب والشرقيين، وكثيرين من الأجانب، وجرت بيننا أحاديث في القضايا الاسلامية والعربية والشرقية والغربية...

فمن هؤلاء أمان اللّه خان ملك الافغان السابق، وعبد القيوم خان رئيس اللجنة القومية المتحدة لتركستان، وعلي خان فان دمير من زعماء مسلمي القوقاز، وسعيد بك شامل وزير خارجية حكومة القوقاز وحفيد الشيخ شامل المجاهد الشهير، وسوبهاس شاندرابوز أحدى كبار زعماء الهند، وكمال بك أوخري أحد هيئة أركان حرب مصطفى كمال (اتاتورك) وغلام صديق خان وزير خارجية الافغان سابقاً ومهدي بك فراشيري رئيس مجلس الجمهورية الالبانية؛ والزعيم التونسي الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس فيما بعد وعدد من مجاهدي تونس والجزائر والمغرب، والدكتور تقي الدين الهلالي من علماء المغرب وفضلائه، واللواء إبراهيم باشا الراوي ونخبة من رجالات العراق وليبيا وكثيرون غيرهم من أقطار عربية واسلامية أخرى، وساتحدث عن بعضهم بإيجاز:

أمان اللّه خان:

كان أمان اللّه خان ملك الافغان السابق قد لجأ إلى إيطاليا بعد الثورة التي نشبت في بلاده وأطاحت به، وقد التقيت به ودعاني للغداء مراراً في قصره بروما، وكان حزينا لاغترابه عن بلاده، وسبب الثورة أن أمان اللّه حاول توجيه الشعب الافغاني بالقوة الى حالة اجتماعية مخالفة لما نشأ علية الافغانيون من عقيدة دينية وتقاليد اسلامية، منقاداً الى ذلك بتحريض بعض العناصر الاجنبية، ومتأثرا بما

حدث في تركيا في ذلك الحين من تغييرات في الحالة الاجتماعية . .

فلما ثار الشعب الأفغاني في وجه أمان اللّه انتهز الفرصة «باجه سقا» ـ أحد رجال القبائل ـ فوثب على الحكم، وعاث في البلاد فسادا مدة من الزمن، خرج خلالها أمان اللّه من افغانستان، وكان أخوه السردار عناية اللّه خان قد حاول أن يحل محل أخيه أمان اللّه لكنه لم يستطع أن يثبت في وجه الثورة. وخلال ذلك كان «نادر خان» أحد كبار رجال الدولة الافغانية وقوادها، يحزم أمره وينظم جيشه، فتمكن من القضاء على باجه سقا وانقاذ البلاد من الفتنة، ثم تولى الحكم في أفغانستان التي دانت له وأصبح «الملك» نادر شاه، وكان مشهوراً بالحزم وحسن الادارة وفيض الشعور الاسلامي، وهو والد الملك محمد ظاهر شاه.

شوبهاسساندرابوز:

كان الزعيم الهندي شوبهاس شاندرابوز من أبرز زعماء الهند المناوئين للسياسة البريطانية والاستعمار البريطاني في الهند. وكان لاجئاً سياسياً في المانيا، فالتقيت به مرارا وتعددت الزيارات بيننا، وكان مقداما جريئاً. وظل مقيماً بألمانيا الى عام ١٩٤٤، ثم اتفق مع السلطات الالمانية على أن تهيء له وسيلة للسفر الى الشرق الأقصى، للعمل على مقاومة البريطانيين في الهند وبورما وغيرهما من المناطق التي كانت ترزخ تحت نير الاستعمار البريطاني، فأطلقه الألمان في غواصة الى الشرق الأقصى، وتمكن من الوصول الى بورما، ولكن الطائرة التي كانت تقله في بورما سقطت به فقتل. حدثني بذلك ضابط باكستاني كبير اجتمعت به في باكستان عام ١٩٥١ فذكر لي تفصيلات الحادث، إذ كان هو نفسه في الطائرة المنكوبة، وأصيب بجراح خطرة من سقوطه منها.

وكان مصرع شاندرابوز خسارة كبيرة للهند.

تقي الدين الهلالي:

عهدت الدكتور تقي الدين الهلالي، العالم المغربي المعروف، استاذاً في معهد «ندوة العلماء» الشهيرة في «لكنو» بالهند، ثم لقيته في ألمانيا بعد أن أتم دراسته في جامعة برلين. وقد بادرني مقترحا علي أن أسعى لاطلاق سراح المجاهد الكبير الأمير عبد الكريم الخطابي، الذي كان معتقلاً عند الافرنسيين في جزيرة مدغشقر في المحيط الهندي، منذ تعاونت فرنسا وأسبانيا معا على القضاء على ثورته الشهيرة في

ريف المغرب، بعدما أعيا أمرها الجيوش الاسبانية، فاستعانت عليه بفرنسا التي أعدت لقتاله عدة جيوش بقيادة مشاهير قوادها. وهكذا تمكنت القوات الفرنسية والاسبانية بتعاونهما معا من التغلب على المجاهد الكبير، وحملته فرنسا مع اسرته وأخيه الأمير محمد إلى المنفى في الجزيرة المذكورة. وكان الأمير عبد الكريم قد أمضى إلى ذلك الحين ١٥ عاماً في منفاه البعيد، فبادرت بمراجعة المسئولين من رجال الحكومة الالمانية، ليسعوا لدى السلطات الفرنسية لاطلاق سراحه. لكن أولئك المسئولين طلبوا مني ارجاء البحث في هذه المسألة لأن اخلاء سبيله فوراً يسيء إلى فرنسا، ولأنه مقيم في جزيرة مدغشقر وليس في الامكان نقله في ظروف الحرب العالمية الحاضرة.

وكذلك كان جوابهم فيما طالبتهم به من إطلاق سراح الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة ورفاقه من رجال الحركة الوطنية التونسية الذين كانوا معتقلين في فرنسا، لكنهم أخلوا سبيلهم فيما بعد بعدما تكررت مراجعاتي لهم في شأنهم.

وفيما بعد قيض اللّه لي لقاء الأمير عبد الكريم في مصر على أثر التجائه إليها منتهزاً فرصة وصول الباخرة التي كانت تقله وأسرته من منفاهم في مدغشقر الى قناة السويس. فقرت به عيناي، وكثيراً ما كنا نجتمع خلال السنوات العشر التي قضيناها في أرض الكنانة.

العميد كمال اوخري:

وممن لقيتهم في المانيا العميد (الميرالاي) كمال بك أوخري من رئاسة أركان حرب مصطفى كمال (أتاتورك) خلال حرب الاستقلال في تركيا، فروى لي كثيراً من الحوادث التي شهدها بنفسه، وشارك فيها بشخصه، وقد جلا حديثه كثيراً من الغموض الذي أحاط بتاريخ تلك الأحداث الخطيرة، التي بلبلت الآراء في العالم الاسلامي، وأصابت المسلمين بصدمة كبرى في سائر الاقطار.

لقد أكد لي أن مصطفى كمال لم يكن عدواً للاسلام، ولا خطر بباله أن يناهض الخلافة الاسلامية أو يعمل على الغائها، وإن لم يكن متديناً أو متمسكاً بالتقاليد الدينية، لكن ذلك العمل وقع منه بضغط شديد عليه من الاعداء. ونظراً إلى أهمية هذا الموضوع فسأورد خلاصة ما علمته من كمال بك أوخري وسواه من

الخبراء عن هذا الرجل الذي كانت له صلة وثقى بالاحداث التي وقعت في هذه المنطقة من العالم.

لقد حدثني القائد العسكري العربي رضا باشا الركابي - الذي تولى عدة مناصب في العهد العثماني ثم صار حاكما عسكريا لسورية في العهد الفيصلي القصير الامد، وتولى بعدئذ رئاسة الوزراء الاردنية في عهد (الأمير) عبد الله بن الحسين - أنه لما كان قائداً عسكريا لموقع القدس عند أعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨، كان مصطفى كمال ضابطاً تحت قيادته، وأنه كان ذكياً وناشطاً، لكنه كان يخرج أحياناً على الانضباط العسكري.

وبمضي الوقت تولى مصطفى كمال مهام عسكرية عديدة في مناطق مختلفة من بلاد الدولة العثمانية، أبدى فيها براعة وكفاءة عسكرية، وكان من أبرزها اشتراكه في معارك الدردنيل «جناق قلعة» في الحرب العالمية الأولى، ولم يلبث أن تولى قيادة منطقة «أنا فارطة لر» التي تعتبر من أهم جبهات الحرب في الدردنيل، وإدارة معاركها ادارة عسكرية بارعة، فأمر جميع الضباط التابعين لقيادته أن يتقدموا جنودهم في اقتحام خطوط الاعداء، وقام بهجمات عديدة حاسمة على خنادق الانجليز، فزعزع صفوفهم وأوقع فيهم الخسائر الفادحة. وكان ذلك من الاسباب التي أرغمت قوات الحلفاء على الانسحاب باسطولهم القوي من جبهة الدردنيل كلها، وبذلك لمع نجمه وعلا مركزه. تم تطورت الحرب والقت بكلكلها على كاهل الدولة العثمانية، واشترك مصطفى كمال في جبهة فلسطين قائداً لأحد الجيوش في مجابهة قوات الجنرال اللنبي عام ١٩١٨.

وعاد مصطفى كمال في أواخر الحرب الى استانبول، دار الخلافة، يتجرع مرارة الهزيمة كغيره من القادة، فقد انتصر الحلفاء في تلك الحرب العالمية، وتمزقت الدولة العثمانية، واحتلت جيوش الحلفاء معظم اشلائها، وكانت قوات الحلفاء التي حملتها اساطيلهم الى بحر مرمرة قد احتلت استانبول واحتل الفرنسيون منطقة كليكيا، والايطاليون منطقة اضاليا، وسمح الحلفاء لليونان باحتلال منطقة ازمير وايدين، فكان مصطفى كمال يزور قصر السلطان وحيد الدين حينا بعد حين، وقد حدثني إحسان بك الجابري - الذي كان رئيس الديوان السلطاني حينئذ - أن مصطفى كمال كان يرجو منه مرة بعد أخرى أن يرفع إلى السلطان استعداده لانقاذ الوضع المتردي في تركيا، ويؤكد لاحسان بك أنه مستطيع ذلك ومستعد له، وكان

يضرب المائدة بيده مردداً قولـه: «واللّه يا بـارم» مقسماً أنـه يستطيـع ذلك، ويكـرر قـائلاً: «أرجـوك أن تعرض لمـولانا السلطان اني استـطيع أن أفعـل ذلـك». وكـان احسان بك يقوم بابلاغ السلطان طلبه مـرة بعد أخـرى وأخيراً قـرر السلطان تعيينه مفتشاً عاماً للجيش في الاناضول، وأعطاه أيضا عشرين ألف دينار ذهباً يستعـين بها على عمله.

قلقت دول الحلفاء ولا سيما بريطانيا من الحركة الكمالية، وانبعاث تـركيا من جديد وعودتها الى الحياة والنشاط، بعد أن كانت عـلى شفا جـرف هار من التمـزق والاضمحلال، وقررت الحكومة البـريطانيـة استئناف الحـرب مرة أخـرى لاخضاع الاتـراك، وطلب لـويـد جـورج رئيس وزراء بـريـطانيـا حينئـذ من مجلس العمـوم البريطاني أن يوافق على ميزانية عسكرية ضخمة لاستئناف الحرب ومساعدة اليونـان على تجريد حملة عسكرية ثانية على تركيا، فوافق مجلس العموم عـلى ذلك، وعنـدئذ أرسل مصطفى كمـال، عصمت باشـا (اين اونو) إلى لنـدن، فقابـل المسئولـين من رجال الحكومة، وفي مقدمتهم اللورد كرزون وزير الخـارجية، وقـال لهم: لقد كنـا امبراطورية عظيمة فكنتم تحذروننا، لكننا اليوم بعدمـا تمزقت دولتنـا، لم يبق لنا إلا بلادنا التركية المحضة، ولم يعد لنا من الخطر ما تخشونه، فلماذا لا تتـركوننـا نعيش مستقلين في أمن وسلام؟

وعـلى أثر ذلـك بدأت سلسلة طـويلة من المفاوضـات بين تـركيا وبـريـطانيـا استمرت اكثر من عـام، وكان الانكليـز وحلفاؤهم يصـرون خلالهـا على أن تكـون تركيا تحت الانتداب، وأن يعين مستشارون أجانب لكل وزارات الدولة.

وحـدث خـلال تلك المفـاوضات في عـام ١٩٢١ أن كان الـوفـد الفلسـطيني برئاسة المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني في لندن، فـزاره عصمت باشـا حيث كان الـوفد نـازلا بفندق «سيسـل» وقد روى لي مـوسى كاظم بـاشا مـا جـرى بينهـما من حـديث، وأن عصمت قال لـه انكم أيها العـرب تعرفـون أننا معشر الاتـراك قمنـا بواجبنا الاسلامي حقبة من الدهر امتدت مئات السنـين، وقد بـذلنا خـلالها دمـاءنا وارواحنا بسخاء، إلى أن وصلنـا الى ما نحن عليـه من الضعـف، وقد جـاء دوركم الآن أيها الأخوة العرب، وقد عقدتم معاهـدة مع انكلتـرة ان تساعـدونا وتتـوسطوا بيننا وبين حلفائكم الانكليز، وبما لكم من مركز سياسي يخولكـم ذلـك... فأجـابه

كاظم باشا، أن هؤلاء الانكليز لا تجدي معهم معاهدات ولا تحالفات، وها هم ينقضون العهود ويمنحون اليهود بقعة من اقدس بلاد العرب هي فلسطين. كما أنهم وضعوا أيديهم على العراق والأردن وغيرهما من الاقطار العربية. وروى لي كاظم باشا أيضاً بعض ما سمعه من عصمت باشا عن مفاوضاته مع الانجليز، وكانت لا تزال في أولها.

ولكن كمال بك اوخري، الذي كان على اتصال مستمر بمصطفى كمال، والذي لقيته مرارا في برلين عام ١٩٤٣، روى لي عن اوثق المصادر ما انتهت اليه المفاوضات، فقال: إن كرزون وقف وقفة المتصلب وقال لعصمت: إننا لا نستطيع أن ندعكم مستقلين لانكم تكونون حينئذ «نواة» يتجمع حولها المسلمون مرة أخرى، فتعود «المسألة الشرقية» التي عانينا منها كثيراً، واصطدمنا بها زمنا طويلاً. وكان عصمت يعود للبحث والمشورة الى انقرة التي اتخذها مصطفى كمال مركزاً لحكومته، ثم يرجع الى لندن لاستئناف المفاوضات، وكانت تركيا حينئذ منهوكة القوى من الحروب الطويلة التي عانتها في معارك البلقان وليبيا ثم الحرب العالمية، فرأى مصطفى كمال الذي كان يشعر بالحرج وخطورة الظرف والذي ذاق لذة التربع على كرسي الحكم، أن يخضع للضغط وأن يتعهد للانجليز وحلفائهم بكل ما يطمئنهم إلى أن استقلال تركيا لن يكون خطرا عليهم ولن يسبب لهم في المستقبل ما يحرج مواقفهم ويقض مضاجعهم.

شروط كرزون الاربعة:

وعندئذ أملى الانجليز شروطهم المعروفة بشروط كرزون الاربعة وهي:

١ ـ أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام.

٢ ـ أن تلغي الخلافة الاسلامية.

٣ ـ أن تتعهد باخماد كل حركة يقوم بها انصار الخلافة..

٤ ـ أن تختار تركيا لها دستوراً مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الاسلامية والقائم على قواعدها.

وأضاف كمال بك أوخري الى ذلك قوله إن تركيا اختارت دستور سويسرة المدني، ونفذت شروط الانجليز الاربعة التي امليت عليها..

وكـان مما تفـرع عن ذلـك استعمـال الحـروف الـلاتينيـة بـدلا من الحـروف العربية، ومنع إقامة الاذان باللغة العربية ومنع تعليم الـدين والقرآن في المـدارس، وغير ذلك مما تحدده الشروط المذكورة . .

مصطفى كمال، وأميل لودفيغ :

ولهذه المناسبة أشير هنا الى أن المؤرخ الالماني اليهودي الشهير: «أميل لودويغ» ألف كتاباً عن مصطفى كمال بعنوان: «الذئب الأغبر» بالغ فيه بـالثناء عـلى الزعيم التركي، ووصفه بالعبقرية، وقارن بينه وبين نابوليون وفضله على نـابليون من حيث أنه أقدم على الغاء الخـلافة الاسـلامية، وبـذلك خلص من الاعبـاء المرهقـة لتركـة الدولة العثمانية!!

وأميل لودويغ هذا كـان جاء القـدس زائراً في شهـر سبتمبر من عـام ١٩٢٩ لتتبع انباء الثورة الفلسطينية الشهيرة بثورة البراق، التي نشبت في شهر اغسطس من ذلك العام، وطلب مقـابلتي بواسـطة سكرتـير القنصلية الالمـانية الاستـاذ «ملحمة» اللبنـاني، فقابلتـه وحصل مني عـلى حديث عن تلك الثـورة وأسبابهـا وعن القضيـة الفلسطينية، ولما نشر الحديث وجـدت أن أميل لـودويغ قـد حرف كـلامي لصالـح اليهود، ونسب إلى أقوالاً غير صحيحة، فجاء عمله هذا شاهداً على صدق مـا جاء في القرآن الكريم عن تحريف اليهود للكلام: (يحرفون الكلم عن مواضعه).

إن هذا المؤرخ الألماني اليهودي يروي في كتـابه عن مصـطفى كمال احـاديث عديدة لا أدري مبلغها من الصحة والصدق ولا ثقة لي بأقوالـه بعدمـا بلوته ورأيت تحريفه لكلامي .

ولما كان موضوع إلغاء الخلافة وشروط كرزون، وما كان لليهود من صلة واثر في ذلك يهمني كثيراً، فقد عنيت باستقصاء الوقائع وتمحيص الـروايات والاحـاديث عن هـذا الأمر، فلقيت في القـاهرة عـام ١٩٤٦ بعد عـودتي من أوربـا الـدامـاد ذا الكفل باشا وهو من أصهار السلطان العثماني، فكان مطلعاً على وقـائع تلك الفتـرة وملما باحداثها، فأكد لي صحة رواية كمال اوخري، وزاد عليها أنه كان يشـاهد في تلك الفترة كبير الحاخامين في الدولة العثمانية حينئذ «حاييم ناحوم» يتردد كثيراً على دوائر الدولة عارضاً وساطته، ويكثر من السفر إلى انجلترا وأمـريكا، فيقـابل زعـماء

اليهود فيها، ويعود حاملا لواء التشجيع على الغاء الخلافة.

حاخام يهودي:

وحاييم ناحوم هذا كان رئيساً لحاخامي اليهود في مدينة سلانيك، التي كانت أكبر مركز لليهود في الدولة العثمانية، حيث كان (الدونمة) يعيشون في الدولة العثمانية فسادا، ويعملون سراً على تقويض أركانها. والدونمة جماعة من اليهود تظاهروا باعتناق الاسلام وظلوا في باطنهم يهودا. ومن مدينة سلانيك نشبت الثورة على السلطان عبد الحميد، الذي كان يرفض منح اليهود أي حق في فلسطين. وبعد الثورة أصبح ناحوم رئيس الحاخامين في العاصمة استانبول، فلما انهارت الدولة العثمانية، وانتهى دور ناحوم فيها، لم يلبث ان انتقل الى القاهرة رئيساً للحاخامين، إذ ورثت القاهرة مركز استانبول في الزعامة الاسلامية، بعدما تحولت الدولة العثمانية الى دولة تركية علمانية، وأصبح للحاخام ناحوم دور لا بد أن يقوم به فيها لتوجيه ضربة جديدة الى الاسلام.. ومكث ناحوم في القاهرة بقية حياته التي قضاها في خدمة الصهيونية، وقام بأدوار كثيرة في تحقيق مطامعها في فلسطين، حتى أنه كان يقيم في بيته بالقاهرة ناديا للميسر (القمار) يرصد كل ريعه للحركة الصهيونية في فلسطين. وكان ناحوم معدوداً من كبار رجال اليهودية العالمية، ويتقن اللغتين التركية والعربية، وقد تمكن بغفلة المسئولين العرب أن يصبح عضوا رسمياً في مجمع اللغة العربية في القاهرة.

وقد أكد لي هذه المعلومات عن شروط كرزون وأسباب الغاء الخلافة المروحوم الدكتور عبد الوهاب عزام، نقلا عن صديقه التركي الشاعر الاسلامي الشهير محمد عاكف، الذي هاجر الى مصر في تلك الفترة، وقضى مدة طويلة في «حلوان» مجاوراً للاستاذ عبد الوهاب عزام. والشاعر محمد عاكف عند الاتراك يضارع احمد شوقي عند العرب.

والعبرة هنا بما يمارسه المستعمرون من أساليب الضغط التي تصل الى حد الارغام والاملاء على بعض أولياء الأمور. وفيما فعلوه مع مصطفى كمال مثل واضح، وكذلك يفعلون مع من يقعون بين براثنهم، فكثير من النكبات الكبيرة التي تصيب العرب والمسلمين، ويتم تنفيذها بأيدي بعض زعمائهم، يكون وراءها

خصوم الداء ودهاة اذكياء من رجال الدول الاستعمارية الكبرى واليهودية العالمية، يضعون الخطط بدهاء وروية وسرية، ويحسنون اختيار من يرون فيهم الاستعداد والبراعة والذكاء من رجالنا، فيوجهونهم ويدعمونهم ويرفعون من شأنهم بأساليب الدعاية وبكل الوسائل، إلى أن يحملوهم على تنفيذ الخطط المرسومة والمؤامرات المدبرة.. ومن شمس عليهم، وأبى تنفيذ مآربهم وآثر صالح أمته على منفعته الشخصية وعلى كرسي الحكم، خاصموه سرا أو علانية بكل ما لديهم من وسائل، وعملوا على تشويه سمعته وتجريحه وإضعافه، وسلطوا عليه كل من استطاعوا تسخيره من بني جلدته وأمته حتى أصدقاءه وأقرباءه، لعلمهم بأن خصومة هؤلاء أشد نكاية وابلغ أثراً في الرأي العام.

والمسألة الشرقية، التي ذكرها اللورد كرزون، ذكرها قبله كثيرون من الزعماء والساسة البريطانيين وغيرهم، ومن ابرز الذين تحدثوا عنها بصراحة المستر جلادستون رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم البريطاني (الذي رأس الوزارة مرتين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر) عندما القى خطاباً تحدث فيه عن المسألة الشرقية وقال: (ان المسألة الشرقية لا يمكن حلها ما دام هذا الكتاب موجوداً)، ورفع بيده ذلك الكتاب، فإذا به القرآن الكريم.

شوقي والخلافة الاسلامية:

وكان لما قامت به الحكومة الكمالية، من الغاء الخلافة دوي عظيم واثر اليم جدا في العالم الاسلامي، إذ كان مفاجأة للمسلمين، ولا سيما لحدوثه بعد انتصار الاتراك في حرب الاستقلال على أعدائهم. ولهذه المناسبة الاليمة نظم احمد شوقي شاعر العربية الأكبر في القرون الأخيرة إحدى قصائده البليغة، يرثي فيها الخلافة، وينبه المسلمين الى ضرورة اسداء النصح لمصطفى كمال باشا ليرجع عن هذا الخطأ ويرأب هذا الصدع...

وفيما يلي أبيات من هذه القصيدة:

عادت أغاني العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الافراح
كفنت في ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الاصباح
ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح

يـا لـلرجـال لحـرة مـوؤدة	قـتلت بـغـير جـريـرة وجـنـاح
ان الـذين أست جـراحـك حـربهم	قـتلتـك سلـمهـمـو بـغـير جـراح
نـزعـوا عـن الاعنـاق خـير قـلادة	ونضـوا عن الاعـطاف خـير وشـاح
الحـق أولى مـن ولـيـك حـرمـة	وأحـق مـنـك بـنـصـرة وكـفـاح
أدوا الى الغـازي النصيحـة ينتصـح	إن الجـواد يـشـوب بـعـد جمـاح
إن الغـرور سقى الـرئيس بـراحـه	كيف احتيـالـك في صـريـع الـراح
غـرتـه طـاعـات الجمـوع ودولـه	وجـد السـواد لهـا هـوى المـرتـاح

نلمس من أبيـات شوقي الحيـرة والدهشـة لما فعله مصـطفى كمال من الغـاء الخلافة والتنكـر للاسـلام، وقد ظن شـوقي أن سبب ذلك يعـود إلى ما أصـابه من غرور، ومن طاعة الجموع، ومن تبوئه حكم الدولة، ولذلك دعا الى نصحه بقوله:

أدوا الى الغـازي النصيحـة ينتصـح	إن الجـواد يـشـوب بـعـد جمـاح

ولـو اطلع شوقي عـلى حقائق الأمـور حينئـذ لعـرف أن الارغـام البـريـطاني وشروط كرزون كانت السبب الأكبر في مـا فعله مصطفى كمـال، وما كـان ليجدي معه أي نصح بعدما أرغم على قبول شروط كرزون.

ومما يؤكد عـدم جدوى النصـح، أن جمعية الخـلافة التي كـانت تمثل مسلمي الهند، الذين كانوا من أقوى انصار الدولة العثمانية والذين ساعدوا مصطفى كمـال مسـاعدات جليلة في حـرب الاستقـلال، أرسلوا الى تـركيـا وفـدا مؤلفـاً من خيـرة زعمائهم برئاسة مولانا محمد علي جوهر (الزعيم الكبير الذي دفن في القدس بجوار المسجد الأقصى المبارك)، فجاءوا انقرة لنصـح مصطفى كمـال، واقترحـوا عليه أن يكون هو الخليفة، فلم ينتصح ولم يقبل عرضهم. وقد حاول أن لا يقابل الوفد، في بادىء الأمر، فاستعانوا بصديقهم أديب ثروت بك، وكان من خيرة رجال مصطفى كمال العسكريين، ومن أعضاء المجلس الـوطني التركي، فجمعهم بـه لكنه اعتـذر من عـدم قبول اقتـراحهم. وقد سمعت هـذا الخبر من كـل من مولانـا محمـد عـلي واديب ثروت، وقد كنت اجتمعت بهـما في المؤتمر الاسـلامي الأول الذي عقـد بمكة المكـرمة سنـة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) وكان مـولانا محمـد علي عضـوا في وفد الهنـد، وأديب ثروت عضوا في الوفد التركي، في ذلك المؤتمر.

اصل بلاء العرب:

وقد برهن الانجليز على أنهم اساتذة النفاق السياسي في العالم اجمع، فبينما هم يشترطون على مصطفى كمال ودولة تركيا أن تلغي الخلافة وتقطع صلتها بالاسلام، ليرضوا عنها ويهادنوها ولا يثيروا في وجهها المتاعب والمصاعب، إذا بهم يتآمرون على اختطاف خليفة المسلمين السلطان وحيد الدين ويخرجونه سرا من تركيا بحماية أسطولهم ويطلقون دعايتهم في العالم بأن خليفة المسلمين التجأ إليه للخلاص من ظلم الدولة التركية وضغطها، وبذلك يكسبون عطف الرأي العام الاسلامي عليهم وقدرة لعملهم.

وقد سجل هذا الحادث أحمد شوقي أيضاً في إحدى قصائده الشهيرة حيث يقول:

أمن سرق الخليفة وهو حي　　　يعف عن الملوك مكفنينا؟

وعلى ذكر أديب ثروت هذا، لقد كان قائداً للفرقة الثالثة العثمانية، التي دافعت عن غزة في الحرب العالمية الأولى، والتي صدت قوى الانجليز الكبيرة الزاحفة على فلسطين حينئذ وكبدتهم خسائر كبيرة. وكانت مؤلفة من خمسة عشر ألفاً، منهم عدد كبير من الفلسطينيين وقد أشاد لي أديب ثروت قائد الفرقة ببسالة جنوده الفلسطينيين، وكيف هزموا أضعاف عددهم من الانجليز والاوستراليين مما دعا احمد جمال باشا رغم ما هو معروف به من خصومة للعرب إلى أن يصدر بياناً، يشيد فيه ببسالة الفلسطينيين، ويقول إنها بسالة خارقة تذكر بالشجاعة التي أبداها آباؤهم من قبل، عندما حموا هذه البقاع المقدسة بقيادة صلاح الدين الأيوبي. وكان الجندي الفلسطيني يعتبر في الدرجة الأولى من العناصر التي تمتاز بالبسالة والجرأة من بين العناصر المتعددة التي كانت تتألف منها جيوش الدولة العثمانية.

وقد سبق لي أن أوردت شهادة هتلر والجنرال ويلسون وغيرهما للفلسطينيين بالبسالة والشجاعة الخارقة. ويحزنني كثيراً أن أشير في هذه الظروف الاليمة التي يجتازها الشعب الفلسطيني والأمة العربية الى هذه الحقيقة، وأن أعود إلى التأكيد بأن الفلسطينيين كانوا ولا يزالون جديرين، بل هم أجدر الناس بصد اليهود الطامعين في بلادهم، المعتدين على وطنهم، ولكن أهواء السياسيين، من أصدقاء وأعداء،

تضافرت على الكيد لهم وتشريدهم، ومحاولة اسقلالهم لغير الصالح العام، واستنزاف طاقاتهم ودمائهم في سبيل أهواء غيرهم من دول وأحزاب وأفراد، وبذلك تحدث الفتن ويكون الضياع والخسران المبين.

وليست هذه الرزايا التي تنزل كل يوم بالفلسطينيين هي محض صدفة، بل هنالك خطة رسمتها عقول شياطين وادمغة مجرمين، من اليهود والمستعمرين، لابادة الشعب الفلسطيني بالاجلاء والتشريد والفتن المدمرة وشتى وسائل التفريق والتمزيق، وبالغزو الثقافي والبلبلة في الآراء والافكار والعقائد، وبالحزبيات المختلفة التي يرتبط أكثرها بأقوى الارتباط بجهات اجنبية معادية ويرجع بعضها الى اليهودية والصهيونية، وبصورة عامة لمحاولة افساد اخلاقهم وعقائدهم وتصفية قضيتهم.

وقد اطلعت على ما كتبه زعيم صهيوني قديم هو «إسرائيل زنكويل» قبل الحرب العالمية الأولى، عن الطرق التي يجب سلوكها والوسائل التي ينبغي التوسل بها، لابعاد الشعب الفلسطيني عن وطنه فلسطين، ولاخلائه لمهاجري اليهود، فراعني ذلك حينئذ.. وها نحن نرى اليوم رأي العين كيف يتم تنفيذ خطته والخطط الاجرامية الأخرى التي رسمتها «بروتوكولات حكماء صهيون»، في فلسطين والشعب الفلسطيني.

الفصل الرابع عشر

المفتي يغادر المانيا



صورة تاريخية تجمع المفتي والرئيس الحبيب بو رقيبة اثناء الحرب العالمية الثانية .

المفتي يغادر المانيا

يقول المفتي:

اشتدت وطأة غارات طائرات الحلفاء على المانيا منذ أواخر عام ١٩٤٣، وازدادت شدة عام ١٩٤٤، فكانت بعض الغارات تهاجم برلين بألف طائرة، واحياناً بأكثر من ذلك ملقية حممها وقنابلها المدمرة والحارقة على كل انحاء برلين، لا فرق بين أهداف عسكرية أو مدينة. وقد اصيبت دارنا في شارع «كرومه لانكه ـ غوته شتراسه» عدة مرات. وكانت السلطات الالمانية المختصة تبادر بانذارنا بالغارات بالتليفون قبل وقوعها، فنذهب الى الملاجىء القريبة، ونمكث في الملجأ حتى تنتهي الغارة، فنعود الى الدار فنجدها أحياناً سالمة، وأحياناً مصابة في بعض اقسامها، وكذلك الدور المجاورة في تلك المنطقة التي هي ضاحية من ضواحي برلين.

وفي إحدى المرات خرجنا من الملجأ، فشاهدنا داراً مواجهة لدارنا تحترق، فأسرعنا ورفاقنا لمساعدة الجيران، فوجدناهم يكافحون النيران وينقذون ما يمكنهم انقاذه من المتاع واللباس بنظام دقيق، دون فوضى أو هلع، وبضبط نفس يدعو الى الاعجاب، وقد أدى ذلك إلى انقاذ قسم غير قليل من امتعة الدار الثمينة.

وقد أصيبت دارنا مراراً، وكانت ملكاً لسفير المانيا في الارجنتين، ومؤلفة من ثلاثة أدوار، تحيط بها حديقة واسعة، فكانت السلطات الالمانية تصلح الدار فوراً عند إصابتها، فنعود الى سكناها. ومكثنا على هذه الحال إلى أن وقعت في ٢٣ نوفمبر عام ١٩٤٣ غارة جوية عظيمة دمرت معظم الدار، فلما خرجنا من الملجأ وعدنا إليها لم نجد فيها إلا جزءا صغيراً نستطيع أن نتقي به البرد، فاضطررنا

وجميع رفاقنا سكان الدار أن نقضي تلك الليلة في ذلك المكان الضيق.

فلما كان اليوم الثاني نقلتنا السلطات الالمانية الى منطقة بعيدة عن الغارات الجوية على بحيرة «ساوه»، فمكثنا بها نحو شهرين، ثم انتقلنا منها الى مدينة «سيتاو» حيث قضينا نحو أربعين يوما في فندق، ثم انتقلنا منها الى «اويبين» وهي إحدى المنتجعات الالمانية بالقرب من حدود تشيكوسلوفاكيا، فأقمنا ببيت كبير أتسع لنا ولأكثر رفاقنا، وكنا نحو عشرين رجلا، ومكثنا في أويبين معظم عام ١٩٤٤ وشطراً من عام ١٩٤٥. ولكننا لم ننقطع عن برلين خلال هذه المدة، فكان رفاقنا يتناوبون الذهاب إليها، فيقضي كل واحد منهم اسبوعا في مكتبنا لتفقد شؤون المراجعين من عرب ومسلمين، وقضاء مصالحهم في تلك الظروف الحرجة.

فلما اشتدت الحال، وضيق الحلفاء الخناق على المانيا، وشرعوا في الزحف على الأراضي الالمانية عام ١٩٤٥، زارنا في مقرنا في اويبين «البورغر مايستر» وهو الاسم الرسمي لحاكم المنطقة، وأبلغنا أن هذه المنطقة اصبحت منطقة خطرة، وأن السلطات الالمانية ترغب في نقلنا الى مدينة «بادكشتاين» وهي منتجع شهير في جنوب النمسا. وقد لاحظنا عند زيارة البورغرمايستر لنا، أن السيارات التي تقله ومن معه كانت كلها تسير بالفحم، بدلا من البنزين الذي أصبح قليلاً وغالي الثمن في المانيا. فتوجهنا الى بادكشتاين بعد أن حولنا سيارتنا الى سيارة وقودها الفحم، وفي طريقنا اليها مررنا بمدينة «باداولستر» حيث مكثنا ثلاثة أيام، ثم استأنفنا السير الى مدينة «سالزبورج» وفي طريقنا اليها وعلى مقربة منها أقمنا أسبوعاً في قصر شهير كان هتلر قد خصصه لاقامة بعض ضيوفه. وأخيراً وصلنا «بادكشتاين» حيث انزلتنا السلطات الالمانية في فيللا «كارلشتاين» التي لم تتسع لنا جميعاً فنزل بعض اخواننا في فنادق المدينة، وكان بينهم فلسطينيون ومصريون وسوريون وتونسيون وايرانيون. وكانت السلطات الالمانية قد خصصت هذه المدينة للهيئات السياسية لبعدها عن الغارات الجوية ولعدم وجود مصانع فيها تجعلها عرضة للقصف والتدمير.

قبل الانتهاء من الحديث عن إقامتنا بالمانيا ومغادرتها الى سويسرا ففرنسا، أرى أن أشير إلى بعض الوقائع قبل مغادرتنا بادكشتاين نهائياً. ففي أواخر أيامنا في المانيا فجعنا بالدكتور مصطفى الوكيل. ولا اتذكر أني حزنت لفقد أحد كما حزنت

لفقد شهيدين فذين كانا متشابهين في كثير من الصفات والمزايا النادرة، هما الدكتور مصطفى الوكيل الذي استشهد في برلين يوم ٤ آذار ١٩٤٥، والسيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد يوم ٨ نيسان عام ١٩٤٧.

قضى مصطفى الوكيل شهيداً كريماً من شهداء الأمة العربية، بعدما كان مجاهداً عظيماً من مجاهديها وكانت حياته الغالية القصيرة شعلة وهاجة من المبادىء الشريفة، وقبسا من نور الايمان، وقدوة صالحة للشبان الناشئين والرجال العاملين، ومثلا حيا للوطنية الصادقة ونكران الذات في سبيل المجموع والايثار والفداء في سبيل المبادىء المستقيمة والمثل العليا. وكل من عرف الشهيد استهوته هذه الصورة الحية من صور الايمان والفداء، والبسالة والخلق الكريم.

لقد سبق لي أن نوهت بمصطفى الوكيل في بعض المناسبات وارى من الواجب أن أوفيه بعض حقه لمناسبة الحديث عن استشهاده في برلين.

فعندما كنا في العراق ونشبت الثورة العراقية في ربيع عام ١٩٤١ لتعنت الانكليز الذين كانوا قد أعدوا عدتهم لاحتلال العراق واتخاذه قاعدة لهم في الحرب (كما أورد ذلك تشرشل في مذكراته) تطوع الفقيد مصطفى الوكيل لقتال الانكليز دفعاً لعدوانهم على العراق والتحق بكتيبة المجاهدين الفلسطينيين بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني، ولما انتهت المعركة وخرج من العراق عدد من أحرار العراقيين والفلسطينيين والسوريين وغيرهم ممن كانوا عرضة لنقمة السلطات البريطانية وعملائها، خرج الفقيد مع زملائه من مجاهدي فلسطين إلى سوريا فتركيا، ومنها إلى المانيا، وقد أتيح لي خلال إقامتنا في العراق والمانيا أن ازداد معرفة به، وتجربة واختباراً له، فما زادتني تلك الأيام على شدتها وصعوبتها إلا إعجاباً به وتقديراً لأخلاقه بشجاعته وزهده وإنكاره لنفسه، وكنت أرى فيه مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه الشاب العربي المسلم من الأخلاق الفاضلة والتربية العالية.

وكان الفقيد خلال مدة الحرب موفور النشاط دائباً على العمل لخدمة المصالح العربية والاسلامية عامة، والمصرية خاصة. ومن أعظم الخدمات التي أداها لوطنه مصر وكان له الفضل الكبير فيها، التصريح المشترك الذي صدر عن المانيا وايطاليا عام ١٩٤٢ بالاعتراف باستقلال مصر، ومطالبة دول المحور بأن لا تقوم الطائرات الالمانية والايطالية بقصف المدن المصرية بالقنابل وكذلك في مساعينا المشتركة لانقاذ

ركـاب الباخـرة المصريـة «زمزم» ومـلاحيها من الأسر، والعنـاية بهم وبغيـرهـم من الاسرى، وبعدد كبير من الجاليـات العربيـة والاسلاميـة في المانيـا، وقام برحـلات عديدة شـاقة الى تـركيا والبـانيا وبعض العـواصم الاوروبية في سبيـل خدمـة مصر والاقـطار الاسلاميـة. وعندمـا أخذت العصـابات الصـربيـة تعيث فسـادا في بـلاد البوسنة وتمعن في أهلهـا المسلمين قتـلا ذريعاً حتى بلغ عـدد القتلى منهم نحـو مائتي الف نسمة، أصر الفقيد عـلى التطوع في صفـوف المدافعـين عن مسلمي البوسنـة، ولكني كلفته بالسفر إلى البانيا للمشاركة في إعلان استقلالها ولتأليف فرقـة عسكريـة فيها للدفاع عن مسلمي البانيا، وهنـاك استقبله رئيس الدولـة الالبانيـة مهدي بـك فراشيري وانزله في بيته تكريماً له. وقد رفض الفقيد طيلة وجوده في المانيا أن يأخـذ مخصصـات الرجـل السياسي وهي أربعـة أمثال المخصصـات العاديـة وكـان يكتفي بمخصصات الرجل العادي.

وكان الفقيد يعمل معي في برلين طيلة النهار وشطراً من الليل. فلما اشتـدت الغارات الجوية على بـرلين لم يكن يلجـأ إلى المخبأ بـل يمكث في مكانـه لا يتزحـزح ويقول: (لن يصيبنا الا ما كتب اللّه لنا) فاستطعت أن آتي به الى بيتنا بعد الالحاح. ولما هدم البيت الذي كنا نقيم به في برلين لثالث مرة طلبت منا الحكومة الالمـانية ان ننتقل الى قرية «ساوة» على بعد سبعين ميلاً من العاصمة ثم انتقلنا منها الى «اويبين» في ساكسونيا على مقـربة من الحـدود التشيكوسلوفـاكية واقمنـا بها مـع إخوانـنـا وفي مقدمتهم الفقيد واخذنا نتردد على برلين، واتخذنا من «المعهـد الاسلامي» مكتبـاً لنا وأخذ إخواننا يتناوبون العمل فيه أسبوعياً ومن جملتهم الدكتـور الوكيـل. لكنه كلما ذهب لا يعود بعد انقضاء نوبته الاسبوعيـة الا بالجهـد، وبعد أن أطلبـه بالتليفـون مراراً، وكثيراً ما كان يقول لي: أرجو أن لا تضيع علي فرصة الشهادة هنا، أو عـلى الأقـل مشاهـدة المعارك حـين تنشب في برلـين نفسها بـين الألمان والـروس لدراسـة «حرب الشوارع» التي قد نحتاج اليها في بلادنا.

وفي ليلة ٤ آذار (مارس) ١٩٤٥ أغارت على برلين طائرة انكليزية واحدة على غير العادة وألقت قنبلة واحدة أيضاً مصوبة خصيصاً على «المعهد اللاسلامي» حيث كان الفقيد فيه، فسقطت على بعد عشـرة امتار منـه، وكانت قنبلة هـواء مضغوط، فدمرت البناء تدميراً كاملاً ونال الفقيـد الشهادة التي كـان يتوق اليهـا وطالمـا سعى

لها. فلما بلغنا الخبر ونحن في «بادكشتاين» بادر كل من الدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سورية فيما بعد) والاستاذ محمد اسحق درويش عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين والدكتور سميح الموصلي من كرام إخواننا السوريين بالسفر إلى برلين للقيام بواجبات دفنه والصلاة عليه ثم تبعتهم بعد ذلك مع الدكتور فرحان الجندلي (وزير الصحة السوري فيما بعد). وتم دفنه في المقبرة الاسلامية التي كانت للدولة العثمانية. ومن غرائب الصدف أن كان ضريحه بجانب ضريح مجاهد كبير مثله هو المرحوم الحاج نافع شلبي أحد فضلاء مدينة حلب ومؤسس المعهد الاسلامي في برلين، ذلك المعهد الذي كان الدكتور الوكيل آخر من تولى العمل فيه. وقد كان الزعماء والضباط الالمان شديدي الاعجاب به والاحترام له.

وعندما كنا في مصر بعد عودتنا من المانيا تم نقل جثمان الفقيد من المانيا الى القاهرة عام ١٩٥٤ وجرى له استقبال كبير عند وصوله بالطائرة يوم ٢٢ رمضان ١٣٧٣ (٢٥ أيار ١٩٥٤) وبعد وصوله شيع جثمانه بموكب حافل في وطنه العزيز بعد أن ظل بعيداً عنه أربع عشرة سنة. وقد اشتركنا في هذا الموكب الذي بدأ من ميدان التحرير واشترك فيه رئيس الجمهورية حينئذ ورئيس الوزراء وعدد كبير من الوزراء والعلماء والفضلاء ثم بعد الصلاة على الجثمان في جامع جركس سير به الى مدافن الاسرة حيث ألقيت خطب التأبين.

وقبل أن نترك بادكشتاين نهائياً، توجهت والدكتور فرحان الجندلي إلى برلين، للقيام ببعض الشؤون ومنها بناء قبر الدكتور مصطفى الوكيل، ومكثنا بها عشرة أيام بفندق أدلون الشهير، الذي كان ينزل به حينئذ معظم رجال السلك السياسي للوقاية من الغارات الجوية لأن فيه ملجأ عميق الغور يهبط اليه بنحو مائة درجة. وكانت برلين في تلك الأيام هدفاً لاشد الغارات الجوية، التي كان معظمها يحدث ليلا، فكنا نهبط الى الملجأ ريثما تنتهي الغارة. وأخيراً جاء مندوب من الخارجية الالمانية فأنذر جميع الهيئات السياسية وانذرنا أيضاً بضرورة مغادرة برلين خلال يومين، لأن زحف الحلفاء قد اقترب من برلين، واصبحت مطوقة بجيوشهم.

وكان بناء الضريح قد انتهى، وكانت برلين في تلك الايام، في أواخر شهر نيسان ١٩٤٥، قد أصبحت حطاماً لا تكاد العين تقع فيها على بناء قائم. فغادرناها

متوجهين الى بادكشتاين، ولعل سيارتنا كانت آخر سيارة غادرت برلين قبل احتلال الحلفاء لها، ولكننا لم نستطع أن نحدد الطريق الذي يجب أن نسلكه حتى لا نقع في أيدي القوات الزاحفة، ولما سألنا المراجع الالمانية المسؤولة أشارت علينا بأن نسأل قائد الموقع العسكري في كل مكان نصل اليه، وهو يرشدنا الى الطريق الذي يجب سلوكه، فعملنا بذلك.

وكانت طائرات الحلفاء التي أطلقوا عليها اسم (الغربان السود) وهي طائرات سود صغيرة الحجم قد انتشرت في كل مكان، فكانت تنقض قريباً من الأرض على قوافل السيارات الخارجة من برلين وغيرها، فتحرقها بمن فيها من الركاب والمتاع.

وقد شاهدنا في طريقنا قوافل من السيارات محترقة بمن فيها، ولذلك آثرنا أن نسير بسيارتنا دون أن ننضم الى إحدى القوافل وكنا عندما نرى تلك الغربان السود، نترك السيارة ونختفي في إحدى الغابات، إلى أن تبتعد تلك الغربان عنا.

وحدث عند وصولنا الى كارلسباد أن قصفت تلك الغربان السود بعض المواقع بالقرب منا في كارلسباد. ثم غادرناها، واستأنفنا السفر إلى «مارينباد»، وكنا حريصين على الاستفادة من ظلام الليل، للنجاة من تلك الطائرات الشديدة الخطر. لكن سيارتنا اصيبت بعطل قبل أن نبتعد عن مارينباد، فشرعنا في إصلاحها فلم نتمكن من ذلك حتى الفجر، قد اشتد البرد، فذهب الدكتور فرحان ليبحث عن مكان نأوي اليه، وماء أو شاي نشربه، فوجد جماعة من اللاجئين الألمان يقيمون في مكان يشتمل على غرفة فسيحة، وقد قسموها الى عدة اقسام لتتسع لهم، وخصوصاً لكل عائلة منهم قسماً، وجعلوا الحواجز فيما بين الاقسام من الحبال أو الخيطان لا يتعدونها، واتخذوا من أحد جوانب الغرفة مطبخا مشتركاً للجميع، وعندهم ماء ساخن فذهبنا إليهم وأعطيناهم بعض الشاي الذي كان معنا، ففرحوا به لأن الشاي كان نادراً في المانيا حينئذ، ثم أعطينا الأطفال قطعاً من الشيكولات، كانت معنا، فلم يعرفوها ورفضوا أخذها لأنهم ولدوا في زمن كانت فيه المانيا محرومة من الشيكولات واشياء كثيرة غيرها من الكماليات. ولكن المأكولات الاساسية كانت متوفرة.

وشاهدنا شابا مستلقيا في الفراش تبدو عليه دلائل الصحة. فعجبنا من أمره لأنه قلما كان يشاهد شابا المانيا في تلك الأيام غير مجند في الجيش أو في عمل آخر من مقتضيات الحرب. وسألناه هل أنت في إجازة؟ فتبسم ورفع الغطاء عن جسمه فإذا باحدى رجليه مقطوعة من فوق الركبة، وقال هذه إجازتي. ولما قدم له الدكتور فرحان سيجارة أقبل عليها بشغف ظاهر، وقال: انني منذ عشرة أيام لم أدخن سيجارة واحدة، وكانت الدولة الالمانية يومئذ تدعو الشعب الالماني الى الاقلاع عن التدخين ولا تسهله للمدخنين. كما كانت تقاوم الخمر بشدة.

وفي طريقنا من برلين الى بادكشتاين مررنا بمدينة «نورمبرغ» فكانت خرابا يبابا، وكان عهدنا بها العمران والازدهار، والحركة الدائبة والمنشآت الرائعة. وقد وقع عليها اختيار الحلفاء بعد الحرب لتكون مركزاً لمحاكمة زعماء المانيا وغيرهم ممن سموهم (بمجرمي الحرب) وحكموا على كثير منهم بالإعدام أو السجن مدى الحياة.

ولا بد من الاشارة هنا إلى أن اليهود طالبوا بمحاكمتي في محكمة نورمبرغ كمجرم حرب، بتهمة إبادة اليهود وتأليف فرقتين عسكريتين من مسلمي البوسنة وفرقة ثالثة في المانيا لمحاربة الحلفاء، لكن محاولاتهم أخفقت.

كانت هذه حال المانيا في أواخر سني الحرب وعند انتهائها. غارات، ودمار، ومعارك جوية وبرية وبحرية، وحرمان. ورغم ذلك كله كان النظام والصبر والطاعة تسود الشعب الالماني، وبقي نظام توزيع الطعام سارياً. وقد اصدرت الهيئات الشعبية الالمانية بيانات ونشرات للشعب الالماني طالبة منه أن يمد يد المساعدة الى اللاجئين والمحتاجين بسبب ظروف الحرب القاسية، وأن تكون المساعدة حسب الاستطاعة أما بالمال، أو بالملابس، أو بشريحة خبز من رغيف، أو بأي شيء يستطيعه المرء، كما طلبت من أفراد الشعب مساعدة الشيوخ والعجزة وحمل العاجزين منهم عن السير، وحمل الاطفال وأمتعة الذين لا يستطيعون من الضعفاء القادمين بالقطارات أو بالسيارات، وأن يرشدوهم الى الملاجىء ويقدموا لهم كل ما يستطيعون من خدمات، حتى كنس الغرف وتنظيف الاماكن..

وصفوة القول أن الشعب الالماني شعب عظيم، جمع العلم الى الشجاعة، الى النظام والطاعة، الى التعاون والايثار، وغير ذلك من الميزات التي تحلى بها. ولا

شك في أن الشعب الفلسطيني، وكل شعب يجاهد ويكافح في سبيل انتزاع حقوقه واسترداد وطنه من أيدي الغاصبين، لا بد له من التحلي بالصفات والميزات التي تؤهله للعمل العظيم الذي اضطلع به، وأهمها الصدق في القول، والاخلاص في العمل، والتعاون، والفداء، والايثار، والصبر على المكاره، عملا بقوله تعالى ﴿**والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون**﴾.

ويستطرد المفتي قائلاً:

لما تفاقم الخطر باجتياح جيوش الحلفاء مناطق كثيرة من المانيا، واصبحت تحيط بها من كل جانب، بحث معنا كبار المسؤولين الالمان عن طريق خروجنا من المانيا. فاقترح بعضهم ارسالنا في غواصة تقلنا الى أحد الشواطىء العربية. وكدنا نقدم على هذه المغامرة، رغم خطورتها، لولا أننا سمعنا في الاذاعة من سويسرا في شهر نيسان عام ١٩٤٥ أن الحكومة السويسرية، وفقا لتقاليدها تقبل اللاجئين السياسيين في بلادها. فوجدنا في ذلك حلا وفرجاً، وشرعنا في تهيئة وسائل السفر الى سويسرة، وذهبنا برفقة أحد موظفي الخارجية الالمانية الى مطار «كلاغن فورت» وهو المطار الأخير الذي لا يزال في يد السلطة الالمانية. وهناك شاهدنا نوع الطائرات التي كنا سنسافر بها، فإذا بها طائرات حربية صغيرة لا تضمن لأحد سلامة، ولا تتسع كل واحدة منها إلا لراكب واحد بجانب قائدها، الذي لم يقبل أن يتحمل مسؤولية نقلنا. فاضطررنا للعودة إلى بادكشتاين وقررنا أن نسافر بطريق البر إلى سويسرة.

وكنا قد حصلنا على سيارة تسير بالبنزين الذي كان غالي الثمن جدا واشترينا صفيحة واحدة بمائة دولار اميركي. وبعد غروب شمس يوم ٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٥ خرجنا من بادكشتاين متجهين الى الحدود السويسرية، في ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج، واجتزنا أكثر من مائة كيلومتر، لكن تراكم الثلوج حال دون مواصلة السير، فأردنا الاتصال بحاكم تلك المنطقة، وكان معنا موظف الماني، فذهب ليبحث لنا عن أقرب مركز للشرطة، لنتمكن من استعمال التليفون والاتصال بالحاكم، فوجد بعد البحث مركز شرطة، وطلب منه أن يمكننا من مخابرة الحاكم، فدله على مركز سري للتلفون تحت الأرض، ينزل اليه بسلم وسطحه ممهد ومسوى بالأرض، لئلا تراه

طائرات الحلفاء. فأتينا إليه ولما طرقنا الباب خرجت الينا فتاة مجندة فطلبنا منها أن تصلنا بالحاكم ومع أن الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل، فقد استطعنا الاتصال به، فأجاب طلبنا وأمر المخفر بمساعدتنا. وكلفت أحد الرفاق أن يعطي الفتاة أجر المكاملة التليفونية، فأعطاها خطأ أكثر من الأجر المقرر فأخذت الرسم المقرر وهو مارك ونصف المارك وردت باقي الورقة المالية.

ومما لا انساه أن الموظف الالماني عندما قال للفتاة إن الذي يريد أن يتصل بالحاكم بالتليفون هو ضيف الفوهرر (أي ضيف هتلر) أجابت بحزن عميق أن الفوهرر قد مات. ولم يكن الخبر قد بلغنا بعد. وقد اعجبنا بصبر تلك الفتاة التي كانت تقوم بواجبها بكل أمانة ودقة، في تلك الساعة وتلك الليلة المكفهرة اكفهراراً جوياً وعسكرياً وسياسياً.

لكن كل محاولاتنا للتقدم نحو الحدود السويسرية اخفقت لتراكم الثلوج، فاضطررنا للعودة مرة أخرى الى بادكشتاين واتصلنا برجال الخارجية فيها. فهيأوا لنا طائرة حربية لتقلنا من مطار «كلاغن فورت» الى سويسرة. وقضينا ليلتنا في كلاغن فورت، ولما ذهبنا في اليوم التالي إلى المطار وجدنا الطائرة الحربية في انتظارنا وفيها اثنان من الطيارين. وعند الساعة الواحدة بعد الظهر أخذنا قائد المطار، وألبسنا ملابس المظليين ثم ودعنا، وطارت الطائرة باتجاه سويسرة. وكان ذلك اليوم، يوم الهدنة، واليوم الأخير للحرب الذي استسلمت فيه المانيا، ولهذاالسبب لم نصادف طائرات مقاتلة للحلفاء تتصدى لطائرتنا في الطريق. فلما وصلنا الى «برن» العاصمة سمعنا صفارات الانذار تدوي في الجو. فلما هبطنا الى أرض المطار واطلع الموظفون المختصون على أسمائنا، اتصلوا بالمسؤولين فجاء مدير الأمن العام إلى المطار، وبعد حديث معه، وبواسطته مع السلطات المختصة، رفضوا السماح لنا باللجوء إلى سويسرة. فقلنا لهم إننا سمعنا اذاعتكم الرسمية، وقد اعلنتم بها أنكم مستمرون في المحافظة على تقاليدكم بقبول اللاجئين السياسيين في بلادكم فأجابوا إن هذا صحيح ولكن ثمة قائمة (كشفا) باسماء اثنين وثلاثين شخصاً استثنى أصحابها من السماح لهم باللجوء، واسمك بينها، ولذلك لا يسعنا قبولكم في سويسرة، ولكننا مستعدون لتزويد طائرتكم بما تحتاج إليه من الوقود وغيره، على أن تستأنفوا السفر فوراً إلى إسبانيا مثلاً بصفتها بلاداً محايدة. . فسألنا الطيارين الالمانيين اللذين كانا

يقودان الطائرة عن إمكان ذلك، فقالا إن الطيران الى إسبانيا ليس في الامكان، لأن الحلفاء لا بد أنهم عرفوا بأمرنا الآن وستدمرنا طائراتهم ونحن في الجو. وعندئذ ابدينا للسلطات السويسرية استحالة سفرنا جوا، فنصحتنا بالاسرع بالخروج من بلادها، قبل أن تطالبهم سلطات الحلفاء بتسليمنا اليها. وكان المرحوم شكيب ارسلان والمرحوم السيد عبد الفتاح عسل سفير مصر في برن قد عرف بوصولنا الى برن، وبرفض السلطات السويسرية قبولنا، فحاولا جاهدين حملها على قبولنا لكن مساعيهما الحثيثة لم تؤد إلى نتيجة ايجابية.

وعندئذ طلبنا من إدارة الأمن العام أن توافق على سفرنا الى فرنسا بطريق جنيف وليس إلى الحدود الالمانية التي جئنا منها لأن الامريكيين احتلوها. ولا إلى كلاغن فورت التي احتلها اليوغوسلافيون. فقالت إن الحكومة السويسرية تصر على سفرنا الى الحدود الالمانية التي دخلنا من فوقها وفقاً للقانون الدولي (وكانت هذه الحدود محتلة من القوات الفرنسية) وهي مستعدة لأن توفر لنا البنزين لايصالنا الى المكان الذي جئنا منه من المانيا فلما قلنا لهم إننا نفضل أن تتسلمنا السلطات المدنية الفرنسية وليس القوات العسكرية التي هي قسم من قوات الحلفاء وتابعة لقيادتهم وطلبنا أن يسمحوا لنا بالاتصال بسفراء الدول العربية، رفضوا طلبنا وألزمونا بالسفر إلى الحدود الالمانية وعندئذ اضطررنا للسفر بالقطار بحراسة الجنود الى تلك التي اجتزناها جوا ورافقنا موظف فرنسي من جمعية الصليب الأحمر الدولي للعناية بي من الناحية الصحية وقد خفف عنا لطفه ودماثته بعض ما لقيناه من السلطات السويسرية من صلف وسوء معاملة.

ولما وصلنا مدينة كونستانزة على ضفاف البحيرة المشهورة باسمها وجدنا هناك بعض رجال الصليب الأحمر الذين جاءوا لمعرفة حالتنا الصحية. ووجدنا ان الجيش الفرنسي قد احتل تلك المنطقة. فتسلمنا رجال الجيش وذهبوا بنا إلى معسكر قريب من تلك البحيرة قضينا فيه ليلتنا.

أما قائمة (كشف) أسماء الاثنين والثلاثين الذين أشارت اليهم السلطات السويسرية في حديثها معنا فتحتوي على اسماء هتلر وغورنغ وروبنتروب وهملر وآخرين من الألمان وكذلك موسوليني وبافيليتش رئيس جمهورية كرواتيا وغيرهما.

وفي فنـدق بايـرهوف عـلى شاطيء بحيـرة كونستـانـزة حيث انـزلتنـا السلطة الفرنسية مؤقتـاً في طريقنـا الى باريس وجـدنا في الـدور الثاني من الفنـدق ولي عهد المانيا السابق البرنس فون هوهنزولرن وفـون ماكنـزن سفير المـانيا السـابق في روما، والوزير الالمـاني فون نـويراث، والبـروفسور فـون كريم وعـدداً من القواد الألمـان، ولكننا لم نقابلهم إذ كانوا معتقلين بحراسة الجنود.

وبعـد أن مكثنا يـومين في الفنـدق نقلونا الى السجن العسكـري حيث قضينا ليلة. وفي اليوم التالي نقلونا في سيارة مكشوفة في قـافلة محروسـة ومسلحة، فمـررنا بعدة مدن فرنسية وعند الغروب وصلنا مدينة ستراسبورغ فقضينا فيها تلك الليلة في سجن عسكري كبير في غـرف منارة وفيهـا ماء واسـرة من حديـد فراشهـا من التبن وكانت على كل حال خيراً من الليلة السابقة التي قضيناها في سجن كونستانزة.

وفي صباح السبت ١٩ ـ ٥ ـ ١٩٤٥ غادرت القافلة ستراسبورغ الى بـاريس. وكان رفيقنا في الرحلة طبيب المرشال بيتان الخاص وصديقـه مسيو مينيتـريل، وهـو انسان مهذب وقد حاول أن يخفف عنا ويطمئننا بأننا سنكون مـوضع رعـاية السلطة الفرنسية، وأشار علينا أن نتصـل عند وصـولنا بـاريس بالمسيـو شوفيـل وكيل وزارة الخارجية، أما هو فكان يعتقد أن مصيره الى السجن.

ولما وصلت القافلة بـاريس اخذوا من فيهـا جميعاً الى سجن (شيـرش ميدي) ومعناها (ابحث عن الظهر) وسببُ هذه التسمية كما قيل لنا أن هذا السجن شـديد الظلام. ومكثنا بضع ساعـات في ساحـة ذلك السجن المظلم ريثما نقلونـا الى دائرة الامن العـام حيث قضينا ليلة في أحـد مكاتبهـا. وكان رجـال القافلة نحـو ثلاثـين شخصا ملأوا جميع الغرف وكلهم من الفرنسيين المغضوب عليهم لتعاونهم مع بيتان والالمان، وكانـوا ينتظرون الحكم عليهم بـالاعدام وقـد سمحت السلطة لزوجـاتهم وامهاتهم بزيارتهم لوداعهم فكان عويل النساء وتحسر الـرجال يمـلأ جو دائـرة الأمن العام حزنا وألما.

الفصل الخامس عشر

الحلفاء يطالبون برأس المفتي



هذا المنشور وزعته قيادة الحلفاء على أثر انتصارها وفيه تطلب القبض على هتلر حيا أو ميتا .

الحلفاء يطالبون برأس المفتي

ـ صاحب السماحة. لقد صدرت عدة كتب عن نشاطكم في باريس أثناء فترة احتجازكم وروى العديد من الصحفيين القصص عن هذا النشاط فما هي الحقيقة؟ أجاب المفتي:

في اليوم التالي لوصولنا باريس «الأحد ٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٥» جاءنا المسيو ديفو مدير القسم العدلي في الأمن العام ومساعده المسيو بادن، فقلت لهما انني بما لي من صفة دينية وبصفتي رئيساً للمؤتمر الاسلامي العام ورئيساً للجنة العربية العليا أطلب وأتوقع من حكومة الجمهورية الفرنسية أن تسمح لي بالانتقال من هذا المكان إلى منزل أو فندق وأن أعامل معاملة لائقة..

فأجابني المسيو ديفو بلطف وبشاشة: تأكدوا أن الجنرال ديغول مهتم بكم كل الاهتمام وستعاملون المعاملة اللائقة بكم وستغادرون اليوم هذا المكان. ثم سألني ديفو عمن أعرف في باريس فقلت له انني أعرف السفراء والوزراء المفوضين العرب، والسيد قدور بن غبريط ممثل حكومة المغرب.

وفي اليوم نفسه انتقلنا الى منزل على بعد ١٣ كيلومتراً من باريس في ضاحية سان مور ـ لافارين على نهر الماردن، محاطين بحراسة شديدة. واحيط السيد قدور ابن غبريط علما بوصولنا، وكان هو المشرف على شؤون مسجد باريس وله صفة رسمية مغربية فأبدى اهتماماً كبيراً لوصولنا وبادر بارسال سكرتيره الفرنسي إلينا ومعه طباخ مغربي ليتولى أمر طعامنا. وأقمنا بذلك المنزل ريثما ينظر في أمرنا.

وفي اليوم التالي قرأنا في صحف الصباح أنباء عن وصولنا الى باريس ووصول

دوبرينون وزير حكومة فيشي السابق في برلين ومينيشربل طبيب المارشال بيتان. وجاء في بعض هذه الصحف أن الحكومة البريطانية تطالب بتسليمنا اليها بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين، وكذلك القيادة العليا لجيوش الحلفاء التي كان يتولاها الجنرال ايزنهاور. ولكن الحكومة الفرنسية وقفت موقفاً متحفظاً وحجتها في ذلك أن لها معنا حساباً سابقاً طويلا لاشتراكنا في مساعدة الثورة السورية على فرنسا عام ١٩٢٦ ولأننا تعاونا أيضاً مع الألمان في الحرب العالمية الأخيرة.

وفي هذا اليوم كرر مسيو ديفو زيارته لنا للاطمئنان على صحتنا وراحتنا، ثم تحدث ملمحاً إلى أننا سنبقى في الأراضي الفرنسية. فقلت له إن هذا ما نتوقعه من الجمهورية الفرنسية في هذا الموقف.

وفي صباح اليوم التالي (٢٣ ـ ٥ ـ ١٩٤٥) شاهدنا سيارة عسكرية مقفلة ومكتوباً عليها كلمة «سجناء» تقف بباب منزلنا فأزال مجيئها الطمأنينة النسبية التي شعرنا بها من حديث ديفو. لكنها لم تلبث أن انسحبت بعد ساعتين بعدما تلقت أمراً بذلك. وقضينا أياماً استولى علينا فيها القلق والارق حتى كدنا نغص بالماء الفرات حقيقة لا مجازاً في تلك الأونة الحرجة.

ثم لم نلبث أن قرأنا في الصحف أنباء الاضطرابات التي حدثت في سورية، وأخذت الصحف تهاجم سياسة بريطانيا في الشرق. واعتقد أن ما وقع في سورية من خلاف شديد بين البريطانيين والفرنسيين عقب الحرب العالمية الثانية كان من جملة الاسباب التي حملت فرنسا على عدم تسليمنا لبريطانيا.

ومن جهة ثانية لقد تلقى الجنرال ديغول برقيات كثيرة من مقامات عربية واسلامية في شأننا وقامت مظاهرات كبرى في بيروت وبعض البلاد العربية والاسلامية للعناية بنا. وقام زعماء مسلمي الهند وعلى رأسهم محمد علي جناح رئيس رابطة مسلمي الهند يطالبون بالاهتمام بأمرنا، وأرسل إمام اليمن يحيى حميد الدين برقية خاصة الى الجنرال ديغول يطلب منه إرسالي بطائرة الى اليمن حيث أكون في ضيافته. وحدث بعد ذلك أن زار باريس ملك المغرب محمد الخامس بدعوة من الجنرال ديغول لمشاهدة الاحتفال بيوم النصر ففوجىء بالملك محمد الخامس يطلب منه أن يسمح له بأخذي معه إلى المغرب تلبية لرغبة علماء المغرب وأعيانه.

ولما وصل باريس بعد ذلك باي تونس مولاي محمد الأمين طالب أيضاً بمثل ذلك فكان لجميع هذه العوامل تأثير كبير على السلطات الفرنسية. ولكن الاعداء، وفي مقدمتهم الصهيونيون لم يغفلوا عنا وظلت مساعيهم الحثيثة تلاحقنا حتى كادت تنجح. وسأتحدث بعد قليل عن هذه المساعي.

وكُنَّ طلبنا من السلطات الفرنسية أن نستقبل بعض معارفنا من العرب والمسلمين الذين كانوا في باريس عندئذ ومنهم عدد كبير من السفراء والوزراء المفوضين لعدة دول عربية واسلامية، ولكن انقضى شهر على إقامتنا بلافارين دون أن نقابلَ أحداً، وعلمنا فيما بعد أن مسيو بونسو المندوب السامي السابق لفرنسا في سوريا ولبنان عام ١٩٢٨، والسيد قدور بن غبريط وبعض السفراء والوزراء المفوضين العرب قد طالبوا بزيارتنا منذ وصولنا باريس لكنهم لم يمكنوا من ذلك. ثم فوجئنا بزيارة مسيو «غيرامو» مساعد مدير الشؤون العربية في وزارة الخارجية والمسيو «ديفو» و«الكابيتان كلاتو» وكان محور الحديث في هذه الزيارة رحلتنا من المانيا الى سويسرا ففرنسا ثم الاستعلام عن السيد رشيد عالي الكيلاني. وتناول الحديث الوضع العام في سورية ولبنان والاقطار العربية. وسلمني مسيو غيرامو رسالة من الصديق المرحوم سامي بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية حينئذ.

ثم زارنا مسيو بونسو وحده، وكان عندئذ يتولى رئاسة اللجنة الخاصة باللاجئين في اوروبا ولجنة شؤون الشرق الأدنى. وتحدث في زيارته هذه عن رغبة فرنسا في التعاون مع الاقطار العربية وأنها ماضية في سياستها هذه.

وفي ٢٨ ـ ٧ ـ ١٩٤٥ زارنا مسيو بونسو مرة أخرى وأبلغنا فحوى برقية وصلتهم من سفير فرنسا في القاهرة مسيو «ليكوبيه» مؤرخة في ٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٤٥ خلاصتها أن الصحف المصرية تحدثت عن وجودي في فرنسا وانني معتقل وسوف أقدم إلى المحاكمة، وأن السفارة بادرت بتكذيب ذلك مؤكدة للقصر الملكي وللامين العام لجامعة الدول العربية عزام باشا انني ضيف فرنسا وأنني أقيم بمنزل في ضواحي باريس، وأن السفير ليكوبيه استقبل وفداً من الفلسطينيين الذين طالبوا بالاهتمام بنا والافراج عنا.

وأضاف مسيو بونسو أن جلالة ملك المغرب وسمو باي تونس طلبا من

الحكومة الفرنسية العناية بي وتوفير أسباب الراحة لي وأنهم يطلبون من فرنسا أن تحافظ على صداقتها للمسلمين وتسهل أسباب عودتي الى البلاد العربية.

وكان في باريس عندئذ بعض الاصدقاء في السلك الدبلوماسي منهم محمود فخري باشا سفير مصر واحمد بك الداعوق وزير لبنان المفوض، وعدنان بك الاتاسي وزير سورية المفوض، وسمو السردار شاه ولي خان سفير افغانستان، وقد طلبوا مراراً مقابلتنا دون أن يسمح لهم في بادىء الأمر إلى أن فاجأنا فؤاد بك حمزة الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية في باريس بزيارته، فسررت بلقائه وعلمت منه بمساعي جميع الاصدقاء المذكورين لمقابلتي. وأخيراً سمحت لهم السلطات الفرنسية بالمقابلة على أن تتم في بيت المسيو بونسو، الذي دعانا وأصدقاءنا المذكورين الى شرب الشاي في بيته ودعا معهم مسيو «بالاي» مدير الشؤون العربية في وزارة الخارجية ومساعده «غيرامو». وقال إنه يأسف لغياب سفير افغانستان في سويسرة.

وكان اللقاء ساراً ومؤثراً. وكانت هذه أول مرة نقابل فيها أحداً غير رجال الأمن والموظفين الفرنسيين منذ وصولنا باريس..

ودار معظم الحديث على الشؤون العربية والظروف الحاضرة. وتحدث مسيو بونسو عن رغبة فرنسا في التعاون مع الدول العربية وتساءل عن أفضل الوسائل لاعادة التمثيل الدبلوماسي بين فرنسا والعراق.

وفي ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٤٥ الموافق ٥ رمضان زارني المستشرق المعروف «ماسينيون» مهنئاً بشهر الصيام وحدثني عن سياحته في الشرق لدراسة احوال المسلمين وأنه زار سورية والعراق وايران حيث قابل فيها صديقنا الشهير السيد ضياء الدين الطباطبائي الأمين لعام للمؤتمر الاسلامي العام الذي عقدناه في القدس عام ١٩٣١، ثم زار الهند فقلت له إنني سمعت بالراديو خطابه الذي ألقاه في دلهي عن اللغة العربية. ثم عرج على أفغانستان وتركيا ولبنان ثم توجه الى مصر وقابل عبد الرحمن عزام باشا الذي قال له إن المفتي خير من يعمل للجامعة العربية، وأن أي سوء يصيبه يكون له اسوأ الأثر في العالمين العربي والاسلامي. وأضاف أن عزام باشا بعث في شأني بمذكرة الى اللورد كيلرن (سفير بريطانيا السابق في مصر حينئذ)

بواسطة مستر سمارت السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية وقال فيها إنه إذا أسيء إلى المفتي فان الثورة ستقع في فلسطين لا محالة. ثم تحدث مسيو ماسينيون عن ضرورة تعاون الاقطار العربية مع فرنسا لصالح الطرفين.

وبعد يومين زارنا دولة أحمد بك الداعوق للتهنئة بشهر الصيام وابدى فيضاً من كريم الشعور وصادق العطف والود وعلمت منه أنه قابل مسيو بيدو رئيس الوزارة الفرنسية ومساعده مسيو شوفيل وحدثهما في شأننا وشأن إخواننا الذين بقوا في بادكشتاين بالمانيا وأن القيادة العسكرية الامريكية نقلتهم تحت الحراسة الى سالزبورج ومنها الى فرانكفورت أماين.

وأذكر ممن زارنا المرحوم الدكتور محمود عزمي رئيس وفد مصر إلى الأمم المتحدة حينئذ، فكان مما قاله لي إن قبول الدول العربية للكتاب الأبيض البريطاني الصادر عام ١٩٣٩ (وهو الكتاب الذي لامني بعض الناس لرفضي إياه قد كان خطأ، وأن تهافتهم عليه قد أعطى اليهود الحجة على أنه مجحف بهم، وقالوا إنه لو كان عادلاً لما قبله العرب. ورغم قبول العرب للكتاب الأبيض ظل اليهود رافضين له، ولذلك لم تنفذ الحكومة البريطانية شيئاً منه).

واذكر أيضاً زيارة وفد لبنان الى الأمم المتحدة لنا عندما مر بباريس عائداً من نيويورك، وقد كان من أبرز أعضائه المرحوم رياض بك الصلح، وحميد بك فرنجية، وقد لبى الوفد دعوتنا الى تناول طعام الغداء وكانت فرصة سانحة انسنا فيها بهذا اللقاء. وكان ممن رافق الوفد في تلك الزيارة الصحفي المعروف الاستاذ حنا غصن وكعادتنا رجوناهم ألا يطلعوا أحداً على مكاننا ولكن صديقنا الاستاذ غصن مراسل جريدة «لوموند» الفرنسية استطاع أن يعرف مكاننا، فلم تمض على تلك الزيارة غير فترة قصيرة حتى أرسلت المخابرات اليهودية بضعة أفراد من عصابة «أرغون تسفاي ليومي» الصهيونية لاغتيالي فأخذوا يتجسسون حول الدار لكنهم لم يستطيعوا الوصول اليها للحراسة المضروبة عليها، فتسللوا الى المنزل المجاور وتسلقوا الاشجار الباسقة وأخذوا عدة صور للدار تمهيداً لعملية الإغتيال.

وقد اعترف بهذا الحادث كاتب يهودي في كتاب نشره مشتملا على مذكراته.

وبلغني، من كل من أحمد بك الداعوق والمرحوم عدنان بك الاتاسي، أن

السفير البريطاني زار وزارة الخارجية الفرنسية، وطلب منها تسليمي الى بريطانيا. وأنه بعد زيارته لها بساعة قابل السفير الامريكي، الذي لم يلبث أن قام بزيارة لوزارة الخارجية الفرنسية؛ وعزز طلب زميله السفير البريطاني.

وفي تلك الفترة وصل الى باريس الجنرال «بينيه» المفوض السامي الفرنسي الأخير لسورية ولبنان، وكان يحمل الي رسالة من الصديق المرحوم سامي بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية حينئذ، فزارني في منزلي في «بوجيفال» وسلمني الرسالة، ثم رددت اليه الزيارة في وزارة الدفاع حيث كان. وعلى أثر انتهاء زيارتي له رافقني إلى السيارة مستشاره السيد انطوان رزق من أفاضل اللبنانيين الذين عرفتهم خلال إقامتي السابقة في بيروت عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ فسألته عن سبب زيارة سفيري بريطانيا وأمريكا لوزارة الخارجية الفرنسية في يوم واحد، وعما بلغني من أن الحديث في تلك الزيارة كان في شأني. فأيد ذلك ملمحاً إلى أن امريكا وبريطانيا تضغطان بشدة على الحكومة الفرنسية لتسليمي، ومشيراً الى التقرير الذي قدمه المسيو ليون بلوم الى الحكومة الفرنسية في هذا الشأن.

أما محاولة محاكمتي في نورمبرج فقد كانت على الصورة الآتية:

بذل اليهود الصهيونيون اقصى جهودهم لمحاكمتي كمجرم حرب في محكمة نورمبرج، ولما كانت مواد القانون الذي أصدره الحلفاء في صفة مجرمي الحرب لا تنطبق علي، فقد عمد اليهود إلى تلفيق تهم تحقق لهم امنيتهم منها أنني حرضت السلطات الالمانية النازية على إبادة اليهود، واني كنت السبب في القضاء على ملايين منهم، واني حرضت على يهود يوغوسلافيا وكنت السبب في القضاء عليهم، كما أني كنت قبل ذلك المحرض على ثورة العراقيين على يهود بغداد... ونحو ذلك من التلفيقات..

وقد استطاعوا إغراء الهر كرومي، (مساعد ايخمان) الذي علم أن اليهود يعدونه أحد المسؤولين عن قتل اليهود في المانيا، بأن يدلي بشهادة كاذبة أمام كاتب عدل سويسرة بأنه شاهدني مجتمعاً بايخمان وسمعني وأنا أحرضه وأحرض غيره من الزعماء الالمان على إبادة اليهود، وجعلوه يوقع على الشهادة بعدما وعدوه بانقاذه من الاعدام.. ولم أكن أعرف كرومي ولم تكن له بي أية صلة، ولكن الاعداء أغروه

بتقديم شهادته مشفوعة باليمين الكاذبة (ورغم ذلك لم ينقذوه من الموت، فأعدم مع غيره من الذين اعدموا في محاكمات نورمبرج). ولهذه المناسبة أعيد هنا ما سبقت الاشارة اليه من أن اليهود حينما تمكنوا من اختطاف ايخمان من الارجنتين، حيث كان مقيماً، وجاءوا به إلى فلسطين المحتلة، حاولوا إغراءه ليؤيد شهادة مساعده كرومي باتهامي ولكن ايخمان كان شريفاً، فأبى أن يفعل ذلك ونفى صلته بي.

وقد أغرى اليهود وزير خارجية يوغوسلافيا بأن يقدم شكوى باتهامي الى محكمة نورمبرج وعلى أثر ذلك ارسلت المحكمة إلى الحكومة الفرنسية طلباً بتسليمي إليها، وجاء المسيو بونسو الى البيت الذي كنا معتقلين فيه، وسلمنا أوراق الاتهام، فأخذناها منه للرد عليها، وادحضنا جميع التهم التي حاولوا الصاقها بنا، وشجبنا أن نكون من مجرمي الحرب، وبذلك ردت الحكومة الفرنسية طلب محكمة نورمبرج، ورفضت تسليمنا إليها.

وكانت المذكرة التي قدمها «بيرجسون» رئيس اللجنة اليهودية للتحرير القومي في الولايات المتحدة في شهر مايو ١٩٤٥، تشتمل على أربعة بنود اعتبرها اليهود كافية لادانتي بجرائم الحرب ومحاكمتي بموجبها. وتتلخص فيما يأتي:

١ ـ إن نشاط المفتي كمجرم حرب، يرجع إلى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، فقد أثار حملة ارهابية في فلسطين سنة ١٩٣٦ مؤيدة من الألمان والطليان. .

٢ ـ على أثر نشوب الحرب نقل المفتي نشاطه الى العراق حيث دعم رئيس الوزراء في محاولة لقلب نظام الحكم ولوضع العراق في معسكر المحور، وبسبب ذلك قتل في هذه الفترة الوفا من اليهود كثير منهم قتلوا في بغداد.

٣ ـ انطوى نشاط المفتي في المانيا على أسوأ الفظائع التي اقترفت خلال الحرب. فبالاضافة الى تأليفه فرقة الـ أس. اس. البوسنوية الاسلامية، كان مسؤولا عن ذبح المسلمين في يوغوسلافيا وغيرها من بلاد البلقان الذين تقاعسوا عن تأييد النازيين. ويقال إنه أشرف بنفسه على المذابح في سراجيفو (كذا)!

٤ ـ تعاون مع كارل ايخمان قائد معتقل «اشويتز» على إبادة اليهود جماعات في غرف الغاز.

وكـان اليهود استغلوا ظـروف فرنسـا في ذلك الحين وحـاجتهـا الاقتصـادية والسياسية الى الولايات المتحدة الاميركيـة، وانتهزوا فـرصة إيفـاد المسيو ليـون بلوم «اليهودي» رئيس الوزارة الفرنسية سابقاً الى الولايات المتحـدة، ليطلب منهـا أن تمد يد العون إلى فرنسا التي كانت في حالـة عسر شديـد، فاختـاروه لبلوغ قصدهم لما يعلمـون من تأثير اليهود عـلى السلطات الاميركيـة والشعب الاميركي. فلما أرسـل بلوم تقريره إلى الحكومة الفرنسية عن مهمتـه، ذكر فيـه أن الاميركيـين يطلبـون من فرنسا تسليمي الى بريطانيا، بصفتها الدولة المنتدبة عـلى فلسطين، وأكـد في تقريـره أن هـذا الأمر يهم الاميـركيين كثيـراً ويسهل مهمتـه في الحصـول عـلى مسـاعـدتهم لفرنسا. . !

وركز اليهود مساعيهم على هـذه القضية طيلة المـدة التي اقمناهـا في فرنسـا، فجـاء «شرتـوك» السكرتـير السياسي للوكـالة اليهـودية حينئـذ من لندن الى بـاريس ليبحث مـع الرسميـين الفرنسيـين في شأننـا وتطورات قضيتنـا. وكان يهمـه بصورة خاصة أن يعرف مكان إقامتنا.

وجاء من تل أبيب «توبي ازازي» مدير الشؤون الشرقيـة في الوكـالة اليهـودية وطلب مقابلة الاستاذ ماسينيون ليبحث معه في أمرنا لكن ماسينيون رفض مقابلته.

وشاهد رجال الشرطة الذين كانوا يتولون حراسة منزلنا، حاخام لافـارين يمر من أمام منزلنا، وهو يلبس لباسا مدنيا. ودلالة هذا أن اليهـود عرفـوا مكان إقـامتنا وأنهم يرقبوننا فيجب علينا الانتقال الى مكان آخر.

وعلمنا ونحن في لافارين أن القيادة العليا لجيوش الحلفاء، كانت قد أرسلت أحد ضباط القيادة ليتسلمنا من القوات الفرنسية عند اجتيـازنا الحـدود السويسـرية من المنطقة المحتلة، إلا أن السلطات الفرنسية رفضت تسليمنا.

ثم سمعنا من إذاعة لندن أن السيد عبد الرحمن عـزام استقبل كـلا من سفير فرنسا وسفير يوغوسلافيا في القاهرة مقابلة خـاصة بنـا وأنه سلم سفـير يوغـوسلافيـا مذكرة الى حكومته في شأننا.

تلك الـظروف والاوضاع اشعـرتني بـالقلق والحـرج، فـرأيت أنـه لا بـد من مغادرة فرنسا، ووطنت نفسي على ذلك في أول فرصـة اتمكن فيها من تهيئـة وسائـل

الخروج في تلك الظروف الصعبة، التي لم تكن وسائل السفر فيها موفورة، فقد كانت معظم المواصلات الجوية عسكرية، وكانت المواصلات البحرية خاضعة لمراقبة شديدة. ولكنني صممت على الخروج من فرنسا بأية وسيلة.

الصهيونية تدخل المعركة ضد المفتي:

قال المفتي: لم ينفك اليهود منذ وصولي الى فرنسا، على اختلاف مؤسساتهم وهيئاتهم، يحرضون سلطات دول الحلفاء على محاكمتي كمجرم حرب. وهم موقنون انني وقعت في الشرك. وأن هذه الفرصة السانحة للانتقام لأنني، بزعمهم، شاركت في إبادة ملايين اليهود الذين قتلهم النازيون.

فقد أعلن الرئيس الاميركي «ترومان» بتاريخ ٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٤٦ لوفد من اتحاد اليهود في أميركا «أن الجريمة التي ارتكبت تحت الحكم الهتلري، والتي كان من ورائها أن قضى على خمسة ملايين وثلاثة أرباع المليون من اليهود سيلقى مرتكبوها جزاءهم العادل».

وحوالي ذلك التاريخ اعلن الاستاذ «برودتشكي» رئيس الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية ورئيس المنظمة اليهودية في بريطانيا في تصريح له: «أن مفتي القدس يجب أن يعامل كمجرم حرب».

وفي الجلسة الأخيرة التي عقدتها بتاريخ ٢ ـ ٣ ـ ١٩٤٦ لجنة التحقيق البريطانية ـ الامريكية التي ارسلت الى فلسطين، واستمعت فيها اللجنة مرة ثانية الى شهادة بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية التنفيذية حينئذ، وموسى شرتوك رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية يومئذ ووزير خارجية «إسرائيل» فيما بعد، أخذ شرتوك يحرض اللجنة المذكورة علي قائلاً:

«لم يكد المفتي يصل إلى برلين حتى أخذ يذيع منها داعياً العرب إلى القيام بحملة تخريب وراء الخطوط البريطانية وانتظار إشارة منه للقيام بثورة عامة..

ووفقاً لاعتراف أحد النازيين البارزين في نورمبرغ (يقصد شرتوك بقوله هذا الهركومي معاون ايخمان الذي خدعه اليهود وحرضوه على الادلاء بشهادة كاذبة ضدي مقابل انقاذه من الاعدام)، فان المفتي كان أحد المحرضين الرئيسيين على حملة إبادة اليهود بالجملة.. الخ».

وكانت جريدة «لوموند» الفرنسية الوثيقة الصلة بزعماء اليهود والصهيونية قد نشرت في ٧ ـ ٢ ـ ١٩٤٦ مقالاً في صدر صفحتها الأولى مملوءا بالدس والتحريض جاء فيه: «أن المفتي الذي اعتقلته السلطة الفرنسية في المانيا يقيم الآن تحت الرقابة في ضواحي باريس، وتعتبره الدوائر البريطانية والحليفة مجرم حرب بسبب أعماله الموالية للهتلرية اثناء الحرب. وأن «ادغار ماورد» مراسل جريدة «نيويورك بوست» كتب في هذا الخصوص أنه يستدل من التصريحات التي أدلى بها الدكتور رودلف كازنر، بعد حلف اليمين، أن الحاج أمين الحسيني هو الذي وضع خطة لابادة خمسة ملايين يهودي، وأنه هو الذي اقترح على هملر مراراً إبادة يهود أوروبا، معتبراً ذلك حلا سهلا لقضية فلسطين، ترى ألم يسمع قضاة نورمبرغ باسم هذا المفتي؟ وهل هناك موظفون بريطانيون وامريكيون أو فرنسيون معارضون في كشف هذه القضية؟».

ثم أضافت «لوموند» قائلة: «ومن المعلوم أن المفتي الأكبر، بعد أن دبر المذابح في فلسطين، التجأ في عام ١٩٣٨ إلى سوريا والعراق. وفي بغداد كان المفتي المحرض على قيام ثورة رشيد عالي، وبعد فشل هذه الحركة لجأ إلى المانيا، حيث أصبح رئيس جيش التحرير العربي».

وكان أعوان اليهود وعملاؤهم من نواب بريطانيين وغيرهم، ولا سيما من حزب العمال الذي يحتوي عدداً غير قليل من النواب اليهود وعملاء الصهيونية، ما انفكوا منذ وصولي الى فرنسا، يثيرون هذه المسألة في مجلس العموم البريطاني، ويوجهون الاسئلة الى وزارة الخارجية البريطانية، لتظل المسألة حية وعالقة في أذهان ساسة بريطانيا ودول الحلفاء. فمن ذلك أن مستر بيفن وزير الخارجية رد على سؤال في مجلس العموم يوم ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٤٥ «عما تم في مسألة امين الحسيني مفتي فلسطين المعتقل الآن في أحد المنازل»، فقال: انه قدم الى الحكومة الفرنسية طلبا في شأنه. وأنه لا يستطيع أن يضيف شيئاً إلى إجاباته السابقة في هذا الشأن.

ولما سألته النائبة المس بلانش قائلة: «أليس من الصواب أن يسلم هذا الرجل الى السلطات الفلسطينية (أي الحكومة البريطانية في فلسطين) نظراً الى كونه أنزل أعظم الضرر بقضية الحلفاء؟ أجاب المستر بيفن قائلاً: «اني لا اشتهي أن أراه يعود الى فلسطين!».

ومن ذلك أن مستر ج. هـوي من نـواب حـزب العمـال وجـه سؤالاً في ٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٤٦ إلى مستر هكتور مـاكنيل وكيـل وزارة الخارجيـة عما إذا كـان قـد استرعى نظره المستندات التي قدمت في قضية جرائم الحرب في نورمبـرغ عن الدور الذي قام به الحاج أمـين الحسيني بإثـارته المشـروع النازي لافنـاء اليهود في أوروبـا والتشجيع على تنفيذه؟.

فرد ماكنيـل بأن هنـاك تحقيقاً خـاصاً يجري بشأن الحـاج أمين الحسيني مفتي القدس، للوقوف على وثائق دقيقة عن أية أدلة خاصة بهذه المسألة قدمت الى محكمة نورمبرغ الدولية.

وفي ٢١ ــ٢ ـ ١٩٤٦ أذاع مراسل رويتر من مدينة كليفلانـد بولايـة أوهايـو الامريكية أن اليهود عقدوا مؤتمراً عاما طلبوا في نهايته محاكمـة مفتي فلسطين بصفتـه مجرم حرب!

وقد أثارت هذه الدسائس والمؤامرات اليهـودية، الصحـافة العـربية في لبنـان وفلسطين ومصر وغيرها، فانبرت للدفاع عني وادحاض مزاعم الأعداء.

يتضـح موقف الحكـومة الفـرنسية من مسـألة تسليمي أو إخـلاء سبيلي، فيـما نشرته جريدة «باري بريس» الفرنسية في ١٠ نيسان ١٩٤٦ (الطبعة السادسـة) تحت عنوان: «فرنسا لا تريد تسليم المفتي الأكبر، الذي تحتفظ به في إقامة تحت المراقبة». وهذا ملخصه:

«اثناء التعليق على برقية من مصدر اجنبي، جاء فيها أن فرنسا سترفض عـلى ما يظهر إطلاق سراح مفتي القدس الأكبر أمين الحسيني.

«لقد صرح في الكي دورسيه (وزارة الخارجية الفرنسية) أن الحكومة الفرنسية لم يصلها أي طلب من قبل حكومة عربية من أجل عودته الى فلسطين أو إلى بلد ما من الشرق الأوسط.

«أن المفتي يعيش حالياً تحت حماية فرنسا. إنه حر ويعامل بكـل الاحترامـات الواجبة نحو مقامه، وطبقاً لأحكام دينه. وتقوم الشرطة بحراسة مكان إقامته الواقع في مكان ما في منطقة باريس.

«وقد صرح متحدث باسم «الكي دروسيه» بأن بريطانيا العظمى طلبت في الواقع تسليمها المفتي، غير أن بريطانيا أجابت على استيضاحات مقدمة من الحكومة الفرنسية بأن المفتي غير مذكور في القائمة البريطانية لمجرمي الحرب.. وبالنتيجة فأن فرنسا قررت ألا تستجيب للطلب البريطاني.

وأضاف المتحدث أن طلب الحكومة البريطانية غير موافق لأحكام القانون الدولي».

لهذه المناسبة نشرت الدايلي ميل الانكليزية بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٤٦ مقالا جاء فيه:

«أميط اللثام في باريس عما يبدو أنه تغيير في وجهة نظر الحكومة الفرنسية، بأن المفتي ليس معتقلاً، ولا توجد قيود من أي نوع على حركاته، وهو يعيش تحت حراسة البوليس ومنزله سر مكتوم لاعتبارات تتعلق بسلامته.. وأن ناطقاً بلسان وزير الخارجية الفرنسية صرح قائلا أنه إذا شاءت أية دولة عربية قبوله أو دعوته الى بلادها فان الحكومة الفرنسية لا تقيم أية عقبة في سبل تنقلاته».

وأضافت الديلي ميل تحت عنوان (مفاجأة) قائلة إن الاعلان بأن المفتي «حر» في فرنسا كان له وقع مفاجىء في باريس، وربما أن الحكومة الفرنسية قد غيرت موقفها تجاهه... والمكان الذي يقيم به مكتوم كتماناً شديداً، مما جعل مراسلي الصحف يفشلون في الاتصال به، ويلازمه رجال من الشرطة لحمايته فقط، كما أوضح ذلك موظف وزارة الخارجية الفرنسية أمس».

ثم أضافت الجريدة أن الحكومة البريطانية طلبت مراراً من الحكومة الفرنسية خلال مدة إقامتي بفرنسا أن تسلمني إليها، وأن السلطات الفرنسية رفضت ذلك، لأن تسليمي إليها، دون أسباب كافية، مخالف لاحكام القانون الدولي.

وعلى أثر إعلان وزارة الخارجية الفرنسية موقفها السليم من قضية حريتي، ورفضها الخضوع لمطالب بريطانيا ومساعي المنظمات اليهودية العالمية، وجهت الى وزير الخارجية الفرنسية كتاب الشكر التالي:

«باريس ١٢ ابريل ١٩٤٦

«حضرة صاحب المعالي وزير خارجية الجمهورية الفرنسية . .

«لقد اطلعت بسرور كبير على البيان المنشور في الصحف بتاريخ ٨ إبريل سنة ١٩٤٦ من قبل المتكلم بلسان وزارة الخارجية الفرنسية فيما يختص بالمعاملة التي أعامل بها في فرنسا، والذي ورد فيه أن الحكومة الفرنسية لن تضع أية عراقيل في سبيل سفري إلى أحد البلاد العربية إذا شاءت قبولي أو دعتني إليها.

وانني إذ أتقدم بالشكر الجزيل إلى الحكومة الفرنسية على تصريحها هذا، وعلى حسن معاملتها إياي طيلة إقامتي في هذه البلاد، وأود أن أشير لهذه المناسبة الى الاسباب والظروف التي أدت إلى التجائي إليها:

«١ - إن سبب خروجي من فلسطين ثم سفري إلى أوروبا يرجع في الأصل إلى السياسة الجائرة التي اتبعت في فلسطين منذ ثمان وعشرين سنة، والتي تستهدف تحويل هذا الوطن العربي الآهل بسكانه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، إلى شعب آخر، مما يؤدي إلى القضاء المبرم على كيان هذا الوطن، ويهدد سكانه بالابادة والفناء. وأن معارضتي الطبيعية المنطقية لهذه السياسة الغاشمة، وعدم موافقتي عليها، كانت السبب الحافز للسلطة البريطانية في فلسطين لمحاولة القبض علي في شهر اغسطس ١٩٣٧ واعتقالي في جزيرة نائية. ولكنني نجوت من تلك المحاولة، ولجأت إلى لبنان مدة عامين لقيت خلالهما من فرنسا أحسن معاملة. وبعد إعلان الحرب سنة ١٩٣٩ وتشديد الضغط من قبل الحكومة البريطانية من أجل تسليمي، اضطررت للجوء إلى العراق ثم إلى إيران. ولما احتلت إيران في خريف ١٩٤١ أعلن الجنرال ويفل جائزة بمبلغ ٢٥ ألف جنيه في سبل القبض علي مما اضطرني لمغادرة إيران إلى تركيا. ولما لم تقبل هذه لجوئي إليها لم يبق لي مناص من اللجوء إلى اوروبا. فيتضح لمعاليكم مما سبق بيانه أن لجوئي إلى أوروبا يرجع الى مطاردة السلطات الانكليزية إياي منذ سنة ١٩٣٧، أي منذ بضع سنوات قبل هذه الحرب، وليس لاسباب تتعلق بهذه الحرب.

«٢ - أن الزعم بأنني جندت المسلمين البشناق ضد الحلفاء لا يتفق مع الواقع فالحقيقة هي أن عصابات «الشتنيك» التابعة للجنرال ميخائيلوفيتش هاجمت المسلمين البشناق وقتلت ما ينوف على ٢٠٠ ألف من رجال ونساء وأطفال، دون أن

تقـوم دول المحور بـالدفـاع عنهم رغم احتلالهـا لبلادهم، ممـا اضطر المسلمـين الى تشكيل قوات من أبنائهم، لمجرد الدفاع عن انفسهم ضد العصابات المهاجمـة. وقد حول الالمان بعد ذلك قسما من هذه القوات إلى فرقـة مختلطة من البشناق المسلمـين والكاثوليك، بقيادة ضباط الالمان، ولم يكن لي دخل في تنظيمها كما شرحت ذلك في المذكرة التي قدمتها الى الحكومة الفرنسية في صيف ١٩٤٥.

«٣ ـ عند انتهاء الحرب لجأت إلى البـلاد الفرنسيـة، حيث أقمت منذ نحـو سنة، ولم أقم طيلة هذه المدة بأي عمل سياسي ضد أحد.

«وانني في الختام إذ أكرر شكري للجمهوريـة الفرنسيـة على حسن صنيعهـا، الذي سيكون له أحسن الأثر في توثيق العلاقات بين فرنسا والبـلاد العربيـة، أرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام».

(التوقيع)

ولهذه المناسبة، أورد هنا أن معالي الاستاذ عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام السابق لجامعة الدول العـربية، أرسـل حينئذ كتـاباً إلى لجنـة التحقيق البريـطانية ـ الاميركية في شأن العرب المبعـدين عن أوطانهم والمشـردين في مختلف بلاد اوروبـا، المعتقلين منهم والمسجونين، وذلك بناء على ما قرره مجلس جامعة الدول العربية من لزوم السعي لدى الجهات المختصة في شأنهم. وقد وجـه معاليـه نظر اللجنـة الى ما هنالك من فوارق في المعاملة بين هؤلاء العرب وبـين اليهود، إذ بينـما يرزح العـرب تحت نير الضيق ويكابدون آلام التشرد أو الاعتقال، يتمتع اليهود بكامل حريتهم في التنقل والاقامة حيث يشاءون، وأضاف معاليه في كتابه أن من واجبه أن يلفت نـظر اللجنـة الى أمر هـذا الفريق من العـرب، حتى تنتهي محنتهم، ويمنح المبعـدون حق التنقـل والاقامـة حيث يريـدون والعـودة الى وطنهم (وذكـر اسمي عـلى رأس هـذا الفريق).

وصرح معاليه قائلاً:

«لقد أعربت من قبل عن وجهة نـظري في مسألـة الحاج أمـين الحسيني، وقد قامت الجامعة العربية من جانبها بمساع دبلوماسية لتسليم المفتي الى العـرب، وليس

الى بريطانيا لكي تقدمه الى المحاكمة. واني اشكر الحكومة الفرنسية للمساعدة التي قدمتها اليه، كما انني واثق بأنها ستوافق على طلب الجامعة العربية السماح للمفتي بالاقامة في البلد الذي يختاره».

وعندما كنت في باريس كتبت مراراً الى معالي عزام باشا، في شأن خطر الهجرة اليهودية الى فلسطين التي يطالب بها اليهود وتدعمهم فيها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، وضرورة وقوف جامعة الدول العربية منها موقفاً حازماً، وقد تناولت رسائلي إليه أيضاً موقف اليهود من قضيتي، ومطالبتهم بتقديمي الى محكمة نورمبرغ، وتحريضهم حكومة يوغوسلافيا على ذلك، فوردتني منه ثلاث رسائل رداً على رسائلي، كانت الأولى في ٢٥ ـ ٩ ـ ١٩٤٥ من القاهرة، وقد أشار فيها الى وصول كتبي اليه، وأنه لم يدخر وسعا في المسعى في سبيل حريتي سواء مع البريطانيين أو مع اليوغوسلافيين، وانه ابلغ الحكومة اليوغوسلافية اسف العرب على تدخلها في طلب محاكمتي كمجرم حرب، وان العرب يعتبرون عملها أكبر إساءة لهم، وأن الحكومة المصرية أيدته في ذلك... الخ.

ثم تلقيت منه رسالة ثانية من لندن في ١٧ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥ أشار فيها الى وصول رسائلي. وان المعركة مع اليهود حامية جدا، وأن وسائل العرب محدودة، ولكن عناية اللّه أعظم من كل شيء، وأنه يوافق على أن الامر ليس أمر هجرة ١٥٠٠ يهودي ولكنه المبدأ. ثم أشار الى مسألتي وقال: «إنه لا يدخر وسعا فيما يستطيع عمله لانقاذ أي عربي بل أي مسلم».

وآخر رسالة وصلتني منه قبل خروجي من فرنسا كانت من القاهرة وتاريخها ١٥ ـ ٢ ـ ١٩٤٦ وقد أعرب فيها عن عاطفة شريفة ومودة صادقة، وقال «انه بذل ما امكنه من المساعي لتحقيق الحرية لكل العرب المبعدين، وأن الامور مرهونة بتيسير اللّه، وأشار الى ما يجده من متاعب ومشاق لا حد لها، حتى ممن ينتظر منهم العون. وأن من الصعب الوقوف بجانب الحق والحرية».

الفصل السادس عشر

من فرنسا الى مصر


اسماعيل صدقي
انتقد لجوء المفتي.


المفتي في صورة تاريخية مع الرئيس محمد نجيب وعدد من رجالات العرب.


السفير البريطاني
مايلز لامبون احتج لدى الحكومة المصرية.

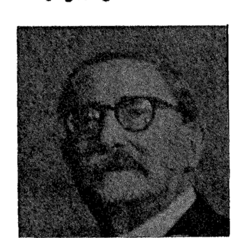
محمود فخري باشا سفير مصر في باريس ساعد المفتي.





الملك محمد الخامس: رجل الوفاء.

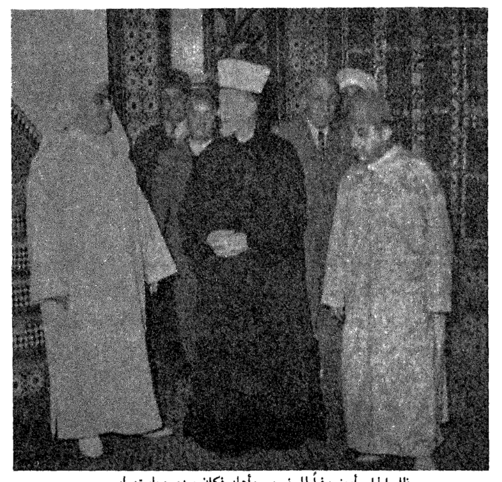
محمود عزمي: صوت فلسطين الدائم في هيئة الأمم.



ليون بلوم: صفقة يهودية.



سامي الصلح: الرجل النبيل.



ظل الحاج أمين وفياً للمغرب وأهله فكان يزوره باستمرار.

من فرنسا الى مصر

قرر المفتي مغادرة فرنسا في أول فرصة تسنح له، وبأية وسيلة، وذلك بعد أن بدأت الصحف الصهيونية تشنّ حملتها السافرة ضد وجوده في فرنسا. . وأخذ المفتي يتساءل إلى أي بلد عربي سيلجأ هذه المرة؟

وقرر اللجوء إلى القاهرة. .

ولكن كيف؟

كثيرون من أدعياء النضال نسجوا الروايات الخيالية عن مساعدتهم للمفتي في هربه وكان سماحته يلتزم جانب الصمت لأسباب عديدة منها ترفعه عن تكذيب هؤلاء الأدعياء. وفي جلسة خاصة ضمت العديد من الشخصيات العربية روى الحاج أمين قصة فراره من فرنسا، وهذا سر من أسرار الكفاح العربي ـ اليهودي المعاصر.

ماذا قال المفتي؟

على أثر الحرب العالمية الثانية كانت الدول العظمى الثلاث:

الولايات المتحدة الامريكية، وانكلترا، وفرنسا تلاحق الحاج أمين الحسيني بعد أن همّوا بالقبض عليه أولا في فلسطين، ثم في لبنان، ثم في العراق. . فأفلت من أيديهم اثناء الحرب، واضطروه للالتحاق بهتلر، ومتابعة كفاحه ضد اليهود الغاصبين، فقبض عليه الفرنسيون في أسبوع إعلان الهدنة، وسجنوه في مكان يصعب على أي إنسان أن يهتدي إليه، أو يبلغه وكانت انكلترا تطالب فرنسا بأن

تسلمها إياه باعتباره من فلسطين، وهي الدولة المسؤولة دوليا عن فلسطين. وكانت الولايات المتحدة تطالب أيضاً بالمفتي تحت الضغط اليهودي، لمحاكمته كمجرم حرب، وكان حول الجنرال ديغول شخصيات صهيونية فعالة، فكان حريصاً على أن يبقي المفتي في سجنه.

كانت عيون المخابرات تراقب سجنه الفردي الذي يقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من باريس ومع ذلك اتصل المفتي بوسائله الخاصة بإخوانه في باريس وراسلهم أيضاً.

في ذلك الوقت كانت الحرب قد انهكت فرنسا فتدهور اقتصادها تدهوراً مريعاً، ورأى ديغول أن يلجأ إلى الولايات المتحدة لينال منها قرضاً ماليا، فاشترطت لاعطائه القرض أن يسلمها الحاج أمين.. ثم اشتدت الضائقة، فأوفد ديغول (ليون بلوم) ـ وهو يهودي ـ سفيراً فوق العادة لهذا الغرض فقط إلى واشنطن ليحصل على المساعدة مستعينا بيهود الولايات المتحدة بعد أن فشل فيه السفير الفرنسي هناك وكان (هنري بونيه) في تأمين القرض.

لكن (ليون بلوم) كان مؤتمناً أيضاً على مطالب اليهود، فوعد واشنطن بإقناع الجنرال ديغول بتسليم الحاج أمين الحسيني مقابل موافقة امريكا على منح القرض، ووثقت واشنطن بوعد بلوم، ووافقت بسرعة لفتت انظار اصدقاء المفتي في باريس، وبدا بوضوح انه لم يبق أمام الجنرال ديغول إلا الموافقة على تسليم الحاج أمين فوراً، واثر عودة ليون بلوم مباشرة.

وبدأ أصدقاء المفتي ومنهم شخصية مغربية كبيرة (طلب مني المفتي عدم ذكر اسمها)، أن عليهم العمل بسرعة لانقاذ الحاج أمين قبل أن يصل بلوم الى باريس، وكان صاحب هذا الاقتراح الراحل الكبير الملك محمد الخامس. الذي أعطى أوامره الى الشخصية المغربية الكبيرة بالتحرك لاتمام عملية التهريب.

كان أمام هذه الشخصية عدة مسؤوليات أهمها:

إيجاد وسيلة لاخراج المفتي من فرنسا. ثم إيجاد وسيلة أخرى لتأمين وصوله الى بلد عربي، وتحدد أن تكون الوجهة الى القاهرة.

ولكن كيف سيتم إخراجه وهو في مكان منعزل لا تنقطع عنه الحراسة لحظة من ليل أو نهار. . ولا يستطيع أن يمرّ أمامه أي انسان دون أن يثير الظنون، بل لا يكاد يطير فوق مكانه الطير.

ولم يكن في باريس عام ١٩٤٦ طائرات مدنية تجارية تنقل الركاب الى الشرق. . كان هناك يومياً طائرتان مخصصتان لأمور عسكرية تسافران إلى القاهرة، وشمال أفريقيا. . وكان يسمح لراكب مدني واحد فقط أن يسافر على كل منهما، أولاهما تابعة للطيران الفرنسي والثانية تابعة لشركة (تي، دبليو، أي) الامريكية، ولكن هذا الراكب المدني لا بد له كي يعطى بطاقة طيران من أن ينال اذنا خاصاً من السفير الامريكي في باريس للسفر في الطائرة الامريكية، أو أذنا من السلطات العسكرية الفرنسية للسفر في الطائرة الفرنسية. وبعد دراسة دقيقة وقع اختيار الشخصية المغربية الكبيرة، بعد أن استأذن من الملك محمد الخامس، على الطائرة الامريكية ليهرب المفتي على متنها لأنها كانت تطير عن طريق روما إلى القاهرة بعيدة عن المراقبة الفرنسية والانكليزية، في حين أن الطائرة الفرنسية كانت تهبط في مطارات شمال افريقية، وكانت المراقبة الانكليزية فيها شديدة.

ولكن كيف يمكن الحصول على مكان في الطائرة الامريكية، وكيف يمكن الحصول على اذن من سفير الولايات المتحدة، وهو الذي كانت حكومته تساوم فرنسا لاستلام المفتي. تم الاتصال بشركة (تي، دبليو، أي) للسؤال عن مكان شاغر فيها للسفر، من الأماكن المخصصة للمدنيين، فعلم أن هذه الأماكن محجوزة حتى نهاية شهر اغسطس (آب) ١٩٤٦ وكان الوقت يومئذ في منتصف شهر مايو (أيار).

وبلغ الحرج ذروته حين علم أنه لم يبق لوصول (بلوم) سوى ٢٤ ساعة.

استطاعت الشخصية المغربية العثور على أحد ركاب هذه الطائرة وهو ضابط امريكي كبير وجرت الاتصالات معه على أساس أن يتخلى عن مقعده في الطائرة لقاء مائة ليرة عثمانية ذهباً وضيافة شهر في المغرب، وتم تأمين جواز سفر للمفتي مزور، ووصل المفتي الى المطار كأي راكب عادي واحتل مكان الضابط الامريكي في الطائرة.

حلقت الطائرة، وتنفس أصدقاء المفتي الصعداء، وباتوا ينتظرون نبأ وصوله إلى المكان المأمون.

وبعد ساعات وصل ليون بلوم لينفذ وعده بتسليم الحاج أمين الحسيني الذي كان قد وصل بالفعل إلى القاهرة. وبدأت الاتهامات تنصب فوق رأس الحكومة الفرنسية التي عملت على تهريبه، وشاركت الولايات المتحدة بريطانيا في إتهام فرنسا.

وحامت شكوك فرنسا حول بريطانيا نفسها، ظناً بأنها اختطفته ليلقى ما قد اعدته له من مصير، فقد كان عدوها اللدود، وعدو اليهود، وكانت تريد أن تقبض عليه، وأن تتحمل فرنسا وحدها مسؤولية مصيره المجهول.

وبعد تحقيقات طويلة تبين لفرنسا أن الحاج أمين الحسيني هرب على طائرة (تي، دبليو، أي) الامريكية، باسم مستعار، ولم يبق لديها شك أن الولايات المتحدة هي التي هربته، لأن الطائرة أمريكية، ولا يمكن لأي مسافر مدني أن يسافر بها إلا بأذن السفير الامريكي وموافقته، ويستطرد المفتي قائلاً:

كان ركاب الطائرة خليطاً من مدنيين وعسكريين.. ولم يحدث عائق في مطار (أورلي) الذي قامت منه الطائرة من باريس الى روما.. وفي روما فحص المختصون جوازات سفر الركاب. وكان الجو رديئاً فقضينا الليل في أحد الفنادق.. وفي الصباح التالي استأنفنا السفر إلى ميناء (بيريه) في اليونان حيث هبطت الطائرة للتزود بالوقود ومنها استأنفنا السفر الى القاهرة.. ولحسن الحظ لم يكن من يعرفني بين ركاب الطائرة. وفي المساء هبطت الطائرة في مطار (بن فيلد) الذي أصبح الآن مطار القاهرة الدولي. ولما تم فحص جوازات الركاب وخرجت من المطار، تنفست الصعداء وحمدت اللّه على السلامة ورددت قول البوصيري:

عناية اللّه أغنت عن مضاعفة   من الدروع، وعن عال من الاطم

ولم أشأ الركوب في السيارة المعدة لنقل الركاب وأثرت سيارة أجرة عادية فنقلتني الى فندق ميتروبوليتان بالقاهرة..

أما اختياري السفر إلى القاهرة فقد كانت له أسباب عدة، من أهمها اننا في

باريس كنا على اتصال ببعض إخواننا في القاهرة لنظل على صلة بالحوادث في تلك الظروف، وأن القاهرة كانت مركز الثقل في العالم العربي وفيها جامعة الدول العربية، وأنها (أي القاهرة) متاخمة لفلسطين حيث يتوقع استئناف الصراع الدامي بين الفلسطينيين واليهود. وكان بعض الاصدقاء يحملون إلينا رسائل من القاهرة بين حين وآخر. وكان مؤتمر بلودان قد انعقد للنظر في شؤون القضية الفلسطينية، لكنه لم يسلم من دسائس المخابرات البريطانية، ومحاولات ذوي الأغراض والاهواء وكانت اليهودية العالمية قد جندت كل قواها للفوز في معركة فلسطين من ناحيتها السياسية والعسكرية حملت بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية على أن تلقيا بكل ثقلها في المعركة، وكانت لهما الكلمة العليا حينئذ في شؤون العالم عامة والشرق العربي خاصة، بعد انتصار الحلفاء وانهيار دول المحور. ففي تلك الحال لم يكن البقاء في فرنسا محموداً، ولم يكن يخلو من الخطر، ولذلك غامرت بالسفر الى القاهرة، ويسر اللّٰه سبيلي اليها دون عائق.

وكنت قبل سفري قد اعددت كتاباً إلى وزارة الخارجية الفرنسية، وكلفت الاستاذ محمد اسحق درويش بإيصاله اليها. أما ما حدث بعد ذلك فقد فصله المسيو فوشيه مراسل مجلة (المصور) المصرية من باريس ونشرته المجلة في عددها الصادر بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٤٦، كما يلي:

«بعد ظهر يوم السبت، غادر الاستاذ محمد اسحق درويش، ابن اخت المفتي، الدار القائمة على قمة مرتفعات بوجيفال، والمشرفة على نهر السين، في طريقه إلى وزارة الخارجية. وكان يحمل الى المسيو (بونو) مدير قسم افريقيا والشرق الأدنى في الوزارة رسالة من الحاج أمين الحسيني، كان لها وقع القنبلة! فهو يبلغ الحكومة الفرنسية بأنه اضطر الى السفر (متخفياً) وأنه لما كانت الحكومة الفرنسية قد أعلنت في شهر إبريل الماضي انها لا تمانع في سفره من بلادها، فقد اعتبر نفسه حراً من كل قيد، وعزم على مغادرة فرنسا، وكان يود أن يغادرها جهاراً، لولا أنه شعر أن أعداءه يوالون تعقبه، وأن حياته قد تصبح في خطر ولذا آثر أن يكون بالقرب من أولئك الذين وقف على خدمتهم حياته.

«ولم ينس سماحته أن يختم رسالته بشكر الحكومة الفرنسية على حسن ضيافتها واسفه لما قد يجره لها رحيله من متاعب».

ثم أشار المراسل الى أن الحكومة الفرنسية بدأت التحقيق في الحال لمعرفة الظروف التي أحاطت بالحادث، وإلى أن رفاق المفتي والمتصلين به قالوا إنه لم يطلعهم على ما أقدم عليه، وأن الشعور بالقلق على حياته كان قد ازداد شدة في المدة الأخيرة، وكثيراً ما رأى أشخاصاً مجهولين يطوفون حول الدار وكان كلب الحراسة وهو من كلاب الرعاة يكثر من العواء في الليل. . .

وأضاف المراسل أن الرسالة الى وزارة الخارجية مؤرخة في ٢٨ مايو، ولكنها لم تسلم إلا في ٨ يونيو، واستنتج من ذلك أن السفر حدث بين المدة الواقعة بين تاريخ الرسالة ويوم تسليمها. وقد ادعت بعض الصحف ان المفتي لجأ إلى إحدى السفارات الاجنبية، ولكن ثبت بعد ذلك أنه غادر الأرض الفرنسية كلها.

ونشرت المجلة في مكان آخر من نفس العدد «إن أنباء خاصة وصلت الى الدوائر العربية، تفيد أن الحكومة الفرنسية كانت على وشك أن تقرر تسليم المفتي الى الحكومة البريطانية، وأن الحكومة الفرنسية اتخذت هذا القرار اثر عودة المسيو ليون بلوم من أميركا، حيث نجح في عقد قرض كبير هناك وأن ليون بلوم تباحث مع الحكومة الاميركية، ومع الاوساط المالية الامريكية في قضية المفتي، ثم تمكن بعد عودته الى فرنسا من إقناع حكومته بتسيم سماحته، فيكون المفتي قد غادر فرنسا في الوقت المناسب».

وفيما بعد نشر كاتب يهودي يدعى موريس بيرلمان كتاباً في لندن عام ١٩٤٧ عنوانه (مفتي القدس ـ قصة الحاج أمين الحسيني) تطرق فيه إلى مسألة خروجي من فرنسا فقال:

«أقام مستر داف كوبر (سفير بريطانيا في باريس عندئذ) حفلة بمناسبة يوم النصر في ٨ حزيران ١٩٤٦ في حديقة السفارة البريطانية في باريس، وكان المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا أحد المدعوين. .

«وقد وصل متأخراً حاملاً معه النبأ المهم بأن الحاج أمين الحسيني مفتي القدس، قد اختفى من الفيلا، حيث كان يقيم تحت المراقبة منذ انتهاء الحرب.

(ولم يكن اسم الحاج أمين الحسيني اسما جديداً يحتل لأول مرة الصفحات

الأولى في العالم، وكذلك لم يكن اختفاؤه الغريب (اللغز) مغامرة جديدة له، لكن مغامرته هذه المرة كانت اكثر إثارة، وتعاقبت التكهنات، عدة أيام والاشاعات الواحدة تلو الأخرى، عن مكان إقامته، والسبيل التي سلكها للفرار).

ثم زعم الكاتب اليهودي أن المسيو بيدو قال انني قطعت عهدا للحكومة الفرنسية بانني لن أحاول مغادرة فرنسا، وهو زعم كاذب، فانني لم أقطع أي عهد من هذا القبيل..

ثم استرسل بيرلمان فكتب عني ما املته عليه اهواؤه وصهيونيته، حتى أن كاتباً صهيونياً آخر اسمه (جوزيف شختمان) ألف كتاباً آخر عنوانه «المفتي والفوهرر»، انتقد في مقدمته كتاب بيرلمان هذا، وقال إنه مكتوب بصورة عدائية على طول الخط، وبشكل غير لائق بالسمعة والكرامة بالنسبة للموضوع.

وقد نشرت الاهرام رسالة مطولة لمراسلها من باريس تاريخها ٣٠ يونيو ١٩٤٦ في هذا الموضوع جاء فيها:

«وعلى أثر التصريحات الرسمية بأن فرنسا لا تعرقل سفر المفتي، يقول اخصاؤه المقربون منه أنه أعتبر نفسه حراً يستطيع أن يسافر في الوقت الذي يراه مناسباً، وأنه أخلي من أي تعهد سابق».

«ويحتمل أن يكون المفتي قد أعرب في خطابه انه يأسف لأن وجوده سبب متاعب لفرنسا، وأن إطالة إقامته فيها تعرضه للخطر يوماً عن يوم، على الرغم من الوسائل التي تتخذها السلطات الفرنسية لحمايته إذ أن أعداءه يوالون البحث لكشف مقره».

«ولهذه المناسبة أشير هنا إلى أن مسيو بونو وكيل وزارة الخارجية الفرنسية وجه كتاباً إلى مدير بوليس باريس هذه ترجمته:

(لي الشرف أن أحيطكم علماً بأن سكرتير الاتحاد العربي في مصر، بعد مفاوضات مع الشخصيات الاسلامية في الشرق الأوسط، أبلغ مفوضيتنا في مصر عن خشيتهم من وقوع اعتداء على حياة الحاج أمين الحسيني المفتي الأكبر من الأرهاب الصهيوني الذي تقوم به جمعية (شترن) السرية الأرهابية..

(ومع أنه ليس لدينا من المعلومات ما يؤكد هذا، فقد رغبنا في إطلاعكم على هذا الأمر لتتخذوا مع من يخصهم الأمر الاحتياطات اللازمة لحمايته ورفاقه).

عن وزير الخارجية بونو

(وعلى الرغم من رغبته في أن يعود إلى بلده بالطريق المشروع فإن الظروف قد أكرهته على أن يحيط هذه العودة بأشد التكتم. ولم ينبىء بسفره أي شخص من أصدقائه العرب).

(وقد حملته الحالة في فلسطين، التي تجتاز أدق المراحل في تاريخها، على تعجيل سفره، وقد قال لوزارة الخارجية انه لن ينسى حسن الضيافة والمعاملة الطيبة التي عاملته فرنسا بها).

وأضاف مراسل الاهرام:

وتتساءل بعض المقامات العربية في باريس عما إذا كان لرحلة المسيو بلوم إلى أميركا علاقة في تعجيل سفر المفتي. إذ يؤخذ من المعلومات التي تلقتها المقامات العربية أن الهيئات الصهيونية، التي ساعدت المسيو بلوم في مفاوضاته الأخيرة، إنما ساعدته وهي مشترطة عليه أن يساعدها عند عودته على تحقيق مساعيها فيما يختص بالمفتي الذي يطلب الصهيونيون تسليمه.

ولم تستطع الصحف الفرنسية الى الآن أن تستقي المعلومات عن الطريقة التي غادر بها المفتي فرنسا. فالمقربون منه يقولون إن رحلته محفوفة بأشد المخاطر، فلا يستطيعون أن يدلوا بأي معلومات في هذا الشأن..

«وقد علمت أن الأميرة شويكار نقلت معها من مصر خطابات على جانب عظيم من الأهمية للمفتي، على أنها لم تتمكن من أن تسلمه إياها، لأنه كان قد سافر عندما وصلت الى باريس».

ويضيف المفتي:

كان لبنان في طليعة الاقطار العربية التي تابعت تنقلاتي، وتصدت للدفاع عني، على أثر خروجي من المانيا الى سويسرة ومنها إلى فرنسا، وخلال وجودي في

فرنسا، وبعد سفري منها إلى البلاد العربية، ولا عجب فلبنان قطر عربي اشتهر بحبه للحرية ودفاعه عن الأحرار. وقد كنت لقيت في لبنان كل ترحيب وحفاوة خلال إقامتي به عامين كاملين ما بين ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ بعد خروجي من فلسطين، وهو ما اتذكره ولا أنساه، وأقدره حق قدره.

ففي اليوم السابع من شهر أيار ١٩٤٥ تناقلت الانباء العالمية والمحلية في لبنان خبر الطائرة التي حملتني وبعض اخواني من بادكشتاين بالمانيا الى سويسرة ورفض السلطات السويسرية قبولي لاجئاً سياسياً واعادتنا الى الحدود وفي اليوم التالي لذلك الحادث كان إعلان الهدنة بين دول الحلفاء والمانيا، فانطلق الناس إلى الشوارع يحتفلون لهذه المناسبة معلنين سرورهم لانتهاء الحرب، ولكن الصفوة من الوطنيين اللبنانيين كانوا يعلمون في قرارة نفوسهم أن انتصار الحلفاء كان يعني انتصار الصهيونية وأن أنهيار المانيا حينئذ كان يعني ضياع فلسطين وسقوطها غنيمة لليهودية العالمية، المتآمرة مع بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية، فلم يلبثوا أن هتفوا بسقوط الصهيونية وحياة فلسطين عربية، وما لبثت الجماهير المتظاهرة أن انضمت إليهم، ولم تلبث المظاهرة الكبرى بالهدنة أن انقلبت الى مظاهرة وطنية هادرة، وسارت الوف الجماهير هاتفة بحياة فلسطين وزعمائها المجاهدين، وظلت تطوف الشوارع على هذا النحو الى ساعة متأخرة من الليل.

لكن نبأ هذه المظاهرة الكبرى لفلسطين ومجاهديها لم ينشر في الصحف اللبنانية، لأن الكولونيل ستيفن المراقب العام البريطاني للصحف والانباء منع نشره، وصدر بلاغ مقتضب أذيع في اليوم التالي جاء فيه (ان الجيش البريطاني قام بترحيل المتطوعين الفلسطينيين من لبنان). !

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر أيار نشرت الصحف اللبنانية نص (عريضة) تحمل تواقيع نخبة من وجوه اللبنانيين، من النواب ورجال الاحزاب والمنظمات ورجال الصحافة والفكر، موجهة الى رئيس الوزراء اللبنانية يومئذ سماحة الشيخ عبد الحميد كرامي، رحمه الله، يطالبون فيها الحكومة اللبنانية بالسعي لدى (السلطات الحليفة) لاعادتي إلى الوطن. وكذلك نشرت الصحف عرائض وبيانات اخرى كثيرة حول هذا الموضوع تباعاً.

وأبدت الهيئات والصحف الوطنية اهتماماً كبيراً لقضية فلسطين، وعقدت اجتماعات وطنية عديدة انتصاراً لها، واحتجاجاً على موقف اميركا وبريطانيا من قضية فلسطين، وتأييدهما للقضية الصهيونية، ودعت منظمتا النجادة والكتائب إلى الاضراب تضامنا مع (الشقيقة فلسطين) وطالبت الصحف والهيئات بعودتي الى الوطن العربي، وباطلاق سراح إخواننا المبعدين والسجناء وعودتهم الى الوطن.

وقد أثارت أنباء البرقيات، القائلة إن الحكومة الاميركية ارسلت مذكرة الى الحكومة الفرنسية تؤيد فيها طلب الحكومة البريطانية تسليمي اليها، استياء الشعب اللبناني واستفزته، فأعلن استنكاره لذلك للمفوضيتين الاميركية والبريطانية، وقدم (الشباب الوطني) مذكرة احتجاج الى وزير أميركا المفوض بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٤٦. وقد بلغ من استياء الشعب اللبناني واستنكاره للموقف البريطاني ـ الأميركي أن ألقيت قنابل على المفوضيتين البريطانية والاميركية مساء ٥ آب، فاحدثت فيهما ضرراً بالغاً، وكان هذا أول حادث من نوعه يقع في البلاد العربية، ولا سيما لبنان، واعتبر هذا العمل تعبيراً عن سخط الرأي العام على الموقف البريطاني ـ الاميركي . . . وفي اليوم الثاني ألقي القبض على الوطني الشهم السيد محمد رستم طبارة وعدد من الشبان الوطنيين، وأوقفوا عدة أيام . .

وكان للصحافة اللبنانية موقف نبيل في ذلك الحين، ولا سيما صحف الهدف والصياد، وأصحابها الافاضل زهير عسيران وسعيد فريحة، التي لم تنفك عن نشر المقالات والانباء والصور ذات العلاقة بالموضوع كما أن المظاهرات الحاشدة والاضرابات العامة كانت تحدث في كل مناسبة.

قبل تفصيل ما حدث بعد خروجي من باريس ووصولي إلى القاهرة، أشير باقتضاب الى وقع ذلك الحادث في نفوس الصهيونيين وعملائهم وفي الدوائر البريطانية والاميركية. فمن ذلك ما أورده اليهودي الصهيوني جوزف شختمان في كتابه «المفتي والفوهرر» من أن عضو الكونغرس الامريكي «ايمانويل كيللر» تقدم بطلب إلى وزير الخارجية «جيمس بيرنز» بأن تبادر الحكومة الاميركية بالعمل على تقديم المفتي الى محكمة نورمبرغ مع كبار مجرمي الحرب وأن تجري المحاكمة بالسرعة الممكنة، ثم انذر الوزير بأن المناورات الديبلوماسية البشعة قد ينتج عنها بقاء المفتي

حرا طليقا، وقال إن أي تقصير في متابعة المفتي يفسر في الشرق كله بأنه ضعف من جانب البريطانيين والاميركيين.

وأضاف شختمان أن «بارتلي ك. كروم» عضو لجنة التحقيق الانكليزية ـ الامريكية بشأن فلسطين (المعروفة باسم لجنة انسكوب وهو من أشد أنصار الصهيونية) أرسل في ١١ حزيران ١٩٤٦ (بعد خروجي من باريس) برقية الى وزير الخارجية الامريكية «بيرنز» ألح فيها على الولايات المتحدة، بأن تعمل مع الحكومة البريطانية على اتخاذ جميع الاجراءات والتدابير الضرورية للقبض على المفتي وتسليمه للمحاكمة، وقال في برقيته: «هل لي أن اقترح بكل احترام أن تحصل وزارة الخارجية من السجلات الرسمية الموضوعة تحت تصرف الادعاء في محاكم مجرمي الحرب في نورمبرغ، وفيينا وكذلك من دائرة مخابراتنا الامريكية، على صور من الاتفاقات المكتوبة بين المفتي والحكومة النازية؟ فأجاب وزير الخارجية بأنه لا يعلم عن أية خطة للولايات المتحدة لسؤال فرنسا عن الكيفية التي غادر بها المفتي باريس. وأضاف: وليس لدى وزارة الخارجية معلومات عن هذا الموضوع وهي غير مستعدة أن تبحث فيها إذا كان المفتي مجرم حرب».

ولما مضت أيام على خروجي من فرنسا دون أن يظهر لوجودي أي أثر في أي قطر عربي أو اجنبي، أخذت وكالات الأنباء العالمية والصحف تنشر مختلف التكهنات. ففي فلسطين منعت السلطات البريطانية نشر أي نبأ يتعلق بي. وقد عطلت إحدى الصحف مدة اسبوعين لأنها ذكرت اسمي. وقالت برقية لوكالة اليونايتد برس من القدس إن الاذاعة البريطانية لما أذاعت نبأ اختفائي أخذ الفلسطينيون يفتحون الراديو على لندن للاستماع إلى أنباء إذاعتها وأضافت الوكالة «أن العرب لم يساورهم أي قلق لعدم وجود معلومات حقيقية عن المكان الذي وصل إليه المفتي لأن دمشق أو مكة أو المدينة هي منزل للحاج أمين كما هي القدس كما صرح بذلك الاستاذ عوني عبد الهادي الناطق باسم اللجنة العربية العليا، وأن الجو السعيد بفرار المفتي انطبع على الشوارع الضيقة في القدس القديمة كما انطبع على شوارع المدينة الجديدة التي ازدانت بالاعلام والزهور وأغصان الزيتون، وظهرت صور المفتي في كل مكان».

وانتقدت «الايفنج نيوز» الرقابة التي فرضتها السلطة البريطانية في فلسطين

لمنع نشر أنباء عن وصولي وقالت إن هذا «القرار السخيف» في وقت السلم لا يمكن أن يحول دون وصول هذا النبأ الى أسماع الذين يريدون أن يعرفوه بل الأمر بالعكس فلن تؤدي الرقابة الشديدة على الانباء إلا إلى رواج الاشاعات وكثرة التكهنات وإثارة السخط على الذين فرضوها.

وعلى أثر ذلك أصدر مكتب المطبوعات في حكومة الانتداب البريطاني بفلسطين البيان التالي، وقد نشرته الصحف في ١٢ - ٦ - ١٩٤٦.

«فهم بصورة موثوقة أن الحاج أمين الحسيني قد غادر فرنسا، وليست هناك أي معلومات رسمية عن مكان إقامته في الوقت الحاضر».

ولما كانت جلسات الجامعة العربية منعقدة حينئذ في «بلودان» لبحث تواصي لجنة التحقيق الانجلو - اميركية بشأن فلسطين والخاصة بالسماح لمائة ألف يهودي بدخول فلسطين فوراً استجابة لطلب الرئيس الاميركي ترومان، فقد توقعت بعض الدوائر ووكالات الانباء الاجنبية، أن أكون ذهبت إلى دمشق للاشتراك في إجتماعات مجلس الجامعة، وقالت بعض الدوائر في لندن إن اشتراك المفتي علنا في تلك الاجتماعات قد يزيد موقف بريطانيا حرجاً عند بحث قرار تتخذه الجامعة بشأن تقرير لجنة التحقيق لأن خصوم العرب سيحاولون استغلال القول بأن زعيماً عربياً منفياً قد ساعد على اتخاذ ذلك القرار.

وفي لندن أعلن متحدث من وزارة الخارجية البريطانية أن بريطانيا تطالب الحكومة الفرنسية ببيان عن الظروف التي غادر فيها الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، فرنسا أخيراً.

وفي باريس قام أحد كبار السفارة البريطانية بتحقيق رسمي لدى وزارة الخارجية الفرنسية طالباً ايضاحاً عن سفر مفتي القدس من فرنسا.

وفي واشنطن علق ناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية على الانباء الخاصة بفرار المفتي بطائرة امريكية من فرنسا، بقوله إن الوزارة لا تعرف شيئاً عن هذا الأمر.

وأكدت الدوائر الفرنسية في باريس أن التحقيق لم يظهر أي تواطؤ من

الموظفين الفرنسيين ولكن عقوبة إدارية ستلحق بقوميسير البوليس الذي كان مسؤولاً عن أمن المفتي وسلامته، لاهماله وهو موظف معروف لأنه كان مكلفاً بحماية أعضاء المؤتمر الرباعي الأخير في قصر لوكسمبورج.

وفي ١٥ - ٦ - ١٩٤٦ أعلنت وزارة البحرية البريطانية أن المدمرة «فيراجور» أوقفت السفينة «ديفونتشر» وهي من سفن النقل على مسافة من بور سعيد وفتشتها لاحتمال أن يكون المفتي على ظهرها.. وبعد أن وصفت الوزارة في بيانها عملية التفتيش بأنها إجراء عادي فرضه فرار المفتي من فرنسا قالت: (وتتخذ الحكومة كل التدابير الممكنة لمنع المفتي من الوصول الى الشرق الأوسط).

الفصل السابع عشر

ظهور المفتي في القاهرة



المفتي في القاهرة مع الفيصل والنقراشي وخشبة. اول لقاء له مع الاصدقاء.

ظهور المفتي في القاهرة

يقول المفتي:

قبل الانتقال الى احداث القاهرة بعد خروجي من فرنسا، لا بد من الاشارة إلى إخواننا الذين تخلفوا في المانيا وسجنوا ببروكسل ثم نفي بعضهم الى سيشل. فعندما غادرت المانيا الى سويسرة، كان يرافقني الاستاذ محمد اسحق درويش والاستاذ راسم الخالدي. وتخلف في بادكشتاين عدد من إخواننا الذين كانوا معنا في المانيا، من فلسطينيين وسوريين ولبنانيين وغيرهم، اذكر منهم المرحوم الشيخ حسن أبو السعود وسعد الدين عبد اللطيف وسليم الحسيني، هؤلاء من القدس، والدكتور ظافر الرفاعي (وزير الخارجية السورية فيما بعد)، من حلب، والدكتور فرحان الجندلي (وزير الصحة السورية فيما بعد)، من حمص، ورمزي الالاجاتي من حلب والمرحوم بهاء الدين الطباع من بيروت ويوسف الرويسي من تونس وغيرهم.

وكان إخواننا هؤلاء قرروا البقاء في منزلنا في بادكشتاين. في ارتقاب ما سيكون بعد احتلال الحلفاء، وبعد يومين من سفرنا دخلت البلد قوات امريكية، ترافقها قوات رمزية من الانكليز والفرنسيين، وتسلمت القوات الامريكية الأماكن المهمة والدوائر الرسمية. وبموجب الاوامر الرسمية الخاصة بالاجانب اتصل إخواننا بدائرة الحاكم العسكري الاميركي للاستعلام عما سيكون من أمرهم، فبادىء ذي بدء طمأنوهم. ثم أعلموهم أنهم موقوفون إلى إشعار آخر، ومنعوهم من الخروج أو الاتصال بأحد، ووضعوا حرساً عليهم مدة اسبوعين، ثم نقلوهم بالسيارات برفقة الحرس الى مدينة سالزبورغ ومنها إلى المطار، ثم جاءت إحدى الطائرات

الانكليزية، فأنزلت ضباطاً انكليز واصفاداً حديدية لتقييد المعتقلين. وبعد قيد الاسماء وانهاء عملية التسلم والتسليم، أركب إخواننا الطائرة الى وجهة غير معلومة، وبعد طيران ساعة ونصف الساعة هبطت الطائرة بهم في مطار بروكسل، وما لبثوا أن نقلوا منه إلى السجن العسكري وألبسوا ملابس السجناء، وسيقوا إلى زنزانات مكثوا فيها شهراً يعاملون معاملة غير لائقة، وبعد تحقيق آخر في أمرهم نقلوا من الزنزانات الى غرفة واحدة كبيرة. ومكثوا في هذا السجن تسعة شهور على هذه الحالة الأليمة.

هذا وقد اتفقنا مع المحامي الفرنسي المسيو «اوجول» للعناية بأمر إخواننا السجناء وتفقد شؤونهم. وقد اهتمت السفارة المصرية، والمفوضيتان اللبنانية والسورية في باريس بأمر رعاياها المسجونين من رفاقنا، وكان للسفير المصري محمود فخري باشا، وللوزيرين المفوضين أحمد الداعوق، (لبنان)، وعدنان الاتاسي (سورية) مساع مشكورة لاطلاق سراحهم. وقد اقترنت المساعي بالنجاح، وتمكن هؤلاء الاخوان من العودة الى بلادهم.

أما إخواننا الفلسطينيون فلم تكن لهم دولة ترعى شؤونهم وتهتم لأمرهم، وساءت أحوالهم فاضربوا عن الطعام احتجاجاً على ما كانوا يلقونه من سوء المعاملة. وعلى أثر ذلك عملت السلطات البريطانية على نقلهم من بروكسل الى جزيرة سيشل بطائرة خاصة في الاسبوع الأول من شهر شباط ١٩٤٦ حيث قضوا فيها أربعة شهور، وساءت صحة بعضهم، فسمح لهم بالسفر إلى القاهرة وبقي الآخرون سبعة اشهر اخرى سمح لهم بعدها بالسفر إلى القاهرة.

كان الذين يتوقعون قدومي الى القاهرة من إخواننا واصدقائنا قلائل. فلما وصلت القاهرة يوم الاربعاء ٢٧ جمادي الآخرة ١٣٦٥ وفق ٢٩ ـ ٥ ـ ١٩٤٦ لم استقر بفندق ميتروبوليتان إلا فترة قليلة ثم توجهت في المساء إلى مصر الجديدة واجتمعت بالاستاذ علي رشدي عنان والسيد محمد منيف الحسيني والاستاذ علي رشدي مصري الذي سبق له أن عمل معنا في المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى بإدارة المعاهد الدينية في القدس. فلما اضطرتني الاحداث لمغادرة فلسطين ووضعت السلطة البريطانية يدها على المجلس الاسلامي الاعلى استقال الاستاذ علي من عمله

وعاد إلى القاهرة، أما السيد محمد منيف الذي حالت الظروف دون مرافقته لنا إلى إيران وأوروبا فقد استقر بالمملكة السعودية الى نهاية الحرب ثم عاد إلى القاهرة هو والشهيد عبد القادر الحسيني.

وصادق وصولي القاهرة وجود اللورد ستانسجيت على رأس وفد رسمي بريطاني لمباحثة الحكومة المصرية في قضية جلاء الجيش البريطاني عن مصر. وكان رئيس الوزارة المصرية حينئذ اسماعيل صدقي باشا، ولما كنت حريصاً على ألا يسبب وجودي في مصر أي حرج للحكومة المصرية عندئذ فقد أثرت ألا أظهر، وأن انتظر بعض الوقت ريثما تصل المباحثات التي كانت في مرحلتها الاخيرة الى نتيجة. ولذلك قر الرأي على التوجه الى الاسكندرية لقضاء فترة من الوقت. وفي اليوم التالي توجهنا بالقطار الى الاسكندرية حيث قضينا بضعة أيام ثم عدنا الى القاهرة وانتقلنا الى منزل استأجرناه بمصر الجديدة وظلت إقامتي خلال هذه المدة مكتومة عن الجميع.

وفي يوم ١١ رجب (١١ ـ ٦ ـ ١٩٤٦) رددت البرقيات ونشرت الصحف نبأ مغادرتي باريس ثم لم يلبث النبأ أن انتشر في مصر وفلسطين وسائر العالم العربي، وأخذ اصدقاؤنا يستطلعون الخبر اليقين، وانقضت أيام أخرى دون نتيجة، فأخذ القلق يساور نفوسهم، وكان سفير مصر في باريس محمود فخري باشا قد أبلغني الرغبة في وجودي بالقاهرة وقد أيدت ذلك السيدة الجليلة ناجية هانم ذو الفقار، عمة فريدة وشقيقة يوسف ذو الفقار باشا الذي عرفته في طهران إذ كان سفيرا لمصر في إيران، وقد لقيت منه عندئذ عناية كبيرة، ولمست فيه خلقا كريما، ولكن لم يكن من بد للتمهيد لذلك لأن وجودي بمصر في ذلك الظرف سيزعج السلطات البريطانية وربما دفعها الى اتخاذ إجراءات تسيء إلى مصر، وقد تم التمهيد بواسطة يوسف باشا وزرت قصر عابدين مساء الاربعاء ١٩ رجب ١٣٦٥ (١٩ ـ ٦ ـ ١٩٤٥) فقابلت عبد اللطيف طلعت باشا كبير الامناء، ثم استقبلني الملك فاروق استقبالاً وديا أعرب فيه عن سروره بوصولي الى القاهرة ومما قاله إنه كان خائفاً علي لما سمع بخروجي من باريس وانقضاء عشرين يوماً دون وصولي وأنه اتصل بالتليفون برئيس الجمهورية السورية ورئيس الجمهورية اللبنانية سائلا عني، فشكرت له اهتمامه وعنايته معتذراً عن تأخري بحرصي على ألا أحرج الحكومة

المصرية وهي تقوم بالمفاوضات في مسألة الجلاء.

وفي نهاية المقابلة ابدى رغبته في أن أكون في ضيافته. وبعد ثلاثة أرباع الساعة كنت نزيل قصر انشاص.

* * *

ولما وصلت القصر وجدته محاطاً بحراسة شديدة على الجسر المتحرك المنصوب على فرع نهر النيل الذي تعبر عليه المشاة والسيارات الى منطقة القصر. وعلى المطار المجاور له، وان قوة كبيرة من الجنود والسيارات العسكرية كانت تتولى الحراسة. وقد كتم خبر وجودي في انشاص عن الجميع ريثما تتدبر السلطات المصرية الأمر مع السلطات البريطانية إذ كان يخشى أن يعمد الانكليز الى استعمال القوة لانتزاعي من مصر إلى حيث يشاءون. وقد سبق للانكليز أن فعلوا هذا في بعض خصوم سياستهم. مثل طالب باشا النقيب الذي اختطفوه من البصرة ونفوه الى الهند. وياسين باشا الهاشمي الذي اختطفوه من دمشق في عهد حكم الملك فيصل بن الحسين واعتقلوه في معسكرهم في صرفند قرب مدينة الرملة بفلسطين. وقد سجل حادث اختطاف ياسين الهاشمي شاعر العراق الكبير معروف الرصافي في قصيدة قال فيها:

ياسين انك بالقلوب مشيع هل انت للوطن العزيز مودع؟

أخذوك يا بطل المعامع غيلة بيد الخداع ومثلهم ما يخدع

وأقمت بانشاص ١٩ يوماً، لم استقبل خلالها إلا ولدي صلاح الدين، وولد أخي المرحوم حسين، والسيد موسى أبو السعود ولد زميلنا ورفيقنا في الجهاد المرحوم الشيخ حسن أبو السعود، الذي كان يحنئذ منفياً في سيشل والسادة علي رشدي عنان ومحمد منيف الحسيني والقائد الشهيد عبد القادر الحسيني.

وكان خبر وصولي القاهرة وزيارتي قصر عابدين قد انتشر في القاهرة والقطر المصري وتناولته البرقيات والصحف بالتفصيل والتعليق فلم تبق صحيفة ولا مجلة إلا وأفاضت في الحديث عنه. وتفضل كثير من كبار كتاب مصر ورجال السياسة والادب والعلم فيها بكتابة مقالات أضفوا علي فيها من الاطراء والثناء ما لا استحق بعضه وتناولوا سابقة عملي بما شاء لهم فضلهم وكرم خلقهم من الاشادة والتنويه،

اذكر منهم الاساتـذة الافاضـل فتحي رضوان واحمـد حسين من الاحيـاء. وإبراهيم عبد القادر المازني ومحمد توفيق دياب ومحمد مندور وخليـل ثابت ممن تـوفاهم اللّه، وانبـرت الصحافـة المصريـة وساسـة مصر ورجال حـركتها الـوطنية، على اختلاف نزعاتهم واحزابهم، لنقد سياسة بريطانيا نحو القضية الفلسطينيـة، والتنديـد بموقفهـا من هذه القضية عامة ومن قضيتي خاصة. والمطالبة بـاطلاق حـريتي لممارسـة عملي الوطني ومتابعة خدمتي للقضية دون أي ضغط أو إكراه.

وفي ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٦ نشـرت الحكومـة المصريـة التي كان رئيسهـا إسمـاعيل صـدقي باشـا، بيانـاً عن وصولي الى مصر وظهـوري في قصر عابـدين، وأشار البيان الى «ظروف هذه الزيارة وملابساتهـا» ومما جـاء فيه العبـارات التاليـة: «وإذا كانت الحكومة المصرية قد سمحت باقامة السيد محمد أمين الحسيني في ديارها فهي ترجو في الـوقت عينه ألا ينـظر إلى هذه المسـألة إلا بنفس الـروح الكريمـة التي انبعث عنها قرارها، وأداء لواجب المجاملة . . ».

«ولا يخفى أن مصر اليوم تجتاز مرحلة من أدق مراحل حياتها السياسية نرجـو لهـا التـوفيق والفـلاح في ظـل الهـدوء والنـظام، ولا ريب أن سمـاحته مقـدر لذلك . . . ».

وبـرغم ما اشتمـل عليه بيـان الحكومـة من عبارات المجـاملة والتقديـر، فقد انتقدته الصحف المصـرية والـرأي العام المصـري، وطالبت بـأن لا يكون ثمـة أي تحفظ على إقامتي بمصر، وباطلاق الحرية التامة لي في العمل لصالـح قضية فلسـطين والقضايا العـربية والاسـلامية، ولا ريب في أن صـدقي باشـا أراد مجاملة السلطات البريطانية، التي أقلقها وجودي في القاهرة، فقد كان السفير البريطاني دائم المراجعة للحكومة المصرية في هذا الشأن».

هذا وكان مجلس جامعة الـدول العربيـة قد دعي إلى عقـد دورة استثنائيـة في «بلودان» يـوم ١٨ أيـار (مـايـو) ١٩٤٦، ثم ارجيء الاجتمـاع الى شهـر حـزيـران المقبـل، ريثما ينعقـد اجتماع ملوك الـدول العربيـة ورؤسائهـا في ٢٧ و٢٨ أيـار في انشاص لبحث قضية فلسطين. وكان من بواعـث تصميمي على السفر من فرنسا الى الوطن العربي في تلك الايـام أن لا أكون بعيـداً عن مجرى الاحـداث الخطيـرة التي كانت تعصف بالقضية الفلسطينية عندئذ . .

كانت لجنة التحقيق المشتركة التي عينتها الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الولايات المتحدة الامريكية، والمؤلفة من اثني عشر عضواً من الانكليز والاميركيين بالتساوي قد أصدرت تقريرها في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٦، بعدما باشرت مهمتها في أوروبا، ثم زارت القاهرة واستمعت إلى شهادة الامين العام لجامعة الدول العربية وشهادات ممثلي الدول العربية، ثم زارت عواصم بعض الدول العربية، واجتمعت برؤساء حكوماتها، ثم انتقلت الى فلسطين واستمعت الى شهادات بعض العرب واليهود. وقد جاء تقرير هذه اللجنة شديد التحذير إلى اليهود وبعيداً كل البعد عن الحق والنزاهة والمنطق، فقد سايرت فيه رغبة الرئيس الامريكي ترومان، صنيعة الصهيونيين وأوصت بادخال مئة ألف من مهاجري اليهود الى فلسطين، كما أوصت بأن لا تكون الهجرة الى فلسطين معلقة على رضاء العرب، بحجة عدم وجود بلاد غير فلسطين ترضى بالهجرة اليها، وأن اليهود لا يرغبون في الهجرة الى بلاد غير فلسطين؟!

وكذلك أوصت بإبطال القوانين التي تحدد انتقال الأراضي العربية إلى اليهود! وكان رد فعل تقرير اللجنة شديداً في فلسطين والاقطار العربية، وقوبل باستنكار عام ومظاهرات صاخبة واضرابات شاملة، ونقد شديد للذين تعاونوا من العرب مع تلك اللجنة المتحيزة وأدلوا إليها بشهاداتهم، وسخط عظيم على السياسة البريطانية التي ادخلت امريكا طرفاً في النزاع القائم بين العرب وبريطانيا في شأن قضية فلسطين، كأن الفلسطينيين لم يكفهم ظلم بريطانيا وعتوها وكيد الصهيونية العالمية ومكرها حتى تستعين عليهم بريطانيا بأمريكا.

وعلى أثر ذلك انعقد مؤتمر انشاص في ٢٧ و٢٨ أيار (مايو) ١٩٤٦، وتقرر فيه التمسك باستقلال فلسطين وصيانة عروبتها وتأليف هيئة عربية فلسطينية عليا تمثل الفلسطينيين وتنطق باسمهم. ثم تبع ذلك عقد دورة استثنائية لمجلس جامعة الدول العربية في بلودان، وقد حاولت الدول العربية أن تظهر فيه بمظهر القوة والحزم والتصميم على نصرة فلسطين، وايلائها حقها من العناية والاهتمام، وشهد الاجتماع بعض رؤساء الحكومات العربية ووزراء خارجيتها، ورجال ذوو مكانة مرموقة من العرب، وكان ابرز القرارات التي اسفرت عنها الاجتماعات الرد على تقرير لجنة التحقيق الانجلو أمريكية والتوصية بتأليف هيئة عربية فلسطينية عليا

تعتمدها جامعة الدول العربية في الشؤون الفلسطينية، ثم أتخذ في تلك الدورة قرار بمفاوضة الحكومة البريطانية لحل قضية فلسطين وفي حال فشل المفاوضات تعرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة. ولقد جاء هذا القرار الأخير تجاوبا مع بيان وزير خارجية بريطانيا مستر بيفن، الصادر في ١٤ تشرين الثاني (اكتوبر) ١٩٤٥ الذي ادخل به الولايات المتحدة الامريكية طرفا في قضية فلسطين، باعلانه تشكيل لجنة التحقيق الانجلو امريكية، وتأكيده أن الحكومة البريطانية ستضع مشروع حل، يستند على توصيات اللجنة المذكورة، وتعرضه على الأمم المتحدة للموافقة عليه، وأن هذا الحل سيتخذ شكل «وصاية دولية» تحت إشراف الأمم المتحدة! . .

والواقع أن النتائج التي اسفر عنها اجتماع بلودان لم تكن في مستوى الآمال التي عقدت عليه، لقد كانت الحماسة لفلسطين تملأ صدور القوم. والرغبة شاملة في الأخذ بالوسائل الناجعة لانقاذها من الاستعمار والصهيونية ودعم الفلسطينيين بالمال والسلاح، عن طريق تشكيل «الهيئة العربية العليا لفلسطين» التي تقرر تأليفها، لكن وصول البريغادير كلايتون مدير مخابرات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط الى بلودان، مصحوباً بالمستر برايانس مساعد مدير المخابرات البريطانية في فلسطين، قد أضعف تلك الحماسة التي كانت تتأجج في الصدور، وكان باعثاً على اتخاذ القرار الخاص بمفاوضة الحكومة البريطانية، تجاوباً مع بيان مستر بيفن وقضى كلايتون وزميله برايانس أياماً في بلودان، كانت لهما خلالها جولات في الفندق الذي عقدت فيه الاجتماعات.

وكانت الحكومة البريطانية لما قررت تشكيل لجنة التحقيق الانجلو امريكية قد بدا لها أن الحاجة تدعو إلى تعاون الفلسطينيين معها، تسهيلا لها على أداء مهمتها، وحاولت أن تقيم الدليل على ذلك باطلاق سراح بعض المعتقلين من الفلسطينيين.

وقد بحثت الاحزاب الفلسطينية موضوع التعاون مع اللجنة المذكورة، لكنها لم تتفق على رأي موحد، فرأى فريق من الفلسطينيين التعاون مع اللجنة وعارض ذلك فريق آخر واستمعت اللجنة الى بيانات الذين تقدموا اليها من الفريق الأول، ثم غادرت فلسطين.

وعلى أثر ذلك نشأ خلاف بين أعضاء اللجنة العربية العليا ادى الى انسحاب

بعضهم وتأليفهم «الجبهة العربية العليا». . .

فلما اشتد الخلاف بين الفريقين، وكنت حينئذ في باريس، خشيت أن يؤدي الخلاف إلى إضعاف الموقف الفلسطيني بوجه عام، ويصيب القضية الفلسطينية بضرر بالغ ينشأ عنه زيادة تعنت السلطات البريطانية والامريكية واستهانتها بالشعب الفلسطيني وقضيته، فوجهت رسائل الى عدد من زعماء الاحزاب ورجال الحركة الوطنية في فلسطين دعوتهم فيها الى التعاضد والتعاون ونبذ الخلاف للتمكن من مجابهة الخصوم والاعداء وكان لتلك الرسائل أثر ملحوظ في تخفيف حدة الخلاف والانشقاق الداخلي، لكن قيام كل من اللجنة العربية العليا والجبهة العربية العليا في فلسطين استمر الى ان انعقد مجلس الجامعة في بلودان وقرر تأليف «الهيئة العربية العليا لفلسطين»، وبذلك زال الخلاف وتوحدت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية.

بريطانيا تلاحق المفتي في القاهرة:

واستطرد المفتي قائلاً:

تركت ثورة فلسطين المجيدة التي نشبت استنكاراً لسياسة بريطانيا الظالمة ومشروع تقسيم فلسطين، واستمرت زهاء ثلاث سنوات من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ وما قام به الشعب الفلسطيني، وفي طليعته المجاهدون الابرار من أعمال بطولية خارقة، أثراً عظيماً في العالم. وقد ظهرت آثار تلك الثورة المجيدة صريحة في السياسة البريطانية خاصة، والعربية عامة، كما ظهرت باشد من ذلك في العالمين العربي والاسلامي.

ففي مصر تألفت لجنة برلمانية من الشيوخ والنواب على اختلاف احزابهم، للدفاع عن قضية فلسطين، ووقع مائة وسبعون منهم على عريضة استنكار لسياسة بريطانيا الظالمة في فلسطين منتصرين للشعب الفلسطيني في جهاده الكبير. وعلى أثر ذلك دعا محمد علوبة باشا الى عقد مؤتمر برلماني في القاهرة صيف عام ١٩٣٨ شهده عدد كبير من الشيوخ والنواب من مصر وسوريا ولبنان والعراق، ووفود من فلسطين والمغرب ومسلمي الهند ومسلمي البوسنة، واتخذ المؤتمر قرارات بتأييد ميثاق الشعب الفلسطيني واستنكار سياسة بريطانيا لتقسيم فلسطين، ثم أرسل المؤتمر وفداً برئاسة علوبة باشا الى لندن للدفاع عن قضية فلسطين والدعاية لها.

وفي سورية انعقد مؤتمر عربي عام في بلودان في ٨ أيلول ١٩٣٧ بمساعي لجنة الدفاع عن فلسطين في دمشق واللجنة العربية العليا لفلسطين حضرته وفود من سورية ولبنان وفي فلسطين ومصر والعراق بأكثر من اربعمائة مدعو واختير لرئاسة المؤتمر ناجي باشا السويدي (العراق) ولنيابة الرئاسة محمد علي علوبة باشا (مصر) والأمير شكيب الاسلان (لبنان) والمطران حريكة (سورية) ولامانة السر العامة الاستاذ محمد عزة دروزة (فلسطين).

وفي الهند عقد المسلمون بزعامة العصبة الاسلامية وجمعية الخلافة اجتماعات عديدة وقاموا بمظاهرات عظيمة اعلنوا فيها تأييدهم لجهاد شعب فلسطين واستنكارهم لسياسة بريطانيا الجائرة. مؤيدين حق العرب في فلسطين ومنددين بسياسة التقسيم ومطالبين بالغاء وعد بلفور والاعتراف باستقلال فلسطين. وكان من مؤيدي العرب في عصبة الأمم ايرلندا والبانيا وفرنسا. وكان من آثار اشتداد ثورة فلسطين عام ١٩٣٨ أن قدم عشرون نائباً في البرلمان البريطاني اقتراحا الى الحكومة بوقف الهجرة اليهودية وقفاً تاماً الى أن تحل قضية فلسطين حلا ملائما.

واذاع وزير المستعمرات مالكوم ماكدونالد بياناً عن تعيين لجنة فنية لدرس إمكانات التقسيم وقال إن الحكومة البريطانية لم ترتبط بمشروع معين.

وأذاعت اللجنة العربية العليا بياناً ردت فيه على بيان وزير المستعمرات وكذلك فعل قواد المجاهدين الذين أذاعوا بياناً مماثلاً.

فلما وصلت اللجنة الفنية الى فلسطين صيف ١٩٣٨ لم يتقدم إليها أحد من العرب ببيانات. أما اليهود فتقدموا الى اللجنة مطالبين بتوسيع القسم اليهودي الذي نص عليه التقسيم وأن يضاف إليه صحراء النقب وسهول بيسان والاحياء اليهودية في القدس، وطالب المتطرفون منهم بدولة يهودية تشمل فلسطين كلها، وطالب آخرون بادخال شرق الاردن في الدولة اليهودية.

وقدمت حكومة شرق الاردن مشروعاً الى اللجنة يشتمل على دولة موحدة تضم شرق الأردن وفلسطين ويكون فيها لليهود استقلال ذاتي في المناطق اليهودية والحق بهجرة محددة. وقدمت اللجنة الفنية بعد عودتها تقريراً إلى الحكومة البريطانية اشتمل على دراسة موسعة وأشار الى الصعوبات العديدة التي تقوم في وجه أي مشروع من مشاريع التقسيم.

وعلى أثر ذلك أصدرت الحكومة البريطانية بياناً أعلنت فيه عدولها عن مشروع التقسيم وأنها ستبحث عن حل آخر يمكنها من الوفاء بالتزاماتها نحو كل من العرب واليهود! وقالت إنها تعتزم دعوة الحكومات العربية وممثلي كل من العرب واليهود في فلسطين الى مؤتمر لندن للوصول الى حل ملائم.

وكان إعلان الحكومة البريطانية عدولها عن التقسيم نصراً عظيماً للشعب الفلسطيني في جهاده واعترافا بفوز الثورة بتحقيق أحد أهدافها وهو القضاء على التقسيم، وكذلك حقق الجهاد الفلسطيني هدفاً آخر من أهدافه هو أن تصبح قضية فلسطين قضية عربية واسلامية عامة. وخلال ذلك قام وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد بزيارة سرية لفلسطين درس فيها الحال عن كثب مع السلطات البريطانية، ولما عاد الى لندن القى خطاباً عن رحلته ومما جاء فيه قوله: «ان فلسطين هي أصعب بلد في العالم» وبعد أن أشار إلى متاعب المندوب السامي والقائد العام قال: «إن القضاء على الثورة ليس أمراً سهلاً وإن مركز بريطانيا صعب لما عليها من الالتزامات المزدوجة للعرب واليهود» ثم القى بياناً في مجلس العموم طلب فيه من الأعضاء عدم الاندفاع وراء العاطفة وألا يتجاهلوا الأمر الواقع في فلسطين، وأشار الى رفض العرب لوعد بلفور وصك الانتداب منذ البداية واعترف بأن ما يحدث في فلسطين الآن هو ثورة منظمة واسعة النطاق وأن الدافع لها وطنية صادقة وأن الشعب البريطاني لو كان مكان الشعب الفلسطيني لضحى بكل ما يستطيع في سبيل حريته المهددة. وأخيراً أشار الوزير الى أن الحكومة البريطانية تعتزم إجراء محادثات مع العرب واليهود، كل فريق على حدة، ثم تجمع بينهما للتوفيق إن أمكنها ذلك والا عمدت إلى الحل الذي تراه مناسباً...

الخطة البريطانية الجديدة:

تتلخص الخطة البريطانية الجديدة فيما يلي:

١ ـ تأسيس حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط بمعاهدة تضمن لبريطانيا مصالحها العسكرية والتجارية.

٢ ـ تضع جمعية تأسيسية فلسطينية، منتخبة أو معينة، دستوراً لدولة يضمن حرية زيارة الاماكن المقدسة وحماية الطوائف وفقاً لتعهدات بريطانيا للعرب

واليهـود، ومركـزاً خاصـاً للوطن القومي اليهـودي في فلسطين، ويضمن المصـالـح الدولية التي تعتبر بريطانيا نفسها مسؤولة عنها. .

٣ ـ فتـرة انتقال تسبق تـأسيس الحكومـة الفلسطينيـة تكون الـدولة المنتـدبة (بريطانيا) خلالها مسؤولة عن الحكم. .

٤ ـ بعد عودة النظام واستتباب الأمن تتخذ اجراءات على مرحلتين لاضافة عدد من الفلسطينيين (أي العرب واليهود) إلى المجلس الاستشاري، وعدد آخر إلى المجلس التنفيذي مع بقاء المندوب السامي متمتعاً ببعض السلطات.

٥ ـ لا يمكن تحديد مراحل التطور الدستوري خلال فترة الانتقال ولا تحديد نهاية هذه المدة لأنها تتوقف على نجاح التطورات الدستـورية وتعـاون أهل فلسـطين (أي العرب واليهود). ولا تتخلى بريطانيا عن مسؤوليتها في الحكم إلا بعد اطمئنانها الى أن حسن اندماج الطوائف سيجعل قيام حكومة صالحة أمراً ممكناً.

٦ ـ تستمـر الهجـرة اليهـودية خـلال خمس سنـوات حتى يبلغ اليهـود ثلث السكان، وتصبح الهجرة بعد ذلـك خاضعـة لقرار الهيئـات الدستـورية خـلال فترة الانتقال أو بالتشاور بين الحكومة البريطانية وممثلي العرب واليهود.

ولما لم يكن ممكناً قبول هذه الخـطة فقد أدخـل بعض مندوبي الـدول العربيـة تعديلات عليها كان أهمها أن تؤسس حكومـة فلسطينيـة مستقلة بوزراء فلسـطينيين عندما تهدأ الاضطرابات، وأن تتولى جمعية فلسطينية منتخبة وضع دستور فلسطين، وأن تنتهي مسؤولية بريـطانيا وتصبـح فلسطين مستقلة استقـلالاً كامـلاً خلال عشر سنين، وإذا تعذر ذلك لاسباب خارقة يعقد مؤتمر بريطاني فلسطيني ـ رباعي للنـظر في الأمر.

وأما الهجرة اليهودية فتستمر بمعدلهـا الحالي وهـو اثنا عشر ألفـا في السنة مـدة خمس سنين ثم تقف نهائياً إلا بموافقة العرب.

لكن الوزارة البريطانية اجرت تعديلات على هـذه المقترحـات وكانت الـوفود العـربية قـد غادرت لنـدن فأرسلتهـا وزارة المستعمرات إلى مصر حيث تـولى بحثها وفود الدول العربية ولما رأوا فيها مخالفة لمـا تم عليه اتفـاقهم مع وزارة المستعمـرات

أجروا تعديلاً على بعض بنودها وبعد استشارة الوفد الفلسطيني ارسلت المقترحات والتعديلات الى اللجنة العليا لفلسطين في لبنان حيث كنت حينئذ للنظر فيها، فكان الرأي أنه لا بد من تعديل هذه المقترحات وأرسلت اللجنة عندئذ وفداً إلى القاهرة يحمل رأيها ومقترحاتها. فتداولت الوفود العربية ووضعت على أساسها صيغة جديدة ابلغتها الحكومة البريطانية.

غير أن الحكومة البريطانية لم تأخذ بالصيغة العربية الجديدة واصدرت خطتها السياسية الجديدة في كتاب أبيض في ٧ أيار (مايو) ١٩٣٩ قالت إنها وضعته على ضوء محادثات مؤتمر لندن. فلما اطلعت اللجنة العربية العليا على الكتاب الأبيض أعلنت رفضها لهذه الخطة السياسية لأنها لا تحقق مطالب الشعب الفلسطيني ولا تختلف عن مقترحات لندن التي رفضها وفد فلسطين والوفود العربية جميعاً، بل تنقص عنها.

وعندما اطلع محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية على الكتاب الأبيض سارع باصدار تصريح أعلن فيه أنه لا يستطيع أن ينصح الشعب الفلسطيني بقبوله. وكذلك كان موقف الحكومتين السعودية والعراقية.

* * *

وأصدرت اللجنة العربية العليا بياناً حازماً بالرد على كافة البنود التي اشتمل عليها الكتاب الأبيض وهي الخاصة بصك الانتداب والتزامات بريطانيا وبالاستقلال والدستور وفترة الانتقال، وبالحكم الذاتي والسلطة التشريعية، وبما ادعته بريطانيا من مسؤوليتها عن حماية الوضع الخاص للوطن القومي اليهودي فكان مما اشتمل عليه رد اللجنة العربية على هذا الادعاء البريطاني قولها: «إن الشعب العربي لا يعترف بالوطن القومي اليهودي ويعتبره عدواناً صريحاً مستنداً الى القوة على أقدس حقوقه، وأن الوطن القومي كان دائماً علة العلل والسبب الاساسي في كل ما عانته فلسطين طيلة عشرين عاماً من كوارث وثورات ودماء وخراب عام، وأكدت اللجنة أنه لن توجد في فلسطين يد عربية ترضى أن تسجل في صلب الدستور أو المعاهدة قيام وطن قومي لليهود فيها. .».

وتناول رد اللجنة العربية ما قررته الحكومة البريطانية من رغبة في استمرار

الهجرة اليهودية بزعم أن وقف الهجرة في الحال يلحق الضرر بنظام فلسطين المالي والاقتصادي وبمصالح العرب واليهود (كذا) وبحجة المساهمة في حل مشكلة اليهود العالمية (كذا) وطالبت اللجنة العربية باصرار في ختام ردها، بمنع انتقال الأراضي من العرب الى اليهود منعاً باتاً ونهائياً.

هذه خلاصة الاسباب التي استندت إليها اللجنة العربية العليا في رفضها الكتاب الأبيض، وكانت برفضها هذا تعبر عن الرأي العام الفلسطيني والعربي بصورة عامة. ويظهر مما تقدم بيانه أن الحكومة البريطانية علقت انهاء الانتداب وتأسيس الدولة الفلسطينية على رضاء اليهود ورغبتهم في الاندماج في هذه الدولة. ولكن اليهود لم يبدوا شيئاً من الرغبة في الاندماج بل عارضوه بقوة، واتخذت معارضتهم هذه اشكالا وصورا متعددة من الاحتجاج والاستنكار وتأليب الرأي العام الأوروبي والامريكي، إلى الثورة المسلحة على الحكم البريطاني في فلسطين.

وفي هذا المجال نورد ما ذكرته الوفود العربية من أن الانكليز اعتذروا من عدم قبولهم وجهة النظر العربية بما وقع عليهم من ضغط الرئيس الامريكي روزفلت، استجابة لرغبة اليهود، واضطرارهم لمسايرته للظروف الدولية الدقيقة حينئذ، وهذه الحجة ظل الانكليز يدفعون بها عن غدرهم ونكثهم بعهودهم منذ نشوء المشكلة الصهيونية وابلائهم الشعب الفلسطيني بها. وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت أنها ستشرع في تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض عندما تهدأ الحال في فلسطين، وقد هدأت الحال فعلا بعد نشوب الحرب العالمية ولكن التنفيذ لم يحدث، وظل باب الهجرة اليهودية مفتوحاً على مصراعيه سواء في ذلك الهجرة التي سماها اليهود «مشروعة» والهجرة غير المشروعة لليهود المهربين الذين كان عددهم باعتراف السلطات البريطانية لا يقل عن عدد المهاجرين الذين كانوا يسمونهم «الشرعيين» وظل الانكليز يسيرون على سياسة المراوغة والتخدير بضع سنوات مغتنمين فرصة الحرب العالمية الثانية التي جاءت مواتية لهم إلى أن نقضوا الكتاب الأبيض نقضاً كاملاً عام ١٩٤٦ باستجابتهم لطلب ترومان ادخال مئة ألف يهودي دفعة واحدة الى فلسطين وبعودتهم الى مشروع التقسيم مرة ثانية عن طريق إيفاد لجان تحقيق جديدة الى فلسطين لتكون مبرراً لسياستهم الجديدة القديمة، وضربتهم القاصمة التي وجهوها إلى الشعب العربي الفلسطيني، بل إلى الأمة العربية والعالم الاسلامي

أيضاً، بنقلهم القضية الفلسطينية الى ميدان الأمم المتحدة.

التآمر البريطاني على فلسطين:

ويستطرد المفتي قائلاً:

رفض اليهود السياسة التي انطوى عليها الكتاب الأبيض البريطاني لأنها لا تحقق مطامعهم. فهم يريدون هجرة يهودية واسعة النطاق، مطلقة غير مقيدة ولا محدودة، وان تطلق لهم الحرية في الاستيلاء على الأراضي العربية، الأميرية منها والخاصة، وهم لا يريدون حكما مشتركا بينهم وبين العرب يكونون فيه أقلية. بل يريدون أن تكون فلسطين كلها لهم. وبتعبير آخر أن تكون فلسطين يهودية كما هي انكلترا انكليزية كما عبر عن ذلك زعيمهم وايزمن. بل هم يريدون «إسرائيل الكبرى» من النيل الى الفرات. ولذلك ثاروا على سياسة الكتاب الأبيض البريطاني وأخذوا يولون وجوههم شطر الولايات المتحدة الامريكية لتكون عونا لهم على بريطانيا! والحال أن بريطانيا لم تكن في يوم من الأيام موالية للشعب الفلسطيني، ولا للشعوب العربية الاسلامية، ولكنها كانت تسير مع العرب على سياسة المداورة والمراوغة ضماناً لمصالحها الاقتصادية والعسكرية في العالمين العربي والاسلامي، ولأنها بما لها من سابق في الطرق والوسائل الاستعمارية، والسياسة العالمية كانت موقنة أن الحرب العالمية الثانية آتية وأنها ستضطر إلى خوض غمارها، فلا غنى لها عن مداهنة العرب والمسلمين ما استطاعت الى ذلك سبيلاً.

لكن زعماء الصهيونية الذين وطنوا انفسهم على خدمة قضيتهم الباطلة التي لا سند لها من حق ولا منطق، استطاعوا بمساعيهم الحثيثة المتواصلة أن يستنفروا المنظمات والمؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة، ويجندوا كل عناصرهم العاملة فيها، للتأثير على الاميركيين لدعمهم وتأييدهم في الضغط على بريطانيا لاحباط مؤتمر لندن، ونقد الكتاب الأبيض، وفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية واسعة النطاق. فلما وقعت الحرب العالمية الثانية واتخذت المانيا سياستها المناوئة لليهود، انتهز زعماء الصهيونية هذه الفرصة لحمل الكونغرس الاميركي على اتخاذ قرار بانشاء دولة يهودية في فلسطين واطلاق الهجرة اليهودية إليها، وكادوا ينجحون في مساعيهم لولا تريث بعض رجال الدولة ولا سيما العسكريين منهم لئلا يترك ذلك اثراً سيئاً

في الأقطار العربية التي كان أكثر حكوماتها سائراً في ركب الحلفاء. . وظل الزعماء الصهيونيون يوالون مساعيهم في امريكا، وفي بريطانيا وفرنسا وكل الدول والمؤسسات والهيئات والجمعيات التي لهم فيها وجود أو عليها تأثير مستغلين العطف على اليهود من الاضطهاد النازي حتى حققوا نتائج عظيمة، واستطاعوا حمل بريطانيا على نقض الكتاب الأبيض بل على الانجراف في التيار الصهيوني انجرافاً كان له اسوأ الأثر على القضية الفلسطينية.

توسل اليهود لبلوغ غايتهم وتحقيق مطامعهم بوسائل شتى، فاغتنموا فرصة نشوب الحرب العالمية الثانية لتقوية انفسهم، وتعزيز اسلحتهم، ومضاعفة قواتهم العسكرية، وتحصين مدنهم ومستعمراتهم، وحملوا الدولة البريطانية على تحصين فلسطين في وجه قوات دول المحور، ومن ذلك انشاء خط ايدن وغيره من التحصينات العسكرية القوية. وجندت السلطات العسكرية البريطانية خلال الحرب الوفا من شبان اليهود في الجيش البريطاني فدربتهم وسلحتهم واشركتهم في بعض العمليات الحربية، واستخدمت عدداً كبيراً غيرهم في مصانع الجيش البريطاني وثكناته ومستودعاته وفي الوظائف الفنية والرئيسية، واعتمدت بعض المصانع اليهودية لانتاج الذخائر والمتفجرات وغيرها من اللوازم العسكرية. وبلغ عدد الذين دربهم الانكليز وجندوهم في الجيش البريطاني ثلاثة وثلاثين الفا (كما جاء في التقويم اليهودي السنوي «هاشانا» لعام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤). وهذا الرقم لا يشمل عدد المجندين منهم في قوات الشرطة والدفاع السلبي ولا (الهاجانا) وهي قوة الدفاع اليهودي. ونقل اليهود بمساعدة الانكليز كميات عظيمة من مختلف الاسلحة الى فلسطين ووزعوها على مستعمراتهم ومنظماتهم العسكرية الارهابية.

وفي عام ١٩٤٣ طلب الزعماء الصهيونيون من السلطات البريطانية تأليف (فيلق يهودي) والحاقه بالجيش البريطاني كوحدة مستقلة. فاستجاب لهم تشرشل الذي كان رئيس الوزارة البريطانية عندئذ، إلا أن المرشال ويفل قائد القوات البريطانية في مصر والشرق الأوسط عارض هذا الطلب لكيلا يثير حفيظة العرب. لكن تشرشل أصر على تأليف الفيلق وجعلته القيادة البريطانية جزءا من الجيش البريطاني في حملته على ايطاليا عام ١٩٤٤. وبعد انتهاء الحرب عاد أفراد الفيلق اليهودي الى فلسطين ومعهم اسلحتهم الخفيفة.

وقد أورد تشرشل قصة هذا الفيلق في مذكراته عن الحرب العالمية الثانية. (قد سبق لي أن أشرت إلى هذا الحادث في فصل سابق من هذه المذكرات).

وقبل أن تنتهي الحرب كان اليهود قد أتموا تنظيم قواتهم وتسليحها فأرادوا اغتنام الفرصة لتهويد فلسطين وإقامة دولتهم فيها خشية قيام حركة عربية عامة بعد الحرب تحول دون استجابة بريطانيا وامريكا لهم وتحقيقها لرغباتهم، وخوفاً من أن يفقدوا بمرور الزمن عطف العالم الغربي عليهم، وهو ما حصلوا عليه بدعايتهم الواسعة عن اضطهاد المانيا النازية لليهود.

لهذه الاسباب والاعتبارات شرعت المنظمات اليهودية الارهابية في اقتراف جرائم واسعة النطاق ضد السلطات البريطانية والشعب العربي في فلسطين في آن واحد. وقامت عصابتا (ارغون زفاي لئومي) و (شترن) ومن ورائهما قوة الدفاع اليهودية المعروفة بالهاغانا، بأعمال اجرامية ارهابية في منتهى القسوة والفظاعة، كنسف الدوائر الحكومية والفنادق ودور المؤسسات والشركات والمصالح العامة وبعض الجسور والمحطات والمخافر والقاء المتفجرات من ألغام وقنابل في الاسواق والمجتمعات مما ذهب ضحيته عدد كبير من العرب وقليل من الاجانب، وكانوا بذلك يقصدون بلوغ غايتين: الأولى استعجال السلطات البريطانية لتستجيب لرغباتهم وتحقيق مطالبهم والأخرى إرهاب الفلسطينيين وحملهم على النزوح من فلسطين والتخلي عن أراضيهم وممتلكاتهم فيأخذها اليهود غنيمة باردة.

وكان من ضحاياهم اللورد موين الوزير البريطاني في الشرق الأدنى، وهذا منصب استحدثه الانكليز في زمن الحرب وجعلوا مركزه القاهرة، وبعض الضباط والجنود الانكليز في فلسطين، وحاولوا اغتيال المندوب السامي البريطاني السر هارولد ماكمايكل بكمين أعدوه له في طريق القدس - يافا فنجا المندوب وقتل سائقه وحارسه وجرحت زوجته، وحاولوا أيضاً اغتيال الجنرال باركر القائد العام البريطاني في فلسطين، لكنهم اخفقوا في ذلك. أما ضحاياهم من العرب فكانوا مئات القتلى والوفا من الجرحى. وقد ثبت أن (للوكالة اليهودية) ذات الصفة الرسمية في تمثيل اليهود في فلسطين. وللهاغانا وهي قوة الدفاع اليهودية يدا أثيمة في تلك الجرائم، وقد كانتا تتظاهران بالحياد وأن لا صلة لها بالاعمال الارهابية،

حتى اضطرت السلطات البريطانية بفلسطين أن تقتحم دار الوكالة اليهودية في القدس وتعتقل بعض زعمائها وتفتش مكاتبها وتصادر منها وثائق ومستندات تدين زعماء اليهود وتثبت صلتهم بأعمال النسف والتدمير والارهاب، وأن الهاغانا وعصابة البالماخ التابعة لها تعملان تحت إشراف الوكالة اليهودية وأن عصابة شترن تعمل متعاونة مع الهاغانا.

واعترف رئيس الوزارة البريطانية مستر (اتلي) في بيان رسمي أثر تفتيش دار الوكالة اليهودية بان الثورة اليهودية مدبرة ومخطط لها وأن الوكالة رفضت أن تستنكر أعمال الارهاب، وأضاف ان الهيئة العسكرية اليهودية التي تدير أعمال الأرهاب تضم سبعين ألفا من الهاغانا وخمسة آلاف من (البالماخ) وخمسة الاف أو ستة من عصابة (الارغون)، ولم يذكر عدد عصابة (شترن) لكن المعلومات تدل على أنهم يتراوحون بين ألف والفين.

وقد سبق للسلطات البريطانية أن استقدمت الى فلسطين الجنرال (وينغت) الخبير البريطاني في حرب العصابات الذي كان يقود القوات البريطانية في بورما والملايو، استقدمته لتدريب الهاغانا على حرب العصابات وطرق مقاومة الفلسطينين إذا ما حاولوا استئناف حرب العصابات ضد القوات البريطانية.

وكان شبان اليهود يهربون السلاح بالاتفاق مع الجنود البريطانيين. ونذكر مثلا على ذلك حادث تهريب قامت به عصابة (سركين) وبعض الجنود البريطانيين لكمية كبيرة من السلاح هي ألف بندقية ورشاشة ومئات الألوف من الطلقات. وكانت نتيجة المحاكمة العسكرية الصورية التي قدموا اليها، الحكم ببراءة سركين وعصابته، ونقل الجنود البريطانين المشتركين في الجرم الى بريطانيا، وإقالة النائب العام العسكري لأنه اجترأ على إتهام الوكالة اليهودية وزعماء اليهود بأن لهم صلة بأعمال التهريب والاشراف عليها!!

ومثال آخر: فقد كتب الارهابي السفاح مناحم بيغن زعيم عصابة الارغون في مذكراته التي نشرها عام ١٩٥١ أن منظمته نقلت حمولة عشرين عربة من عربات السكك الحديدية من الاسلحة والذخائر والمتفجرات التي اودعها الجنود البريطانيون في مستعمرة (باريس حنا) اليهودية على طريق حيفا.

وسبق هـذه الاحداث، مـا يماثلهـا من أعمال تهـريب السـلاح سـرا وجهـرة كحادث تهريب المسدسات البلجيكية الكبيرة من نوع (مونشر) في بـراميل الاسمنت من بلجيكا الى ميناء يافا بـاسم الزعيم الصهيـوني ذيزنكـوف رئيس بلدية تـل أبيب وغيرها من الشحنات وهي لا تكاد تحصى. وكانت السلطات البريطانية في فلسـطين تتغـاضى عنهـا. أمـا الاسلحـة التي كـانت السلطات تقـدمهـا لليهـود في المـدن والمستعمرات بحجة الدفاع عن النفس فلا سبيل الى حصرها.

أما نواة التشكيلات العسكريـة اليهوديـة في فلسطين فهي (جمعيـة المحاربـين القدماء) من اليهود المسرحـين من جيش الجنرال اللنبي الـذين سمحت لهم الادارة العسكرية البريطانية بالبقاء في فلسطين والاحتفاظ باسلحتهم، كـما سمحت للشبان اليهود بتشكيل كتائب ظاهرها رياضي وكشفي وثقافي واجتمـاعي وباطنهـا عسكري من مثل منظمات المكابي، وترامبلدور، والطلائع وغيرها. .

شرع اليهود في أعمالهم الارهابية من مطلع عـام ١٩٤٤ إلى ما بعـد منتصف عام ١٩٤٧، فأسقـطوا هيبة بـريطانيـا ودمروا كثيـراً من ممتلكاتهـا وكثيراً من دوائـر حكومتها في فلسـطين وشنقوا أفـراداً من جنودهـا وجلدوا عدداً من ضبـاطها وقتلوا كثيراً من كبار موظفيها وألحقوا بها أشد الاهانات دون أن يلقوا عـلى جرائمهم هـذه عقابا مذكورا، وكانت هذه الجرائم تقابل بتسامح وتغاض لا نظير لها، وكان الذين يتصدون لمقاومـة هذه الجـرائم هم رجال الشـرطة أمـا قوات الجيش البـريطاني فلم يسمح لها قط بقمع الثورة مع أنها كانت قادرة على ذلك خلال أربع وعشرين ساعة كما جاء في تقرير رفعه المندوب السامي البـريطاني الى مرجعه الأعلى في لندن. . .

وعند مقارنة موقف السلطات البريطانية من ثورة العرب في فلسطين ومـوقفها من ثورة اليهود يتضح الفرق العظيم بين معاملتها لهؤلاء وأولئك. فان اغتيـال مستر اندروز حاكم لواء الجليل الذي قام بـه بعض المجاهـدين العرب عـام ١٩٣٧ حمل السلطات البريطانية على حل المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى وعزل رئيسه وحل اللجنـة العربيـة العليا ونفي اعضـائها الى سيشـل والغاء اللجـان القوميـة في المـدن الفلسطينية وزج مئات من الرجال والشبان والقضاة والعلماء في المعتقلات والسجون بتهمة المسؤولية عن الثورة. ومع أن العرب في ثورتهم لم يدمروا ممتلكـات الحكومـة

ولا دوائرها الرسمية (باستثناء القاطرات والسكك الحديدية لقطع مواصلات الجيش) وان ثورتهم كانت شريفة ومقصورة على مقاتلة العسكريين دون المدنيين، فانهم كانوا عرضة لاشد العذاب والنكال كنسف مدنهم وقراهم واتلاف مؤونتهم ونهب اموالهم وفرض الغرامات الباهظة عليهم وغير ذلك مما لا سبيل إلى وصفه من الأعمال المتناهية في القسوة والظلم، هذا عدا مئة وثمانية واربعين مجاهداً أعدموا شنقاً وكانت أحكام الاعدام تصدر على العرب وتنفذ فيهم الحكم.. أما القتلى والجرحى من المجاهدين والمدنيين رجالا ونساء واطفالاً فقد بلغوا عشرات الألوف.

ولنضرب مثلاً على الجرائم وأعمال القسوة والتعذيب التي اقترفها الجنود البريطانيون، ما وقع في مدينة الخليل في ثورة عام ١٩٢٩، المعروفة بثورة البراق حيث أخذ الضابط البريطاني (كفراتا) يقتل العرب اعتباطاً فقد أمر جنوده باطلاق النار جزافاً على الاهلين فأخذ اولئك الجنود يتصيدون عابري السبيل وغيرهم من أهل المدينة ويطلقون النار عليهم. وحجة كفراتا في ذلك أن عدد قتلى اليهود يزيد على عدد قتلى العرب، وأنه يجب أن يتم (التعادل) في عدد القتلى من الجانبين.. وهكذا سقط ضحية تلك (المعادلة) البريطانية غير العادلة عدد من العرب الابرياء قتلى برصاص الانكليز..

وفي قرية (حلحول) الواقعة على طريق القدس - الخليل اقترف ضابط بريطاني يهودي جرائم منكرة بوسائل أخرى من وسائل التعذيب. فقد ألقى القبض على عدد من شبان تلك القرية بتهمة اشتراكهم في أعمال ثورية وقعت بالقرب من قريتهم وكانوا بريئين منها. ثم أجبرهم على أن يحفروا حفراً عميقة وأمر جنوده بأن ينزلوا في كل حفرة منها واحداً من أولئك الشبان ويهيلوا عليهم التراب حتى الاعناق فلا يظهر منهم إلا الرؤوس العارية، وابقاهم على هذه الحال المنكرة دون طعام وشراب بضعة أيام تلفح رؤوسهم الشمس في أشد أيام الصيف حراً، وهم يستغيثون طالبين اسعافهم بشربة ماء ولا مجيب. وقد بلغت القسوة من ذلك الضابط أنه كان يأمر جنوده باحضار الماء واراقته على التراب أمام أعين أولئك التعساء ليزيدهم عذاباً ويضطرهم للاعتراف بما لم يقارفوه ولا علم لهم به!

وكان أن هرعت نساء القرية إلى القدس ينقلن خبر أولئك المعذبين فضج

الناس وجأروا بالشكوى واضطرت السلطات لاطلاق سراح من بقي منهم على قيد الحياة.

وقد أثار الوفد الفلسطيني حادثة حلحول عندما كان في لندن يفاوض الحكومة البريطانية حيث ندد السيد جمال الحسيني رئيس الوفد بأعمال الظلم والتعذيب التي تقترفها السلطات البريطانية في الشعب الفلسطيني، واعترف المستر مالكولم مكدونالد وزير المستعمرات يومئذ بصحة هذه الحادثة الأليمة وأعلن أسفه لوقوعها.

ومن الوسائل غير الانسانية التي كانت تلجأ إليها السلطة البريطانية حينئذ لحماية جنودها واخماد الثورة أنها كانت ترغم عدداً من العرب على الركوب في عربات كاشفة على خطوط السكك الحديدية (ترولي)، وفي سيارات تتقدم الجنود على الطرق العامة اتقاء لما ينشأ من خطر المتفجرات التي كان المجاهدون يلغمون بها السكك الحديدية والطرق، حتى إذا ما انفجر لغم أودى باولئك العرب الذين هم في الطليعة وسلم الجنود البريطانيون الذين هم في المؤخرة..

أما أعمال النسف والتدمير فنضرب مثلا عليها نسف المدينة القديمة بيافا عام ١٩٣٦، فقد تذرعت إليه السلطات البريطانية بأن المجاهدين الفلسطينيين يتخذونها مكمناً لهم وينطلقون منها الى أعمالهم الثورية.

واقترفت السلطات في مدينة جنين مثل ما اقترفت في يافا إذ نسفت نحو نصف المدينة دون مبالاة بما يصيب الاهلين من خراب ودمار.

وأما القرى والاحياء العربية الأخرى التي نسفتها السلطة أو احرقتها في الثورة الكبرى عام ١٩٣٧، واستمرت عامين كاملين فهي تعد بالعشرات..

ونأتي الى تلخيص نشاط اليهود السياسي والاعلامي خلال أيام الحرب واستجابة بريطانيا وامريكا لهم وما كان من نقض بريطانيا لسياستها المرسومة في الكتاب الأبيض:

ففي عام ١٩٤١ عرض الزعيم الصهيوني وايزمن على بريطانيا مساعدة رؤوس الأموال اليهودية لها وتعاون اليهودية العالمية معها لكسب الحرب مشترطاً موافقتها على إطلاق أيدي اليهود في فلسطين وشرق الاردن ومناطق لبنان الجنوبية بما فيها نهر الليطاني.

غير أن ظروف الحرب عندئذ لم تكن في صالح بريطانيا فلم تستطع اتخاذ اجراء من هذا القبيل.

وشرع اليهود من أجل دعم فكرة اقامة الدولة اليهودية يقيمون التظاهرات ويعقد زعماؤهم ومنظماتهم الاجتماعات والمؤتمرات. واعلن بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية، في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢، ان اليهود لا يمكنهم أن يتخلوا عن شبر من أرض فلسطين حتى قمم الجبال واعماق البحر. وأعلن بعد ذلك أن الصهيونية قد رسمت خطتها وسياستها على أساس أن فلسطين يجب أن تصبح دولة يهودية.

ثم في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٢ عقد زعماء اليهود مؤتمراً في القدس اعلنوا فيه رفضهم لمشروع التقسيم وطالبوا بدولة يهودية في فلسطين.

وقام يهود امريكا وبريطانيا بأعمال مماثلة وعقدوا اجتماعات ومؤتمرات عدة كان أهمها مؤتمرهم العالمي الاستثنائي في فندق بلتيمور في أيار ١٩٤٢ الذي قرروا فيه جعل فلسطين دولة يهودية وإخراج العرب منها.. ثم مؤتمرهم العالمي في لندن في كانون الثاني ١٩٤٥.

وفي ٣ تشرين الثاني ١٩٤٣ قدمت اكثرية اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي و ١٨١ عضواً من النواب مذكرة إلى الرئيس الاميركي مطالبين بالعطف على اليهود وتحقيق مطالبهم وان الغاية من تصريح بلفور هي انشاء دولة لليهود في فلسطين (كومنولث).

وفي صيف عام ١٩٤٤ ولمناسبة انتخابات رئاسة الجمهورية عقد مؤتمر للحزب الجمهوري ومؤتمر آخر للحزب الديمقراطي لتعيين مرشح للرئاسة فأيد كل من المؤتمرين جعل فلسطين دولة يهودية.

ووجه الرئيس روزفلت رسائل الى زعماء اليهود في أمريكا خولهم فيها أن يعلنوا تأييده لقرار جعل فلسطين دولة يهودية، وان حكومته لم توافق على سياسة الكتاب الأبيض البريطاني ولما أعيد انتخاب روزفلت رئيساً عام ١٩٤٥ أكد تعهده لليهود بمساعدتهم على انشاء دولة يهودية في فلسطين.

وفي آذار ١٩٤٤ قدمت مذكرة من بعض أعضاء مجلس الشيوخ الى لجنة الشؤون الخارجية بمشروع قرار لالغاء الكتاب الأبيض البريطاني وانشاء دولة يهودية في فلسطين وتحقيق مطالب اليهود، لكن هذه المذكرة حفظت موقتاً بناء على طلب جورج مارشال وزير الخارجية ورئيس اركان حرب الجيش الامريكي لاعتبارات عسكرية خوفاً من إثارة العرب وانعكاس ذلك على الموقف العسكري. فلما تغير مجرى الحرب لصالح الحلفاء أرسل جورج مارشال رسالة الى السناتور واغترزعيم الاكثرية في مجلس الشيوخ قال فيها إنه يؤيد الاقتراح الوارد في المذكرة نظراً لزوال الاعتبارات العسكرية التي حملته فيما مضى على معارضته بحثها!.

وفي عام ١٩٤٥ اشتدت دعاية اليهود في امريكا بواسطة الصحف والاذاعات وشركات الانباء لمشروع الدولة اليهودية.

وطالبت اكثرية كبرى من مجالس الولايات المتحدة الامريكية بإنشاء الدولة اليهودية وفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية حرة.

وفي بريطانيا قررت اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني أن تتبنى سياسة قيام دولة يهودية في فلسطين وتوسيع حدودها لتتسع لاكبر عدد من اليهود وترحيل العرب من فلسطين!

وفي المؤتمر الذي عقده حزب الاحرار البريطاني قرر أن يتبنى سياسة الغاء الكتاب الأبيض واطلاق الهجرة اليهودية الواسعة الى فلسطين.

فلما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء اشتد نشاط اليهود السياسي في بريطانيا وامريكا، مع استمرارهم على ثورتهم المسلحة في فلسطين وقدم وايزمن مذكرة الى مؤتمر سان فرنسيسكو طالب فيها بأن يكون الحل لمشكلة فلسطين منطبقاً على وعد بلفور وحق اليهود المكتسب في وطنهم القومي وقيام دولة يهودية في فلسطين (كومنولث). وما يقتضيه ذلك من رفع القيود عن الهجرة اليهودية وبيع الأراضي.

واغتنم اليهود فرصة موت روزفلت وحلول ترومان محله وحاجته الى تأييدهم فضغطوا عليه بشدة فلم يكن منه إلا استجابة لمطالبهم باندفاع غريب وسرعة أغرب إذ طلب من الحكومة البريطانية إدخال مئة ألف مهاجر يهودي دفعة أولى الى

فلسطين، وأعادة النظر في اوضاع القضية الفلسطينية وحلها بما يلائم أمن اليهود واستقرارهم. فبادرت الحكومة البريطانية بالاستجابة لمطالب ترومان واقدمت على ارتكاب خيانة جديدة لعهودها ومواثيقها بالغائها سياسة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ التي تعهدت بتنفيذها سواء رضي العرب واليهود أو لم يرضوا. ولكنها لم تقدم على ذلك فورا بل راوغت كعادتها واقترحت على ترومان تأليف لجنة تحقيق انجلو امريكية يؤخذ بتوصياتها وتبنى على أساسها سياسة جديدة يعمل بها لحل مشكلة فلسطين!!.

الفصل الثامن عشر

عبد الناصر والمفتي



كان ظهور المفتي بين أعضاء مؤتمر باندونغ مفاجأة ضخمة، ويرى في الصورة الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل اثناء تأدية صلاة الجمعة في المسجد الكبير بباندونغ. ولعل هذه الصورة من الصور النادرة التي تجمع المفتي بعبد الناصر

عبد الناصر والمفتي

دق جرس التلفون في مكتب المفتي بداره في القاهرة (حلمية الزيتون)، المكتب الرحب القائم إلى جانب الدار، والذي يكسوه السجاد الوردي، كان ذلك في نهاية مارس عام ١٩٤٧، كان المتكلم الصاغ محمود لبيب احد الضباط المجاهدين الذين قاتلوا في طرابلس الغرب وجاهدوا ضد الانكليز وطلب من الحاج أمين أن يسمح لبعض الضباط الشباب بمقابلته في منزله مقابلة سرية.

طلب الحاج أمين من محدثه القدوم اليه مسبقا للتباحث في الأمر، فلبى الدعوة.

كان الصاغ محمود لبيب يعمل مع المفتي، وقد كلفه بمهمة تدريب المجاهدين على القتال، واطلق عليه اسم (رئيس حركة الشباب الفلسطيني)، وكان معارا للهيئة العربية العليا من قبل وزارة الدفاع المصرية لهذا الغرض. . .

جاء الصاغ لبيب في الموعد وقال للمفتي:

هناك بعض الضباط الشباب الذين يحترمون جهادك وتضحيتك من أجل وطنك، يريدون أن تسمح لهم بزيارتك، وقد اشترطوا أن يأتوا إليك بصورة سرية، فهل توافق سماحتكم على لك:

هل أنت واثق منهم يا لبيب؟

نعم- أنا واثق منهم، وأود أن تتعرف عليهم، !

اذن رتب المقابلة بالشكل الذي يتفق وطلبهم،

ويقول المفتي وهو يروي لي هذا الحادث:

لقد اوعزنا الى بعض الحراس بالابتعاد، وتركنا الباب الخلفي للمنزل بدون حراسة، وفي الموعد المحدد دخل علي الصاغ محمود لبيب ومعه اربعة ضباط:

(الصاغ جمال عبد الناصر، الصاغ كمال عبد الحميد، الصاغ عبد الحكيم عامر، ولا اذكر اسم الرابع) وقد شعرت بان الضباط يريدون أن يتكلم عبد الناصر باسمهم، ولاحظت أنهم يقدمونه عليهم، ويسكتون حين يتكلم.. فأدركت انني أمام زعيمهم.

رحبت بهم وشكرت لهم عاطفتهم الوطنية وقلت لهم ماذا تريدون بالضبط؟

فانبرى للكلام الصاغ جمال عبد الناصر وقال:

نحن يا سيدي نريد أن نتعاون معكم، ونقاتل الى جانبكم، وسنلتزم بالخطة التي تضعونها لنا..

فشكرتهم على عاطفتهم الوطنية وسألتهم هل لديهم خطة؟

فأخرج الصاغ جمال عبد الناصر من جيبه خطة كاملة وقال نستطيع أن نفيدكم كثيراً إذا ذهبنا الى جهة غزة وبئر السبع، ولكن تعلمون اننا كضباط لا نستطيع ترك عملنا دون استئذان رسمي من المسؤولين في وزارة الدفاع، من أجل هذا نرجوكم التكلم مع القصر لأخذ موافقته اولا، ثم التكلم مع النقراشي باشا رئيس الوزراء على أن يقبل باحالتنا على الاستيداع..

يقول المفتي:

وافقت على خطتهم ووعدتهم بالتكلم مع القصر ومع النقراشي وحين سألتهم من يكلم وزارة الدفاع اجابني عبد الناصر:

نحن سنعمل لاخذ موافقة حيدر باشا قائد الجيش، لأن لدينا صلة به.

ويمضي المفتي قائلا:

ذهبت الى القصر الملكي وكلمت رئيس الديوان بشأن السماح لهؤلاء الضباط بالتطوع معنا، وبعدها ذهبت الى النقراشي باشا، فإذا به يرفض رفضاً باتا ويرجوني

أن لا أقبل بمثل هذا العمل لا سيما مع هؤلاء الشباب المندفعين . .

وحين ألححت على القصر بالموافقة رجاني رئيس الديوان الملكي بالتريث بعض الوقت.

طلب مني عبد الناصر ورفاقه الاجتماع بي مرة ثانية، فأجبته الى طلبه وبالطريقة ذاتها التي تم فيها الاجتماع الأول، فجاء مع رفاقه واعلمني ان حيدر باشا رفض المشروع، فأبلغتهم بأن النقراشي باشا رفض وأن القصر تريث فوعدوني ببذل المساعي، كما وعدتهم بدوري بأن أكلم الملك بشأنهم، وكان الملك فاروق لا يرفض لي طلباً. ورغم عدم تحقيق طلبهم فقد ظلت صلاتي حسنة وودية مع جمال عبد الناصر ورفاقه، وكنت أحيانا ألقاه فألمس حماسه واندفاعه من أجل قضية فلسطين.

وقامت حركة ٢٣ يوليو فاستبشرنا خيراً، وبعد أيام قليلة من قيامها قابلت اللواء محمد نجيب الرجل الطيب الصادق وكان الى جانبه علي صبري.

واذكر هنا انني قابلت جمال عبد الناصر في بيته ولفت نظره الى موضوع التعويضات الالمانية لاسرائيل التي كانت مثارة في ذلك الحين، وخطرها على القضية الفلسطينية، وذكرت الاخطار الكامنة وراء الموافقة الالمانية عليها، وكانت يومها مجرد محاولة من اميركا للضغط على المانيا لدفع التعويضات، وقد اصغى إلى أقوالي ووعدني خيرا. ثم قدمت مذكرة الى مجلس الثورة بنفسي، وحين ذهبت للاجتماع بمجلس الثورة قابلني الصاغ المرحوم صلاح سالم، فأخبرني أن مجلس الثورة مجتمعا واستلم مذكرتي وطلب مني الانتظار قليلا، لعرضها على رفاقه، وأمر باحضار المرطبات ريثما يعود الي، ولم تمض دقائق حتى خرج الصاغ سالم وقال لي:

لقد اتخذنا قرارا بقطع العلاقات مع المانيا إذا قبلت دفع التعويضات الى اسرائيل، ثم عرض علي صورة البرقية التي سترسلها الحكومة المصرية الى حكومة بون، وعليها توقيع علي ماهر باشا الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء أثر حركة ٢٣ يوليو. وكان موقفاً مشرفاً لرجال الثورة الذين يعلمون حقيقة العلم مدى حاجة المانيا الغربية في ذلك الحين الى الاسواق العربية.

وبعد اسبوع من هذا الموقف عقدت الجامعة العربية اجتماعاً عاجلا واتخذت

قراراً بمقاطعة الحكومة الالمانية اذا وافقت على دفع التعويضات لاسرائيل . . .

ولكن محمود فوزي مندوب مصر الدائم في هيئة الأمم المتحدة تدخل تدخلا ملحا لتجميد هذا القرار، ودفع بحكومته للتغاضي عن القرار الذي اتخذته . . .

واذكر هنا أن السفير الالماني في القاهرة جاءني وطلب مني أن أخفف ضغطي على الحكومة المصرية وعلى الجامعة العربية لان الموضوع ليس في يد ألمانيا وحكومتها بل أنها مرغمة للدفع تحت ضغط الولايات المتحدة الامريكية.

وهكذا تحمست الثورة ثم سرعان ما خفت الحماس وتركوا المسألة معلقة الى أن تفاقمت . .

منذ ذلك الوقت وأنا أشعر بالمضايقات تلاحقني إلى أن وقع العدوان الثلاثي وجاء هامرشولد الى القاهرة واجرى مباحثاته مع عبد الناصر، ومن يومها ونحن نشعر أن شيئاً ما يهيأ ضد القضية الفلسطينية، منعونا من إقامة الحفلات التي كنا نغتنمها لاثارة قضية فلسطين، ومنعونا من الاتصالات، وراقبوا كل من يزورنا، وفجأة شعرت أن قضية فلسطين قد خمدت، وأنها قد تحولت الى قضية لاجئين . . .

وبدأت روائح الحل السلمي للقضية تطل علينا من جديد، كان هذا الحل معروفا لدينا، ولكنا كنا نقاومه بكل قوانا، وننبه الحكومات العربية الى خطره،

وجاءت المفاجأة التي أذهلتني . .

لقد وصلتني رسالة من هيئة الأمم المتحدة تخبرني أن همرشولد يعد مشروعاً لحل قضية فلسطين، وانه اتفق مع عبد الناصر على خطوطه الكبرى، وان الرئيس المصري قد وافق عليه. فلم أصدق.

بعثت برسالة سرية الى الدكتور محمد الفرا (وكان يومها موظفا في هيئة الامم المتحدة وليس رئيسا لوفد الأردن) فجاءني الجواب بصحة النبأ واضاف عليه بأن هامرشولد قد اتفق مع عبد الناصر على حل هذه القضية خلال عشر سنوات مقابل ثلاثة الاف مليون دولار تأخذ منها مصر الف مليون دولار، وتأخذ سورية مثلها، ويوزع الباقي على لبنان والاردن. وكان هذا المبلغ بمثابة رشوة للدول العربية المضيفة للفلسطينيين . . .

وفجأة وبدون سابق انذار هبت الصحف المصرية الخاضعة لاشراف الحكومة تشن حملة قاسية ضد الهيئة العربية العليا ورجالها، وانصبت الاتهامات على رؤوس العاملين في حقل القضية الفلسطينية، بعثنا بردودنا فلم تنشر، حاولنا الاتصال برجال الحكومة المصرية لمناقشتهم فرفضوا مقابلتنا، واذا بمجلة روز اليوسف تشن علي حملة ظالمة لم تعرفها الصحافة المصرية من قبل، بعثت بردي الى هذه المجلة فرفضت نشره، بعثت بردي الى الصحف المصرية الاخرى فتجاهلته، فتشنا على محامي لاقامة الدعوى على هذه الصحيفة المتجنية فلم يتجرأ أحد على الدخول في دعوة تقام ضد جريدة الثورة المقربة من السلطات.

وفي إحدى الليالي فوجئت بشاب متزن يطلب مقابلتي وهو من ابرز المحامين المصريين (وامسك عن ذكر اسمه) فقال لي:

أنا على استعداد لأن اقيم الدعوى على مجلة روز اليوسف، ولكني أؤكد لك انك لن تجد قاضياً واحداً في مصر لديه الجرأة بأن يحكم ضدها، والأفضل أن تكتبوا للرئيس بذلك.

كتبت للرئيس جمال عبد الناصر مثنى وثلاث ورباع فلم أحظ باي رد، وكان الجور في القاهرة حارا، ولم يعد لوجودنا اي معنى، طالما اننا نشتم ونهاجم ولا نستطيع الرد، عندها قررت أن أذهب الى دمشق وكان ذلك في ١٥ أيلول ١٩٥٩، واثناء مروري في بيروت رأيت من الانسب أن اقضي فصل الصيف في سوق الغرب وما أن علمت الصحافة اللبنانية بوصولي حتى انطلقت الصحف الناصرية في حملة سباب وشتائم، في حين انبرت الصحف الحيادية بالدفاع عن القضية الفلسطينية وكشف النقاب عن أسبابُ هذه الحملة، وعلاقتها بمشروع همرشولد والثلاثة آلاف مليون دولار المختبئة في مشروعه المعروف. ولم يكن في نيتي مغادرة مصر، ولكن قناعتي بانني لن استطيع عمل شيء هناك دفعتني لمغادرتها والاقامة في لبنان.

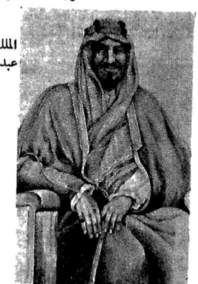
والجدير بالذكر أن حكومة لبنان كانت ضد مشروع همرشولد، لأن استيطان اللاجئين في لبنان يتنافى مع مصلحة الدولة، فأكثرية الفلسطينيين الذين يراد توطينهم هم من المسلمين، واستيطانهم معناه منحهم الجنسية اللبنانية، عندها سيهتز التوازن الطائفي، من أجل هذا رفضت المشروع وعملت على كشف اسراره.

الفصل التاسع عشر

من وثائق القضية الفلسطينية السرية



صورة تاريخية لمؤتمر الطاولة المستديرة في لندن عام ١٩٣٩ .



الملك
عبد العزيز آل سعود



ونستون تشرتشل .

من وثائق القضية الفلسطينية السرية

أطلعني الحاج أمين الحسيني على مذكرات السفير طاهر رضوان مندوب المملكة العربية السعودية لدى الجامعة العربية اثناء وصولنا الى هذه المرحلة من أحاديث سماحته. . وأنا أثبتها هنا كما كتبها السفير طاهر رضوان بالنظر لاهميتها في سياق البحث. .

في أواخر أيام الحرب العالمية الثانية عندما عقد الاجتماع بين الرئيس الامريكي الراحل روزفلت، والمرحوم الملك عبد العزيز آل سعود، كان طاهر رضوان يشغل منصب نائب وكيل وزارة الخارجية السعودية. .

وتكلم الرجل ليقول. . . إن أول التباس هو تحديد مكان الاجتماع الذي عقد بين الرئيس الامريكي روزفلت وبين المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود. .

إن هذا الاجتماع لم يعقد في أوبرج الفيوم كما ذكر. . ولكن القى مرساه في البحيرات المرة في قناة السويس. .

أما الاجتماع الذي عقد في أوبرج الفيوم فكان بين المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود وتشرشل.

وشهد هذا الاجتماع انطوني ايدن الذي كان وزيراً للخارجية البريطانية في حكومة تشرشل في تلك الايام. .

أما الالتباس فكان حول الرواية التي ذكرها سماحة المفتي؛ وقال فيها إن الرئيس روزفلت عرض على المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود مبلغا ضخماً من المال مقابل موافقة جلالته على بيع شمال الحجاز لليهود. .

ولمعت عينا السفير السعودي ببريق عجيب، وهو يواصل كلامه قائلاً:

ـ اذكر أن هذا العرض لم يأت من جانب الرئيس روزفلت، ولكنه جاء على لسان الانجليزي المعروف فيلبي..

لقد دخل على المرحوم الملك عبد العزيز مع المهنئين بالذكرى الرابعة عشرة لجلوس جلالته على العرش في يوم ٨ يناير سنة ١٩٤٠، وعرض على جلالته ما أسماه مشروعاً لحل قضية العرب واليهود..

كان مشروعاً خبيثاً.. وقد تحدث فيلبي نفسه عنه في كتابه اليوبيل العربي إذ قال عنه بالحرف الواحد:

ـ بعد دراسات واتصالات تكشف لي حل القضية الفلسطينية في ثلاث جمل بسيطة صريحة شاملة وهي... أن تعطى فلسطين لليهود. وان يجلى العرب عنها ويوطنوا في مكان آخر، وأن يكون توطينهم على حساب اليهود... وعلى اليهود أن يضعوا عشرين مليون جنيه استرليني تحت حساب الملك ابن سعود لهذه الغاية.. ويجب مقابل ذلك أن يعترف بالاستقلال التام لجميع البلاد العربية الاسيوية ما عدا عدن، وينبغي أن تقدم بريطانيا وامريكا هذه المقترحات الى الملك ابن سعود باعتباره عاهل الجزيرة العربية، ويجب أن تضمن له هاتان الدولتان معا تنفيذها في حال قبوله لها نيابة عن الدول العربية..

وقال فيلبي في كتابه: انه تناول طعام الغداء في يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ مع الدكتور حاييم وايزمان، وأنه عرض مقترحاته عليه، فرحب بها، واتفق الاثنان على أن يقوم وايزمان بالسعي لدى الحكومتين الامريكية والانجليزية لحملهما على تبني تنفيذ هذه الاقتراحات... وأن يقوم فيلبي بالسعي لدى المرحوم الملك عبد العزيز لاقناعه بالموافقة عليها..

هذا ما قاله فيلبي في كتابه «اليوبيل العربي».. أما وايزمان فانه يقول في الصفحة رقم ٥٢٥ في (الطبعة الرابعة لكتابه) (التجربة والخطأ) بالحرف الواحد:

ـ عندما أردت الذهاب الى الولايات المتحدة باستدعاء من الرئيس روزفلت للعمل في الشئون الكيميائية، قابلت تشرشل الذي ودعني متمنياً لي حظاً سعيداً ثم قال لي دون أن أسأله: «أود أن تعلم أن لدي مشروعاً لا يمكن تحقيقه طبعاً إلا

عندما تنتهي الحرب.. وأنا أرغب في أن أرى ابن سعود سيدا للشرق الأوسط ورئيساً لكل حكامه، ولكن على شرط أن يسوي الأمور معكم، وسيكون من شأنكم أن تحرزوا منه خير ما يمكن من شروط، ونحن بطبيعة الحال سنساعدكم».

وأضاف: أن تشرشل طلب إليه أن يحتفظ بتفاصيل هذا المشروع سرا وأنه قد صرح له في نفس الوقت بأن يبحث هذه التفاصيل مع روزفلت بعد وصوله الى أمريكا!

كانوا يعملون على إقناع المرحوم الملك عبد العزيز بالتخلي عن قضية فلسطين والدفاع عنها..

وتروي وثيقة رسمية بين أوراق وزارة الخارجية السعودية جانبا من تفاصيل هذه القصة..

إنها تقول بالحرف الواحد:

- نقل أوربي إلى جلالة الملك رسالة على لسان وايزمان، يعرض فيها عليه عشرين مليون جنيه لقاء وقوفه على الحياد في قضية فلسطين، وأن رئيس الولايات المتحدة الامريكية يكفل وايزمان في تحقيق هذا الوعد..

وتقول الكثير من الوثائق التاريخية إن الدكتور حاييم وايزمان قد سعى لدى الرئيس روزفلت حتى يتوسط له في زيارة الرياض ومقابلة المرحوم الملك عبد العزيز..

كان يريد أن يقابل العاهل السعودي شخصياً لاقناعه بالموافقة على تنفيذ المشروع الاستعماري الصهيوني..

والثابت أيضا أن الرئيس روزفلت قد قام بالاتفاق مع تشرشل بمحاولة التمهيد لاجتماع الدكتور حاييم وايزمان مع العاهل السعودي الكبير..

وبعث الرئيس روزفلت في هذه المناسبة رسالة الى المرحوم الملك عبد العزيز في شهر يوليو سنة ١٩٤٣.

كانت رسالة خاصة، وقد حملها الى الرياض هاري هوسكنز المبعوث

الشخصي للرئيس روزفلت أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت تقول بالحرف الواحد:

واشنطن ـ البيت الأبيض.

٧ يوليو ١٩٤٣.

جلالة الملك عبد العزيز ابن سعود ملك المملكة العربية السعودية..

صديقي العزيز العظيم:

لقد كلفت الليفتننت كولونيل هارولد هوسكنز، بجيش الولايات المتحدة واضعاً فيه ثقتي الكاملة، أن يطلب مقابلة جلالتكم ليبحث باسمي، بعض المسائل الخاصة ذات المصلحة المشتركة..

واني انتهز هذه الفرصة لاعبر لجلالتكم عن أحسن تمنياتي بالصحة الطيبة لشخصكم والسعادة والرخاء لشعبكم الكريم.

صديقك المخلص
فرانكلن د. روزفلت

وتقول الوثائق الرسمية.. إن المبعوث الامريكي قال للملك عبد العزيز إن الرئيس روزفلت قد أوفده خصيصاً إلى الرياض ليلتمس الى جلالته الاجابة على سؤال واحد هو:

ـ هل ترون جلالتكم أنه مما يرغب فيه، ومما يفيد في الوقت الحاضر أن تستقبلوا هنا.. في الرياض.. أو في أي مكان آخر.. الدكتور حاييم وايزمان زعيم الصهيونيين، لكي تتحدثوا معه وتبحثوا معا عن حل لمشكلة فلسطين يرضى به كل من العرب واليهود؟

واستطرد المبعوث الامريكي يقول للعاهل السعودي بعد أن نقل اليه هذا السؤال:

ـ إذا استصعب جلالتكم هذا الأمر، وكان من رأي جلالتكم أنه لا يمكن اجتماعكم والدكتور وايزمان فان الرئيس روزفلت يسأل: هل ترون جلالتكم أنه

مما يرغب فيه، ومما يفيد في الوقت الحاضر، أن يعقد اجتماع بين شخص تعينونه لينوب عن جلالتكم، وبين الدكتور وايزمان أو شخص آخر معين يمثل الوكالة اليهودية. . وعلى أن يكون هذا الاجتماع إذا وافقتم عليه في مكان غير الرياض. . ويهم الرئيس روزفلت بهذه المناسبة أن يحيط جلالتكم علما بانه قد أبلغ المستر تشرشل والمستر ايدين برغبته في ايفادي الى الرياض لمقابلة جلالتكم في هذا الشأن فعبرا عن موافقتهما على ذلك. .

* * *

كان الهدف الذي يجري الرئيس روزفلت وراءه واضحاً. . .

ولم ينتظر المرحوم الملك عبد العزيز وصول رد الرئيس الامريكي متضمنا اجابته بل قال له بصراحة في رسالته الجوابية.

أحب أن يعلم فخامة الرئيس بأننا نقابل كل من يأتي الينا من جميع الاديان بكل ترحاب مع القيام بالواجب لهم حسبما يقتضيه مقامهم من الاكرام. . أما اليهود بصفة خاصة فلا يخفى على الرئيس ما بيننا وبينهم من عداوة سابقة ولاحقة. وهي معلومة ومذكورة في كتبنا التي بين أيدينا. . . وهذه العداوة متأصلة من أول الزمان، ومن هذا يظهر جليا أننا لا نأمن غدر اليهود، ولا يمكننا البحث معهم أو الوثوق بوعودهم، لأننا نعرف نواياهم نحو العرب والمسلمين.

أما الشخص الذي هو الدكتور وايزمان، فهذا الشخص، بيني وبينه عداوة خاصة، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إليّ من دون جميع العرب والاسلام، تكليفا دنيئاً، لأكون خائنا لديني وبلادي، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب اليه. . وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من هذه الحرب، إذ أرسل إليّ شخصاً أوربيا معروفاً يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها، ويسلم إليّ عشرين مليون جنيه مقابل ذلك. . وأن يكون هذا المبلغ مكفولاً من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه، فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه؟. . وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ويجعل فخامة الرئيس الامريكي كفيلا لمثل هذا العمل الوضيع!

* * *

وقال السفير السعودي.. إن وزارة الخارجية الامريكية أذاعت في شهر مايو سنة ١٩٦٨ مجموعة من الوثائق الهامة التي يرجع تاريخها الى أيام الحرب العالمية الثانية..

وواحدة من هذه الوثائق عبارة عن تقرير بعث به الكولونيل وليم ادي السفير الامريكي في جدة الى جيمس بيرنز وزير الخارجية الامريكية في واشنطن.. وهذا التقرير مؤرخ في ٥ يناير سنة ١٩٤٥.. وفيه يقول إن العاهل السعودي قال له:

- شرف لي أن أموت شهيداً في ساحة القتال دفاعاً عن فلسطين في معركتها مع اليهود..

كما قال له في حديث آخر:

- لن يقبل العرب أبداً بقيام دولة يهودية في بلادهم..

وفي تقرير آخر يرجع تاريخه الى شهر فبراير سنة ١٩٤٥. قال السفير الامريكي في جدة لوزير الخارجية الامريكية. انه التقط حديثاً للعاهل السعودي مع عدد من ممثلي الدول الأجنبية في جدة..

وفي هذا الحديث قال الملك للدبلوماسيين الاجانب:

- على امريكا وبريطانيا أن تختارا بين أرض عربية يسودها السلام والهدوء.. وأرض يهودية غارقة بالدم!

* * *

ولا يعرف كثيرون أن الرئيس روزفلت قرر على أثر انتهاء أعمال مؤتمر يالتا أن يطير الى منطقة الشرق الأوسط لمقابلة العاهل السعودي ولمقابلة ملك مصر السابق.. والامبراطور هيلاسلاسي امبراطور الحبشة..

وتوجد بين الأوراق القديمة لوزارة الخارجية السعودية في جدة مذكرة تقول إن الكولونيل وليم ادي الوزير المفوض الامريكي في جدة اتصل في أحد أيام شهر يناير سنة ١٩٤٥ بالمرحوم الشيخ يوسف ياسين وكان يشغل منصب وزير الخارجية بالنيابة في تلك الأيام، وطلب إليه أن يرفع الى الملك عبد العزيز رسالة سرية تقول: ان الرئيس روزفلت يرغب في الاجتماع به في مياه الاسماعيلية عند عودته من مؤتمر

يالتا.. وان الملك اجاب فوراً بالموافقة وهو يقول: هذه مصلحة ننتهزها لمساعدة فلسطين وسوريا ولبنان!

وتروي بعض الوثائق التاريخية جانبا من تفاصيل الاجراءات السرية التي اتخذت للتمهيد لهذا الاجتماع..

ومما يرويه أمريكي كان يرافق الرئيس روزفلت في رحلته للاشتراك في مؤتمر يالتا.. أن قرار الرئيس الامريكي بالطيران الى منطقة الشرق الأوسط كان مفاجأة لتشرشل.

وفي هذا قال هذا الامريكي واسمه هويكنز في مذكراته التي نشرت في نيويورك:

ـ في الليلة الأخيرة بعد انتهاء أعمال مؤتمر يالتا، فاجأ الرئيس روزفلت المستر تشرشل بعزمه على الطيران الى مصر لمقابلة الملك فاروق.. والملك عبد العزيز آل سعود.. والامبراطور هيلاسلاسي على ظهر طراد أمريكي صدرت إليه التعليمات بأن يلقي مراسيه في مياه البحيرات المرة أمام الاسماعيلية..

وكان قرار الرئيس روزفلت مفاجأة لتشرشل الذي حاول أن يخفي عجبه في كتمان هذا القرار عنه...

وحاول تشرشل أن يعرف غرض الرئيس الامريكي من اختياره هؤلاء الحكام الثلاثة لمقابلتهم بالذات... ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل..

وتبادر إلى خاطره أن شيئاً يدبره الرئيس الامريكي في الخفاء ضد النفوذ البريطاني في المنطقة..

وفي اليوم التالي... قال تشرشل لروزفلت إنه سيذهب أيضاً إلى القاهرة لمقابلة نفس الحكام الثلاثة، ولكن بعد أن يقوم بزيارة قصيرة لليونان..

وقال له.. انه اتخذ فعلاً الاجراءات للتمهيد لاجتماعاته مع الحكام الثلاثة بعد أن تنتهي اجتماعات الرئيس روزفلت بهم..

* * *

وما حدث عندما تم اللقاء بين الرئيس روزفلت والمرحوم الملك عبد العزيز. .

يقول المحضر الرسمي للاجتماع:

قال الرئيس الامريكي للملك بعد أن رحب به فوق ظهر الطراد «كونيري». . أن على رؤساء العالم أن يتحينوا الفرص ليتحدث بعضهم الى بعض، وليتفاهموا ويتعاونوا على حل ما استعصى عليهم من أمورهم. .

وتكلم الملك طويلاً عما كانت تعانيه سوريا ولبنان من وطأة الانتداب الفرنسي، وعما يعتقده عن جدارتهما بالاستقلال والتحرر.

ورد عليه الرئيس الامريكي قائلا. . ان لديه رسالة تلقاها من الجنرال ديجول يعلن فيها استعداده لمنح سوريا ولبنان الاستقلال. .

وقال. . انه على استعداد للمشاركة بكل جهد حتى يتحقق للبلدين الاستقلال الذي تنشدانه. .

وتكلم الملك عن حق العرب في فلسطين بإيجاز وحماسة. .

ورد عليه الرئيس الامريكي بانه قد اصبح مقتنعا بوجهة نظره. .

ثم دارت مناقشة بين الرئيس الامريكي والعاهل السعودي حول قضية اليهود بصفتها قضية انسانية تتعلق بإيواء المشردين لا بصفتها قضية تتعلق بفلسطين.

وسأل الرئيس الامريكي عن رأي الملك في المكان الذي يمكن أن يأوي اليه هؤلاء المشردون بأن قال للملك: هؤلاء اليهود. . ماذا نصنع بهم؟. . وبادر الملك يسأل: من أين أتوا؟. . يعود كل إلى بلده!

ثم استطرد قائلاً:

ـ في رأيي أن يعود اليهود الذين ابعدوا عن بلادهم الى البلاد التي اخرجوا منها. . أما اليهود الذين دمرت أوطانهم تدميراً تاما والذين لا تواتيهم الفرص لأن يعودوا للعيش في بلادهم فيجب أن يعطوا أماكن يعيشون فيها وخاصة في أراضي دول المحور التي أضطهدتهم!

كان هذا هو رأي الملك عبد العزيز . .

والثابت أن الرئيس روزفلت أطرق قليلاً قبل أن يقول للملك:

ـ هذه فكرة تستحق البحث! .

ويستطرد المفتي قائلاً:

وأترك السفير طاهر رضـوان مندوب المملكـة العربيـة السعوديـة الدائم لـدى الجامعة العربية وأعود بذاكرتي الى مقال كتبـه الكولـونيل وليم أدي الـوزير المفـوض الامريكي في جدة في تلك الايام عن اللقاء بين العاهل السعودي والرئيس روزفلت فوق ظهر الطراد الامريكي كونيري .

وفي هذا المقال قال الكولونيل الامريكي بالحرف الواحد:

في فبراير ١٩٤٤ تلقيت اخطاراً يفيد أن الرئيس روزفلت يرغب في أن يقـابل في طريق عودته من مؤتمر يالتا، الملك عبد العزيز، وترك لي أمر تدبير ترتيبـات هذه المقابلة، لتتم تحت طي الكتمان حرصا على سلامة الرئيس روزفلت . .

وفي تلك الايام كنا لا نزال في حرب مع المانيـا وكانت الـطائرات الالمـانية لا تزال تقصف القاهـرة وقنـاة السويس بـين الفينة والأخـرى بقنابلهـا، ولم يكن هناك هدف أكثر استهواء لقاذفات القنابل الالمانية من مثل طراد يرسـو في البحيرات المرة في قناة السويس ـ وعلى ظهره الرئيس روزفلت والملك ابن سعود . .

وقبل أسبوع من موعد السفر، أعلنا أن المدمرة الامريكية مورفي ستزور جـدة زيارة ودية اثناء مرورها بالبحر الأحمر.

وسـاعدنـا الـرئيس روزفلت نفسـه في «تعميـة» رجـال المخـابـرات الاجنبية بالدرجة التي جعلته يكتم عن المستر تشرشل أثناء مؤتمر يالتـا رغبته في مقـابلة ثلاثـة ملوك هم الملك ابن سعود . . والملك فاروق . . والامبراطور هيـلاسلاسي امبـراطور الحبشة . .

وفي رأيي أن البريطانيـين قد علمـوا بحقيقة مـا يجري من بعض أعـوانهم في قصر فاروق . . .

وقد أرغى تشرشل وأزبد عندما عرف بالترتيبات التي أعددناها، ثم أخذ يمطر مبعوثيه الدبلوماسيين في الشرق الأوسط بالبرقيات مهدداً متوعداً إذا لم يدبروا له مقابلات مماثلة مع الملوك الذين سيقابلهم روزفلت. .

ومما زاد في غضب تشرشل أن المستر روزفلت لم يدع أي ممثل بريطاني لحضور مقابلاته مع الملوك، لذلك صمم على أن يرى بنفسه الملوك الثلاثة إثر اجتماعهم الى روزفلت حفاظاً منه على مركز بريطانيا ونفوذها. . وقد نجح تشرشل في ذلك، وان لم ينجح في تحقيق أعراضه من هذه المقابلات. .

والواقع ان تشرشل لم يكن في مقدوره ان يقول شيئا خليقاً بأن ينزع من قلب فاروق كراهيته للبريطانيين الذين فرضوا عليه مصطفى النحاس في يوم ٤ فبراير. .

أما الملك عبد العزيز آل سعود فلم يرد على دعوة تشرشل له إلا بعد أن قابل روزفلت.

أما موقف الامبراطور هيلاسلاسي، فقد كان مزيجاً من الكبرياء والحذر، فبعد أن قابل تشرشل أثر مقابلته للرئيس روزفلت، قيل له إنه سيعاد الى عاصمة ملكه على متن طائرة بريطانية، فاضرب عن العودة، وقال لمضيفيه البريطانيين:

ـ «لقد بعتموني ومملكتي في عصبة الأمم، وليلعني اللّه إذا رضيت أن أعود الى عاصمتي بطائرة بريطانية. . انتم خليقون باسقاطها فوق قمة جبل ناء. .

وأمام هذا الجواب اضطر البريطانيون للجوء إلى الجنرال بنيامين جايلز قائد السلاح الجوي الامريكي في الشرق الأوسط طالبين نقل الامبراطور هيلاسلاسي الى أديس أبابا على طائرة امريكية.

ويقول الكولونيل أدي انه اشترك مع الشيخ يوسف ياسين في إعداد محضر الاجتماع. . ثم ذكر فقرة منه تقول بالحرف الواحد:

ـ بعد أن ناقش الرئيس روزفلت مع ضيفه تطور الحرب، وأعرب عن ثقته باقتراب موعد هزيمة الالمان قال الرئيس الامريكي للعاهل السعودي: إن في بالي أمرا بالغاً يشغلني، ولهذا فأنا أرغب في استشارة جلالتكم بشأنه وهو قضية انقاذ بقايا اليهود في أوربا وإعادة توطينهم بعد أن عانوا العذاب على أيدي النازيين الذين

شردوهم وخربوا بيوتهم وقاموا بتقتيلهم بالجملة. .

وقال الرئيس الامريكي. . انه يشعر بمسئوليته شخصياً حيال هؤلاء اليهود، وأنه مصمم على أن يبذل العون لحل مشكلتهم. .

وسأل الملك السعودي عن رأيه في ذلك. .

ويقول الكولونيل وليم أدي في نفس المقال:

كان جواب ابن سعود مقتضبا وسريعا:

قال للرئيس روزفلت:

ـ اعطوهم وأحفادهم أحسن بيوت وأراضي الالمان الذين اضطهدوهم. .

وهنا قال الرئيس روزفلت:

ـ إن الناجين من اليهود عندهم رغبة عاطفية في سكنى فلسطين. . وانهم يخشون الاقامة في المانيا حيث قد ينالهم العذاب مرة أخرى:

وكان رد الملك: أنا لا أشك في أن لليهود أسبابا قوية تمنعهم من الثقة بالالمان، إلا أنني أشك أيضا في أن الحلفاء سيتركون أعداءهم في مركز يسمح لهم برد الضربة بعد هزيمتهم. .

وعاد روزفلت يقول إنه يطمع في الكرم العربي للمساعدة في حل المشكلة الصهيونية. .

ولم يتمالك الملك نفسه، وقال للرئيس الامريكي:

ـ دع العدو الظالم يدفع الثمن فعلى هذا الاساس نخوض الحرب نحن العرب، ومن عاداتنا أن المجرم هو الذي يجب أن يؤدي الغرامة، وليس المتفرج البريء!

ثم استطرد الملك يقول:

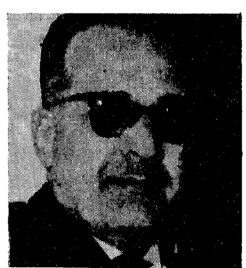
ـ أي شر الحقه العرب بيهود اوربا؟ انهم النازيون الذين سلبوهم أموالهم وأرواحهم ولذلك على الالمان أن يدفعوا الثمن. .

وحاول روزفلت اقناع الملك. . الذي أخذ يتبرم وهو يقول:

- ان من تقاليد العرب توزيع الضحايا الناجين في المعركة على العشائر المنتصرة وفقا لعدد كل عشيرة، وبمقدار ما يسمح به الماء والطعام في تموين المحاربين. . وفي رأيي أن يوزع يهود أوربا على دول الحلفاء الذين يزيد عددها على ٥٠ دولة. .

أما فلسطين. . فهي أصغر وافقر هذه الدول. . . ولا أظن أنها تتسع للاجئين اليهود الذين شردهم النازي في بلاد اوربا. .

وكان الملك عبد العزيز يتكلم في صراحة وقوة مما اضطر الرئيس الامريكي لأن ينتقل بالحديث الى أحاديث أخرى غير الحديث عن قضية هؤلاء اليهود!



السفير السعودي طاهر رضوان

أيام لها تاريخ لن ينسى!

هذا بعض ما سجله المفتي في مفكرته عن الأيام التي عاشها قبل مأساة الهزيمة العربية عام ١٩٤٨، وهي أيام لن تنسى على مرّ العصور والازمان، فما جرى خلال هذه الأيام يشير بوضوح الى التفكير العربي الرسمي، من مواجهة التفكير اليهودي:

يقول المفتي:

انعقد مجلس الجامعة العربية في ٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٧ قبيل صدور قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين، فانتدبت الهيئة العربية العليا ممثلين عنها في تلك الدورة الاساتذة محمد عزة دروزة ومعين الماضي وأميل الغوري. وفي تلك الدورة قرر مجلس الجامعة تأليف (لجنة فنية) من رجال عسكريين هم اسماعيل صفوت (العراق) ومحمود الهندي (سورية) وشوكت شقير (لبنان) وبهجة طبارة (شرق الاردن) وصبحي الخضرا (فلسطين) واتخذت هذه اللجنة مكانا لها في (قدسيا) إحدى ضواحي دمشق. وعهدت الحكومة السورية الى الفريق طه الهاشمي (العراق) أمر الاشراف على التطوع والتدريب والتجهيز، وتم انشاء معسكر تدريب في (قطنة) قرب دمشق اشتمل على عدد كبير من المتطوعين الفلسطينيين ومن بعض الاقطار العربية المجاورة وانشأت في قطنة مدرسة حربية لتدريب الفلسطينيين.

واتخذت الهيئة العربية العليا. بالاضافة الى مكاتبها في القاهرة مكاتب أخرى في كل من القدس ودمشق وبيروت ولندن، وشرعت هذه المكاتب تقوم بأعمالها على أفضل وجه ممكن في معالجة الشئون السياسية وشئون الجهاد وإعداد الشعب الفلسطيني للكفاح. وكان مكتب القدس مؤلفاً من السادة: أحمد حلمي عبد الباقي وجمال الحسيني وحسين الخالدي وأميل الغوري من أعضاء الهيئة، يساعدهم عدد

من الشبان في دوائر العمل المتعددة، وكان مدير مكتب دمشق الاستاذ رفيق التميمي يساعده عدد من الشبان، وكان مدير مكتب بيروت السيد كمال حداد يساعده عدد من الشبان أيضاً، وقد أختير لمكتب لندن السيد عز الدين الشوا. ثم عينت الهيئة معتمدا لها في بغداد الاستاذ زكي التميمي، وهذا بالاضافة الى وفد الهيئة الدائم في نيويورك.

بيت المال العربي:

وتم انشاء (بيت المال العربي) في القدس لايجاد موارد مالية سنوية للحركة الوطنية من تبرعات الشعب الفلسطيني. باشراف لجنة من رجال المال والاقتصاد، وعهد بأمانة بيت المال الى الدكتور عزة طنوس، وبادارته الى الاستاذ يوسف عبد اللّه الصايغ. وقد استطاع بيت المال أن يجمع خلال عام واحد من تبرعات الفلسطينيين نحو ١٥٧ ألفا من الجنيهات ويمد بها الهيئة العربية العليا. وكانت اللجان القومية والمحلية في فلسطين تقوم بجمع الاعانات للانفاق منها على الشئون الوطنية وعلى أعمال الدفاع وتزويد المجاهدين بما يسد بعض الحاجة. ويقدر ما جمعه الفلسطينيون من أنفسهم لشئون الجهاد والدفاع بما لا يقل عن مليونين من الجنيهات صرف أكثرها على شراء السلاح من مختلف الجهات.

المساعدات المالية التي تلقتها الهيئة العربية:

وفيما يلي بيان ما تلقته الهيئة العربية العليا من المساعدات المالية خلال تلك المدة:

جنيه	
١٠٤,٠٠٠	من الحكومة السورية
٣٠,٠٠٠	من الحكومة المصرية
١٥,٠٠٠	من الحكومة اللبنانية
٤,٥٠٠	من الحكومة اليمنية
١٤٣,٥٠٠	المجموع
٤٦,٠٠٠	من ثلاثة مصادر عربية لم تسمح بذكر أسمائها
١٥٧,٠٠٠	من بيت المال العربي
١٩٨,٠٠٠	من تبرعات المهاجرين الفلسطينيين والعرب.
٢٠٥,٠٠٠	من تبرعات الشعوب العربية والاسلامية.
٧٤٩,٥٠٠	المجموع العام.

بهذا المبلغ القليل اضطلعت الهيئة العربية العليا بعبء الثورة الفلسطينية التي نشبت بسبب قرار التقسيم بكل متطلباتها، من سلاح وعتاد وتموين ونفقات ومعالجات واسعاف بالاضافة الى نفقات المكاتب والوفود العديدة الى الأمم المتحدة ومختلف الاقطار الاوروبية والاسيوية والافريقية. وهو مبلغ لا يمكن بوجه من الوجوه مقارنته بمئات الملايين من الجنيهات التي انفقها الصهيونيون على التسلح والاستعداد للحرب. ورغم ذلك استطاع الفلسطينيون في مواقف عديدة أن يتغلبوا على أعدائهم الصهيونيين ويوقعوا بهم الهزائم والخسائر العظيمة في الانفس والاموال والممتلكات، مما سبقت الاشارة الى بعضه وسنأتي على ذكر بعضه الآخر في مكانه من هذه المذكرات.

تقرير الخبراء العسكريين وقرار اللجنة السياسية:

وكان مجلس جامعة الدول العربية قد بحث الوضع الخطير في فلسطين واستمع الى مطالب الفلسطينيين بضرورة دعمهم وامدادهم بما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم وبلادهم. وكلف بعض الخبراء العسكريين بوضع تقرير عن الطرق التي يجب اتباعها، والوسائل التي ينبغي التوسل بها لحماية فلسطين من العدوان الصهيوني. وقد جاء تقرير أولئك الخبراء وافيا بالحاجة ووافقت اللجنة السياسية في اجتماع «عاليه» في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٧ على ما جاء فيه من مقترحات، وهي تتلخص في لزوم وضع الشعب الفلسطيني في وضع مماثل لوضع اليهود من حيث تسليحهم وتدريبهم وتحصين مدنهم وقراهم تحصينا عسكريا فنيا، وأن يكونوا الاساس في الدفاع عن بلادهم، لأنهم أعرف بمواقعها وطرقها ومسالكها، ولأنهم أشد تصميما واستماتة في الذود عن أهليهم وأموالهم وبلادهم، يضاف الى ذلك أنهم أقل نفقة من المتطوعين أو الجنود القادمين من خارج فلسطين، وجاء في التقرير أيضا أن الجيوش النظامية للدول العربية ينبغي أن ترابط على حدود فلسطين دون دخولها وذلك لتقوية الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بالضباط والذخائر وبعض الوحدات الفنية بصفة متطوعين.

تحفظ النقراشي:

ومما ينبغي ذكره لهذه المناسبة، ان محمود فهمي النقراشي رئيس الوزارة

المصرية وممثل مصر في اللجنة السياسية حينئذ قد سجل على ذلك القرار التحفظ التالي:

«أريد أن يعلم الجميع أن مصر إذا كانت توافق على الاشتراك في هذه المظاهرة العسكرية (أي الحشد على الحدود) فإنها غير مستعدة قط للمضي أكثر من ذلك».

واذكر لهذه المناسبة أيضا أن تقرير الخبراء العسكريين كان موافقاً لرأي الهيئة العربية العليا ولرأيي أيضا ولرأي قادة المجاهدين ومعظم الشعب الفلسطيني، واذ هذه هي أفضل الطرق للدفاع عن فلسطين.

وعهدت اللجنة السياسية للجامعة العربية الى لجنة عسكرية برئاسة اللواء اسماعيل صفوة، بوضع توصيات الخبراء العسكريين موضع التنفيذ، ثم قررت اللجنة السياسية في الجلسات التالية أن تمد الفلسطينيين امداداً أوليا بخمسة آلاف قطعة من السلاح وبمليون جنيه، ثم قررت، بعد عودتها من لبنان الى القاهرة وتوارد الانباء المثيرة عن موقف الأمم المتحدة من مشروع التقسيم أن تضاعف كمية السلاح والمال للفلسطينيين لتمكينهم من الصمود في وجه العدوان اليهودي.

الاضراب العام:

وكان لقرار اللجنة السياسية وقع حسن في نفوس الفلسطينيين وزادهم حماسة واندفاعاً لقتال الاعداء. وبدأت المصادمات بينهم وبين اليهود على نطاق ضيق ثم اتسع نطاقها في أماكن متعددة من البلاد، وخرجت قوات العدو المسلحة (الهاجاناة) تطوف الشوارع مدعومة بالحماية الانكليزية، وقام كل من العرب واليهود بمظاهرات صاخبة لاظهار القوة والاستعداد. ولم يعد في الاستطاعة كبح جماح الشعب الفلسطيني، فاجتمع مكتب الهيئة العربية في القدس بحضور عدد من أعضائها هم: أحمد حلمي عبد الباقي والشيخ حسن أبو السعود وحسين الخالدي ورفيق التميمي وأميل الغوري وقرروا الدعوة الى الاضراب العام ثلاثة أيام متوالية منذ أول كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧، إعراباً عن استنكار التقسيم واحتجاجاً عليه.

التسلح اليهودي:

أبدى الفلسطينيون استنكارهم للتقسيم، بتظاهراتهم الصاخبة فلم يكن بد

من اصطدامهم باليهود. وشرعت العصابات اليهودية من منظمتي الارغون وشترن في اقتراف الجرائم المنكرة، وأيقن الفلسطينيون أن بريطانيا وأميركا تدعمان التقسيم وتعتزمان تنفيذه لصالح اليهود دون هوادة. وغير خاف أن اليهود ما انفكوا يتسلحون منذ أوائل عهد الاحتلال البريطاني، وأن السياسة البريطانية والاميركية كانت عونا لهم على ذلك. فأصبحت لهم قوات لا يستهان بها ولا سيما جيش الدفاع اليهودي المعروفة بالهاغاناه. وقد قدر المستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية في خطابه في مجلس العموم البريطاني في تموز (يوليو) ١٩٤٦ قوات اليهود المسلحة بما لا يقل عن سبعين الفا وأن لديهم ذخائر وأعتدة ووسائل حربية حديثة بمقادير عظيمة (وقد أشرت الى ذلك في الفصل السابق)

وكانت قيادة القوات المسلحة البريطانية المعسكرة في قناة السويس تسرح الجنود اليهود الذين هم في عداد القوات البريطانية وترسلهم الى فلسطين لينضموا الى القوات اليهودية المسلحة ويشدوا أزرها في قتال الفلسطينيين، بدليل ما عثرنا عليه من وثائق تثبت أن الانكليز أرسلوا سبعمائة جندي مسرح من جيشهم في القناة الى فلسطين على أربع دفعات ما بين الخامس والثامن من شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧، وهذا غيض من فيض، وقد سبق لي أن أشرت إلى أن السلطات العسكرية البريطانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، سمحت لافراد الفيلق اليهودي، الذي أصر تشرشل على تأليفه خلافاً لنصيحة المارشال ويفل، بالعودة الى فلسطين، حاملين اسلحتهم وقد انضم هذا الفيلق الى القوات اليهودية المسلحة

وكان آكبر همنا أن نحصل على السلاح لنزود به المجاهدين الذين الفنا منهم جيش «الجهاد المقدس»، وأخذ الفلسطينيون يهرعون من سائر انحاء فلسطين الى دمشق وبيروت والقاهرة للتزود بالسلاح والذخائر فتزودهم مراكز الهيئة العربية بما يتوافر لديها منها، وكثير منهم كانوا يأتون معهم بأثمان اسلحتهم.

«جيش الانقاذ»:

وكانت جامعة الدول العربية قد قررت تأليف قوة مسلحة سميت «جيش الانقاذ» قوامها متطوعون من الاقطار العربية المجاورة ومن جملتهم عدد من الفلسطينيين. وجعلت الجامعة معظم اعتمادها على «جيش الانقاذ» وزودته

بالسلاح والمال بواسطة اللجنة العسكرية التي ألفتها وجعلت مركزها دمشق وكان «جيش الانقاذ» مؤلفاً من نحو خمسة آلاف مقسمة على ثلاثة أفواج، دخل الفوج الأول منها فلسطين في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ثم دخل الفوجان الثاني والثالث في الشهرين التاليين. وأخذ جيش الانقاذ معظم مراكزه في مناطق عربية ما بين نابلس وطول كرم وجنين حيث لا توجد مستعمرات ولا مدن يهودية. . واستطاع اليهود أن يوقعوا جيش الانقاذ في مأزقين خطيرين: الأول عندما هاجمت قوة منه مستعمرة الزراعة في غور بيسان وكان اليهود قد أغرقوا أرضها بالمياه فأصيبت تلك القوة بخسائر فادحة، والثاني عندما هاجمت القوة الرئيسية لجيش الانقاذ مستعمرة «مشمار عايمك» في مرج ابن عامر فاستطاع اليهود أن يوقعوا جيش الانقاذ في مأزق فسارع أهل القرى المجاورة من الفلسطينيين الى نجدتها وفك الطوق عنها وانقاذها.

المخطط اليهودي - الاستعماري:

وفي خلال الاشهر الخمسة منذ صدور قرار التقسيم في ٢٩ - ١١ - ١٩٤٧ الى قبيل جلاء الانكليز عن فلسطين، استطاع الفلسطينيون أن يلحقوا باليهود خسائر جسيمة في مواقع عديدة وأن يسيطروا على الموقف رغم ضعف وسائلهم وقلة ما كان في أيديهم من أسلحة حديثة وذخائر ووسائل فنية عسكرية بالنسبة الى ما كان اليهود يحصلون عليه من الاسلحة من أوربا وأميركا، وما كانوا يتواطأون مع الانكليز على سرقته أو اشترائه بأثمان بخسة من اسلحة الجيش البريطاني في فلسطين ومستودعاته ومعسكراته ومن ذلك معسكرات كاملة مثل معسكر «صرفند» الشهير وغيره، وحصلوا في صفقة أخرى على ألف سيارة نقل كبيرة. واشترت الوكالة اليهودية من مخلفات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط ما قيمته خمسة ملايين جنيه معدات وأسلحة مختلفة واجهزة للارصاد وأربعاً وعشرين طائرة للتدريب. أما نواة قوة الطيران اليهودية فكانت خمسين طياراً يهودياً كانوا في عداد فرقة سلاح الجو الملكي البريطاني في فلسطين.

وقد تم لليهود تنظيم قواتهم وتسليحها قبل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها فأرادوا انتهاز الفرصة وأن لا تنتهي الحرب إلا وقد تحولت فلسطين إلى بلاد يهودية، وكانوا مدفوعين الى ذلك بالدوافع الآتية:

١ - خشيتهم من قيام حركة عربية واسعة النطاق تضطر بريطانيا واميركا الى التريث في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين.

٢ - خشيتهم من أن يقوم من البريطانيين من يعارض في تحويل فلسطين الى دولة يهودية لأسباب ترجع الى مصلحة الامبراطورية البريطانية.

٣ - رغبتهم في أن تقوم دولتهم اليهودية قبل أن يزول عطف الدول الغربية عليهم، وهو ما استطاعوا الحصول عليه بدعايتهم الواسعة ضد المانيا النازية واضطهادها لليهود.

ثم شرع اليهود في القيام بحملة ارهابية منظمة واسعة النطاق في فلسطين لارغام بريطانيا على الاسراع بتسليمهم فلسطين. وشكلوا عصاباتهم الارهابية وأشهرها(أرغون زفاي لئومي) و (شترن) فقامت بأعمال إرهابية عديدة وفظيعة في البريطانيين والعرب فأما في البريطانيين فلإرغامهم على الاسراع بالتسليم كما أسلفنا، وأما في العرب فلإرهابهم وحملهم على النزوح عن فلسطين والتخلي عن ممتلكاتهم وأراضيهم.

وقد وجد اليهود والانكليز والاميركيون أن ظروف عام ١٩٤٨ مؤاتية لتنفيذ خطتهم المبيتة لتحويل فلسطين إلى دولة يهودية وإخراج أهلها العرب منها، وأنه لم تعد ثمة ضرورة لانتظار الوقت الذي يصبح فيه اليهود أكثرية في فلسطين، فتوسلوا الى ذلك بثلاث وسائل هي: الضغط السياسي والدعاية المضللة، والارهاب.

الضغط السياسي:

فأما الضغط السياسي فقد قامت به بريطانيا وأميركا على عدد من المسئولين العرب لانتزاع زمام قضية فلسطين من أيدي أهلها وأصحابها، وقد أدى ذلك الضغط إلى العدول عن الخطة الاساسية التي أقرتها اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في «عالية» في تشرين الأول «اكتوبر» ١٩٤٧ للدفاع عن فلسطين، والى الامتناع عن تسليم المساعدات الضرورية من اسلحة وأموال للفلسطينيين مما أدى الع إضعافهم وعرقلة جهودهم، ومنع مجاهديهم من الاستمرار في جهادهم العظيم الذي كاد في شهر آذار (مارس) ١٩٤٨ أن يقضي على قرار التقسيم، وسيرد تفصيل ذلك في الفصل التالي من هذه المذكرات أن شاء الله.

الدعاية المضللة:

ضاعف المستعمرون واليهود دعايتهم المضللة ضد الفلسطينيين ورجال الحركة الوطنية في داخل فلسطين وخارجها، ولا سيما في الاقطار العربية، فقد أنشأ قسم المخابرات البريطانية - بالتعاون مع اليهود - عدة مراكز دعاية ضد الفلسطينيين لتشويه سمعتهم، وتشكيك الشعوب العربية في اخلاصهم وجهادهم فتكف عن مد يد المساعدة اليهم، ولاقناع العرب بأن انقاذ فلسطين لن يتم إلا عن طريق إدخال الجيوش النظامية إليها. ومما هو جدير بالذكر أن الانكليز انشأوا، من جملة ما انشأوه من مراكز الاستخبارات والدعاية في الاقطار العربية مركزا للدعاية في القاهرة في شارع قصر النيل ووضعوا على رأسه رجلا بريطانيا تظاهر بالاسلام وسمى نفسه شمس الدين مارساك وله شقيق انتحل الدين الاسلامي ايضا وسمى نفسه نور الدين مارساك) وملأوه بالموظفين والعملاء والجواسيس الذين بثوهم في مختلف المدن والاوساط المصرية. وكان من مهام هذا المركز بث الدعاية المعروفة بدعاية الهمس بالاضافة الى نواحي الدعاية الأخرى.

أما في داخل فلسطين فقد سعوا جاهدين لتثبيط الهمم واضعاف النفوس وادخال روح الوهن والهزيمة بين المجاهدين، والكيد للرجال العاملين، ومحاولة اقناع الفلسطينيين بقلة جدوى المقاومة وضرورة الاقلاع عن سياسة التطرف والدعوة الى التعاون مع الانكليز، وقد ركزوا الدعاية المضللة وتشويه السمعة على صفوة الوطنيين والمجاهدين الذين عرفوا بصلابتهم وشدة اخلاصهم ولا سيما على الهيئة العربية العليا ورئيسها مختلقين أنواع الاكاذيب والمفتريات والاراجيف.

ولما شرع أهل المدن الكبرى - كالقدس ويافا وحيفا وعكا - بالعمل على تحصين مدنهم وتسليح انفسهم، تدخل الانكليز دون ذلك محاولين اقناع الاهلين بأن بريطانيا لن تسمح لليهود باحتلال المدن الكبرى، ولا سيما المدن والقرى العربية التي خصصت للعرب بموجب قرار التقسيم!

ولهذه المناسبة اذكر أني طالبت المختصين في جامعة الدول العربية في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ بضرورة تحصين المدن الرئيسية، وتسليح المجاهدين المدافعين عنها تسليحاً وافياً، فأجابني احد المسئولين بقوله: لا ضرورة لتسليح يافا

البتة، لأن قرار التقسيم جعل يافا في المنطقة العربية فلا خوف عليها مطلقا من اعتداء اليهود. أما حيفا فان الانكليز لن يسمحوا لليهود باحتلالها أبدا، لأنهم يريدون أن يجعلوا منها مرفأ حرا، وان لدينا من التأكيدات ما يجعلنا نطمئن الى ذلك!

وارتبطت أعمال الدعاية والارجاف ارتباطا وثيقاً بأعمال الارهاب الاثيم الذي قام به اليهود لترويع العرب بنسف المنازل والقاء المتفجرات في الاسواق ومراكز تجمع الأهلين، مما أودى بحياة الكثيرين من الشيوخ والنساء والاطفال وأخذ دعاة الاعداء يزينون للاهلين الهجرة الى الأقطار العربية محافظة على سلامة ارواحهم وأطفالهم، وفي الوقت نفسه أخذت تظهر دعوة من بعض البلاد العربية تنادي بضرورة نقل الاطفال والنساء والشيوخ العاجزين من فلسطين ريثما يبت في مصيرها. كما ظهرت دعاية أخرى بأن الجيوش العربية ستدخل فلسطين قريباً لتحريرها فلا داعي للقتال وتحمل الخسائر في الارواح والأموال!!

التواطؤ الانكليزي ـ اليهودي:

فلما نشب القتال بين العرب واليهود في أواخر عام ١٩٤٧ أثر صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، كان موقف حكومة الانتداب البريطاني موقف المتحيز الى اليهود المتآمر معهم، شأنها طول انتدابها مدة ثلاثين عاما، فكانت تتدخل ـ في كل معركة يفوز بها العرب ـ لحماية اليهود ومنع العرب من الاستيلاء على ممتلكاتهم ومستعمراتهم، بحجة أنها لا تزال صاحبة السلطة في فلسطين والمسئولة عن حماية أرواح السكان وممتلكاتهم غير أنها لا تتذرع بهذه الحجة عندما تكون أرواح العرب وممتلكاتهم عرضة للهلاك والدمار. والامثلة على هذا كثيرة لا مجال لتعدادها الآن. غير أن من الحوادث ماله صلة وثقى بكارثة فلسطين، وأدى الى هجرة عدد كبير من العرب.

إجلاء العرب من طبرية:

وأضرب لذلك مثلا حادث هجرة أهل طبرية فقد تم وفقاً لخطة مرسومة لتسليم هذه المدينة إلى اليهود، إذ أن طبرية تقطنها أقلية من العرب وأكثرية من اليهود، فكانت القوات البريطانية خلال المعارك تغض الطرف عن جرائم اليهود في

الاحياء العربية العزلى من السلاح وتحول دون وصول المدد إليها وتسهل وصول المدد والنجدات الى اليهود، ثم تدخلت وعملت على إجلاء العرب عن المدينة، تاركين وراءهم كل ما يملكون، بحجة أنهم أقلية يخشى عليها من الكثرة اليهودية.. وقد كان في وسع القوات البريطانية أن لا تمنع وصول النجدات الى العرب، أو أن تحافظ عليهم كما حافظت على اليهود في البلدة القديمة في القدس وغيرها وظلت باسطة حمايتها عليهم تمدهم بالماء والطعام والسلاح الى أن انسحبت من فلسطين!

وقد حدث معظم المذابح التي اقترفها اليهود في القرى العربية الضعيفة تحت سمع القوات البريطانية وبصرها كمذابح «دير ياسين» و«ناصر الدين» و«حواسة» و«عيلوط» و«سكرير» و«الدوايمة» وغيرها. ومما يجب ذكره وتسجيله أن معظم الفظائع الوحشية في هذه القرى اقترفتها عصابتا الارغون وشترن، اللتان تضمان كثيراً من اليهود المتدينين ورجال الدين الربانيين والحاخاميين المنتسبين الى جماعة (اغودات اسرائيل) الدينية المعروفين بالافراط في التعصب وشدة الاحقاد، فكانوا يقتلون الاطفال والنساء والشيوخ دون رحمة، ويبقرون بطون الحوامل ويخرجون منها الاجنة زاعمين أن هذا أمر اله إسرائيل الذي أمر شعب اسرائيل حين فتح (اريحا) أن يقتل بحد السيف كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير وأن يحرقوا المدينة بالنار مع كل ما لديها! أما آنية الذهب والفضة فقد وضعوها «في خزانة الرب» كما جاء في الاصحاحين السادس والسابع من سفر يسوع..

وأعدت قيادة «الجهاد المقدس» بمعاونة عدد من ضباط سوريين ومصريين وعراقيين، برنامجاً دقيقاً واختارت الاهداف التي ستنفذ فيها عمليات الجهاد فبلغت (٣٦٠٠) هدف، ووضعت لكل هدف خريطته وتفصيلات تنفيذه وما يحتاج إليه من رجال واسلحة ونفقات.

وقد نفذ قسم من برنامج هذه الاهداف في منطقة القدس، كنسف دار الوكالة اليهودية، وشارع بن يهودا، وشارع مونتفيوري، واقفال مضيق باب الواد، بين القدس ويافا، وحصار اليهود البالغ عددهم في القدس (١١٥) ألفا وقطع كل اتصال بهم وكل مدد عنهم، حتى اشتدت بهم الحاجة الى الطعام والماء والسلاح، وطلبوا التسليم في مظاهرات قاموا بها حاملين الاعلام البيض.

وكـذلك نفـذ قسم آخر من هـذه الاهداف في منـطقة يـافا ـ اللد في مـراكـز عـديدة اتخـذ منها اليهـود قلاعـا وحصونـا لمهاجمـة القرى والقـوافل العـربية وقـطع مواصلاتها، كمعمل السبيرتو قرب مستعمرة نيـتر اليهوديـة في مدخـل طريق يـافا ـ القـدس، ومعمل النجـارة وعمارة حـزبون عـلى ذلـك الـطريق، ومعمـل النجـارة اليهودي الكبير قرب ضاحية أبو كبير في مدخل شارع هـرتسل الـرئيسي في تل أبيب والمصنع الكبير للجيـر والطوب في قـرية مجـدل الصادق بـالقرب من مستعمـرة بتاح تكفـا، والمـركـز العسكـري اليهـودي في مستعمـرة هـاتكفـا وغيـرهـا. فقـد نسف المجاهدون الفلسطينيون جميع هذه الحصون والاوكار.

وكـذلك نفـذ قسم من هذه الاهـداف في المنطقـة الشماليـة، كنسف عمـارة المطاحن الكبرى قـرب محطة السكـك الحديـدية بحيفـا التي حولهـا اليهود الى قلعـة محصنة يعتدون منها على العرب، وكنسف دار شركة سوليـل بونيـه، وحصن يهودي آخر قرب مدرسة البرج، ونسف المركز اليهودي الجديد في حيفـا، ومركـز عسكري يهودي آخر قرب مستعمرة باجور وغير ذلك.

وتم تنفيذ قسم آخر من هذه الاهداف في مـدينتي صفد وطبـرية بنسف عـدة أوكار يهودية خطيرة. وانتصر العرب على اليهود في جميع المعارك التي خاضوها.

نقلنا السلاح بالطائرات لحماية القدس:

ولما اشتد خـطر الهجوم اليهـودي على القـدس ومناطق أخـرى من فلسطين، واقتضت الحال سرعة إيصال السلاح والعتاد الى المجاهدين الفلسـطينيين، عمـدت الهيئة العربية العليا لاستئجار الطائـرات ونقل السـلاح عليها من القـاهرة ودمشق، إلى فلسطين وبذلك تمكن أولئك المجاهدون الابطال الذين كانوا يدفعون العدو عن أسوار مدينة القدس، من المحـافظة عليهـا وصيانتهـا من السقوط في أيـدي القوات اليهودية، ودفع العدو في الجبهات الأخرى.

ومما هو جدير بالذكر والشكر أن الحكومة المتـوكلية اليمنيـة وضعت ثلاثـا من طائراتها تحت تصرف الهيئة العربية العليا لهذه الغاية.

ولا يفوتني هنا أن أنوه بالـطيار المصـري الشاب السيـد سوسـة وأشكره عـلى

شجاعته وشهامته إذ وضع طائرته الخاصة تحت تصرف الهيئة العربية العليا لنقل السلاح والعتاد الى القدس وتولى قيادتها بنفسه في أشد الاوقات حرجا عندما كانت القدس مهددة بالسقوط في أيدي الاعداء.

ولو لم تنخدع بعض الجهات الرسمية العربية بوعود المستعمرين وتعمل بوحيهم، ولم تقم عراقيل في سبيل جهاد الفلسطينيين ودفاعهم عن بلادهم، ولم تبذل مساع للتضييق عليهم ومنع السلاح والأموال عنهم، لتمكن المجاهدون من تنفيذ برنامجهم وتحقيق سائر أهدافهم ولما أصبح الوضع في فلسطين على ما هو عليه اليوم، بل لو نفذت الخطة التي وضعتها اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية وأقرها مجلس الجامعة في «عاليه» في خريف عام ١٩٤٧ لما قام لليهود هذا الكيان العدواني في فلسطين الذي أصبح بلاء عظيماً وشراً مستطيراً على الأمة العربية.

الف شاب فلسطيني يتدربون في معسكر قطنة:

ولما شرعت اللجنة العسكرية المذكورة في تنفيذ خطتها المبنية على تقريرها الذي وافق عليه مجلس الجامعة والمشتمل على وجوب جعل الفلسطينيين في وضع مماثل لوضع اليهود، من حيث التسليح والتدريب، وتحصين مدنهم وقراهم تحصينا عسكريا فنيا، وأن يكونوا الأساس المعول عليه في الدفاع عن بلادهم، ووجوب مرابطة الجيوش النظامية للدول العربية على حدود فلسطين، دون دخولها، لتقوية الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بالسلاح والعتاد والضباط وبعض الوحدات الفنية ـ عندئذ استدعت الهيئة العربية العليا أكثر من ألف شاب من شبان فلسطين الى سورية ليتدربوا في معسكر «قطنة» وشرعت اللجنة العسكرية في تنفيذ برنامج التسلح.

تصنيف المجاهدين الفلسطينيين:

وقامت الهيئة العربية العليا من جانبها، بتصنيف المجاهدين الفلسطينيين الذين انضووا تحت لواء جيش الجهاد المقدس الى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: المجندون تحت السلاح ليكونوا قوة متحركة ضاربة مستعدة للعمل فهؤلاء كانت الهيئة العربية تقدم اليهم السلاح والعتاد وتدفع اليهم مرتبات شهرية متواضعة.

الصنف الثاني: المجاهدون الذين جهزوا بالسلاح والعتاد، وأعدوا للنجدة عند المعارك ليكونوا قوة احتياطية وراء خطوط القتال. فهؤلاء كانت تعطى لهم بعض المخصصات المالية القليلة.

الصنف الثالث: المجاهدون المقيمون في القرى، فهؤلاء يشتركون في المعارك التي تقع في مناطقهم أو في جوارها، وتمدهم الهيئة العربية ببعض الاسلحة والعتاد وفقا للحاجة والاستطاعة.

ولهذه المناسبة اذاعت القيادة العليا للمجاهدين في فلسطين البلاغ رقم (١) التالي:

بلاغ رقم

بيان من القيادة العليا لفلسطين الى المجاهدين العرب:

باسم الله العلي القدير، واسم هذا الوطن المبارك الذي هددته المطامع الاستعمارية وعاثت فيه شذاذ الصهيونية، وأصبح على شفا الخطر الشديد من جراثيم الاوبئة اليهودية التي استحلت دماء العرب الزكية وأرواحهم البريئة، وطمعت في اغتصاب ارضهم وديارهم واجلائهم عنها بالقوة الغاشمة المسلحة، حتى بلغ الأمر بأولئك اليهود الصهيونيين الباغين المعتدين حد الطمع في قبلة المسلمين الأولى وهي المسجد الأقصى المبارك، وفي مهد السيد المسيح عليه السلام وتحويل هذا التراث العربي المقدس الذي دافع عنه العرب ثلاثة عشر قرناً ونيفا بالمهج والارواح، الى مملكة يهودية تجمع شذاذ الآفاق وعناصر الفساد والشقاق من كل أمة ودولة.

باسم الله والوطن تعلن القيادة العليا لحركة الجهاد العربي في فلسطين، الشعب العربي الفلسطيني الباسل، ومن ورائه سائر الشعوب العربية والاسلامية، شروعها في الجهاد المبارك، وتسلمها زمام العمل للدفاع عن حياض هذا الوطن العربي المهدد، بيد مخلصة حازمة، ونفس قوية لا يتطرق اليها الوهن، ولا تستهدف إلا إنقاذ هذا الوطن المقدس ودفع الكارثة عنه، مستلهمة القوة والتأييد من روح الله العلي القدير القائل في كتابه المنير: **﴿اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله**

على نصرهم لقدير * الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا اللّه، ولولا دفع اللّه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم اللّه كثيراً، ولينصرن اللّه من ينصره، إن اللّه لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وللّه عاقبة الأمور﴾.

يا عرب فلسطين!

لقد عدت عليكم وحوش الصهيونيين وحثالات الطامعين الغربيين والشرقيين من اليهود الغادرين الذين لا يرقبون فيكم إلا ولا ذمة، ولا يرعون لكم عهدا، ولا يحفظون لكم حقا، والذين اجتمعت كلمتهم على اغتصاب وطنكم، وانتهاب بلادكم وطمس معالم العروبة والاسلام من دياركم، يمدهم أهل البغي والظلم من الاميركيين والاوربيين بقصد استعبادكم واذلالكم فثرتم على الظلم وشرعتم تقاتلون البغاة المعتدين بما عرف عنكم من نجدة، وما عهد فيكم من إباء وشمم. انتم بقية السيوف، وأهل الحتوف، ذاكرين قول ربكم: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ ﴿فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين﴾ وثقوا بالفوز والنصر، ولا يهولنكم ما أعده الاعداء لقتالكم من الرجال والسلاح والأموال، فسيكون باذن اللّه رجالهم للهلاك والوبال، وسلاحهم وأموالهم انفالا لكم وأي انفال. واجعلوا موطىء أقدامكم، ودبر آذانكم أراجيف المرجفين من أذناب اليهود والمستعمرين، وقولوا كما قال أجدادكم المجاهدون الاولون ﴿حسبنا اللّه ونعم الوكيل﴾ عندما قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ذلك إيماناً وانقلبوا بنعمة من اللّه وفضل لم يمسسهم سوء. وانما ذلكم شيطان اليهود يخوف أولياءه ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾.

يا معشر المجاهدين والمرابطين من أهل فلسطين!

أجمعوا أمركم ووحدوا صفوفكم، وآحذروا كيد أعدائكم، وأطيعوا اللّه والرسول وأولي الأمر منكم، وأعدوا لهذا اليوم عدتكم، فان عيون ملايين العرب والمسلمين تتطلع نحوكم، وأفئدتهم تهوي اليكم، فواللّه إنكم لن تغلبوا من قلة، ولا يتربص بكم الاعداء إلا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وأنتم تتربصون

بهم أن يصيبهم الله بعذاب من عنده أو بأيديكم، والله غـالب على أمـره والعاقبـة للمتقين، وأنه لا عدوان إلا على الظالمين.

١ صفر الخير سنة ١٣٦٧ (١٤ ـ ١٢ ـ ١٩٤٧)

القيادة العليا لفلسطين

انتصار الفلسطينيين في المعارك على اليهود:

وقـد عمت فلسطين عنـدئذ مـوجة عـارمة من الحمـاسة والانـدفاع للقتـال، وأخذت المعارك تتوالى بين الفلسطينيين وأعـدائهم. وبدت كفـة العرب راجحـة في أواخـر عام ١٩٤٧ والشهـور الأول من عام ١٩٤٨. وتفـوق العرب في سلسلة من المعـارك في مناطق القـدس وبيت لحم والخليل كمعـارك القدس القـديمـة والقـدس الجديدة، والشيخ جراح، وقالونية، وعين كـارم، وباب الـواد، ومستعمرات النبي يعقـوب، ورامـات راحيـل، وميكـور حـاييم، ومعـارك الـدهيشـة، والخضر، وصـوريف، وكفار عصيـون، وعـرتـوف، وبيت أكسـا، وبيت سـوريـك. وأغلق المجاهدون مضيق باب الواد نهائياً في وجه القوافل المسلحة اليهودية وبذلك احكموا الحصـار على القـدس الجديـدة التي يسكنها اكـثر من مائـة ألف يهودي ومنعـوا كـل اتصال بينها وبين تل أبيب كـما احكموه عـلى الحي اليهودي في المـدينة القـديمة حتى رفع السكان اليهود في القدس الرايات البيض طالبين التسليم.

وفي منطقة يافا واللد والـرملة التي كانت من أشـد المناطق خـطراً، قام جيش الجهـاد المقدس بقيـادة الشهيد الشيـخ حسن سلامـة بأعمـال باهـرة في المعارك التي نشبت في يـافا وحـول اللد والـرملة ورأس العـين وبيت دجن والعبـاسيـة ويـا زور وسلمة وهاتكفا وكانت هذه المعركة الأخيرة من اشهرها. ووقف المجاهدون مواقف عـظيمة في مـدينة يـافا وضـواحيها أبـو كبـير، والمنشيـة، والعجمي، وتـل الـريش وغيرها.

وفي المنطقة الشمالية من فلسطين انتصر المجاهدون في معارك الطيرة والياجور وبلد الشيخ والكوبكات ومستعمرات مرج ابن عامر ومعارك لوبية وترشيحا ومعليـا وصفد والمغار، وكافحوا القوات اليهودية في حيفا وطبرية، وكبـدوا الاعداء خسـائر

فـادحـة، وحفظـوا الأراضـي والممتلكـات في تلك المنـاطق الى أن تسلمهـا «جيش الانقاذ» الذي الفته الجامعة العربية وسبقت الاشارة اليه.

كـان اليهود مـأخوذين بغـرورهم واعتزازهم بقـوتهم، فأعلنـوا التعبئة العـامة وأخذوا يعتدون عـلى العرب ويغـدرون بهم، ووجهوا اليهم الانـذارات، وفي ذلك الحين كان بعض الفلسطينيين يعتقدون أن لا خلاص لفلسطين إلا بتدخـل الجيوش النظامية العربية. لكن المعـارك المتواليـة التي خاضهـا الفلسطينيـون وانتصروا فيهـا انتصاراً مبينا رغم قلة اسلحتهم وضعف وسائلهم، ولا سيما معـارك القدس وبـاب الواد والدهيشة وصوريف وسلمة حطمت عنفوان اليهود وبـدلت رأي الضعفاء من العرب وأعادت اليهم الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة.

مذكرة بريطانية الى السلطات العربية:

فلما رأى الانكليز انتصار الفلسطينيين في معظم المعارك التي خاضوهـا وخشوا من تفـاقم حرب العصـابـات أن يحبط مخـططهم الـرامي الى القضـاء عـلى عـروبـة فلسـطين، ساورهم القلق وبـادروا بتقديم مـذكرة الى السلطات العـربية الـرسميـة اعترضوا فيها على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ووصفوه بأنه «عمل غير ودي» Un-friendly Act وزعمت المذكرة البرلمانية أن الفلسطينيين يقتلون اليهود بقسوة وبدون رحمة، وأن الرأي العـام العالمي يعـطف على اليهـود ولذلـك فان مـا يقع عليهم من أعمال القسوة في فلسطين من شأنه أن يثير الرأي العام على العرب الذين يساعدون الفلسطينيين في مـوقفهم. ثم تابـع الانكليز اعتـراضهم وضغطهم عـلى الحكومـات العربية حتى حملوها على تبديل الخطة العسكرية التي تقررت في عاليه وعـلى إدخالهـا جيوشها الى فلسطين.

وهكـذا كانت تلك المـذكرة ومـا تبعها من ضغط سيـاسي السبب الرئيسي في قلب الاوضاع وهدم الركن الاساسي في خطة الدفاع عن فلسطين.

اقصاء الفلسطينيين عن ميادين المعركة وتسريح المتطوعين من معسكر قطنة:

ولم تلبث بعد ذلك أن ظهرت سياسة اقصاء الفلسطينيين عن ميادين المعركـة ومنع الاسلحة والأموال عنهم، بل ومهـاجمة الجنـرال غلوب لقوة الجهـاد المقدس في منطقة رام الله وتشتيتها والاستيلاء على سلاحها وعتادها ولوازمها.

ومن دواعي الاسف الشديد أن الفريق طه الهاشمي الذي استدعته الحكومة السورية وعهدت إليه أمر الاشراف على التطوع والتدريب والتجهيز، قد شارك في خطة إقصاء الفلسطينيين عن ميدان المعركة، إذ قام بتسريح الشبان الذين استقدمناهم من فلسطين للتدريب في معسكر قطنة. فلما بلغني الخبر قابلت الفريق طه وسألته عن سبب تسريح اولئك الشبان، فقال إنهم متمردون ولا يصلحون للجندية! فأبديت له استغرابي من أن يكونوا كلهم متمردين وقلت له إنك عسكري كبير وتعلم قوانين الجندية، والجندي المتمرد يعاقب، ولا يعقل أن يكون كل هؤلاء الشبان متمردين، فإذا تمرد منهم بضعة أفراد فليعاقبوا وفقا للنظام العسكري ولا يجوز أن تؤخذ الاكثرية البريئة بجريرة فرد أو أفراد متمردين.

ولا شك في أن موقف الفريق طه كان نتيجة للضغط البريطاني.

وبرغم سياسة الاقصاء والحرمان هذه فقد ظلت قوات الجهاد المقدس الذي ألفته الهيئة العربية العليا وظلت تمده بالاسلحة والأموال، تقوم بأعمال رائعة منذ أواخر عام ١٩٤٧، إلى ما بعد انسحاب القوات المصرية من قطاع الخليل ـ بيت لحم ـ وانسحاب القوات العراقية من قطاع جنين ـ طولكرم ـ كما سنبينه فيما بعد.

اشاعات كاذبة مثيرة:

ولتبرير اقصاء الفلسطينيين عن ميدان المعركة، قامت أجهزة المخابرات البريطانية واليهودية، وغيرها من الدوائر الموالية لها، بدعايات واسعة مضللة، وإشاعات كاذبة ومثيرة عن الفلسطينيين تلصق بهم تهما فظيعة كالتجسس على الجيوش العربية وبيع جنودها وضباطها اليهود الاعداء! مما لا أثر له من الحقيقة ولا يعقل أن يقترفه الفلسطينيون الذين هم أعظم الناس مصيبة باليهود والمستعمرين واشدهم بغضا لهم وحقداً عليهم.

تقارير القادة وتفوق العرب:

وبرغم كل التدابير والاجراءات التي اتخذت لاقصاء الفلسطينيين عن ميدان المعركة وحرمانهم من السلاح والمساعدات المالية فقد استمرت قوات الجهاد المقدس في مراكزها شهورا طوالا تتصدى للاعداء في مختلف المناطق الفلسطينية.. ولدينا تقارير عديدة من القادة عبد القادر الحسيني قائد جيش الجهاد المقدس وحسن

سلامة قائد المنطقة الوسطى يافا ـ اللد ـ الرملة وما يجاورها، والشيخ توفيق إبراهيم قائد منطقة الناصرة ـ طبرية ـ مرج ابن عامر، ومحمد الحمد الحنيطي قائد مدينة حيفا ومنطقتها وغيرهم، وهي تتحدث عن الوضع الملائم للقوات الفلسطينية وتطالب بمزيد من الدعم بالسلاح والعتاد والنفقات للمحافظة على هذا الوضع المتفوق.

اليهود في القدس القديمة يطلبون الاستسلام:

وكانت المعلومات عن الوضع العسكري في مناطق القتال تصلنا ليلا ونهاراً دون انقطاع بواسطة الاجهزة اللاسلكية التي اشتريناها وزودنا بها قيادات المجاهدين في القدس والخليل وبيت لحم وغزة والناصرة، ومكاتب الهيئة في القدس ودمشق وبيروت والقاهرة ومرسي مطروح وغيرها. فمن ذلك برقيتان تلقيناهما من القدس بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٧ لاعلامنا أن اليهود في المدينة القديمة بالقدس طلبوا الاستسلام عن طريق حارس املاك الأراضي المقدسة. فوضعت القيادة العربية الشروط فقبلها اليهود. وكانت مماثلة لشروط استسلام حامية كفر عصيون اليهودية أي: (١) تسليم جميع الاسلحة، (٢) تسليم جميع الرجال اسرى حرب، (٣) تسليم النساء والاطفال لجمعية الصليب الأحمر.

لكن اليهود نقضوا الوعد فاستؤنف القتال وقامت المدفعية الثقيلة بقصف احياء اليهود، وأن القائد إبراهيم أبو دية يقوم بالهجوم على مراكز اليهود في القطمون ومستعمرة رامات راحيل ويتقدم بمساعدة مجاهدي قرية صور باهر.

وأن الذخيرة التي أرسلناها من القاهرة بالطائرة قد وصلت في الوقت المناسب وأن حمولة الطائرة الكبيرة أحيت الآمال، وتلح إحدى البرقيتين على ضرورة ارسال حمولة خمس طائرات غدا لكسب المعركة وارسال بقية مدافع الميدان وذخيرتها وقنابل ميلز وقنابل هاون بكثرة.

وأضافت احدى البرقيتين أن قنصل بلجيكا بالقدس يفاوض الآن قيادة المجاهدين العرب لقبول استسلام اليهود في المدينة القديمة. وكنت حينئذ في دمشق فقابلني قنصل سورية في القدس بالنيابة عن البعثات الدبلوماسية فيها وأبلغني رغبة اليهود في الاستسلام وأنه جاء دمشق خصيصاً للتفاهم على ذلك.

بلاغ رقم (٦) الى قادة المجاهدين

وتحذيراً للمجاهدين من التعرض للاماكن الدينية على اختلافها ومن قتل النساء والاطفال والشيوخ والاسرى، ومن الاساءة الى الجاليات الاجنبية والهيئات والمؤسسات السياسية ومعاهدها وممتلكاتها أصدرنا البلاغ رقم (٦) التالي:

ديوان الرئيس
بلاغ رقم (٦) الى قادة المجاهدين:

١ - ينبغي تحذير جميع المجاهدين من التعرض للاماكن الدينية في البلاد على اختلاف الاديان والعقائد. فلا تمس بسوء، ولا تدخل عنوة، ويجتنب القتال فيها. وكذلك جميع المعاهد التابعة لها من أديرة ومدارس ومؤسسات.

٢ - ينبغي تحذير المجاهدين من قتل الاطفال والنساء والشيوخ والاسرى والحيوان، وكل ما لا يتناسب مع تقاليد الشهامة العربية.

٣ - اجتناب الاساءة إلى الجاليات الاجنبية على اختلاف اجناسها. وكذلك الهيئات والمؤسسات السياسية ومراكزها ومساكنها الخاصة ومدارسها وجميع معاهدها وممتلكاتها.

٢٤/١٢/١٩٤٧.
رئيس الهيئة العربية العليا

اليهود يقذفون بأفواج جديدة:

ثم تلقينا برقية ثالثة في اليوم التالي ١٨/٥/١٩٤٨ جاء فيها: «تعب جنودنا على أثر المعارك لقلة عددهم بالنسبة لليهود ولقلة ذخائرهم فهم لم يستريحوا منذ ثلاثة أيام بينما يقذف اليهود بأفواج جديدة كل بضع ساعات، وحدثت معركة هائلة ليلة أمس عندما حاولت القوات اليهودية اختراق باب حي النبي داود للاتصال بيهود المدينة القديمة ففشلوا وردوا على اعقابهم. وجرت محاولة لاقناع قواد الجيش العربي (الأردني) لارسال مدفعيتهم الى القدس وأن سرية منهم رابطت حول الحي اليهودي بالقدس القديمة متعاونة مع رجال الجهاد المقدس.

نزوح معظم اليهود الى المستعمرات المجاورة:

وفي صباح ١٩٤٨/٥/٢٦ «علمنا من مصادر موثوق بها في القدس أن اليهود يقاسون من قلة المياه والطعام والمحاربين وانهم يطلبون انجادهم بالماء والطعام والجنود وهددوا بالتسليم إن لم يلب طلبهم. وقد نزح معظم السكان اليهود الى قرية فالونية ومستعمرة بيت هاكيرم. وقصفت المدفعية العربية اليوم احياءهم فشبت حرائق كبيرة وكل يوم تتضاءل المساحة التي يحلتونها في البلدة القديمة.

وأضافت البرقية أن رجال الجهاد المقدس يسيطرون الآن على مستعمرة (رامات راحيل) وأن ألف يهودي احتشدوا ليلة امس في بلدة «خلدة» وساروا على الاقدام بعتادهم الى «عرتوف» فداهمهم المجاهدون الفلسطينيون بالتعاون مع الجيش العربي وقتلوا منهم ثلاثمائة شخص وأسروا تسعة:

معركة كفار عصيون:

وفي المدة نفسها حدثت معركة مستعمرة كفار عصيون الواقعة على المرتفعات على طريق القدس ـ الخليل وهي من أقوى المستعمرات اليهودية المحصنة ومؤلفة من عدة مستعمرات متجاورة. وقد كان يقوم بحماية هذه المستعمرة عدد من قوات الهاجانا وعصابتي شترن وارغون زفاي لئومي، وكانت تتصدى للقوافل العربية وتقطع الطريق عليها.. ولم يكن بد من إزالة هذه العقبة الكؤود من طريق القوافل العربية، ففي يوم ١٩٤٨/٥/١٢ تصدت القوات العربية لهذه المستعمرة وقصفتها بالمدفعية ثم أطبقت عليها بعد مقاومة شديدة واستمرت المعركة يومين ثم اقتحمت المستعمرة وسقط معظم من فيها من المحاربين اليهود قتلى وجرحى وتم أسر الباقين.

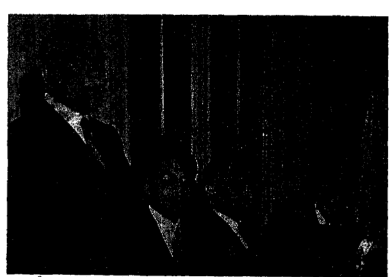
وفي ١٩٤٨/٥/١٥ تلقيت برقية من مركز القيادة في القدس هذا نصها:

«انتهت معركة كفار عصيون بمقتل ٢٢٠ يهودياً واستسلام ٣٧٠ من المستعمرات المجاورة اخذوا اسرى واستولى المجاهدون على ست مصفحات وثلاثمائة بندقية وعدد من الرشاشات وكميات من الذخائر. النساء والأطفال سيسلمون الى الصليب الأحمر. . احرقت طائرتان للعدو. استشهد من القوات العربية ثلاثون رجلا. وتم نسف معظم بيوت المستعمرة.

وبعض المصادر العربية ترفع عدد قتلى اليهود في معركة كفار عصيون الى ما يزيد على خمسمائة جندي.

معركة الدهيشة:

كانت قيادة جيش الجهاد المقدس اتخذت خطة مهاجمة طرق المواصلات اليهودية وتدمير قوافل العدو المسلحة المحروسة، بوضع الالغام في طريقها ثم مهاجمتها، ولذلك، عمد اليهود الى تصفيح سياراتهم بالدروع حتى لا يخترقها الرصاص، لكن ذلك لم يثن المجاهدين عن مهاجمتها والفتك بها.. ففي ١٩٤٨/٣/٢٧ وقعت معركة الدهيشة وهي نقطة تقع على طريق القدس ـ الخليل قرب بيت لحم عندما كانت تسير قافلة يهودية كبيرة مسلحة ومحروسة بثماني مصفحات، فتربص بها المجاهدون حتى إذا ما عادت من المستعمرات اليهودية متوجهة الى القدس تصدوا لها ونسفوا المصفحة الأولى في مقدمة القافلة والسيارة الأخيرة وبذلك عطلوا حركة القافلة كلها ثم أطبقوا عليها من عدة جهات ودارت معركة حامية انتهت باستسلام القافلة التي كانت مهددة كلها بالفناء إن لم يتم استسلامها. وغنم المجاهدون جميع اسلحة القافلة وسياراتها. فكان فيها ما يربو على ٣٠٠ رجل سقط منهم مائة وأربعون رجلا بين قتيل وجريح. وسارع الجنود الانجليز لانقاذ القافلة لكنهم وصلوا متأخرين بعد الاستسلام.



رأي مصر أعلنه عبد الرحمن حقي، وهدد بالانسحاب من المؤتمر إذا استمر تحيز بريطانيا ضد شعب مصر.

الدول العربية مجتمعة ترفض قرار تقسيم فلسطين

دعت الحكومة البريطانية الى مؤتمر يعقد باشرافها في لندن يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧ للبحث في موضوع قرار تقسيم فلسطين الذي اقرته هيئة الأمم المتحدة بحضور مندوبي الدول العربية والهيئة العربية العليا لفلسطين، ولأول مرة تتلقى الهيئة العربية العليا دعوة رسمية من المندوب السامي البريطاني لارسال وقد يمثل فلسطين في المؤتمر. وكانت الهيئة العربية العليا قد أوضحت للدول العربية وجامعتها ضرورة تمثيل الشعب الفلسطيني من هذه الدورة بالذات، وناشدت الدول العربية أن تمتنع عن ارسال مندوبيها الى المؤتمر إن لم توجه الدعوة الى الهيئة، لأنه ليس من الحق ولا من المنطق أن تبحث قضية فلسطين ويبت في مصيرها في غياب الشعب الفلسطيني.

وهنا يكشف الحاج أمين النقاب عن هذا المؤتمر وما جرى فيه، فيقول:

ولا صحة لما روجته الدعايات المضللة من أن الشعب الفلسطيني رفض الدعوة الى المؤتمر في دورته الأولى لاسباب شكلية، فالواقع أن الحكومة البريطانية أرادت عندئذ أن تتولى هي اختيار الممثلين الفلسطينيين الذين يملكون حق محاسبتها على سياستها الجائرة في فلسطين!

في هذه المرة اختارت الهيئة العربية الوفد الفلسطيني من ستة أشخاص، هم السادة: جمال الحسيني، الدكتور حسين الخالدي، اميل الغوري، يوسف صهيون، الدكتور عمر الخليل، سامي طه، ثلاثة من أعضاء الهيئة وثلاثة من خارجها.

وفي لندن اجتمع الوفد الفلسطيني بوفود الدول العربية، وتداول الجميع

الرأي في الموقف الذي يجب أن تقفه الوفود، فكانت الوفود العربية ترى ألا يقول الوفد الفلسطيني كلمته إلا بعد أن يسمع المؤتمر جواب الوفد البريطاني على مشروع الدول العربية الذي قدمته في دورة المؤتمر الأولى، لكيلا يتخذ الوفد البريطاني من ذلك ذريعة لرفض المشروع، فان كان الجواب البريطاني بالرفض فعندئذ تقوم الوفود العربية بحركة قوية يحملون بريطانيا فيها المسئولية، ويعلنون سحب مشروعهم وعدم الارتباط به، ويقفون مع الوفد الفلسطيني موقفاً موحداً في كثير من النقاط التي يرفضها الفلسطينيون كمسألتي الهجرة والجنسية وغيرهما. أما إذا قبل الوفد البريطاني المشروع العربي فعندئذ يتقدم الوفد الفلسطيني بمطالبه المعروفة، التي اشتملت عليها تحفظاته الواردة في مذكرته الى مجلس الجامعة (التي اوردناها في الفصل الماضي)، وتدعم الوفود العربية مطالبه.

ثم علم الجانب العربي أن الجانب البريطاني يرغب في سماع كلمة الوفد الفلسطيني في جلسة المؤتمر الافتتاحية، فلما انعقد المؤتمر رحب المستر بيفن بالوفود معلنا افتتاح المؤتمر، ومشيراً إلى أهمية القضية الفلسطينية، ووجوب تضافر المساعي لحلها حلا نهائيا، تحقيقا للسلام في الشرق الأدنى، وقال إن هذه القضية لم تعد خاصة، بل غدت تهم العالم عامة والشرق الاوسط خاصة، وأن الوقت قد حان لايجاد حل لها، فإذا عجزنا عن ذلك أصبح من واجب الامم المتحدة أن تجد هذا الحل. وقال إننا مضطرون لمباحثة اليهود، وقد حضر ممثلوهم إلى لندن، وسنجتمع بهم على حدة. إذ لا يمكن اتخاذ أي اجراء في قضية فلسطين دون الاستماع الى وجهة نظرهم. ثم رحب بيفن بالوفد الفلسطيني، وقال إن حكومته ترغب في الاطلاع على وجهة نظر الفلسطينيين قبل البت في الأمر.

والقى الوفد الفلسطيني كلمته وكانت عامة وشاملة في أسس القضية الفلسطينية، واستحسنتها الوفود العربية، وبدا أن المستر بيفن لم يكن راضيا عنها، ولذلك سأل بيفن عما إذا كان أحد من الوفد الفلسطيني يرغب في الكلام (ويبدو أنه كان يظن أن ثمة خلافا في الرأي بين أعضاء الوفد) فاجيب سلبا، وأن كلمة فلسطين واحدة.

وهذه خلاصة كلمة الوفد الفلسطيني:

«ان قضيـة فلسطين واضحـة وبسيطة. إنها قضيـة شعب يرغب في البقـاء في وطنه، وحفظ كيانه وحريته، وهذا حق طبيعي يتفق ومبـدأ تقريـر المصير، وسلسلة العهود والمواثيق التي قطعتها بريطانيا للعرب.

«ورغم ذلـك حـرمت فلسـطين من حقهـا طيلة الخمسـة والعشـرين عـامـا المنصرمة، خـلافا لتلك العهـود ولعهد عصبـة الأمم المتحدة، واقيمت في فلسـطين إدارة مطلقة همها الأول مساعدة اليهود في غزوهم لفلسطين، وبنيت هـذه السياسـة على وعد بلفور الذي هو تعهد من جـانب واحد اعـطاه الانجليز لليهـود الغربـاء، دون علم العرب ومن وراء ظهورهم.

«وأشار الخطاب الى ارتفاع عدد اليهود بالهجرة، وتوسـع نطاق ملكيـة اليهود للاراضي وتمتعهم بحقوق ومزايا تجعلهم دولة ضمن دولة، وعن حرمان العرب من حكم بلادهم، وعن توسع مطالب اليهود من وطن قومي روحي الى طلب حكـومة يهودية في فلسطين، يحاولون الان تنفيذه بأعمالهم الارهابية.

«وقال إن هذه الحالة دفعت العرب الى المقاومة، وهم يرون أن مخـاوفهم التي ساورتهم قبل ربع قرن أخذت تتحقق سريعاً وندد بفكرة تقسيم فلسطين الـذي هو ذريعة للتعامي عن معضلة نشأت عن ظلم فادح. وأكد أن الفلسطينيـين مصممون عـلى رفض التقسيم، وأن العـرب وحـدة جغـرافيـة لهم وطن واحـد، تقـطنـه امـة واحدة، وأن إيجاد دولـة يهوديـة اجنبية في فلسـطين يقوض هـذه الوحـدة الجغرافيـة والقومية، ويجعلها مصدراً للاضطرابات والقلاقل الدائمـة في الشرق الأوسط، وان العرب لن يقبلوا هذه الخطة.

«وختم الخطاب بالتأكيد على أن قضية فلسطين لا تحل إلا على أساس مبادىء العدل والحق الطبيعي وتنفيذ العهود المقطوعة للعرب».

المعقول أن يقرر شيئا قبل ذلك. ولما الح عليه الاستاذ فارس قال بيفن: لقد درسنا مشروعكم ولكن هناك امرين جديرين بالاهتمام: إن مشروعكم يشتمل على منع الهجرة اليهودية وابقاء اليهود اقلية، وهذان امران صعبان جـدا ويجب درسهما، ثم أشار الى التقسيم بقوله انه أصبـح من المستحيل أن يعيش العـرب واليهود جنبـا

الى جنب، وكذلك قد يكون تقسيم فلسطين الى مناطق احسن حل، ولا سيما أن نظام الكنتونات قد نجح في سويسرا ومناطق اخرى، ويجب أن نتعاون للوصول الى حل، وحرام أن تتحمل بريطانيا وحدها هذه المسئوليات (كذا!) ولا سيما بعد دخولها حربين انهكتا قواها وبذلت فيهما الأموال والدماء والدموع. . الخ، فرد عليه الاستاذ الخوري بقوله إن اليهود اليوم هم كاليهود الذين عاشوا في العهد القدي، فان تقسيم البلاد بينهم وبين أهل البلاد الاصليين كان سببا للقتال المستمر، وكذلك كانت الحال في المملكة اللاتينية. ثم الح على طلب الجواب البريطاني على المشروع العربي، فوعد بيفن باعطائه خلال يومين أو ثلاثة.

وفي الجلسة الثانية للمؤتمر تلا بيفن بيانا مطولا، اشتمل على رأي الحكومة البريطانية في حالة فلسطين من وجهة عامة، وأشار الى مباحثاته مع الجانب اليهودي. . وعقب ذلك نقاش طويل كان بيفن خلاله يحاول حمل العرب على القبول باستمرار الهجرة اليهودية بأية صورة، مؤكداً أن الحكومة البريطانية لا توافق على أي حل لا يضمن استمرار الهجرة، وأن اليهود يرغبون في التقسيم، وعاد فأكد ضرورة التوفيق بين مطالب العرب ومطالب اليهود. ورد الوفد الفلسطيني على بيغن قائلا إن الفلسطينيين يرفضون التقسيم كما يرفضون كل هجرة يهودية، وإن العالم العربي يساندهم في موقفهم. ثم تحدث رؤساء الوفود العربية بمثل ذلك.

ولما اجتمعت الوفود بعد الجلسة لبحث بيان بيفن، اسفر البحث بالاجماع عن رفض التقسيم والهجرة اليهودية، وتألفت لجنة تمثل الوفود كلها لوضع مشروع الرد، على أن يكون شاملا رفض الهجرة والتقسيم، ومطالبا فتنفيذ المشروع الدستوري العربي الخاص بالاستقلال، فإذا قبل الجانب البريطاني بهذه الأسس دخلت الوفود في بحث التفاصيل، واذا رفضها تعلن الوفود العربية سحب مشروعها وعدم ارتباطها به.

وفي الجلسة الثالثة تلا الاستاذ فارس الخوري رد الوفود العربية على بيان بيفن، وتلا السيد كميل شمعون بيانا مستفيضا باسم الوفد اللبناني، وتحدث رؤساء الوفود العربية في صلب الموضوع دون الخروج على المبادىء والأسس العامة المتفق عليها، وختمت الخطب والاحاديث بكلمة من رئيس الوفد الفلسطيني السيد جمال

الحسيني. وكان وقع بيان الوفود على المستر بيفن والوفد البريطاني شديدا، لأنهم كانوا يظنون أن بين العرب من يقبل بالتساهل إذا جد الجد، وراعهم أن يجدوا الوفود العربية يدا واحدة وعلى رأي واحد.

ومع ذلك حاول بيفن حمل العرب على العدول عن موقفهم، والتساهل في أمر التقسيم والهجرة، فاخفق، فعمد الى محاولة الوقيعة واثارة الخلاف بين الوفود العربية قائلا انه بلغه أن بعض الدول العربية ستكون مستعدة للقبول بمشروع التقسيم كحل لقضية فلسطين، ولو أنها لا تبدي الموافقة علناً في المؤتمر، وأضاف انه يود أن يستوثق من صحة المعارضة لفكرة التقسيم. وكان هذا الكلام شبيها بقنبلة حاول بيفن بها أن يوقع بين العرب، فعندئذ وقف السيد فاضل الجمالي ممثل العراق، وأعلن أن مجلس جامعة الدول العربية، الذي هو رئيسه في دورته الاخيرة، قرر بالاجماع رفض جميع الحكومات العربية لمشروع التقسيم، وأنه يعلن الان بأسم حكومات الجامعة كلها رفضها التقسيم، واذا كان هناك عربي يقول بالتقسيم فإنه لا يمثل إلا نفسه.

لكن بيغن لم يكتف بقول الجمالي، واستأنف محاولته متوجهاً الى الوفود العربية ومتساءلا عما إذا كان هذا رأي الجميع؟ فأعلنت الوفود كلها أن هذا هو رأيها المجمع عليه. ثم كرر بيفن السؤال عما إذا كانت الوفود العربية متفقة على رفض الهجرة كاتفاقها في رفض التقسيم؟ فأجابه عبد الرحمن حقي باشا ممثل مصر، بلسان الوفود العربية، أن العرب لا يقبلون بالهجرة اليهودية قط.

واستمرت المناقشة بين العرب والبريطانيين، وأعلن الاستاذ الخوري أن العرب يصرون على منع الهجرة وعدم التقسيم.. فإذا تقرر هذان الامران فالعرب مستعدون لمواصلة البحث، لكن بيفن قال إنه سيرفع الامر إلى الحكومة وسيدعو الوفود الى جلسة أخرى ليبلغهم قرارها.

وأخيرا أعلن المستر بيفن للوفود العربية أن الحكومة البريطانية لا تستطيع قبول المشروع العربي، لأن اليهود يرفضونه، واقترح مشروعاً جديداً يتضمن وضع فلسطين تحت وصاية دولية لمدة خمسة أعوام، وتقسيم فلسطين الى وحدات إدارية شبيهة بما اشتمل عليه مشروع موريسون، مع استمرار الهجرة بمعدل أربعة آلاف

مهاجر شهريا لمدة عامين، ثم يسمح بهجرة يهودية على أساس قدرة البلاد على الاستيعاب الاقتصادي، ويرجع في ذلك إلى رأي المندوب السامي! بعد بحث المشروع رفضته الوفود العربية، في مذكرة قدمتها الى الحكومة البريطانية مؤكدة حق العرب في مصيرهم، وعدم مسئوليتهم عن المشكلة اليهودية، ورفضهم حلها على حسابهم.

وبعد تقديم المذكرة بيومين عقد المستر بيفن جلسة أخيرة أعلن فيها انتهاء المؤتمر، وأن الحكومة البريطانية تعتزم رفع القضية الى الأمم المتحدة.

وفي ٢٦ ـ ٢ ـ ١٩٤٧ القى بيفن خطاباً في مجلس العموم البريطاني عن قضية فلسطين، وصفها فيه بأنها قضية معقدة لا نظير لها، وأشار الى تناقض نظام الانتداب لاشتماله على وعود متناقضة للعرب واليهود، وأن العرب تشددوا بطلب منع الهجرة وأصروا على ذلك لأن مجلس العموم وافق على الكتاب الأبيض الذي أقر منع الهجرة ثم انتقد موقف امريكا لتدخلها في القضية وتصريحات ترومان التي زادت المشكلة تعقيداً وأن المسألة ليست مسألة إدخال المائة ألف مهاجر، لأن اليهود يتحدثون عن هجرة الملايين. وأن بريطانيا بصفتها دولة منتدبة لا تستطيع أن تفرض حلا نهائيا بالقوة، ولذلك ترى نفسها مضطرة لرفع القضية الى الأمم المتحدة لتفرض الحل الذي تراه!

بعد فشل مؤتمر لندن وعودة الوفود العربية اجتمع مجلس الجامعة العربية في القاهرة في أواخر آذار ١٩٤٧ لبحث القضية الفلسطينية، فنوقشت مسألة عرضها على الأمم المتحدة من قبل العرب عملا بقرار مجلس الجامعة في بلودان. ووافق المجلس على اقتراح اللجنة السياسية بعرض القضية على أساس إعلان استقلال فلسطين.

وفي أوائل نيسان اجتمعت اللجنة السياسية في دمشق. واقترح ممثل الهيئة العربية العليا لفلسطين أن تباشر الدول العربية بعرض القضية على الأمم المتحدة. تنفيذاً لقرار مجلس الجامعة في دورته الاستثنائية في بلودان، وأن يكون عرضها على أساس التمسك بالمطالب الوطنية الاساسية، دون التقيد بالمشاريع والمقترحات السابقة لحل القضية، وأقرت اللجنة السياسية هذا الاقتراح، وأوصت الدول العربية بالعمل به.

طلبت الحكومة البريطانية من الامانة العامة للأمم المتحدة عقد جلسة استثنائية لبحث قضية فلسطين، وعلى هذا وجهت أمانة الأمم المتحدة الدعوة الى الدول الاعضاء للاجتماع في ٢٧ نيسان ١٩٤٧ في ليك ساكسيس. وأرسلت الهيئة العربية العليا لفلسطين وفدا الى نيويورك، مؤلفاً من السادة أميل الغوزي، رجائي الحسيني، هنري كتن، عيسى نخلة، واصف كمال، ليكون الى جانب الوفود العربية وليباشر الدعاية للقضية الفلسطينية. لكن الوفد لم يصل نيويورك حتى جوبه بحملة دعائية صهيونية مضللة من المؤسسات اليهودية والصحف الامريكية التي يسيطر عليها الصهيونيون، ووزعت الوكالة اليهودية نشرات وكراريس على نطاق واسع بالحملة علي شخصياً وعلى الوفد الفلسطيني والشعب الفلسطيني واتهامنا بأننا عملاء للنازي! ومن المؤسف أن الامين العام الاسبق للامم المتحدة (تريغفي لي) كانت له علاقة وثقى باليهود، فتولى توزيع تلك النشرات والكراريس على ممثلي الدول الاعضاء وعلى وكالات الأنباء ومراسلي الصحف..؟!

ولما اجتمعت الجمعية العمومية للامم المتحدة في اليوم التالي، طلبت الحكومة البريطانية أن تقتصر أعمال الدورة الاستثنائية على تأليف لجنة دولية خاصة، لدرس القضية الفلسطينية ورفع تقرير عنها إلى الأمم المتحدة. وطلبت الوفود العربية أن يدرج في جدول الاعمال اعلان استقلال فلسطين، ووقف الهجرة اليهودية، والغاء الانتداب. لكن هذا الطلب العربي سقط ولم يحصل على اكثرية الثلثين لاقراره، لأنه لقي مقاومة من بريطانيا وامريكا وانصارهما ووافقت الجمعية العمومية على الاقتراح البريطاني، وأحالت مشروع تأليف لجنة تحقيق على اللجنة السياسية.

ولما اجتمعت الجمعية العمومية في اليوم التالي، تقدمت الوكالة اليهودية اليها طالبة الاستماع الى ممثليها لعرض قضيتهم. فوافقت الجمعية العمومية بالاكثرية. وبدعم بريطاني وأمريكي، على طلب الوكالة اليهودية على أن يتقدم اليهود لعرض قضيتهم ولكن أمام اللجنة السياسية وليس أمام الجمعية العمومية، لأنهم ليسوا دولة عضوا في الأمم المتحدة. ولما طلب وفد الهيئة العربية العليا من رئيس الدورة الموافقة على حضوره أمام اللجنة السياسية. وأيدته وفود الدول العربية والاسلامية وبعض الدول الأخرى الأعضاء. أحالت الجمعية العمومية الطلب الفلسطيني الى اللجنة السياسية لتتخذ هذه الجنة ما تراه مناسباً بشأنه. فرفض الوفد الفلسطيني هذه

الاحالة رغم أن اللجنة السياسية وافقت على قبوله. لأن قرار الجمعية العمومية كان يعني أنها تعترف بالوكالة اليهودية ممثله لليهود. ولا تعترف بالهيئة العربية العليا ممثله للشعب الفلسطيني. وأبرق الى رئيس اللجنة السياسية محتجاً. لكن الرئيس قرر المضي في جدول الاعمال. دون أن يأبه لبرقية الوفد الفلسطيني وعندئذ تصدى له عدد من مندوبي الدول العربية والاسلامية وغيرها. وجرت مناقشة حامية، وهدد مندوب مصر محمود حسن باشا بالانسحاب من اللجنة إذا استمر تحيزها ضد شعب فلسطين، ورفض وفد الهيئة العربية العدول عن موقف المعارضة، رغم الجهود المبذولة لحمله على ذلك.

وأخيراً اعترف السر الكسندر كادوغان رئيس الوفد البريطاني، بصفته مندوب بريطانيا التي تتولى الانتداب على فلسطين، بأن بريطانيا تعتبر الهيئة العربية العليا ممثلة لعرب فلسطين، كما تمثل الوكالة اليهودية اليهود، فكان هذا الاعتراف حاسما للموقف، واتخذت اللجنة السياسية قراراً بأكثرية كبرى بدعوة الهيئة العربية العليا للظهور أمامها بصفتها ممثلة لعرب فلسطين. لكن الوفد الفلسطيني أصر على أن يصدر هذا القرار من الجمعية العمومية نفسها. التي أصدرت قرارها بشأن الوكالة اليهودية، وذلك صيانة لمركز الشعب الفلسطيني، وعلى الأثر دعيت الجمعية العمومية لاجتماع فوري، اتخذت فيه قراراً خاصاً نص على أن قرار اللجنة السياسية يعبر عن رأي الجمعية العمومية تعبيراً تاماً. وأبرق كل من رئيس الدورة واللجنة السياسية الى الوفد الفلسطيني بقرار الجمعية العمومية واللجنة السياسية، فرد عليهما الوفد بأنه مستعد للتحدث أمام اللجنة السياسية.

كان هذا مثلا واضحاً على أن التمسك بالحق يؤدي للوصول اليه، وأن التهاون فيه يؤدي إلى ضياعه، وكثيراً ما أدى التهاون الى إضاعة الحقوق بل إلى إضاعة اوطان برمتها.

وفي اللجنة السياسية اغتنم اليهود الفرصة لعرض دعواهم الباطلة، وإلباسها ثوب الحق. في جو استعماري صهيوني موبوء بالدعاية اليهودية. وألقى كل من بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية والحاخام ستيفن وايز زعيم الصهيونيين الامريكيين خطاباً طلب فيه جعل فلسطين دولة يهودية. وبمثل ذلك تكلم موسى شرتوك سكرتير الوكالة اليهودية حينئذ، وزاد عليه تهجمه علي شخصياً وعلى الوفد الفلسطيني..

ودعمت الصحف الامريكية والبريطانية، كعادتها، الموقف اليهودي وأشادت بالصهيونية ودعت الأمم المتحدة الى تلبية المطالب اليهودية.

وألقى الاستاذ هنري كتن باسم الوفد، الفلسطيني بيانا جامعا، طالب فيه بالاعتراف لفلسطين بحقها في الاستقلال، وأيد المطالب الوطنية. ورد الاستاذ اميل الغوري ردا قويا على شرتوك، مدحضا التهم التي وجهها إليّ شخصيا، والى الفلسطينيين عامة.

وبعد مناقشات طويلة حادة قررت اللجنة السياسية تأليف لجنة دولية للتحقيق في قضية فلسطين من مندوبي احدى عشرة دولة.

كانت الاحدى عشرة دولة التي تألفت منها اللجنة الدولية للتحقيق في قضية فلسطين هي: الهند وايران ويوغوسلافية واوستراليا والسويد وأورغواي ولوكسمبورغ وبيرو وغواتيمالا، وذلك وفقا لقرار اللجنة السياسية وموافقة الجمعية العمومية على طلب الحكومة البريطانية ان تقتصر أعمال الدورة الاستثنائية على تأليف تلك اللجنة ورفع تقرير عنها إلى الامم المتحدة. وكانت بريطانيا وأمريكا تتظاهران بالتزام موقف الحياد بين العرب واليهود خلال انعقاد الدورة الاستثنائية ولكن كل أعمالهما وتصرفاتهما خلال تلك الدورة وبعدها كانت تدل على اتجاههما نحو تقسيم فلسطين، ولم يلبث أن ظهر أن التقسيم هو أمر متفق عليه بين بريطانيا وأمريكا وانصار الصهيونية، وانهم يعتبرونه الحل الأمثل لقضية فلسطين بزعمهم وتبع ذلك دعاية واسعة النطاق في الصحف البريطانية والامريكية وغيرها التي تسير في ركب الاستعمار والصهيونية لدعم التقسيم وتأييد المطالب اليهودية الخاصة بانشاء دولة يهودية في فلسطين.

وتبين لوفد الهيئة العربية العليا هذا الاتجاه واضحا خلال وجوده في الأمم المتحدة، فاقترح على الهيئة عدم التعاون مع لجنة التحقيق موضحاً الاسباب الباعثة على ذلك في تقرير مفصل أرسله اليها. فرأت الهيئة بعد دراسة تقرير الوفد ومناقشته أن القصد من تأليف اللجنة على الشكل الذي تم لا يتعدى إصدار قرار بالتقسيم تستند اليه الجمعية العمومية، وأن مهمة اللجنة لا تشتمل على إعلان استقلال فلسطين. من أجل ذلك قررت الهيئة مقاطعة اللجنة وقدمت الى الدول العربية

وجامعتها مذكرة تشتمل على الأسباب التي حملتها على اتخاذ قرارها هـذا، واقترحت الهيئة في مذكرتها على الدول العـربية مقـاطعة اللجنـة، لكن الدول العـربية قـررت التعاون مع اللجنة مبررة ذلك بأنها (أي الدول العربية) أعضاء في الأمم المتحدة فلا يجوز لها أن تقاطع لجنة معينة من قبلها! وفي نظرنـا أن هذا التبـرير غـير وارد، فقد سبق لـلأمم المتحدة أن عينت عـدة لجان للتحقيق في عـدة قضايـا مماثلة. فـرفضت الدول التي كان التحقيق سيتناولها، أن تتعـاون مع تلك اللجـان بل رفض بعضهـا السماح لها بالدخول الى بلادها. وكانت الهيئة العربية قد دعت الشعب الفلسـطيني إلى الاضـراب العام عنـد مجيء لجنة التحقيق الى فلسـطين، فلما وصلت اللجنة الى القدس يوم ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٧ قـوبلت بمقاطعـة عامـة من الشعب ثم عقد اجتمـاع وطني عام في القـدس يـوم ٦ تمـوز (يـوليـو) القيت فيـه الخـطب الـوطنيـة الحماسية بـالدعـوة الى الوحـدة الوطنيـة ومقاومـة الاستعمار والصهيـونية واستنكـار القـوانين الجـائرة التي تسنهـا حكومـة الانتداب ومنهـا قانـون نزع ملكيـة الغـابـات وتسجيل الأراضي باسم المندوب السامي البريطاني وكنت وجهت رسالة الى إخواني الفلسـطينيين لمنـاسبة وصـول لجنة التحقيق أعلنت فيهـا التصميم على تحمـل أعظم التضحيات في سبيل سلامة الوطن والدفاع عنه وحذرت فيها من قيام ثورة شـاملة، إن لم تعترف بريطانيا وهيئة الأمم المتحدة بمطالب الفلسطينيـين وحقوقهم المشـروعة في وطنهم.

وخـلال الأيـام التي قضتهـا لجنة التحقيق في فلســطين استمعت الى أقـوال الهيئـات اليهوديـة وزارت المدن والمستعمـرات اليهوديـة، وبعدمـا أنهت مهمتهـا في فلسطين زارت عمان، ثم توجهت الى لبنان، وقابلت في بلدة «صوفر» يوم ٢٢ تموز (يوليو) ممثلي الدول العربية وتلا عليها وزير خارجية لبنان السيد حميد فرنجية مذكرة ضافية باسم الدول العربية جميعاً اشتملت على الوثائق والمستندات الدولية والتاريخية التي تثبت عروبة فلسطين وحق الشعب الفلسطيني في الاستقـلال والسيادة في وطنـه وبطلان دعوى اليهود، وحذرت المذكرة مما تؤدي إليه ممالأة الصهيونيـة والانسياق في باطلها من اضطراب الامن في هذه البلاد.

ويوم وصول لجنة التحقيق إلى صوفر ابرقت الهيئة العربيـة البرقيـة التاليـة الى ممثلي الدول العربية المجتمعين في صوفر وهم السادة: رياض الصلح وحميد فـرنجية

(عن لبنان) وجميل مردم وعادل أرسلان وفريد زين الدين (عن سوريا) وفاضل الجمالي (عن العراق) وفؤاد حمزة (عن السعودية) وعلي المؤيد (عن اليمن) وسمير الرفاعي (عن الأردن):

«موقف ممثلي الدول العربية أمام اللجنة سيكون له أعظم الأثر في سبيل فلسطين فالهيئة العربية العليا تناشدكم باسم عرب فلسطين أن تتفضلوا بتأييد مطالبهم بدولة عربية مستقلة، والا يقبل من اليهود كمواطنين إلا الذين كانوا قبل الاحتلال البريطاني، وعدم التقيد بمشروع مؤتمر لندن كما ورد في مذكرتنا الأخيرة. وان عرب فلسطين الذين صمموا على الاستماتة في سبيل استقلالهم وحفظ كيانهم يرجون من الممثلين الكرام موقفا حازما يتناسب وغلو الصهيونية».

أما (مذكرتنا الأخيرة) التي أشارت إليها البرقية آنفة الذكر فقد ارسلتها الهيئة العربية العليا الى وزراء الدول العربية في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٤٧ بمناسبة قدوم لجنة التحقيق الى بيروت واجتماعها بوزراء الخارجية (وقد اوردناها في آخر هذا الفصل من المذكرات)

هذا ولم تلبث الهيئة العربية ان أيقنت من انسياق معظم أعضاء اللجنة الدولية، وراء تحقيق رغبة بريطانيا وامريكا والصهيونيين، وأنهم سيوصون بالتقسيم، إذ أن بعضهم أعلنوا. قبل أن تباشر اللجنة مهمتها، أنهم يرون تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية هو الحل الأمثل للمشكلة الفلسطينية! وكان من هؤلاء ممثل هولندة وغواتيمالا واورغواي، كما أن اللجنة عندما جاءت فلسطين نزل أكثر أعضائها بفنادق يهودية وحضروا حفلات ترفيه أقامها لهم اليهود في المستعمرات اليهودية. وصدرت عنهم تصريحات صحفية لصالح الاستعمار والصهيونية. حدث هذا قبل أن تستوفي اللجنة تحقيقها وتصدر تقريرها.

وكنا قبل أن تصدر لجنة التحقيق الدولية تقريرها بالتقسيم، الذي أخذت به الأمم المتحدة فيما بعد، وأوضحنا رأينا في أخطار التقسيم ومضاره، على الفلسطينيين خاصة والعرب عامة منذ اصدرت «لجنة بيل» الملكية قرارها بالتقسيم في تموز (يوليو) عام ١٩٣٧ وما تبع ذلك من قدوم لجنة التحقيق الانجلو-أمريكية عام ١٩٤٦. وكان فيما أرهصت به الصحف البريطانية من الاشارة الى مشروع

التقسيم كحل عملي معقول، ما حملنا على الاعتقاد بأن التقسيم هو الحل النهائي الذي تم عليه الاتفاق بين بريطانيا وأمريكا والصهيونية العالمية، وأنهم يعتزمون فرضه على الشعب الفلسطيني وتنفيذه بكل الوسائل. ولذلك رأينا أن نبين للرأي العام العربي والاسلامي مدى الاخطار التي تحيق بفلسطين والاقطار العربية المجاورة إذا ما تم تنفيذ تلك المؤامرة الخطيرة فنشرنا الايضاحات التالية:

١ ـ ان التقسيم يؤدي الى انشاء دولة يهودية مستقلة في بقعة من أهم بقاع الوطن العربي من النواحي السياسية والاستراتيجية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.

٢ ـ إن إنشاء هذه الدولة اليهودية المستقلة، عدا كونه خطرا هائلاً على فلسطين وسائر الأقطار العربية فانه أيضا.

أ ـ يحرم العرب من شطر مهم من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ومن منافعه وخيراته.

ب ـ يجعل منها (أي الدولة اليهودية) قواعد بحرية وجوية وبرية، تهدد باستمرار كيان الاقطار العربية واستقلالها.

جـ ـ يجعل منها بؤرة للدسائس الاجنبية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ضد الوطن العربي.

د ـ يمهد السبيل للصهيونية العالمية والرأسمالية اليهودية بما لديها من الثروات الطائلة، أن تنشيء الاساطيل الجوية والبحرية والجيوش البرية العظيمة بدون رقابة، وذلك من أجل التوسع الصهيوني في البلاد العربية المجاورة، إذ لا يخفى أن الدولة اليهودية التي تنشأ في جزء من فلسطين لا يمكن بحال من الأحوال أن تستوعب العدد الذي تحاول الصهيونية حشده في فلسطين تحقيقا للمطامع الصهيونية التي تمتد الى سورية ولبنان وشرقي الأردن والعراق ومصر الشرقية.

هـ ـ يجعل جميع الاماكن المقدسة في فلسطين، في خطر دائم.

و ـ ينشيء رأس جسر يهودي خطير على البلاد العربية، ويشكل اسفينا يفصل بين أجزاء الوطن العربي والاسلامي، في نقطة حساسة على مفترق طرق القارات الثلاثة.

ز ـ يمكن الصهيونية من تقوية نفوذها السياسي اضعافاً مضاعفة، بما تستطيع انشاؤه بصورة رسمية من مراكز التمثيل السياسي، كالسفارات والقنصليات ونحوها في جميع أطراف العالم، وبما يكون لهذه المراكز من الحصانة ومن الامتيازات الدبلوماسية.

ولذلك فمن الضروري أن تبادر الامة العربية قبل فوات الأوان، جامعتها، ودولها، وشعوبها قاطبة، بمقاومة أية خطة جائرة كالتقسيم، واستمرار الهجرة ونحوهما من الحلول المنتظرة من لجنة التحقيق، والممهدة لانشاء الدولة اليهودية التي لا تنحصر أضرارها بفلسطين فحسب، بل تهدد كيان الأمة العربية بأسرها تهديداً خطيراً.

أما الإذعان لهذه السياسة الجائرة، والظلم الغاشم الذي لم يعرف التاريخ له نظيراً، فإنه يسجل على الأمة العربية عامة وأولي الأمر خاصة، مسئولية عظيمة عند اللّه والناس، كما يصمها بالعار والخزي وذل الأبد».

لما انتهت لجنة التحقيق من مهمتها في سويسرة وأتمت وضع تقريرها. قدمته الى الأمم المتحدة في نيويورك في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧، فجاء كما توقعه النابهون والعقلاء، من العرب، مخيبا للآمال إذ أوصت اكثرية اللجنة المؤلفة من ثمانية أعضاء بتقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية وفترة انتقال مدتها سنتان تظل بريطانيا خلالها تمارس انتدابها ويدخل فلسطين في هذه المدة مئة وخمسون ألف مهاجر يهودي وأوصت أقلية اللجنة المؤلفة من ثلاثة أعضاء هم: ممثلو إيران والهند ويوغوسلافيا بتأليف دولة اتحادية مركزية ذات دستور واحد ورئيس واحد وجنسية واحدة، وتتألف من حكومتين تكون كل حكومة منهما مستقلة استقلالاً ذاتيا وتنحصر الهجرة في المنطقة اليهودية وفقا لقدرتها على الاستيعاب.. واعطيت الدولة اليهودية من الأراضي مساحة ١٤٢٠٠ كيلو متر مربع هي أجود أراضي فلسطين وأخصبها، وأعطيت الدولة العربية ما مساحته ١٢,٠٠٠ كيلو متر مربع وبموجب الأراضي والعقارات العربية ما يبلغ ثلثي هذا التقسيم يدخل في القسم اليهودي من مساحة تلك المنطقة، ويدخل في القسم العربي أقل من مئة ألف دونم من الأراضي اليهودية وقسم لا يعتد به من العقارات. وهكذا يكون اليهود بجرة قلم قد نهبوا واغتصبوا ممتلكات العرب وأراضيهم، وتكون المؤامرة الاستعمارية اليهودية

قد احكمت نطاقها على القسم الأكبر والأخصب والأعظم أهمية من البلاد الفلسطينية وبموجب هذا التقسيم يدخل في الدولة اليهودية أراضي مرج ابن عامر والجليل الشرقي ومعظم السهول الساحلية ومنطقة بئر السبع والنقب ونحو نصف مليون عربي فلسطيني، وما يزيد قليلا على نصف مليون يهودي . .

كان تقرير اللجنة في الواقع يشتمل على تقريرين أحدهما تقرير الاكثرية، والآخر تقرير الاقلية، فلما تم تقديمها الى الأمم المتحدة، عقدت دورتها العادية السنوية في ليك ساكسيس في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧ . وجرى بحثهما في هذه الدورة بحضور وفود الدول العربية ووفد الهيئة العربية العليا لفلسطين.

وكانت الانباء التي نشرت واذيعت عن تقرير لجنة التحقيق، قد أثارت ثائرة العرب في فلسطين والاقطار العربية الأخرى واحدثت قلقا وهياجاً في النفوس وسارعت الهيئة العربية العليا الى تأليف وفود وإرسالها الى العواصم الأوروبية والامريكية للدعاية لقضية فلسطين وابلاغ ظلامتها للعالم الخارجي على أمل أن يحدث ذلك هزة تؤدي إلى الضغط على الدول والحكومات الضالعة مع الصهيونية لكيلا يتخذ مندوبوها في الأمم المتحدة قرارات بالموافقة على التقسيم.

وارتفعت الأصوات من فلسطين والأقطار العربية والاسلامية بشجب التقسيم والمطالبة لفلسطين بالحرية والاستقلال. وتلقت الهيئة العربية فيضا من البرقيات بالاحتجاج والاستنكار والمطالبة بالجهاد والمقاومة والتسلح واعلان التطوع لانقاذ فلسطين.

مواجهة الخطر:

وبادرت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وهي تمثل جميع الدول العربية بعقد اجتماعاتها في (صوفر) من ١٦ - ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧ بحضور رؤساء وزارات الدول العربية وبعض وزراء خارجيتها. وحضر الاجتماعات السيد معين الماضي عضو الهيئة العربية العليا ممثلا لفلسطين، واتخذت بشأن القضية الفلسطينية القرارات التالية:

«أولا - ترى اللجنة أن مقترحات لجنة التحقيق المنبثقة عن الأمم المتحدة تنطوي على إهدار فاضح لحقوق عرب فلسطين الطبيعية في الاستقلال كما تنطوي

على خرق لجميع العهود التي قطعت للعرب ولذات المباديء التي تقوم عليها منظمة الأمم المتحدة.

«وترى في تنفيذ هـذه المقترحـات خطرا محققـا يهدد الأمن والسـلام بفلسطين وبـالبلاد العـربية جميعـا، ولذلـك فقد وطـدت العزم، تحقيقـا لاستقـلال فلسـطين وحريتها ودفاعا عن كيان الدول العربية، عـلى أن تقاوم بجميـع الوسـائل العمليـة الفعـالة تنفيـذ هذه المقتـرحات وكـل تدبـير آخر يكفـل استقـلال فلسـطين كـدولـة عربية.».

«ثـانياً ـ لقـد سبق للحكومـات العربيـة أن حـذرت لجنـة التحقيق من مغبـة التوصية بإقامة دولة يهودية في فلسـطين ومما سيؤدي إليـه ذلك حتـما من اضطرابـات تعم الشـرق الأوسط بأسـره، لأن عرب فلسـطين لن يسلموا بـأي تدبـير يكون من شأنه أن يقضي على وحدة بلادهم واستقلالهـا بل سيخـوضون حـرباً لا هـوادة فيها لدفع العـدوان على وحـدة بلادهم، لا سيـما أنهم يعرفـون أن البلاد العـربية جميعـاً ستقف من ورائهم تناصرهم وتمدهم بالرجال والمال والعتاد للدفاع عن كيانهم».

«وأن الحكومات العربية لن تستطيع أن تكبت شعور شعوبها الثائـرة من جراء الـظلم الواقـع عليها ولا أن تقف مكتـوفة الأيـدي أمام خـطر يهدد البـلاد العربيـة جميعـاً، بل أنها ستضـطر الى مباشـرة كل عمـل حاسم يكـون من شأنـه أن يـدفـع العدوان ويعيد الحق الى نصابه.

«ثـالثاً ـ لـذلك تـرى اللجنة أن تكـاشف الشعـوب العـربيـة جميعـاً بحقيقـة المخـاطرة التي تحيط بقضيـة فلسطين وان تـدعو كـل عـربي أن يقـدر خـطورة هـذه المخاطر وأن يقدم لفلسطين كل ما في وسعه من معونة وتضحية وقد اتخذت اللجنـة من جانبها من التدابير الفعالة ما يكفل تحقيق الاهداف العربية».

وعلى أثر صدور تقرير لجنة التحقيق اصدر وفد الهيئة العربية العليا لفلسـطين لدى الأمم المتحدة بنيويورك تصريحاً جاء فيه:

«ان الوفد العربي الذي يمثل الهيئة العربية العليا لفلسطين، لم تدهشه الوصايا المجحفة التي تخالف المنطق ولا يمكن تطبيقهـا والتي قدمتهـا لجنة التحقيق الـدولية. وقد تنبأت الهيئة العربية بهذه النتيجة عندمـا أعلنت مقاطعتهـا، فلجنة التحقيق قـد

ابتدأت أعمالها على ضوء الوثائق التي جمعتها السكرتارية العامة لهيئة الأمم المتحدة والتي تحتوي على كل ما يؤيد وجهة النظر الصهيونية، والتي لا أثر فيها تقريبا لوجهة نظر العرب، أضف إلى هذا، الشكل الذي بموجبه أجرت اللجنة تحقيقها، والتعليمات التي تلقاها فريق من أعضائها من حكوماتهم لتدعيم وجهة النظر الصهيونية وبالطريقة التي سلكها بعض الأعضاء باتصالهم بالصهيونيين، وبصرف النظر عما أدلوا به من التصريحات التي تبين أنهم قلبا وقالبا مع الجانب الصهيوني. كل ذلك أقنع العرب بأن أعضاء اللجنة ليسوا على الحياد وأنهم حكم وفريق في آن واحد.

مذبحة دير ياسين:

قبل أن نستعرض ما رواه المفتي عن المعارك التي خاضها الشعب الفلسطيني قبل دخول الجيوش العربية فلسطين، نورد فيما يلي فقرات مما ذكره المؤرخ الاستاذ محمد عزة دروزة عن هذه المعارك في كتابه «القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها» عن تهاون العرب في دعم قضية فلسطين، فقال في (ص ١٤٨) ما يلي:

«كررنا ونكرر تعبير «الامكانيات الميسورة عند العرب» عن قصد ونعني ما عندهم من قوى ووسائل حربية جاهزة. فقد ضنوا بذلك على المناضلين الشعبيين قبل الزحف الرسمي ولم يرسلوا حين الزحف ما كان في إمكانهم أن يرسلوه من عُدد وعَدد، ولم يتخذوا كذلك ما كان في إمكانهم أن يتخذوه من اجراءات وتدابير وتشريعات متصلة بالموقف وداعمة له.. وقيدنا القول بالامكانيات الميسورة الموجودة لأن الامكانيات العربية أعظم بكثير من ذلك، بل أن العراق أو سورية لو بذلت امكانياتها على وجهها أو قريبا من ذلك - بل مصر - لكانت قادرة وحدها على الاضطلاع بالعبء. فاليهود في فلسطين اعلنوا حالة الحرب وطبقوها بحذافيرها وبكل جد، فجندوا كل قادر على الحرب والعمل من الرجال والنساء وأصحاب المهن المتنوعة حتى لم يكد يرى اثناء الحرب أحد من هؤلاء في الشوارع وحتى بلغ المجندون في الجيش فقط ١٥٪ من مجموع السكان، وحصروا كل نشاطهم في الحرب ومقتضياتها في الميادين والمصانع والخدمات المتنوعة الأخرى، وفرضوا نظام البطاقات في التموين بكل دقة وشدة وخاصة في المواد المتصلة بأغراض الحرب، وأخذوا نحو ٧٥٪ من دخل الناس وطرحوا ضرائب فوق العادة على الثروات الخ، في حين أن

العرب لم يكادوا يفعلون شيئاً من هذا. ولم يكد الغريب يحس أن هذه البلاد في حالة حرب بما كان من حياة عادية في كل شيء بما في ذلك اللهو واللعب حتى كان هذا موضع تندر مراقبي الهدنة وهم يقايسون بين حالة اليهود وحالة البلاد العربية..».

وفيما يلي ما رواه المفتي عن هذا الموضوع:

استمرت المعارك بين الفلسطينيين واليهود في جميع ارجاء فلسطين قرابة ستة شهور بعد صدور قرار التقسيم في ٢٩ - ١١ - ١٩٤٧. وكان تفوق حركة الجهاد الفلسطيني واضحاً في الأشهر الاربعة الأولى على قلة ما في أيديهم من السلاح والذخيرة والمال. وقد انضم الى المجاهدين الفلسطينيين جماعات من المتطوعة من الأردن وسورية والعراق ومصر، ثم دخلت أفواج جيش الانقاذ الذي ألفته اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية وكان قسم منهم من الفلسطينيين. ثم اصبحت الحرب سجالا بين العرب واليهود في الشهرين الأخيرين آذار (مارس) ونيسان (ابريل) من عام ١٩٤٨ حتى دخول الجيوش العربية في منتصف أيار (مايو). وكانت المنظمات الصهيونية واليهودية العالمية قد أمدت اليهود في فلسطين خلال هذه الشهور بكثير من الاسلحة والذخائر الخفيفة والثقيلة من مخلفات الحرب العالمية الثانية من البلاد الاوربية. والامريكية، وكذلك بالضباط والجنود والخبراء والمدربين لتدريب الشبان والفتيات. على الأعمال العسكرية.

الارهاب اليهودي يقابل بأشد منه:

ولما عمد اليهود الى أعمال النسف والتدمير لارهاب العرب، قابلتهم فصائل التدمير في جيش الجهاد المقدس بالمثل بل زادوا عليهم بأن نسفوا شارع بن يهوذا، ودار الوكالة اليهودية، وحي المونتفيوري وعمارة بالستين بوست وما جاورها، بالاضافة الى معظم الحي اليهودي في المدينة القديمة مما اضطر اليهود للتوقف عن أعمال التدمير لأنها ألحقت بهم وبالا ونكالا كبيرا. عندئذ عمد اليهود لاقتراف الفظائع في المدن والقرى العربية فكانت مجازر دير ياسين، وحواسة وبلد الشيخ، وناصر الدين، والخصاص وعيلوط، وسكرير، والدوايمة، وكثير غيرها لارهاب العرب وحملهم على الخروج من بلادهم..

وبالاضافة الى ذلك كان الجنود الانجليز في معظم الاشتباكات المسلحة التي تقع بين العرب واليهود، يدعمون اليهود وينكلون بالعرب، ولا يحجمون عن نسف منازلهم واطلاق النار عليهم وتجريدهم من السلاح واعتقالهم وغير ذلك من أعمال البطش والارهاب.

مذبحة دير ياسين وتخاذل الانجليز:

ولما اقترفت عصابة (ارغون تسفاي لئومي) الارهابية مجزرة دير ياسين فتكت بـ ٢٥٠ ضحية من الرجال والنساء والاطفال ودير ياسين قرية صغيرة تقع غرب مدينة القدس، وقد بلغت القسوة بأولئك السفاحين أن جمعوا النساء الحوامل في ساحة القرية ووقف ضباط العصابة وجنودها يتراهنون على ما في بطون النساء الحوامل من الاجنة هل هم ذكور أم أناث، ثم يعمد الجندي فيبقر بحربته بطن المرأة الحامل ويخرج الجنين على سن الحربة ليروا هل هو ذكر أم انثى، فيأخذ رابح الرهان دراهم بخسة معدودة...!

ومما يجب تسجيله أن العصابة اليهودية التي اقترفت هذه الجرائم الوحشية كانت تضم بين افرادها عددا من رجال الدين اليهود من حاخامين واحبار من جماعة «اغودات اسرائيل» الدينية الذين يتقربون الى اله اسرائيل بمثل تلك الفظائع التي تقشعر منها الابدان! فكان عملهم هذا مصدقاً لما وصف به اللّٰه تعالى اليهود في الآية الشريفة: **﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار، وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وأن منها لما يهبط من خشية اللّٰه، وما اللّٰه بغافل عما تعملون﴾**.

في ذلك الظرف الرهيب لم تتخذ السلطات البريطانية أي إجراء لحماية أهل القرية، بل امتنعت أيضاً عن حماية العرب الذين حاولوا الذهاب الى القرية المنكوبة لجمع جثث الضحايا ورفضت تلبية ما طلبه منها الدكتور حسين الخالدي أمين سر الهيئة العربية العليا حينئذ أن ترسل بعض الجند الى القرية.

ونسوق هنا شاهداً على تلك الفظائع ما اورده الارهابي الصهيوني مناحم بيجن قائد عصابة الارغون في الصفحات ١٦٣ ـ ١٦٥ من كتابه المسمى (الثورة ـ تاريخ الارغون) طبعة نيويورك عام ١٩٥١: إن مذبحة دير ياسين كان لها أثر بالغ

في نفوس العرب يعادل ستة أفواج من الجنود وأن قرية (قالونية) العربية التي كانت قد صدت هجوم شنته عليها قوات «الهاجاناة» قد اخليت في ليلة واحدة. وكذلك أخليت قرية «بيت اكسا». وأضاف قائلا: (لقد ساعدتنا مذبحة دير ياسين على انقاذ طبرية وحيفا بصورة خاصة). والارهابي الصهيوني بيجن يشير بذلك الى المذابح المماثلة التي اقترفها الارهابيون في قرية ناصر الدين القريبة من طبرية والقرى المجاورة لحيفا دون أي تدخل من السلطات البريطانية لحماية أهلها العرب. .

اعترافات كاتب يهودي:

ويقول الكاتب اليهودي «ليرمان هال» في كتابه «عرب اسرائيل» الصادر في ١٩٤٩ في نيويورك في الصفحتين ٥٢٩ و ٥٣٠ ما يأتي «. . . لقد أصبح واضحاً أن القوات الاسرائيلية كانت قاسية مع غير المحاربين من العرب. فهناك على سبيل المثال عدد كبير من القرى المنسوفة والمهجورة، حيث لم يقع أي قتال أو وقع منه شيء يسير جدا. . أما بشأن الفظائع فان اسرائيل تذكر دير ياسين بأسف، حيث ذبحت الأرغون أكثر من مائتين من الرجال والنساء والاطفال. ويجب أن يضاف الى الاسباب التي أدت الى فرار العرب من فلسطين خوفهم من وقوع حوادث جديدة مشابهة لحادثة دير ياسين».

اعتراف الكونت برنادوت:

واعترف الكونت فولك برنادوت، وسيط الأمم المتحدة، (الذي اغتاله اليهود في القسم الذي احتلوه من مدينة القدس لأنه أوصى باعطاء القدس والنقب للعرب) في تقريره المرفوع الى الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ رقم أ/٦٤٨ ملحق رقم ١١ في الصفحات ٦ و٧ و ١٤: (بأن خروج عرب فلسطين نجم عن الرعب الذي نشأ عن اشاعات تتعلق بأعمال الأرهاب والطرد، حقيقة أو مزعومة. .) ثم قال: (وهناك تقارير عديدة من مصادر موثوقة تؤكد وقوع نهب وسلب على نطاق واسع، وتخريب وتدمير قرى دون أية ضرورة عسكرية. .) وعلى ذكر الكونت برنادوت، لقد عرفته عام ١٩٤٨ في دار رئاسة الوزارة المصرية عندما كنت على موعد مع المرحوم محمود فهمي النقراشي باشا وكان برنادوت عندئذ يقوم بزيارة للنقراشي للبحث في شئون الوساطة بين العرب واليهود.

ولما قررت الحكومة البريطانية وقف الادارة المدنية في فلسطين وتصفيتها من بداية شهر آذار (مارس) ١٩٤٨ واتخذت شكل حكومة عسكرية واصبح المندوب السامي حاكماً عسكرياً (وكان عندئذ السر الن كاننغهام)، شرع الانجليز حينئذ ينسحبون من المناطق اليهودية متخلين عن إدارتها لليهود. وسرعان ما بادرت «الوكالة اليهودية» بوضع اليد على تلك المناطق متخذة لنفسها صفة «حكومة يهودية» وجعلت تتصرف فيها تصرفاً مطلقا، واستولت على ما كان لحكومة فلسطين (البريطانية) من مرافق ومؤسسات وادارات عامة، وبذلك استطاعوا العمل بحرية تامة لجلب الاسلحة والمدربين على القتال من شبان اليهود وغيرهم من الضباط والجنود المرتزقة من خارج فلسطين. . وقد اعترف رئيس الوزارة البريطانية مستر أتلي بأن القوات البريطانية لن تدخر وسعا لمنع القوات العربية من دخول فلسطين.

وهذا الموقف البريطاني المتحيز ساعد اليهود على اتخاذ مواقف مماثلة في اقتراف المذابح والفظائع في المدن التي يسكنها عرب ويهود مثل طبرية ويافا وحيفا رغم استماتة أهلها العرب في سبيل حمايتها وحسن بلائهم في الدفاع عنها. وزاد الموقف خطورة ما اعلنته السلطات البريطانية من أن كل تدخل عسكري قبل ١٥ أيار (مايو) وهو اليوم الذي حددته لانسحابها من فلسطين ستقابله بالقوة وأنها ستظل مسئولة عن النظام والامن حتى ذلك التاريخ. لكن الواقع كان خلاف ذلك إذ أخذت السلطات البريطانية في المدن المختلطة تخلي الاحياء العربية وتترك أهلها فريسة للاعتداءات اليهودية. ثم كانت الخدعة اللئيمة الفظيعة التي اقترفتها تلك السلطات في حيفا إذ أكدت للمسئولين العرب من أهلها انها ستظل قابضة على ناصية الأمر في منطقة حيفا خاصة حتى شهر آب (اغسطس) ثم لم يلبث الانجليز أن فاجأوا العرب بانسحابهم بعد ٢٤ ساعة من ذلك التأكيد وتركوهم عرضة لهجوم يهودي مدبر في أقبح مؤامرة انجليزية يهودية شهدها تاريخ فلسطين. وسيرد تفصيل ذلك في مكانه من هذه المذكرات.

منع لجنة التقسيم من دخول فلسطين:

وكانت حكومة فلسطين (البريطانية) قد منعت لجنة التقسيم التي أوفدتها الأمم المتحدة الى فلسطين، من دخول فلسطين قبل أول شهر أيار (مايو) لتقوم

بـالمهمة المعينـة لها وهي تـولي الادارة في فلسطين، ولم تسمـح إلا لبعض مـوظفيهـا بالدخول للقيام باتصالات أولية، ولم تقبل أن تستخدم القوات البـريطانيـة في تنفيذ التقسيم. فأثار ذلك احتجاج لجنة التقسيم وكانت بريطانيا تحاول الاتفـاق سرا مـع الولايات المتحدة للحصول من مجلس الامن والجمعية العامة للأم المتحدة على قرار بمنحها الوصاية أو تمـديد مـدة انتدابهـا على فلسـطين لكن ممثل الاتحـاد السوفيتي في مجلس الأمن ندد بهذه المحاولة وبذلك احبطت.

وكان مجلس الأمن قد استأنف بحث قضية فلسطين مجدداً في شباط (فبرايـر) ١٩٤٨ أبان اشتداد الصراع بين العرب واليهود حتى استحال على لجنـة التقسيم أن تقوم بمهمتها وقرر رئيسها في بيـانه في مجلس الأمن استحـالة القيـام بعمل مفيـد في هـذه الظروف الخـطيرة التي تسـود فلسطين، وأنـه لا سبيل لحـل المشكلـة ألا بنبـذ التقسيم أو بارسال جيش دولي لتنفيذه بالقوة.

امريكا تطلب وصاية دولية:

وفي ١٩ آذار (مـارس) ١٩٤٨ أعلن مندوب أمـريكا في بيـانـه بمجلس الامن عدول حكومته عن تأييد قرار التقسيم لأنه لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة، واقترح وضع فلسطين تحت وصاية دولية وإعادة القضية الى هيئة الأمم المتحدة للنـظر فيها ثـانية، ودعوة العرب واليهود الى عقد هدنة سياسية وعسكرية ريثما يتم اتخاذ قـرار جديـد. وكذلك أعلن مندوب كندا معارضة حكومته لتنفيـذ التقسيم بالقـوة وطالب بتفـاهم العرب واليهود وحل مشكلة فلسطين حلاً سلميا. وقدم مندوب كنـدا اقتراحـاً بأن تتشاور الدول الخمس الكبرى في حل المشكلة دون ارتباط بقرار التقسيم.

الفلسطينيون في المعركة بدون غطاء:

كيف خاض المفتي المعركة عام ١٩٤٧؟ ومـا هي انطبـاعاتـه عن الحرب بـين العرب واليهود؟

هذه الاسئلة وغيرها يجيب عليها المفتي بقوله:

وقع اختيارنا على حسن سلامة وبعض زملائه لارسـالهم الى فلسطين للتهيئـة للثورة في الوقت المناسب وتخزين الاسلحة الحديثة التي قدمتها السلطات العسكريـة

الالمانية. فتقبل رحمه اللّٰه تلك المهمة الشاقـة والخطرة وتـوجه ومعـه زميله ذو الكفل عبد اللطيف وثلاثة من الضباط الالمان في طائرة عسكرية المانيـة الى منطقـة غور نهر الاردن.

معركة هاتكفا وسلسلة من المعارك الأخرى:

وكـان من أهم تلك المعارك معـركة «هـاتكفا» التي حـدثت مسـاء ٨ ـ ١٢ ـ ١٩٤٧ وسجـل فيها المجـاهدون الفلسـطينيون صفحـة مجيدة في تـاريخ العمليـات الحربية العربية في عهد الانتداب البـريطاني. ففي تلك الليلة قـامت كتلة من شبان القرى الواقعـة ما بـين مدينـة اللد وتل أبيب، لا يـزيد عـددها عـلى مائـة مسلح، باقتحـام امنـع خطوط دفـاع العدو عن مستعمـرة هاتكفـا، التي يبلغ عدد سكـانها ثلاثين ألفا، من طرفها الشرقي الى طـرفها الغـربي، وهي خطوط الـدفاع اليهـودية الامـامية لمدينة تـل أبيب، وكانت ليلة عـظيمة في وقـائعها ونتـائجها، قـذف فيهـا المجاهدون بأنفسهم الى قلب ذلك الحصن اليهـودي على سكـانه وعـلى خمسة آلاف من الجنود اليهود في جواره، تحت نيران المدافع الرشاشة والاسلحة الاوتـوماتيكيـة، فاضطر معظمهم للهرب، وهم من الهاغاناه ومنظمتي الارغون وشترن، تحت ضغط الهجوم العربي الصاعق، ركضاً ووثباً من فوق الاسطحة، لاجئين الى تل أبيب التي اتخذت القوات اليهودية المسلحة فيها خطة الدفاع عنها.

وتبـع معركـة هاتكفـا سلسلة من المعارك التي خـاضها القـائد الشهيـد حسن سلامة، على رأس مجاهديه الابطال، مسجلين فيها نصراً كبيراً عـلى الاعداء، منهـا معارك العباسية، ودير محيسن، وأبو شوشة، واللد، والرملة، وراس العـين، وبيت حزبون والقباب، ووادي الصرار، وغيرها.

ولمـا استشهد عبـد القادر الحسيني اسنـدت قيادة منـطقة القـدس الى الضابط خالد شريف الحسيني، وظل حسن سـلامة مـواصلاً جهـاده في ظروف قـاسية، ولم يقف موقف الدفاع بل نقل المعركة الى داخل معاقل العدو.

وفيما يلي خلاصات لبعض البرقيات الرمزية اللاسلكية التي تلقيناها من القائد الشهيد في تلك الفترة.

في ١٧ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ :

«استولينا على مطار اللد ومعسكر صرفند ومستعمرة ولهلما الالمانية منذ يومين، وقبل ذلك استولينا على محطة اللد، ولا نـزال مرابـطين وحدنـا في هذه المـراكز دون مسـاعدة أيـة قوة نـظامية. تشـددت الهجمات عـلى هذه المـراكز وعـلى الرملة واللد والقرى المجاورة، وتساقط القتلى والجرحى، وهي مهددة بالسقوط. .»

«حسن سلامة»

في ٢٠ ـ ٥ ـ ٤٨

«صد اليهود عن مدينة الرملة للمرة الرابعة، بعد أن شنوا عليهـا سلسلة من الهجمات المستمرة منذ أربعة أيـام بأعـداد كبيرة وبمختلف أنـواع الاسلحة، وكـانوا يمهدون لهجومهم بمدافع الهاون والسلابند.

وفي جميع هذه المعارك كان المناضلون من مدينـة اللد يهبون لنجـدة إخوانهم، ويصلون اليهود ناراً حامية من مـدافع بعيـدة المدى ومن مختلف الاسلحـة. وكانت المصفحات تتوغل في صفوف الاعداء فتوقع الرعب والهلع في نفوسهم، ويضطرون للانهزام غير ملتفتين الى موتاهم الذين كانوا يملأون الاستحكامات وفي معركة الليلة المـاضية التي استمـرت الى صباح اليـوم تكبـد اليهـود خسـائر جسيمـة في الارواح والعتاد، اثر الهجمات المعاكسة التي شنها عليهم المجاهدون، ولم يستطع اليهود حتى صباح اليوم نقل موتاهم الذين زادوا على مائـة وخمسين، ولا تـزال المعركـة ناشبـة، واستولت قواتنا الآن على مطار اللد ومستعمرة ولهلما الالمانية، وصدت خلال الايـام الأخيـرة والليلة المـاضيـة عـدة هجمـات يهـوديـة، خسـر فيهـا العـدو بعض القتـلى والاسرى. انسحب العرب من معسكر صرفند ليلة أمس دون خسائر. . .».

«حسن سلامة»

اللجنة العسكرية للجامعة العربية لا تدفع :

من الرملة ٢٢ ـ ٥ ـ ٤٨

«لا يؤمل أن تدفـع اللجنة العسكـرية لنـا شيئاً من نفقـات الشهر الحـالي. .

المرتبطون بنا لا يزالون يدافعون عن المدن والقرى ويرابطون بيننا، ولا بد من صرف رواتبهم وتأمين نفقاتنا التي تضاعفت كثيراً لمناسبة حرج الأحوال، كما تضاعفت حاجتنا الى الذخيرة. هل من الممكن إرسال ذخيرة الى مطار اللد؟ اشعرونا بقيام الطائرات لاستقبالها.

«احتلال اليهود لقرية السافرية ومعسكر صرفند جعلهم متاخمين لمدينة اللد، ومكنهم من تضيق الخناق على الرملة، واصبحت لا منفذ لها إلا من جهة اللد. وقد استهدفت الليلة لهجوم قوي، ولكن اللّه أعان على رده وهي ومحطة اللد في وضع دقيق. .

«وصلت الرملة واللد قوات من المتطوعين الاردنيين، وهم مسلحون بالبنادق فقط، وليس لديهم ذخيرة ولا مؤن. .»

«حسن سلامة»

معركة رأس العين:
واستشهاد حسن سلامة:

وكانت آخر المعارك التي قادها معركة رأس العين، وهي من أشد المعارك التي جرت بين العرب واليهود، وقد حشد لها الاعداء قوة كبيرة، وتوالت نجداتهم، وتمكنوا من زحزحة المجاهدين عن رأس العين، التي أخلاها جيش الانقاذ دون أن يبلغ قيادة جيش الجهاد المقدس (كما سيأتي ذكره)، لكنهم لم يلبثوا الا قليلا إذ انقض عليهم أبو علي، بعد أن تلقى نجدة من المغاوير والمجاهدين، ونشبت المعركة الرهيبة فجر يوم ٢٩ ـ ٥ ـ ٤٨، فطردوا العدو عن رأس العين وانتصروا انتصاراً مبينا لكنه كان غالي الثمن، إذ أصيب القائد الشهيد بشظية قنبلة في رقبته، ونقل الى مستشفى اللد العسكري، لكنه لم يلبث بعدها إلا قليلا ووافاه الأجل يوم ٢ ـ ٦ ـ ٤٨ وكان فقده خسارة كبيرة لفلسطين ولقضيتها الوطنية، تغمده اللّه بواسع رحمته، واجزل له أجر المجاهدين الصادقين.

مجلس قيادة يخلف القائد الشهيد:

بعد دفن القائد الشهيد حسن سلامة اجتمعت اللجنتان القوميتان في اللد

والرملة مع هيئتي بلديتي اللد والرملة ووجهاء المنطقة وكبار المجاهدين فيها، وتم الاتفاق على اختيار مجلس للقيادة مؤلف من المجاهدين السادة: محمود أبو الخير وصلاح الناظر ووحمزة صبح وخليل العامر والحاج محمود درويش وموسى أبو حاشية وإسماعيل النحاس، ثم انتخب المجلس هيئة مؤلفة من محمود أبو الخير مسئولا عن أعمال القيادة وصلاح الناظر وحمزة صبح مساعدين له. وبدأ الجميع على هذا الاساس.

الوضع العسكري في المنطقة الوسطى:

بين يدي الآن رسائل وتقارير من القائد الشهيد حسن سلامة، وبرقيات عديدة تلقيناها باللاسلكي في ذلك الحين منه ومن مركز قيادته، وهي تصور الاوضاع على حقيقتها في تلك الظروف الخطيرة التي كانت تجتازها قضيتنا الوطنية. لقد كان الشهيد عبد القادر الحسيني قائد جيش الجهاد المقدس قد أبلغنا، في حديث بالهاتف، أن قوات الجهاد المقدس احتلت معسكر حلحول وأنها وضعت الغاما تحت قافلة سيارات العدو فنسفت ست سيارات منها سيارتان للمؤونة. وأن قوات الجهاد المقدس احتلت معسكر رأس العين، وهو يقع بين مدينتي اللد وقلقيلية. وبعد أن استقر المجاهدون فيه ثلاثة أيام سلموه الى الرئيس مدلول وهو ضابط عراقي كان قائداً لاحدى قوات جيش الانقاذ (الذي الفته جامعة الدول العربية) في تلك المنطقة، وأن الرئيس مدلول وضع فيه قوته.

انسحاب جيش الانقاذ من معسكر رأس العين:

وفيها تلقينا برقية لاسلكية من مركز قيادة القائد حسن سلامة في الرملة هذا نصها:

«الرملة ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٨

«خلال هذا الاسبوع انسحب جيش الانقاذ من معسكر رأس العين، دون أن يتصل بنا لنتخذ التدابير الكافية لحمايته ومنذ انسحابه ونحن منهمكون في تأمين بقاء هذا المعسكر في أيدي العرب. وفي تمام الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة ٢٩/٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ هاجم اليهود المعسكر بقوات كبيرة ومهدوا لهجومهم بمدفعية استمرت اكثر من ثلاث ساعات، احتلوا بعدها المعسكر، وحاولوا الامتداد الى قرية

مجدل الصادق المسيطرة على الطريق العام وعدد من القرى العربية. وقد قام القائد أبو علي، على رأس قوة كبيرة من المجاهدين بمهاجمة اليهود في المعسكر. وبعد معركة عنيفة جدا دامت ست ساعات تمكن مجاهدونا من طرد العدو وتكبيده خسائر كبيرة من الاسلحة والارواح، واستردت قواتنا المعسكر، وغنمت كمية كبيرة من الاسلحة والذخائر، وتمركزت في المعسكر. ولكننا نتوقع أن تتكرر محاولة العدو. وقد أصيب في أثناء هذه المعركة القائد أبو علي بجراح من قنبلة موتر. ومن المنتظر خروجه من المستشفى قريبا. .»

ثم في ٣١ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ تلقينا برقية لاسلكية اخرى جاء فيها:

«قتلى اليهود في معسكر رأس العين يزيدون عن ٢٠٠ قتيل. الغنائم ٩٥ بندقية و١٣ رشاش برن وهوشكس و٢ جهاز لاسلكي. الشهداء والجرحى منا ٢٣ جروح ثلاثة منهم بليغة».

اللواء إسماعيل صفوة:

وكان القائد الشهيد حسن سلامة قد بعث الي بكتاب في ٢٠ ـ ٤ ـ ١٩٤٨ تحدث فيه عن الوضع العسكري في المنطقة الوسطى خلال تلك المدة، وأرفق به صورا من كتاب وعدة تقارير في هذا الشأن، كان هو قد بعث بها الى اللواء إسماعيل صفوة، بصفته القائد العام للقوات المسلحة التي الفتها جامعة الدول العربية، وأمدتها بالاسلحة والأموال لانقاذ فلسطين.

أما اللواء إسماعيل صفوة فقد عرفته عندما كنت في بغداد عام ١٩٤٠ في بيت اللواء أمين باشا العمري رئيس اركان الجيش العراقي، وقد اوفدته حكومة العراق الى اليمن بطلب من إمام اليمن يحيى حميد الدين للاستعانة بخبرته على تنظيم جيش اليمن. وكان اللواء إسماعيل حينئذ ضابط ركن برتبة عقيد، ومن ابرز الضباط العراقيين. فلما دعته اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية ليكون قائداً للمعركة الناشبة بين العرب واليهود، زارني عند وصوله الى القاهرة وحدثني عن رأيه ووجهة نظره في معركة فلسطين، وقال: لست ادري كيف استطيع القيام باعباء هذه المعركة وأنا مقيد بسبع دول عربية وجامعتها، والأولى أن يكون عملي مع القيادة الفلسطينية، وارتباطي بها وحدها، وهذه القيادة تكون على صلة بجامعة

الدول العربية، فاجبته بأن هذا هو رأيي ورأي الهيئة العربيـة العليا لفلسـطين، ثم صحبته الى حلوان لمقابلة السيد عبد الرحمن عـزام الذي كـان يومئـذ مريضـاً، وفي هذه الزيارة أعرب اسمـاعيل صفـوة عن رأيه هـذا مرة أخـرى. لكن ذلك لم ينفـذ لأسبـاب عديـدة، اهمها الضغط الـذي وقع عـلى بعض الدول العـربية من الـدول الاستعمارية الكبرى التي كانت وما زالت تخضع للضغط اليهودي.

ويرى الى جانب هذا الكلام نص الكتاب الذي بعث بـه الى القائـد الشهيد حسن سـلامة ونص الكتـاب الذي بعث بـه الى اللواء إسماعيـل صفـوة يصف بـه الحالة التي كان عليها الوضع العسكري في المنطقة الوسطى من فلسطين.

تقارير عسكرية من القائد حسن سلامة الى اللواء اسماعيل صفوة:

وأرى استيفاء لهذا البحث أن الخص بعض الـرسائـل الأخرى التي بعث بهـا القـائد الشهيـد حسن سلامـة الى اللواء إسمـاعيـل صفـوة، بـاسـطا فيهـا المـوقف العسكري وما يعانيه من ضغط القوات اليهودية وطالبا تزويده بالسلاح والمال:

فثمة رسالة منه في ١٩ ـ ٤ ـ ٤٨ خاصة بوضع مستعمرة ويلهلما الالمانية التي تقع على بعد أربعة كيلو مترات شمال مدينة اللد وتجـاور أيضاً عـدة قرى عـربية لا تبعد عنها أكثر من كيلو متر واحد وهي العباسية، كفر عـانة، رنتيـة، طيرة دنـدن، دير طريف، قولة، ومطار اللد. ورسالة ثانية في نفس التاريخ خاصة بوضع معسكر «تل لتفنسكي» البريطاني المتصل بعدة مستعمرات يهودية واهميته العسكريـة، وتحفز القوات اليهودية لاحتلاله، واشتباك المجاهدين في معركة ضـارية مـع قوات العـدو لمنعها من الاستيلاء عليه. ورسالة ثالثة في نفس التاريخ خاصة بالنفقات المالية التي طلبهـا ليتمكن من مضاعفـة القوة الضـاربة والحـاميـات، وتنـظيم مختلف الاعمـال ومساعدة المصابين وذوي الشهداء وتموين المتطوعين. . . الخ.

ورسالة رابعة في ٢١ ـ ٤ ـ ٤٨ خاصة بوضع محطة السكك الحديـدية في اللد وأهميتها وكونها أكبر محطة للسكـك الحديـدية في فلسـطين والشرق العـربي وضرورة حراستها بقوة كافية من الجنود المدربين، أو تزويده بـالوسـائل الكفيلة بتـأليف هذه القوة من المقاتلين الفلسـطينيين في المنـطقة لمنـع استيلاء العـدو عليها لأنها الشـريان الحيـوي للمـواصـلات وفيهـا آلات وأدوات لا تقـل قيمتهـا عن عـدة مـلايـين من الجنيهات.

ومن الحق أن يقال أن اللواء إسماعيل صفوة لم يكن مطلق اليد ليتصرف كما يشاء ولم تكن لديه الوسائل الكافية لمعالجة الموقف لعدة أسباب اهمها أن بعض دول الجامعة العربية حينئذ كان يتأثر الى حد كبير بضغط بريطانيا وأمريكا، ولم تكن دول الجامعة تملك من القوة والخبرة ووسائل الحرب الحديثة ما تستطيع به معالجة القضية الفلسطينية معالجة جدية، عسكرياً وسياسياً، كما أن بعض الذين كانت في أيديهم مقاليد الأمور حينئذ لم يكونوا على مستوى المسئولية الكبرى التي تسنموا مراكزها والتي فرضها عليهم واجبهم نحو قضيتهم الفلسطينية وامتهم العربية، ولذلك لم يتيسر لحركة الجهاد الفلسطيني أن تحصل إلا على القليل، بل على أقل القليل من المعالجة الجدية والمساعدات المالية والعسكرية التي يتطلبها الموقف.

السلطات المصرية تتعاون معنا:

واذكر لهذه المناسبة أنه على أثر دخول الجيش المصري فلسطين في منتصف أيار (مايو ١٩٤٨) وازدياد ضغط القوات اليهودية المسلحة على قوات الجهاد المقدس في المنطقة الوسطى التي كان يقودها الشيخ حسن سلامة طلبت الهيئة العربية العليا لفلسطين من السلطات المصرية أن تعمل على دعم تلك القوات بما يتيسر لها من الوسائل. وقد لبت السلطات المصرية الطلب واوفدت القيادة المصرية اليوزباشي عبد الحميد صالح زكي الى مركز الهيئة العربية في حلمية الزيتون احدى ضواحي القاهرة للحصول على بعض المعلومات الضرورية عن الوضع العسكري في منطقة اللد والرملة، وطلبت القيادة المصرية من الهيئة العربية توجيه عدة اسئلة الى الشيخ حسن سلامة والحصول على اجوبتها باسرع ما يمكن، وفي اليوم نفسه إن أمكن (٢٦ ـ ٥ ـ ١٩٤٨)، فبادرت الهيئة العربية بتوجيه برقية لاسلكية رمزية (شفرة)، من مركزها في ضاحية حلمية الزيتون الى الشيخ حسن في هذا الشأن ثم لم تلبث أن تلقت الأجوبة عليها ببرقية رمزية منه مساء اليوم نفسه فابلغتها على الفور الى السلطات المختصة.

انشأنا محطة لاسلكية كبرى مركزها القاهرة:

وكنا قد أنشأنا منذ بدء المعارك محطة لاسلكية كبيرة مركزها القاهرة ولها مراكز ثانوية في مصر كالصحراء الغربية ومرسي مطروح وبور سعيد والعريش وكذلك في

بدمشق وبيروت وصيدا وفي عدة مدن في فلسطين منها القدس ويافا وغزة والخليل وبيت لحم والناصرة. ولما لم يكن حينئذ في الأقطار العربية المجاورة لفلسطين محطات لاسلكية فقد كانت الحكومات العربية المجاورة تستعمل محطات الهيئة العربية العليا في اتصالاتها.

أما الاسئلة فهي ستة وتتلخص فيما يلي: الاستعلام عن عدد القوات اليهودية التي تهاجم اللد والرملة؟ وعن الجهة التي يأتي منها الهجوم؟ ومن أي المستعمرات؟ وما هو عدد سكانها، وأهداف الذخيرة والوقود فيها؟ وهل يستعمل العدو في هجومه دبابات أم مصفحات؟ وهل لهم أوقات محددة للهجوم؟ وما هي المستعمرات التي يستفيد العرب من ضربها بالطائرات؟

وكانت الاجوبة كما يلي:

عدد قوات العدو المهاجمة هي لواء كامل. الهجوم يأتي من شرق الرملة وغربها وجنوبها ومن غرب اللد. ومن مستعمرات ديران وعيون قارة وبئر يعقوب وبئر سالم. العدو يستعمل المصفحات في هجومه. الهجوم يبدأ الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ثم ينسحب حوالي الخامسة صباحاً. المستعمرات التي يفيدنا ضربها هي ديران وعيون قارة. وأضافت البرقية أن ضرب الطائرات المصرية لتل أبيب ترك أثراً فعالاً جداً في اليهود كما عرف ذلك من أقوال الاسرى الذين كانوا في تل أبيب، ثم تمت مبادلتهم.

معركة حيفا:

تعتبر معركة حيفا من أهم المعارك التي خاضها الشعب الفلسطيني ببسالة في وجه القوى التي تآمرت عليه. وهنا يروي المفتي تفاصيلها.

كانت منطقة حيفا من أخطر المناطق الفلسطينية إذ كانت المستعمرات اليهودية المحصنة والمسلحة تحيط بها وتهدد طرق مواصلاتها. ففي غربي حيفا وعلى الطريق منها الى تل أبيب جنوباً، كانت مستعمرات بيت غاليم وعتليت وزمارين وقيسارية والخضيرة وغيرها، عدا بعض المستعمرات الصغيرة، وشرقي حيفا كان عدد آخر من المستعمرات والمصانع اليهودية الكبيرة تهدد طرق المواصلات بينها وبين مدينة جنين أهمها مصانع نيشر الكبرى للاسمنت، ومشمار مايمك وكفار حاسيدين. وما

بين حيفا الى عكا شمالا تقع عدة مستعمرات تهدد طرق مواصلاتها الى الشمال أهمها مستعمرتا حاييم، وموتسكين، ومستعمرتان للكيبوتسي.

هذا عدا خطورة الوضع داخل المدينة نفسها، إذ أن معظم الاحياء اليهودية المواجهة للاحياء العربية كانت مقامة على سفح جبل الكرمل المشرف على جميع احياء حيفا.

وتنبغي الاشارة هنا الى أن سلطات الانتداب البريطاني كانت قد منحت اليهود معظم أراضي تلك المنطقة دون مقابل وبأثمان رمزية، وساعدتهم على تشييدها لتكون حصونا منيعة عندما يحين وقت المعركة التي خططوا لها.

ومن تلك الاحياء اليهودية حي هداراكرمل، وحي هاشومير، وحي أخوزا، والمركز الجديد الموازي لميناء حيفا والذي شيدت جدرانه بالاسمنت المسلح وفتحت لها منافذ على شكل مستطيل لتمكين سكان تلك البنايات من الدفاع عنها.

ومع ذلك كله فان هذا الوضع المتفوق لصالح اليهود لم يحل دون قيام المجاهدين البواسل بسلسلة هجمات موفقة لاحتلال تلك الاحياء اليهودية واخضاعها نهائياً لولا تدخل الجيش البريطاني المستمر لحماية اليهود والوقوف بجانبهم في وجه الهجمات العربية الباسلة.

وكان يتولى القيادة العسكرية لحركة الجهاد الفلسطيني في منطقة حيفا، القائد الشجاع والمجاهد الباسل محمد الحمد الحنيطي، بالتعاون مع اللجنة القومية فيها والحنيطي ضابط سابق تحلى بروح الفداء والاخلاص. وكنت تلقيت تقريراً سرياً مفصلاً منه سلمني إياه في مدينة بيروت حيث كان يتزود بالسلاح والذخائر. وكان التقرير مؤرخاً في ١٦ - ٣ - ١٩٤٨ (أي قبل استشهاده بيوم واحد)، وقد أوضح فيه وضع مدينة حيفا وما حولها من المستعمرات التي تجعل حركة المواصلات اليها عرضة للخطر. فكان مما اقترحه في تقريره جعل قيادة عكا تابعة لقيادة حيفا، وبذلك تستطيع عكا أن تضغط على المستعمرات القريبة منها فلا تظل عقبة في سبيل حرية المواصلات الى حيفا. وطالب في تقريره «بتقوية القوى العربية القريبة من حيفا وامدادها بالسلاح وأهمها: بلد الشيخ، حواسة، الياجور، الطيرة، أم الزينات وغيرها. وكذلك القرى الواقعة غربي حيفا وأهمها: جبع، عين غزال، أجزم،

الطنطورة ثم القرى الواقعة شرقها وهي: أبو شوشة أبو زريق، اللجـون.

وقال في تقريره: «ان الصراع عنـدما بـدأ بين العرب واليهود، كـاد العرب يكونون عزلاً من السلاح، وكان اليهود مجهزين بأحدث أنواع الاسلحة. وقد وقف العرب موقفاً بطوليا لكنه كـان دفاعيـاً لعدم تـوفر الاسلحـة المطلوبـة. فلما تألفت القيادة وأمدتها الهيئة العربية العليـا واللجنة العسكـرية بـالمال والسـلاح والرجـال، تحسنت الحال تحسنا ملموسا وتطور موقف العرب من دفاع الى هجوم لكن المدينة ما تزال في حاجة الى اسحلة اوتوماتيكية كثيرة وقطع ثقيلة وذخيرة وافرة».

المواقع الاستراتجية:

وتحدث التقرير عن هذه الناحية قـائلا: «لا شـك في أن الموقـع الاستراتيجي الآن هو في أيدي العدو أكثر مما هو في أيدينا لأن مواقع العدو مرتفعـة ومستعمراتـه قوية ومسلطة على طرق المواصلات. غـير أن هناك مـواقع لـو عززنـاها ونـظمناهـا لافدنا كثيراً ولاصبح الموقف في أيدينا ولتمكنا من محاصرة العدو، وهي: الحليصة، شارع يافا، وادى الجمال، رأس الكرمل، الاسـود، حواسـة أبو شـوشة وغيـرها. فهذه الاماكن لو عززت لشلت حركة المواصلات اليهـودية ولجعلتهم محصـورين أي حصار، ولسلموا دون قيد أو شرط وهذا معلق على تقوية داخـل حيفا، ثم الضغط على العدو من الداخل والخارج.

التموين:

هذا هو الشيء الوحيد الـذي نتفوق فيـه على العـدو، فليس ثمة ضيق عـلى العرب، من الوجهة الغذائية، لكن اليهود بعكس ذلك في حالة مجاعة وقد ارتفعت اسعار المواد الغذائية عندهم ارتفاعاً عظيماً حتى أصبح ثمن البيضة الواحـدة عشرين قرشا فلسطينياً في محلة هداراكرمل.

وقد أدت هذه المجاعة بهم الى شغب كبـير ومظاهـرات عديـدة وكادت تنتهي بهم الى التسليم لولا صد الهاغاناه لهم وضربها إياهم بشدة.

ثم أشار التقرير الى حالة الامن في حيفا وقال إنه يتعهد بحماية المدينة وتوفـير الأمن بعد زيادة عدد الحرس.

وأشار القائد الشهيد الى ضعف معنويات العـدو وقال: «اننـا بدأنـا محاربتهم ببعض المسـدسات والعصي بينما هم في أقوى سـلاح وأكمل عـدة، ورغم ذلـك لم يجرؤوا على القيام بأي هجوم حاسم، وقد بدأ الانشقاق في صفوف العـدو ولا سيما على أثر ضرب العرب للمركز التجاري بعد وصول المتفجرات اليهم فقد قام اليهود في اليوم التالي بمظاهرة كبرى أصيب فيها أحد زعمائهم الدكتور ليفتنش.

وتحدث عن قوة المعنويات عند العرب فقـال انها جيدة جـدا وأنهم رجال إلى أقصى درجات الرجولة، وقد شاهد بنفسه أن بعضهم كانوا يصدون بالعصي هجـوم اليهود، وهم متلهفون على وصول الاسلحة اليهم ليضربـوا العدو ضـربة قـاصمة، ومؤمنون أشد الايمان بحقهم وقضيتهم.

وقال «ان الاصابات في اليهود تفوق كثيراً الاصابات في العرب غير أن اليهود يعرفون كيف يسحبون ضحاياهم ويكتمون أخبارهم، وأكثر ضحـايا العـرب كانـوا برصاص الجند البريـطاني». ووصف الجيش البريـطاني بأنـه الخصم الألد للعـرب، وقد أظهر تحيزه الى اليهود في عدة مناسبات. وأضاف قائلا: انني شخصيـا لا اؤمن بحسن نوايا دولة عرفنا جوهرها وعسفها وخداعها ثلاثين سنة.

واقترح القائد الشهيد في نهاية تقريره زيادة قوة الدفـاع من حيفا وابـلاغ عدد الحـرس فيها إلى ألف مقـاتل ليتم خـلاصها في وقت قـريب، وأن لا يعطى اليهـود فرصة لحشـد قوة كبيـرة فيها وابـلاغها إلى عشـرة آلاف مقاتـل كما تـدل على ذلـك المعلومات التي وصلت اليه، وطلب إمداده بمزيـد من الاسلحة والـذخائـر والالغام والمتفجرات.

وطلب إصـدار بيان من الهيئـة العربيـة العليا يحض أهـل حيفا عـلى التـزام التعليمات من القيادة التزاما كاملا، وأن لا يسمح لأحد بالعمل مـا لم يكن مرتبـطاً بـالقيادة، والايعـاز الى أرباب الاقـلام وذوي المهن والموظفـين بـدعم القيـادة دعـما فعالا. وتوقـع إذا تحققت هذه المـطالب أن تصبح حيفـا ومنطقتهـا عربيـة محضة في وقت قريب.

مصرع القائد الحنيطي:

بعدما تزود القائد الشهيد محمد الحنيطي بما تيسر له من السلاح والعتاد الذي

كان قسم منه من اللجنة العسكرية في دمشق وقسم آخر من معتمدي الهيئة العربية العليا لفلسطين في صيدا، وتوجه عائداً نحو حيفا عن طريق الناقورة فعكا، وكان برفقته نخبة من المجاهدين الابطال منهم المجاهد المؤمن سرور برهم. ووصلت القافلة الى عكا بسلام وكانت مؤلفة من عدة سيارات منها سيارتان كبيرتان تقلان السلاح والذخيرة وسيارات أخرى تقل القائد الحنيطي وصحبه، ولم يشأ الحنيطي أن يقضي ليله بعكا واستأنف السير إلى حيفا. فلما وصلت القافلة قرب مستعمرة (موتسكن) اليهودية الواقعة في منتصف الطريق بين عكا وحيفا، كان اليهود قد أعدوا كمينا للقافلة ففاجأوها باطلاق نيران كثيفة على السيارة التي في الطليعة فسقط قائدها شهيداً وعندئذ ترجل القائد الحنيطي وعدد من صحبه واستعدوا للقتال، واستطاعت أحدى السيارتين اللتين كانتا تحملان الاسلحة والذخيرة ان ترجع على عقبها وتصل الى عكا بسلام، والتحم المجاهدون وهم قلائل بقوى كبيرة من العدو كانت مستعدة ومتحصنة بالمصفحات، فاستشهد القائد الحنيطي وعدد من رفاقه وتمكن الاعداء من الوصول الى السيارة الأخرى المملوءة بالاسلحة والمتفجرات وشرعوا يحيطون بها ويتسلقونها، وعندئذ أقدم الشهيد البطل سرور برهم على موقف فدائي عظيم إذ قال لمن حوله من الرفاق: يا إخوان تشهدوا (أي انطقوا بالشهادتين) ثم انتزع من وسطه إحدى القنابل والقاها على السيارة المملوءة بالذخائر والمتفجرات، وعندئذ حدث انفجار هائل هز مدينتي عكا وحيفا وسمع دويه من الحدود اللبنانية اذ انفجرت السيارة بما فيها من الالغام والذخائر وبمن كان عليها وحولها من اليهود وسقط عدد كبير منهم ما بين قتيل وجريح، وكذلك استشهد من بقي حيا من رجال القافلة وحرسها باستثناء واحد منهم. وهكذا كانت نهاية القافلة العربية وقائدها ومجاهديها الابرار، وفجعت حيفا خاصة وفلسطين عامة بهذه الكارثة وتم نقل جثث الشهداء إلى حيفا وجرى لهم مأتم حافل ثم نقل جثمان القائد الشهيد محمد الحنيطي الى مدينة جنين ومنها الى بلده في شرق الأردن حيث دفن فيها.

بيان اللجنة القومية بحيفا:

وفي أعقاب هذه الكارثة اصدرت اللجنة القومية بحيفا بيانا جاء فيه ما يأتي:

«. . . هذه قافلة من قوافل شهدائنا الابرار تلقى ربها، عاملة، مجاهدة، ومع

ان اللجنة القومية بحيفا تستعذب الموت وتسترخص في سبيل الوطن التضحيات، فانه لا يسعها إلا أن تنعي الى الأمة الكريمة زمرة من خيرة ابنائها، ورهطاً من أعز جنودها هم:

قائد حامية حيفا الباسل محمد الحنيطي وإخوانه المجاهدون الابرار: محمد سرور برهم، فخري عبد الواحد البرد، عمر الخطيب، احمد خضر موسى، أحمد وجيه رحال، يوسف الطويل، علي كسار، حسن سلامة، عطا الله سلامة، محمد ناظم طرطوس، محمد مصطفى خليل، علي سجاع.

استشهد جميعهم نتيجة اعتداء غادر أثيم بين حيفا وعكا في الساعة الثالثة من بعد ظهر امس الاربعاء الواقع في ١٧ - ٣ - ١٩٤٨».

الشهيد محمد اورخان:

وفي هذا المقام، تجدر الاشارة الى معركة اخرى وقعت في حيفا كان بطلها الضابط التركي الشهيد محمد فخر الدين اورخان، الذي انضم متطوعا الى قوات المجاهدين في حيفا. لقد كان لهذا الضابط الشهم فضل كبير في تنظيم الحاميات العربية وتدريبها وتوزيع المهام على أفرادها. كما كان يعين الاهداف ويقود بعض المعارك التي كانت تجري بين العرب واليهود.

وآخر معركة قادها هذا الضابط الشهيد كانت معركة بيت غاليم، حيث جهز لغما كبيراً حمله مع بعض رفاقه واتجهوا نحو المستعمرة لنسفها، وعند مشارف المستعمرة تصدت لهم كتيبة من الجيش البريطاني، واشتبكت مع المجاهدين في معركة ضارية دامت عدة ساعات، استشهد فيها البطل التركي رحمه الله.

بيانات القيادة العليا:

على أثر صدور قرار التقسيم وظهور بوادر اندلاع الثورة في فلسطين أصدرت «القيادة العليا للمجاهدين في فلسطين» عدة بلاغات وبيانات اقتضتها الظروف والاحوال كان منها البلاغ رقم (١) الذي أعلن فيه المشروع في الجهاد.

وتلا ذلك بيان رقم (٢) بتاريخ ١٤ - ١٢ - ١٩٤٧ اشتمل على تحذير الفلسطينيين من غدر الاعداء وكيدهم لانهم يتسللون خفية بين صفوف الشعب

متنكرين بلباس الجنود البريطانيين تارة وباللباس العربي تارة أخرى ويلقون القنابل والمتفجرات فتفتك بالابرياء وتدمر البيوت والمنازل وتوقع اضراراً عظيمة في الانفس والأموال والممتلكات. واشتمل البيان على تنبيه الشعب الى تشديد الحراسة في المدن والقرى ليلا ونهاراً والى اجتناب التجمعات والاحتشاد في الساحات والشوارع والاسواق والمحلات العامة، والحذر من الاشخاص غير المعروفين والمشتبه فيهم الانتقال إلى القوارب الراسية في الميناء، ولشدة الزحام كان كثيرون يسقطون في الماء، وأخذت القوارب تقلع من حيفا إلى عكا في حالة يرثى لها.

الهيئة العربية العليا عارضت في خروج العرب من فلسطين:

روعت الاهلين المذابح الوحشية المدبرة التي اقترفتها العصابات الصهيونية المسلحة كمذابح دير ياسين وناصر الدين وحواسة وعيلوط وسكرير والدوايمة وبلد الشيخ وغيرها لخروجها عن كل شعور انساني، وكل عرف اجتماعي وقانون دولي، وأخذ بعض الناس يغادرون بيوتهم ومساكنهم الى بلدان عربية مجاورة. ورافقت ذلك دعاية استعمارية صهيونية واسعة تحض الناس على هجرة موقتة الى البلاد المجاورة ريثما تصل الجيوش العربية الى فلسطين. فتصد المعتدين وتعيد المهاجرين الى منازلهم آمنين كما وعد المسئولون من حكام الدول العربية وقادتها حينئذ في خطبهم وتصريحاتهم؟!

وكان من أكبر الاخطاء التي وقعت فيها الحكومات العربية المجاورة أن فتحت بلادها لتسهيل هجرة الفلسطينيين اليها. ولما كنا شديدي الحرص على بقاء الفلسطينيين في بلادهم مهما كانت الظروف واشتدت الاخطار، فقد بادرت الهيئة العربية العليا لفلسطين بنشر بيان في شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ على الشعب الفلسطيني، دعته فيه للبقاء في بلاده وأن لا يجلو عنها لأي سبب. وان يدافع حتى النفس الاخير. وكذلك ارسلت الهيئة العربية بيانا الى جميع اللجان القومية، وهي الهيئات الوطنية الممثلة للشعب الفلسطيني في كافة المدن والقرى، وإلى قيادة جيش الجهاد المقدس وقواد المناطق، للعمل على منع الأهلين من مغادرة البلاد، إلا الطلاب المسافرين للالتحاق بالمدارس والجامعات، والمرضى المضطرين للمعالجة الضرورية في الخارج.

واذكـر مثلا عـلى ذلك أن سيـادة المطران جـاورجيوس حكيم مـطران الـروم الكاثوليك في حيفا وعكا وسائر الجليل (غبطة البطريرك مكسيموس الخـامس حكيم فيما بعد) لما رأى اشتداد المعركة بين العرب واليهود في حيفا ابـرق الي بصفتي رئيساً للهيئة العربية العليا طالبا السماح له بنقل أطفال طائفته الى بيـروت، فاجبتـه برقيـا بأن لا ينقلهم الى خارج فلسطين وإذا كان لا بد من النقل فليكن الى مدن فلسطين الداخلية الخالية من اليهود.

وكان رئيس اللجنة القـومية بحيفـا السيد رشيـد الحاج إبـراهيم قد بعث الي برسالة في ٣ آذار (مارس) ١٩٤٨ يخبرني فيها بـأن سيادة المـطران حكيم قام بمسـاع لدى السلطات السورية واللبنانية لايواء العائلات النازحة عن بعض مـدن فلسطين وتهيئة ما يلزمها من طعام ومقام. فأبرقت الى السيد رشيـد بأن الهجـرة ضارة جـداً بصالح البلاد. ثم اتبعت البرقية برسالة بتـاريخ ١٣ مـارس جاء فيهـا: (اننا نقـدر العـاطفة التي حملت سيـادة المطران عـلى القيـام بهـذا المسعى الانسـاني، كـما نقـدر العطف الكريم الذي حمل كـلا من رئيس الجمهوريـة السوريـة ورئيس الجمهوريـة اللبنانية على تلبية طلب سيادته ولكننا نخشى أن يكون نزوح العائلات عن فلسطين الى خارجها سبباً في إضعاف معنـويات امتنـا المجاهـدة، ولذلـك نرى أن الأفضـل السعي لنقـل ما تـدعو الضـرورة الماسـة لنقله من العائـلات في الأمـاكن الشـديـدة الخطر، إلى الأماكن المأمونـة في المدن والقـرى الداخليـة الفلسطينيـة وبذلـك تحافظ البلاد على سمعتها الطيبة وتظل الروح المعنوية قوية سليمة). .

وفي الوقت نفسه ابـرقت الى السيد كمـال حداد مـدير مكتب الهيئـة العربيـة العليا في بيروت البرقية التالية:

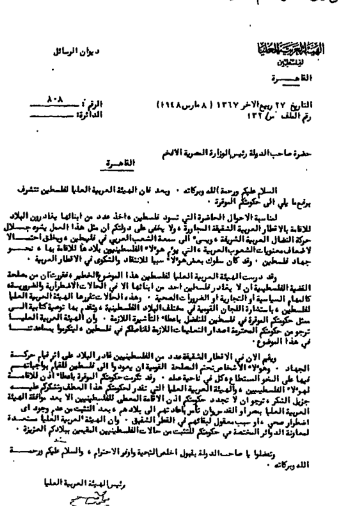
(هجـرة الاطفال وغيـرهم من فلسطين للشـام وبيـروت ضـارة بـالمصلحـة. راجعوا الجهات المختصة بدمشق وبيروت لمنعها وتيلونا[1]).

حذرنا المسئولين العرب!

هذا ولم تقصر الهيئة العربية مساعيها على محاولة منع الفلسطينيين من الهجـرة الى الخارج بل قدمت رسـائـل الى الحكومـات العربيـة في ٨ مارس ١٩٤٨ التمست

(١) عبارة متعارف عليها في البرقيات تيونا أخبرونا.

فيها أن لا تعطي تأشيرات دخول لأي فلسطيني إلا في حالة الضرورة القصوى كأن يكون الراغب في السفر مريضاً يذهب للاستشفاء أو تلميذاً يسافر للدراسة بعد التثبت من ذلك من اللجان القومية. وقد حمل مندوبون من الهيئة العربية العليا تلك الرسائل إلى العواصم العربية.



الهيئة العربية العليا
لفلسطين
القاهـــرة

ديوان الرسائل

التاريخ ٢٧ ربيع الاخر ١٣٦٧ (٨ مارس ١٩٤٨)
رقم الملف س/ ١٣٢

الرقم : ٨٠٨
الدائرة:

حضرة صاحب الدولة رئيس الوزارة المصرية الافخم
القاهـــرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الهيئة العربية العليا لفلسطين تتشرف برفع ما يلي الى حكومتكم الموقرة .

لمناسبة الاحوال الحاضرة التي تسود فلسطين ، اخذ عدد من ابنائها يغادرون البلاد للاقامة بالاقطار العربية الشقيقة المجاورة ، ولا يخفى على دولتكم ان مثل هذا العمل يشوه جلال حركة النضال العربية الشريفة ، ويسيء الى سمعة الشعب العربي في فلسطين ، ويخلق احتمالا لاضعاف معنويات الشعوب العربية ، التي يؤم هؤلاء الفلسطينيون بلادها للاقامة بها ، نحو جهاد فلسطين . وقد كان سلوك بعض هؤلاء سببا للانتقاد والشكوى في الاقطار العربية .

وقد درست الهيئة العربية العليا لفلسطين هذا الموضوع الخطير ، فقررت ان من مصلحة القضية الفلسطينية ان لا يغادر فلسطين احد من ابنائها الا في الحالات الاضطرارية والضرورية كالمهام السياسية او التجارية او الضرورات الصحية . وهذه الحالات تقررها الهيئة العربية العليا لفلسطين ، باستشارة اللجان القومية في مختلف البلاد الفلسطينية ، وتقدم بها توصية كتابية الى ممثل حكومتكم الموقرة في فلسطين للتفضل باعطاء التأشيرة اللازمة . وان الهيئة العربية العليا ترجو من حكومتكم المحترمة اصدار التعليمات اللازمة لقناصلكم في فلسطين ، ليتكرموا بمساعدتنا في هذا الموضوع .

ويقيم الان في الاقطار الشقيقة عدد من الفلسطينيين غادر البلاد على اثر قيام حركة الجهاد . وهؤلاء الاشخاص تحتم المصلحة القومية ان يعودوا الى فلسطين للقيام بواجباتهم فيها على النحو المستطاع ، كل في ناحية عمله . وقد تكرمت حكومتكم الموقرة باعطاء اذن للاقامة لهؤلاء الفلسطينيين ، والهيئة العربية العليا التي تقدر لحكومتكم هذا العطف وتشكركم عليه جزيل الشكر ، ترجو ان لا تجدد حكومتكم اذن الاقامة المعطى للفلسطينيين الا بعد موافقة الهيئة العربية العليا بمصر او القدس ، وان تأمر باعادتهم الى بلادهم ، بعد التثبت من عدم وجود اي اضطرار صحي ، او سبب معقول لبقائهم في القطر الشقيق . وان الهيئة العربية العليا مستعدة لمعاونة الدوائر المختصة في حكومتكم للتثبت من حالات الفلسطينيين المقيمين ببلادكم العزيزة .

وتفضلوا يا صاحب الدولة بقبول اخلص التحية ووافر الاحترام ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رئيس الهيئة العربية العليا

○○ وهذه البرقية بعث بها سماحة المفتي الى اللجنة القومية لحركة الجهاد في مدينة حيفا يحذرها من تشجيع هجرة الاطفال العرب من فلسطين.

مصلحة التلغرافات المصرية EGYPTIAN STATE TELEGRAPHS — G 13

٨١٢
٤٨/٣/١٢

إلى TO: كمال حداد
[illegible] رأس بيروت — بيروت

هجرة الاطفال ونحوهم من فلسطين للشام وبيروت خطرة بالمصلحة راجعوا الجهات المختصة بدمشق وبيروت بمنعها وتلافيها

الهيئــــة

مصلحة التلغرافات المصرية EGYPTIAN STATE TELEGRAPHS — G 13

٨٨٥
٤٨/٣/١٢

إلى TO: اللجنة القومية
حيفـــــا

هجرة الاطفال خطرة بالمصلحة الرجاء التريث في الامر وانتظار كتابنا

رئيس الهيئة

○○ صور زنكغرافية للرسالة التي أرسلها سماحة المفتي الى رئيس وزراء مصر ليطلب اليه مساندته في منع هجرة الفلسطينيين العرب من بلادهم!

خطوات مريبة سبقت دخول الجيوش العربية فلسطين

يقول الحاج أمين إن الدول العربية قد اتخذت سلسلة اجراءات قبل دخول جيوشها فلسطين. منها:

١ ـ قطعت المساعدة المالية التي قررتها في مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦ وقدرها مليونان من الجنيهات سنويا ولم تدفع منها للهيئة العربية العليا لفلسطين الا ١٤٧ الف جنيه وذلك في السنة الأولى فقط.

٢ ـ وضعت الجامعة العربية يدها على الأموال التي تبرعت بها الشعوب العربية لمعركة فلسطين وعلى الأموال الأخرى التي قامت وفود الهيئة العربية العليا بجمعها من العالمين العربي والاسلامي، بحجة تنسيق أعمال الجهاد..

٣ ـ اوقفت اللجنة العسكرية التي كان يشرف عليها الفريق طه باشا الهاشمي توزيع الاسلحة التي كانت اللجنة السياسية للجامعة قررت توزيعها في جلساتها المنعقدة في وزارة الخارجية بالقاهرة في صيف عام ١٩٤٧، وقد كنت أحضر تلك الجلسات حينئذ بصفتي عضوا في اللجنة السياسية.

٤ ـ صادرت اللجنة العسكرية الاسلحة الوفيرة التي دفع ثمنها أهل بيروت عام ١٩٤٧ لتسليح المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة الشهيدين عبد القادر الحسيني وحسن سلامة والتي كانت تحت إشراف (مكتب فلسطين الدائم) الذي كان مؤلفاً من عدة اشخاص لبنانيين مرموقين اذكر منهم المرحومين الحاج حسين العويني وحسن البحصلي والدكتور سليم ادريس.

اللجنة العسكرية تمنع السلاح عن المجاهدين الفلسطينيين:

وقد شهدت مقابلة بين طه باشا والقائد الشهيد عبد القادر الحسيني في الخامس من نيسان (ابريل) ١٩٤٨ بدمشق في مركز اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية عندما جاء عبد القادر من ميدان المعركة في فلسطين الى دمشق لمطالبة اللجنة العسكرية بامداده بالسلاح والعتاد، فقال عبد القادر لطه باشا: إن هذه الاسلحة اشتراها أمل لبنان تلبية لطلبنا، فلماذا اخذتموها ومنعتم تسليمنا إياها؟ فأجابه طه: ان هذه اسلحة جديدة وسأسلح بها الأفواج التي سنجندها من المجندين الذين دربوا في الجيش الافرنسي سابقاً. فقال له عبد القادر: اعطوا هؤلاء من الاسلحة المكدسة في مخازنكم، ونحن أحق بالسلاح الذي اشتري لنا خصيصاً، وأجدر من كل أحد بالدفاع عن بلادنا، ولكن طه باشا رفض تلبية الطلب.

طه باشا يمنع السلاح عن عبد القادر قبيل المعركة!

وعندئذ قدم عبد القادر لطه خرائط تبين الموقف العسكري في القدس وما حولها، وبسط له خطورة الوضع بعدما استولى اليهود على (القسطل) وهي القرية القائمة على أعلى جبل مشرف على القدس. وقال له: نحن في حاجة قصوى، من انقاذ القدس وطرد اليهود من القسطل، إلى بطارية مدافع، والى رشاشات وعتاد. فأجابه طه قائلاً: ليس لدينا مدافع. فقال عبد القادر: لقد اعطيتم القاوقجي اربع بطاريات فاعيرونا واحدة منها. فلما رفض طه قال له عبد القادر: أعطونا على الأقل بضعة رشاشات (برن) فاجابه طه: لا نعطيكم فانتم (باشبوزوق) وهي كلمة تركية تعني انهم ليسوا جنودا نظاميين.

فعندئذ تدخلت في الحديث وأفهمت طه باشا أن كثيراً من قادة جيش الجهاد المقدس، وفي مقدمتهم عبد القادر وحسن سلامة قضوا دورات عسكرية عديدة في العراق والمانيا ولكن طه لم يوافق على اعطائهم شيئا، فثار عندئذ عبد القادر وقذف بالخرائط التي كانت بيده في وجه طه وقال له: إنكم تريدون قتلنا وتمهدون سبيلنا الى هزيمة رخيصة.

وعدنا دون نتيجة الى فندق قصر الشرق بدمشق، حيث انتحى عبد القادر ناحية، وجعل يكتب استقالته من القيادة. وعندئذ دخل علينا المرحوم رياض بك

الصلح، فلما رأى الاستقالة في يد عبد القادر أخذ يهدىء من سورة غضبه ويسترضيه، وأعدا إياه وعدا أكيداً بأنه سيسترد السلاح الذي اشتراه أهل لبنان ويرسله اليه.

عبد القادر يستقيل احتجاجا واستنكارا:

وكان وقت الغداء فجلسنا الى المائدة، وقلت لعبد القادر الذي ازمع العودة في اليوم التالي الى القدس، مصمماً على طرد اليهود من جبل القسطل المنيع الذي أعرف خطورته: ارجو الا تجازف انت ورجالك باقتحام الجبل في هجمة واحدة لئلا تسقط منكم ضحايا كثيرة فأطلب منك أن تعدني بذلك. فلما لم يجب ألححت عليه. فقال: (كيف أعدك بذلك وليس لدينا من السلاح إلا أربعة رشاشات قديمة تضعف قوة رميها في أول معركة. فان لم نجازف بأجسامنا وأرواحنا فلا سبيل الى طرد اليهود من المواقع المنيعة، ولا سبيل الى إنقاذ القدس). فطلبت منه أن يتريث الى أن ينجز رياض بك وعده بارسال الاسلحة. فقال: إن اليهود يحصنون الجبل فيجب استرجاعه قبل أن يتموا تحصينه.

وفي ٦ نيسان غادر عبد القادر دمشق، وفي ٨ نيسان اقتحم مع رجاله القسطل وهزم اليهود واستولى على الجبل، لكنه أصيب بشظية من قنبلة مدفع (مورتر) فاستشهد رحمه اللّٰه وكانت تلك خاتمة حياته الشريفة.

وكنت في مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين بدمشق حينما جاءني طه باشا واللواء إسماعيل صفوت مع المرحوم شكري القوتلي للتعزية في عبد القادر. وكان القائد المرحوم حسن سلامة حاضرا. فعتب على طه تقصيره مع عبد القادر. فربت طه على ظهره متلطفا، فقال له حسن سلامة: تربتون على ظهورنا وتمهدون لقتلنا!!

وقبل أن أختم هذا الفصل عن القائد الشهيد عبد القادر الحسيني، أرى من حقه وحق القضية الفلسطينية علي في هذا المقام الذي هو مقام إبراز صفحات من تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، وجلاء حقائقها وتسجيل وقائعها أن أضيف ما يلي:

لما وصل عبد القادر القاهرة في ربيع سنة ١٩٤٦ كنت في فرنسا، فكتبت اليه مهنئاً بسلامة الوصول ومشيداً بما تحمله من الاخطار ومشاق السجن والاغتراب في

سبيل الواجب، فلم البث أن تلقيت منه رسالة مؤرخة في ١٤ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ دلت على ما كان يتحلى به من فيض الشعور والاستعداد للجهاد والفداء في سبيل امته ووطنه. ومما جاء فيها قوله:

(.. وبعد فقد سررت برسالتكم أعظم سرور وكانت لي أعظم مشجع. تذكرون تقديركم لتحملنا مشاق الغربة والسجون. فهذا التقدير هو وسام عظيم الشأن أناله من زعيمي وقائدي إلا أنني اشعر تمام الشعور أنه أكثر مما استحق، وأنا شخصياً أشعر بالخجل الشديد كلما قست صغر ما قمت به من جهود بعظم ما قام به امثالي من شباب الأمم الاخرى الذين لا أرى فيهم ما يميزهم عن أي شاب عربي، ولكنني لا أزال كبير الأمل بأن تتاح لي الفرص لاداء واجبي الوطني بكل ما استطيع من جهود بفضل قيادتكم وتوجيهكم)..

وقد اجبت عليها برسالة من باريس مؤرخة في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٦٥

مصادرة اسلحة الهيئة العربية:

ـ وما حدث في تلك الأيام:

صادرت عدة دول من دول الجامعة العربية، مخازن الاسلحة التي كانت في حوزة المجاهدين الفلسطينيين. ومعامل اصلاح الاسلحة، وتعبئة الذخيرة. وقد نشرت حينئذ مجلة (آخر ساعة) صورا لعدد كبير من سيارات النقل الكبيرة يزيد على ثلاثين سيارة وهي ملأى بالسلاح والعتاد الذي صودر من مستودعات الهيئة العربية العليا بالقاهرة. وكان ذلك في عهد حكومة النقراشي.

كما انتزعت جامعة الدول العربية زمام قضية فلسطين السياسية من أيدي أهلها الفلسطينيين، وأبعدت عنها الذين كانوا يتولون زمام قيادتها السياسية ويديرون معاركها الحربية.

وكان الموقف حرجا عندما عارضت الهيئة العربية العليا دخول الجيوش العربية واستبداد الجامعة بالقضية الفلسطينية، فقد انبثقت حينئذ دعاية قوية بين الفلسطينيين بأن جيوش الدول العربية السبع ستقضي على الصهيونيين وتنقذ فلسطين دون أن تكبد أهلها خسائر في الانفس والأموال، ودون أن تكلفهم جهدا

وعنـاء، ولكن الهيئة العـربية تعـارض في ذلك لغـايات خـاصـة!! وقـد لقيت هـذه الـدعايـة المضللة آذاناً سميعـة عند كثـير من الفلسطينيـين، فأخـذوا يلحـون علينـا بالانصياع الى الدول العربية.

ومن الانصاف ان نورد هنا أن الملك عبد العزيز آل سعود والنقراشي لم يكونا راغبين في دخول الجيوش العربية فلسطين. فالنقراشي كان يرى أن مصر لا تستطيع دخـول الحرب والجيش الانجليـزي جاثم عـلى قنـاة السـويس. لكن الملك فـاروق استجاب لرؤساء وزارات الدول العربية الذين قابلوه واقنعوه بأن الأمـر لا يعدو أن يكـون (نزهـة عسكريـة). أما الملك عبـد العزيـز فقد استـدعى رؤسـاء الـوزارات العـربية الى الـرياض ونصحهم بـأن لا يدخلوا جيـوشهم، وأن يـرسلوا متـطوعـين واستعد هو أن يـرسل عـددا كبيرا من المتـطوعين فلما اصـروا على مـوقفهم قال لهم انكم ستندمون..

وهكذا كان الضغط الاستعماري العامـل الاكبر في خـطة إبعاد الفلسـطينيين عن المعركة، خشية من تفاقم حرب العصابات وأعمال الفدائيين التي كانت العلاج الناجع لقضية فلسطين واحبـاط مخططات الصهيـونيين والمستعمـرين وكان من أكبـر الاخطاء التي ارتكبتها السلطات العربية المسئولة بعـد حرب فلسـطين، أنها منحت الاعداء الصهيونيين فرصة فريدة، استمرت عشـرين سنة. قبـل نكبة الخـامس من حـزيران (يـونيو) ١٩٦٧، من المهـادنة والمسـالمة، اغتنمهـا الاعـداء لتثبيت أركـان دولتهم واستكمال استعداداتهم الحربية دون رقيب ولا حسيب. وكـان ذلك بضغط من بعض الدول الاجنبية الضالعة مع الصهيونيين.



فخامة الرئيس اللبناني الاستاذ سليمان فرنجية في منزل الفقيد الكبير معرباً عن تقدير البلد المضياف لبنان لمفتي فلسطين الأكبر.



قائد قوات الثورة الفلسطينية «ياسر عرفات» يدخل جامع الحرج لاستقبال جثمان الراحل الكريم في يوم الوداع.

من وثائق قيام دولة الاغتصاب

سجل المفتي في مفكرته تفاصيل المؤامرة الدولية التي أدت الى قيام إسرائيل والدور البارز الذي قام به الرئيس الامريكي ترومان في هذا المضمار فقال:

شهدت الايام الأخيرة من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ نشاطاً عظيماً وصراعاً شديداً في دوائر الأمم المتحدة بين العرب وأنصارهم من الدول التي عارضت التقسيم، وبين اليهود ومن أيدهم في باطلهم من الدول الاجنبية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا. وجرت محاولة أخيرة من قبل العرب لانقاذ الموقف عندما ايقنوا أن مشروع التقسيم سيفوز بالاكثرية المطلوبة، إذ تقدم مندوب لبنان السيد كميل شمعون بالاتفاق مع بعض المندوبين العرب، باقتراح الى الجمعية العمومية بتشكيل دولة فلسطينية اتحادية (فيدرالية) بدلا من التقسيم لكن الاقتراح فشل ووافقت الجمعية العمومية على تقرير اكثرية أعضاء اللجنة الدولية الذين أوصوا بالتقسيم. وصدر القرار بأكثرية ٣٣ صوتا ضد ١٣ واستنكف ١١ عن التصويت. وهكذا قيض لمؤامرة تقسيم فلسطين أن تتخذ شكلها القانوني والدولي في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧.

وهكذا حصلت أميركا وبريطانيا بالتواطؤ مع اليهودية العالمية والمنظمات الصهيونية وزر هذه المؤامرة، وكان للرئيس الاميركي «ترومان» بالذات النصيب الأكبر من هذا الوزر والكارثة التي حلت بالشعب الفلسطيني والتي لا يزال جرحها يدمي قلوب العرب والمسلمين رغم انقضاء خمسة وعشرين عاما إلى أن يقيض اللّه لهم يقظة شاملة ووثبة مباركة وعودا حميدا الى القيم الدينية والخلقية، التي هي وحدها وسيلتهم لاسترداد وطنهم ومقدساتهم من أعداء الانسانية ومثيري الفتن

والفساد والحروب في العالم الذين قال اللّه تعالى فيهم: **﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها اللّه، ويسعون في الأرض فساداً، واللّه لا يحب المفسدين﴾**

ولم يعد خافيا الدور الذي قامت به أميركا لحمل كثير من مندوبي الدول، ترغيبا أو ترهيبا، على التصويت للتقسيم، فبذلك كسب الصهيونيون من الأصوات ما ضمن لهم أكثرية الثلثين للفوز بقرار التقسيم. وكان من بين مندوبي الدول التي غلبت على أمرها مندوب (هايتي) الذي أكد لظفر اللّه خان مندوب باكستان وغيره من المندوبين أنه اضطر للتوقيع على القرار وعيناه تفيضان من الدمع. وابلغ مندوب الدومنيكان الدكتور هنريكوس الوفد الفلسطيني في الأمم المتحدة انه يرى التقسيم أمراً غير واقعي ولا منطقي ولا ينتج عنه إلا سفك الدماء.

لقد كنت في المانيا عندما تسلم «ترومان» منصب رئاسة الجمهورية أثر موت «روزفلت» كان فريق من الالمان حينئذ مستبشراً ومتوقعا أن يكون الخلف خيرا من السلف. لكن الواقع أخلف الظن فان ترومان لم يكد يتسلم زمام الحكم حتى انحاز الى الصهيونيين انحيازا فيه كل أسلافه فقد طالب بادخال مائة ألف يهودي فورا الى فلسطين، ثم وافق على إرسال لجنة التحقيق الانجلو اميركية الى فلسطين عام ١٩٤٦ التي اظهرت تحيزا عظيما للصهيونيين وأصدرت تقريراً هو أبعد ما يكون عن العدل والنزاهة، إذ أوصت بادخال مائة ألف مهاجر يهودي الى فلسطين، وقضت بألا تكون الهجرة اليهودية رهينة برضاء العرب، وأباحت انتقال الأراضي العربية الى اليهود، وأهملت مطالب العرب وانكرت عليهم حق تقرير المصير. وقد أظهر ترومان انه صهيوني أكثر من الصهيونيين إذ أمر الوفد الامريكي في الأمم المتحدة بأن يصر على التقسيم، وعلى أن تكون العقبة وأراضي النقب كلها لليهود.

وايزمان يروي الحادث:

وقد أكد هذه الحقيقة الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان في مذكراته قائلا: «انه عندما اشتدت معارضة العرب للتقسيم، شعر رئيس الوفد الاميركي السفير «هرشل جونسون» أنه يجب تخفيف حدة مقاومة العرب، ولا سيما أن مشروع التقسيم يمنح اليهود مساحات كبيرة من الأراضي وهو أمر يثير العرب، فاعتزم الوفد الاميركي أن يقوم بتسوية على أساس إعطاء العرب قسما من أراضي النقب، مع ميناء العقبة

وضمه الى أراضي الدولة المقترحة. وأضاف وايزمان: «أنه عندما علم بذلك أصابه خوف شديد فسافر من فلسطين إلى واشنطون خصيصاً وأن ترومان استقبله يوم ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ بعطف شديد ولطف عظيم، فحدثه وايزمان في موضوع أراضي النقب وإمكان ريها باحدى طريقين: أما بإرسال المياه إليها من الشمال وفقا لمشروع «لوذر ميلك» وأما من المياه الجوفية الموفورة فيها، وإذا كان لا بد من إعطاء العرب قسما من النقب فليكن التقسيم على أساس خط عمودي (من الشمال الى الجنوب)، لا على أساس خط أفقي، وبذلك يحصل كل من العرب واليهود على قسم من الأراضي الخصبة وقسم من الأراضي الصحراوية، أما العقبة نفسها فينبغي أن تكون من حق الدولة اليهودية».

وقال وايزمان: «انه حدث ترومان عن المشروعات العديدة التي سيقوم بها اليهود في النقب كفتح قناة من العقبة الى البحر الأبيض المتوسط موازية لقناة السويس، وتوسيع ميناء العقبة وجعله صالحا لاستقبال السفن الكبيرة ومرورها منه.. وأضاف وايزمان قائلا أنه فرح كثيراً عندما شاهد ترومان يرجع الى الخريطة ويتأملها باهتمام، ثم يبلغ وايزمان إنه سيتصل بالوفد الاميركي في إليك ساكسيس في هذا الشأن وقال وايزمان إنه بعد ظهر ذلك اليوم جاء السفير هرشل جونسون رئيس الوفد الاميركي في الأمم المتحدة وزميله الجنرال هلدرج لزيارة «شرتوك» وزير خارجية اسرائيل ورئيس وفدها في الأمم المتحدة) وليبلغاه وجهة نظر الوفد الاميركي في شأن تقسيم النقب بين العرب واليهود وجعل العقبة من حصة العرب ولكن في تلك اللحظة اتصل ترومان بجونسون بالتليفون مدة نصف ساعة وطلب منه أن تظل العقبة والنقب كله من نصيب الدولة اليهودية!

وأضاف وايزمان الى ذلك قوله: «هكذا فتح القرار الاميركي السبيل للتصويت على مشروع التقسيم في الجمعية العمومية في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ ففاز بأكثرية ٣٣ صوتا ضد ١٣».

وهكذا ظهر أن ترومان كباقي الرؤساء الاميركيين الذين تولوا الرئاسة منذ وعد بلفور، يعملون لصالح اليهود أكثر مما يعملون لصالح أميركا. ومن المناقضات الغريبة أن كلمة «ترومان» تعني «رجل الحق» أو «رجل الصدق». فهل كان ترومان في موقفه من قضية فلسطين رجل حق وصدق؟!

مذكرة الملك عبد العزيز آل سعود الى ترومان:

ولهذه المناسبة أرى استيفاء لهذا الموضوع أن أورد هنا نص المذكرة التي بعث بها الملك عبد العزيز آل سعود الى ترومان بشأن فلسطين مدافعا عن حق العرب والمسلمين فيها ومظهرا شدة دهشته لتصريح ترومان الذي أيد فيه موقف اليهود وعدوانهم الصريح وطغيانهم وهجرتهم الى فلسطين، مناقضا بذلك التعهدات والوعود الاميركية السابقة التي أكدها البيان الذي أذاعه البيت الأبيض في ١٦ أغسطس (آب) ١٩٤٦ . وأن اتبع مذكرة الملك عبد العزيز برد ترومان عليها لأن نشرهما يبين بوضوح تناقض ترومان وتراجعه عن موقفه السابق كما فعل سلفه روزفلت:

«يا صاحب الفخامة . .

إن الصداقة التي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحدة، والصداقة التي تأسست بيني وبين الرئيس الراحل روزفلت، والصداقة التي تجددت بيني وبين فخامتكم تجعلني شديد الحرص في المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة، ولذلك تجدونني فخامتكم ألح وأكرر في كل مناسبة أشعر بها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادي ومع سائر البلاد العربية لكي أزيل ما يمكن أن يعرقل هذا الصفاء.

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم حقيقة الموقف في فلسطين والحق الطبيعي للعرب فيها وأن ذلك يرجع الى آلاف السنين وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية اعتدت في أول الأمر بأسم الانسانية ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس بخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة.

أضف إلى ذلك أطماعهم التي بيتوها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة ومنها أماكن في بلادنا المقدسة.

لقد دهشت للاذاعات الاخيرة التي نسبت تصريحا لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين وتأييد هجرتهم اليها بما يؤثر على الوضعية الحاضرة فيها خلافا للتعهدات السابقة.

ولقد زاد في دهشتي أن التصريح الذي نسب أخيراً لفخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة في جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر في جريدة أم القرى بأسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ اغسطس ١٩٤٦ وذلك البيان صريح في أن حكومة الولايات المتحدة الاميركية لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين وأظهرتم أملكم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية، وبين الحكومة البريطانية والفريق الثالث، وأظهرتم فخامتكم رغبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة لايواء المشردين وفي جملتهم اليهود، ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين إطلاعي على البيان الأخير الذي نسب لفخامتكم مما جعلني أشك بصحة نسبته لكم لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في ١٦ اغسطس ١٩٤٦ من البيت الابيض، واني لعلى يقين بأن شعب الولايات المتحدة الذي بذل دمه وماله في مقاومة العدوان الغاشم لا يمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي صديق لم يقترف ذنبا غير إيمانه بمبادىء العدل والانصاف التي قاتلت من أجلها الأمم المتحدة، وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم في هذا السبيل. ورغبة مني في المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة، أوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذي يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت أي مساعدات لهذا العدوان الصهيوني، وأني على يقين بأن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يقبل أن يدعو للحق والعدل والانصاف ويحارب من أجله بقوة في سائر انحاء العالم ويمنع هذا الحق والعدل عن العرب في بلادهم فلسطين التي ورثوها عن آبائهم واجدادهم منذ العصور القديمة.

وأقبلوا تحياتنا. .

١٥ اكتوبر ١٩٤٦»

رد ترومان على الملك عبد العزيز:

«يا صاحب الجلالة. .

لقد استلمت الآن كتابكم بشأن فلسطين، الذي تلطفتم جلالتكم وحولتموه

الي عن طريق المفوضية السعودية العربية بتاريخ ١٥ اكتوبر ١٩٤٦ وأوليت الآراء التي عبرتم عنها فيه اهتماماً كافياً.

وأني لمقدر بصورة خاصة أسلوبكم الصريح الذي عبرتم عنه في كتابكم، إن صراحتكم تتفق تماما والعلاقات الودية التي تقوم منذ مدة طويلة بين بلدينا والصداقة الشخصية بين جلالتكم وسلفي المختار، تلك الصداقة التي أرجو الاحتفاظ بها وتقويتها.

وهي بالذات هذه العلاقة الودية القائمة بين بلادنا، وموقف جلالتكم الودي، هي بعض الاعتبارات التي دعت هذه الحكومة الى اتباع الطريق الذي كانت تتبعه فيما يختص بقضية فلسطين واليهود المشردين في أوربا.

وأني لمتأكد أن جلالتكم سيوافق بسهولة على أن وضع اليهود المفجع، ممن هم ضحايا اضطهاد النازي في أوربا، يكون قضية ذات أهمية وتأثير، لا يمكن لاناس ذوي نية طيبة وغرائز انسانية أن يتجاهلوها. وأن هذه القضية تعتبر قضية ذات صبغة عالمية. ويتراءى لي بأن كلا منا تقع عليه مسئولية مشتركة للعمل على إيجاد حل، يساعد أولئك المنكوبين الذين هم مضطرون الى مغادرة أوربا للعثور على أوطان جديدة حيث يمكنهم العيش بسلام وأمان.

ومن بين الاشخاص المشردين الذين نجوا من الموت في المعتقلات في أوربا، هنالك عدد من اليهود، حالتهم فاجعة بصورة خاصة، وذلك من حيث انهم يمثلون بقايا يرثى لها من الملايين التي اختارها زعماء النازي عمدا للقضاء عليها.

إن كثيراً من هؤلاء الاشخاص ينظرون إلى فلسطين كمأوى يأملون أن يجدوا فيه ملجأ بين أناس من ابناء دينهم، ويباشرون قضاء حياة هادئة مفيدة ويساهمون في إطراد تقدم الوطن القومي اليهودي.

إن حكومة الولايات المتحدة وسكانها عاضدوا مفهوم الوطن القومي اليهودي في فلسطين منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى التي أثمرت تحرير الشرق الأدنى ومن ضمنه فلسطين وإقامة عدد من الدول المستقلة التي هي أعضاء في هيئة الأمم اليوم.

إن الولايات المتحدة التي ساهمت بدمها ومواردها للانتصار في تلك الحرب، لا يمكنها أن تتخلى عن بعض المسئولية من أجل الطريقة التي عوملت بها تلك المناطق المتحررة أو من أجل مصير الشعوب التي كانت قد تحررت في ذلك الوقت. وقد اتخذت الموقف الذي لا تزال تلتزمه، ألا وهو تهيئة هذه الشعوب للحكم الذاتي ووجوب إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. واني لسعيد بأن أشير إلى أن أكثر الشعوب التي تحررت هم الآن مواطنون في بلاد مستقلة.

والوطن القومي اليهودي ـ على كل ـ لم يكتمل بعد؛ تقدمه تماماً. ولذلك فانه من الطبيعي حقا، أن تشجع هذه الحكومة الآن دخول عدد هام من المشردين من اليهود في أوربا الى فلسطين، لا ليجدوا هنالك ملجأ بل أيضا ليتمكنوا من المساهمة بمواهبهم وجهودهم في سبيل تشييد الوطن القومي اليهودي.

ولقد كان مما يتفق تماما والتقاليد السياسية لهذه الحكومة، بأني ـ منذ عام سبق ـ قد أخذت أراسل رئيس وزراء بريطانيا للاسراع في حل المشكلة الملحة أي مشكلة من تبقى من اليهود في معسكرات اللاجئين وذلك بنقل عدد هام منهم الى فلسطين.

ولقد كان اعتقادي الذي لا أزال متمسكا به، والذي يشاركني فيه عدد عظيم من سكان هذه البلاد، بأن ليس هنالك ما يساهم بصورة فعالة في تخفيف مصير من تبقى من هؤلاء اليهود، أكثر من السماح بدخول لا أقل من ١٠٠,٠٠٠ منهم حالا الى فلسطين.

ومع أنه لم يتخذ بعد أي قرار فيما يختص بهذا الاقتراح، لكن هذه الحكومة لا تزال تأمل بأنه من الممكن السير بموجب الخطة التي رسمتها لرئيس الوزراء. وفي نفس الوقت يجب أن نهتم بالطبع لبذل الجهود لفتح ابواب البلاد الأخرى ـ ومنها الولايات المتحدة ـ في وجه أولئك المساكين الذين هم الآن على أبواب شتاء السنة الثانية ولا مأوى لهم.

وأنا من جانبي قد أعلنت بأني مستعد لمطالبة كونجرس الولايات المتحدة، الذي يجب تهيئة مساعدته بموجب الدستور، ليضع تشريعا خاصا يقبل بموجبه الى هذه البلاد أعداداً إضافية من هؤلاء الاشخاص علاوة على حصة المهاجرين التي تقررت بموجب قوانيننا.

وعلاوة على ذلك ، كانت هذه الحكومة تعمل جاهدة - مع غيرها من الحكومات - في استقصاء امكانيات التعويض في بلاد أخرى خارج أوربا لأولئك الاشخاص المشردين الذين كانوا مضطرين الى الهجرة من تلك القارة، وفي هذا الصدد، كان مما شدد عزمنا أن نلاحظ تصريحات مختلف زعماء العرب واستعداد بلادهم للمساهمة في هذا المشروع الانساني، وذلك بقبولها عددا معينا من هؤلاء الاشخاص في بلادهم.

وأنا اعتقد إعتقاداً مخلصا بأن الأيام ستثبت امكانية الوصول الى تسوية مرضية لقضية اللاجئين تتفق تماما والخطة التي ذكرتها اعلاه.

وأما فيما يختص بامكانية استخدام اليهود العنف في مشاريع عدوانية ضد البلاد العربية المجاورة كما تصورتموه جلالتكم، فيمكنني أن اؤكد لكم بأن هذه الحكومة تقف معارضة العدوان مهما كان نوعه، أو استخدام الارهاب في سبيل الأغراض السياسية. وبامكاني أن أضيف أيضا بأني مقتنع بأن زعماء اليهود المسئولين لا يفكرون بسياسة عدوانية ضد البلاد العربية الملاصقة لفلسطين.

ولا يمكنني أن أوافق جلالتكم ولا بصورة على أن تصريحي الصادر في ٤ اكتوبر يتناقض والموقف الذي اتخذ في التصريح الصادر باسمي في ١٦ اغسطس. إن التصريح الأخير عبر عن الأمل في الوصول إلى حل عادل لقضية فلسطين واتخاذ خطوات مباشرة لتخفيف حالة اليهود المشردين في أوربا وذلك كنتيجة للمحادثات المقترحة بين الحكومة البريطانية وممثلي اليهود والعرب.

ولسوء الحظ أن هذه الآمال لم تتحقق، فالمحادثات التي تمت بين الحكومة البريطانية وممثلي العرب - قد تأجلت حتى ديسمبر دون إيجاد أي حل لقضية فلسطين أو اتخاذ أية خطوات من شأنها تخفيف حالة اليهود المشردين في أوربا.

وفي هذه الحالة ، يظهر أنه يقتضي علي أن أذكر بقدر ما يمكنني من الصراحة، أهمية القضية ورأيي فيما يختص بالاتجاه الذي به يمكن الوصول الى حل يقوم على العقل والرغبة الطيبة وبالخطوات المباشرة التي يجب اتخاذها. وهذا، ذكرته في تصريحي الصادر في ٤ اكتوبر.

وقد أشكل علي الفهم لماذا يبدو أن جلالتكم تشعرون بأن هذا التصريح يتضارب مع الوعود السابقة أو التصريحات التي صدرت من هذه الحكومة. وربما

من المستحسن أن نتذكر هنا بأنه في الماضي كانت هذه الحكومة ـ عند تلخيص موقفها عن فلسطين قد اعطت تأكيدات بأنها لن تتخذ أي اجراء من شأنه أن يكون عدائياً للشعب العربي وبأنها أيضا حسب رأيها لن تتخذ أي قرار يختص بالوضع الاساسي في فلسطين دون استشارة سابقة مع كل من العرب واليهود.

واني لاعتبر الحاحي على السماح بقبول عدد هام من اليهود المشردين الى فلسطين أو تصريحاتي فيما يختص بحل قضية فلسطين، يعبر بأي معنى عن عمل عدائي نحو الشعب العربي، بل أن شعوري نحو العرب ـ عندما افضيت بهذه التصريحات ـ كان ولا يزال ذا طابع ودي جدا. واني ليعتريني الاسف لأي نوع من النزاع بين العرب واليهود كما أني مقتنع بأنه لو نظر كلاهما القضايا التي تجابهها بروح من التفاهم والاعتدال لامكن حلها لمصلحة جميع من يعنيهم الأمر بصورة دائمة.

واني فضلا عن ذلك، لا أشعر بأن تصريحاتي كانت باعثا لتتخلى هذه الحكومة عن تأكيدها بأنه حسب رأيها لا يجب أن يتم قرار بشأن الوضع الاساسي في فلسطين دون التشاور مع كل من العرب واليهود. وفي بحر هذه السنة الجارية، كان هناك عدد من المشاورات مع كل من العرب واليهود. وكشخص يهتم لمصلحة بلدكم كما يهتم لمصلحة بلده اهتماما عظيما كما تجلى ذلك في الأمور المتنوعة التي أشرت اليها سابقا، اغتنم هذه الفرصة لأعبر عن املي الجدي بأن جلالتكم، الذي يحتل مركزا رفيعا كهذا في العالم العربي سيستخدم النفوذ العظيم الذي يتمتع به للمساعدة على إيجاد حل عادل ودائم في المستقبل القريب.

واني حريص على عمل كل ما في وسعي للمساعدة في هذا الموضوع كما أنه بامكاني أن اؤكد لجلالتكم بأن حكومة الولايات المتحدة وشعبها سيبقيان حماة عن مصالح العرب ورفاهيتهم كما انهما يعلقان قيمة عظيمة على صداقتهم التاريخية.

واني لاغتنم هذه الفرصة لابلغ جلالتكم تحياتي الشخصية، الحارة وأطيب تمنياتي لاستمرار الصحة والسعادة لجلالتكم ولشعبكم.

«٢٨ اكتوبر ١٩٤٦»

المخلص جدا ـ
هاري س. ترومان

صدى قرار التقسيم في العالم العربي:

كان لقرار التقسيم صدى عظيم واكتسحت العالم العربي موجة عارمة من السخط والاستنكار، وأعلن الشعب الفلسطيني الاضراب العام ثلاثة أيام متوالية مصحوبا بالمظاهرات الصاخبة، وقامت في الاقطار العربية مظاهرات واضرابات مماثلة، وفتحت الحكومة السورية باب التطوع للشباب، واحرق المتظاهرون في عمان سيارات شركة التابلاين وهاجموا مكاتبها، وفتحت مكاتب عديدة للتطوع في كثير من البلاد العربية، وأصبحت المصادمات تحدث كل يوم تقريبا في فلسطين بين العرب واليهود يقع في كل منها قتلى وجرحى عديدون.

بيان اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية:

وفي شهر كانون الأول ١٩٤٧ عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اجتماعا شهده اكثر رؤساء الدول العربية واذاعت بيانا في ١٧ من الشهر المذكور استنكرت فيه التقسيم وأعلنت العزم على مقاومته ومما جاء في البيان:

«.. وقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات في اجتماعهم بالقاهرة أن التقسيم باطل من أساسه، وقرروا كذلك عملا بارادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بعون اللّه باحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة الحق العربي. وسيرى العالم استحالة أخذ العرب بالعرب واخضاعهم للقوة أيا كان مصدرها. وسيرى العالم أن العرب حين دعوا الى التمسك بقواعد الحق والعدل، وحين انذروا بعواقب المغامرة الصهيونية، انما كانوا طلاب حق وعدل بين الناس جميعا، راغبين في استبعاد اسباب الفتن والاضطراب في الشرق الأوسط، وحريصين على إقرار السلام في ربوعه. وسيرى العالم كذلك أن الذين عملوا على تقسيم فلسطين دون تدبر العواقب يتحملون وحدهم مسئولية الفتن والاضطرابات التي اثاروها والتي لا يعلم مداها. أما وقد تغلبت الشهوات والأغراض حتى في الامم المتحدة، وأغلقت أبواب الحق والعدل في وجوه العرب، فانهم قد وطدوا العزم على خوض المعركة التي حملوا عليها، وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة بأذن اللّه..».

هكذا بدا حينئذ روح العزيمة والتصميم على احباط التقسيم مسيطرا على عقول العرب وقلوبهم، شعوبا وحكومات، وكنت قد تلقيت فيضا من البرقيات من

جميع المدن الفلسطينية، من الهيئات والمؤسسات والاندية والمجتمعات والجمعيات، والافراد، ومن الاقطار العربية والاسلامية وبلاد المهجر باستنكار التقسيم والدعوة الى الجهاد، واعلان الاستعداد للمشاركة في المقاومة بالانفس والاموال. واشير هنا الى برقيتين منها خاصة، الأولى من جميع رؤساء الاديان والطوائف المسيحية في القدس، والأخرى من الجبهة الديمقراطية للاحزاب الارمنية في بيروت، مما جعلني اشعر بقوة الصدمة التي أصابت الطوائف المسيحية من قرار التقسيم كما أصابت العرب والمسلمين جميعا.

برقية رؤساء الاديان والطوائف المسيحية:

«إن اتحاد الكنائس المسيحية في فلسطين الممثلة للبطريركية الارثوذكسية والبطريركية الارمنية ونيابة بطريركية الروم الكاثوليك وحراسة الأراضي المقدسة (اللاتين) والكنيسة البروتستانتية (الانجيلية) الرعوية، ونيابة البطريركية القبطية ونيابة البطريركية الارمنية الكاثوليكية ونيابة البطريركية السريانية ونيابة البطريركية السريانية الكاثوليكية والطائفة العربية اللوثرية في فلسطين، يطلبون من العالم بأسره، بمذكرة تذاع غدا وتوزع على الصحف وسائر الهيئات المختصة، ويظهرون فيها بأهمية واضحة الحقيقة بأن التقسيم ينافي (يناقض) قدسية وسلامة البلاد المقدسة كما يظهر جليا من سفك الدماء المستمر والتدمير طوال الأشهر الثلاثة الماضية. فالرجاء نقل خلاصة بياننا الى مجلس الأمن هذه الليلة. وسيصلكم بأكمله.

إبراهيم عياد
سكرتير الاتحاد

فلسطين والجامعة العربية:

وبصدور قرار التقسيم ايقن الفلسطينيون أنهم أمام حدث خطير. . . لقد قضوا حتى ذلك الحين ما يزيد على ربع قرن وهم يقارعون الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني رغم قلة عددهم وعددهم وضآلة مواردهم ووسائلهم، ولم يفت ذلك في أعضادهم، وها هم الآن يرون الخطر يتفاقم، وليس لهم سبيل إلا الصبر على المكروه، وتقبل المعركة بروح الايمان وقوة العزيمة. لقد كانوا في معاركهم

السابقة يقاتلون وحدهم دون أن يكون لهم عون أو نصير من إخوانهم في الاقطار العربية المجاورة إلا ما لا يكاد يعتد به، لكنهم هذه المرة شعروا أنهم جزء من حلف عربي، وأنهم لا بد مدعومون من إخوانهم العرب بعد ما تألفت «الجامعة العربية» التي ضمت عدة دول عربية، واشتمل ميثاقها الموقع في ٢٣ آذار (مارس) ١٩٤٥ على ملحق خاص بفلسطين اعتبرت فلسطين بمقتضاه مستقلة وغير تابعة لأية دولة أخرى ويحق لها الاشتراك في أعمال مجلس الجامعة، وكذلك اشتمل ميثاق اللجنة التحضيرية للجامعة العربية المعروف «ببروتوكول الاسكندرية» المعلن في ٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٤ على «قرار خاص البلاد العربية».

إن هذا الوضع الجديد للقضية الفلسطينية حمل الشعب الفلسطيني على الاعتقاد بأن فلسطين اصبحت جزءا من حلف عربي لأن ميثاق الجامعة اعتبرها «قطرا عربياً مستقلا» وأن بروتوكول الاسكندرية «اعتبرها ركنا مهما من أركان البلاد العربية تجب المحافظة على أراضيه والوصول الى استقلاله». لذلك أخذ الشعب الفلسطيني زمام المبادرة بالقتال والدخول في معارك ضارية مع العدو ليبرهن على أنه شعب معتدى عليه، وأن له وطنا يراد اغتصابه وتحويله الى دولة اسرائيلية خلافا للحق والعدل والشرائع الدولية.

المبادرة بالتسلح :

أخذ الفلسطينيون يتسلحون بما يستطيعون شراءه بأموالهم من الاقطار المجاورة كشرق الأردن، وسوريا، ولبنان. وأخذت الهيئة العربية العليا لفلسطين تعنى بهذا الأمر عناية جدية قبل أي أمر آخر. فقد كنت وما أزال أعتقد أن الحل الوحيد القاطع لمشكلتنا مع الصهيونيين لا يكون إلا بالتغلب عليهم بالقوة ولقد أيقنت بهذا منذ أول أدوار القضية الفلسطينية لمعرفتي بمطامع الصهيونيين وخطورة أهدافهم وأخذت بعد وصولي الى مصر أو الى الاجتماع بالقائدين الشهيدين عبد القادر الحسيني وحسن سلامة وغيرهما من المجاهدين والعسكريين للحصول على السلاح من مصادره. وكان أهم مورد لنا أول الأمر السلاح الذي حصلنا عليه من مخلفات الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية ما بين مصر وليبيا ثم في ليبيا نفسها. ولكن ذلك السلاح كان الكثير منه غير صالح للاستعمال. . فكان المكلفون

بالبحث والشراء يتخيرون الصالح منه وما يمكن إصلاحه ويدخلونه الى الأراضي المصرية، وقد وجدنا عونا كبيرا لنا في هذه المهمة من جماعة الاخوان المسلمين ومرشدها العام الشهيد الشيخ حسن البنا، ومن جمعية مصر الفتاة ورئيسها الشجاع الاستاذ احمد حسين، ومن عدد من الضباط المصريين المؤمنين الذين كانوا يقدمون لنا خدمات مشكورة ومساعدات قيمة في مناطق متعددة من الأراضي المصرية، وفي مقدمتهم الضابط المؤمن العقيد رشاد مهنا.

وحدث في ذلك الحين (تموز ـ يوليو ١٩٤٦) أن ألقى مستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية بيانا في مجلس العموم عن كثرة تسلح اليهود وأنهم يملكون من القوات المسلحة والمدربة أحسن تدريب ما يزيد على سبعين ألفا، وأن لديهم مخازن للسلاح تحتوي على كميات عظيمة من مختلف الاسلحة كالبنادق والمسدسات والمدافع والقذائف وعلى عشرات الاطنان من المتفجرات وغير ذلك من وسائل الحرب.

مناقشات في مجلس الجامعة العربية:

فلما عقد مجلس جامعة الدول العربية دورته الخامسة (تشرين الأول ـ كانون الأول اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٤٦) بحث وضع اليهود في فلسطين ووفرة تسلحهم مما يخشى أن يكون له نتائج خطيرة، كما بحث مسألة هجرة اليهود وتدفقهم على فلسطين وغير ذلك من الشئون المهمة التي هي في صميم القضية الفلسطينية، وتداول الاعضاء فيما يجب عمله لدفع هذا الخطر. وتناول البحث قرارات بلودان السرية وموقف كل من بريطانيا وأمريكا المعادي للعرب والمشجع لليهود، واتخذ المجلس عدة قرارات من جملتها الاحتجاج على أمريكا لتدخلها في قضية فلسطين تدخلا ضارا بالعرب ومهددا لكيانهم كما قرر إمداد الشعب الفلسطيني بوسائل الدفاع عن النفس.. ورفض كل مشروع يرمي الى تقسيم فلسطين.

وامتازت تلك الدورة بما حدث فيها من مجادلات ومناقشات، إذ قال بعض الأعضاء في إحدى الجلسات اننا تكلمنا كثيرا ولكن ما عملناه ليس أكثر من حبر على ورق، وهذا ما يردده الناس والصحف في فلسطين وخارجها بألم واستياء. وكان أبرز المتحدثين في هذا المجال السيد جميل مردم الذي طالب بدعم الشعب الفلسطيني في جهاده قائلا إنه إذا كان سوء الحظ قد وضع هذا الشعب في الجبهة

الامامية فليس من المروءة للآخرين أن يقولوا لاخوانهم: اذهبوا وقاتلوا انتم وربكم.

وقال الاستاذ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني إن ما عملناه غير كاف لأن اليهود الفوا جمعيلات ارهابية وهربوا السلاح وتسلحوا حتى استطاعوا أن يرهبوا انجلترا ولو كنا منذ ما رجعنا من بلودان سرنا في طريق غير الذي نسير فيه الآن واتبعنا بعض الاساليب التي يتبعها اليهود لكنا وصلنا الى نتيجة.

ودافع الامين العام السيد عبد الرحمن عزام من موقف الجامعة العربية قائلا انه لولا جهودها وجهود الدول العربية في السنتين الأخيرتين لكانت الدولة اليهودية قائمة اليوم في فلسطين وكل تغاض عن هذا المجهود هو تضليل ونكران للحقيقة. وقال انه يجب على أهل فلسطين أن يظهروا استعدادهم للتضحية وعلى دول الجامعة الا تتوانى في تقديم المساعدة..

جامعة الدول العربية

الأمانة العامة

عزيزي صاحب السماحة السيد أمين.

السلام عليك. وصلني كتابك. أما المساعي الحثيثة فلم أدخر في سبيلها وسعاً سواء مع البريطانيين أو بالنسبة لليوغوسلافيين ومطالبهم. وقد بلغت الحكومة اليوغوسلافية أن العرب على تدخلهم لطلب محاكمتك كمجرم حرب وأن العرب يعتبرون عملاً كهذا إساءة لهم وله. وأيدتني الحكومة المصرية في ذلك وقد بلغني البارحة بطريق غير رسمي أنهم لم يطلبوا شيئاً بعد. إن كل ما في يدي لمعاونتك على ما أنت فيه مبذول والله يرعاك. وتقبل وافر الحب

عبد الرحمن عزام

٢٥/٩/٤٥

ن.ب. وقد استلمت خطابك ١٦ سبتمبر المرسل لسامي الصلح وسلمت مذكرة الدفاع للحكومة المصرية لتوضيح وجهة نظرنا في حالة تحرك اليوغوسلافيين في ما قيل من طلبهم مرة أخرى. أو لتأييد ما طلبناه سابقاً منذ من عدم التعرض لكم.

عزام

الرسالة الأولى من عزام الى المفتي.

SAVOY HOTEL LONDON

واحدة من رسائل عزام.

الرسالة الثانية من عزام الى المفتي.

Ministry of Foreign Affa[illegible]

[illegible] April 28, 1942

Your Emine[illegible]

[illegible]sponse to your letter and to the accompanying co[illegible]ication of His [illegible]llency, Prime Minister Raschid Ali El Gailani, and [illegible]firming the t[illegible] of our conversation, I have the honour to inform you[illegible]

The German Government appreciates fully the confidence of [illegible] Ar[illegible] peoples in the Axis Powers in their aims and in their determ[illegible]tion to [illegible]duct the fight against the common enemy until victory is ach[illegible]ed. T[illegible] German Government hes the greatest understanding for the natio[illegible] [illegible]rations of the Arab countries as have been expressed by you bo[illegible] the greatest sympathy for the sufferings of your peoples under [illegible]ish oppression.

I have therefore the honour to assure you, in complete agree[illegible] [illegible]h the Italian Government, that the independence and freedom of th[illegible] [illegible]fering Arab countries presently subjected to British oppression, [illegible] one of the aims of the German Government.

Germany is consequently ready to give all her support to the [illegible]ssed Arab countries in their fight against British domination, [illegible]fulfillment of their national aim to independence and sovereignt[illegible] [illegible]r the destruction of the Jewish National Home in Palestine.

As previously agreed, the content of this letter should be [illegible] t[illegible] absolutely secret until we decide otherwise.

[illegible]eg your Eminence to be assured of my highest esteem and [illegible]ider-atio[illegible]

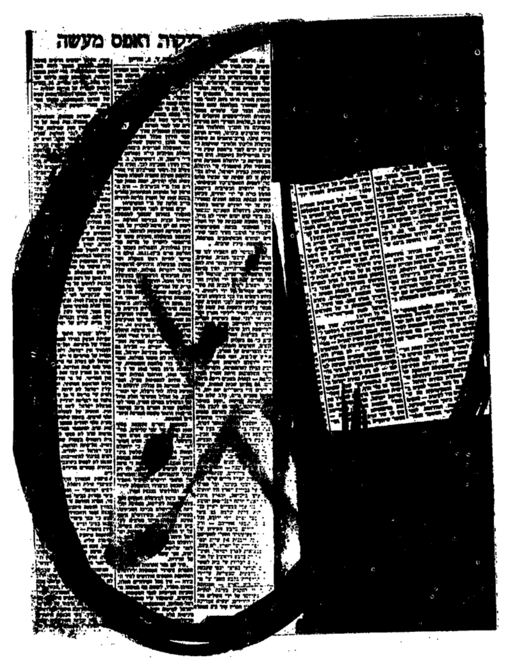
(Signed) Ribbentrop

To His Eminen[illegible]
the Grossmufti of [illegible]
Amin El Husseini.

Berlin, den 28. April 1942.

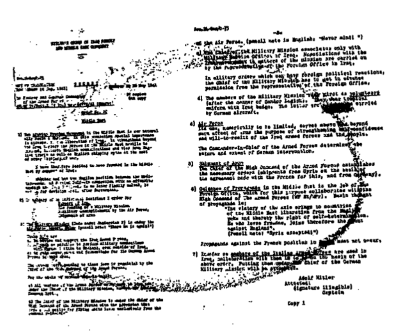
[illegible]

بعض الرسائل المتبادلة بين الحاج أمين الحسيني والقيادة الالمانية.



ואפס מעשה

قال بن غوريـون في أعقاب حـرب الخامس من حـزيران ١٩٦٧ إن اسـرائيل تـريد التـوسع كـما اتسعت امريكا من ١٣ ولاية الى ٥٠ ولاية.



of the Air Force. (pencil note in English: "Never mind! ")

3) The Chief of the Military Mission associates only with [illegible] of Iraq. Negotiations with the [illegible] in matters of the mission are carried on by the representative of the Foreign Office in Iraq.

In military orders which can have foreign political reactions, the Chief of the Military Mission has to get in advance permission from the representative of the Foreign Office.

4) The members of the Military Mission [illegible] first as volunteers (after the manner of Condor Legion). They wear tropical uniform with Iraq badges. The latter are [illegible] carried by German aircraft.

4) Air Force
Its use, numerically to be limited, serves above and beyond mere effect of arms the purpose of strengthening self-confidence and will-to-resist of the Iraq armed forces and the people.

The Commander-in-Chief of the Armed Forces determines the nature and extent of German intervention.

5) Shipment of Arms
The Chief of the High Command of the Armed Forces establishes the necessary orders (shipments from Syria on the basis of the agreement made with the French for this, and from Germany).

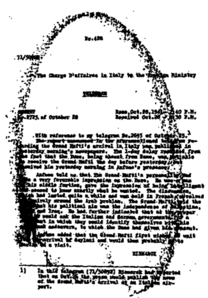
6) Guidance of Propaganda in the Middle East is the job of the Foreign Office, which for this purpose collaborates with the High Command of the Armed Forces (WF St/WPr). Basic thought of propaganda is:
"The victory of the axis brings to countries of the Middle East liberation from the English yoke and thereby the right of self-determination. He who loves freedom, joins therefore the front against England".
(Pencil note: "Syria excepted!")

Propaganda against the French position in [illegible] must not occur.

7) Insofar as members of the Italian Armed Forces are used in Iraq, collaboration with them is to [illegible] on the basis of the above order. Putting them under the Chief of the German Military Mission will be attempted.

Adolf Hitler
Attested:
(Signature illegible)
Captain

Copy 1



No. 428

71/50[illegible]

The Charge D'affaires in Italy to the Foreign Ministry

TELEGRAM

[illegible]
No. 2725 of October 28

Rome, Oct. 28, 1941 [illegible] P.M.
Received Oct. 28 [illegible] P.M.

With reference to my telegram No. 2695 of October 25.[1]

The report announced in the aforementioned telegram regarding the Grand Mufti's arrival in Italy was published in yesterday morning's newspapers. The 1-day delay resulted from the fact that the Duce, being absent from Rome, was unable to receive the Grand Mufti the day before yesterday, but received him yesterday morning in Anfuso's presence.

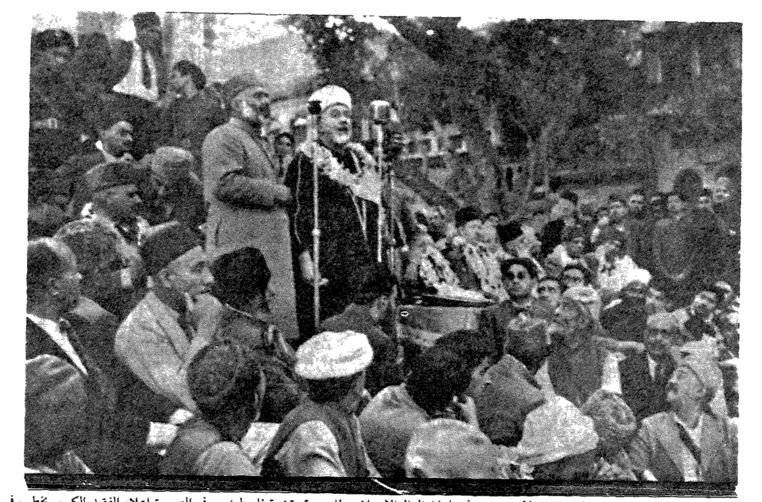
Anfuso told us that the Grand Mufti's personality had [illegible] a very favorable impression on the Duce. He [illegible] his middle forties, gave the impression of being intelligent [illegible] seemed to know exactly what he wanted. The discussion, which had lasted quite a while and was held in French, revolved [illegible] around the Arab problem. The Grand Mufti told the [illegible] that his political aim was the independence of Palestine, [illegible] and Iraq. He had further indicated that at the proper [illegible] would ask the Italian and German governments for a [illegible] in which they would identify themselves with this [illegible] endeavors, to which the Duce had given his consent.

Anfuso added that the Grand Mufti first wished to wait [illegible] arrival of Gaylani and would then probably go to [illegible] on a visit.

BISMARCK

1) In this telegram (71/50692) Bismarck had reported that on Oct. 25 the press would publish the news of the Grand Mufti's arrival at an Italian airport.

نصّ الأمر الذي أصدره هتلر الى قيادة الجيش الالماني بارسال الطائرات الالمانية لمساعدة العراق في حربه ضد الأنكليز عام ١٩٤١.



قام المغفور له السيد محمد امين الحسيني بجولات عديدة في بلدان العالم الاسلامي للتوعية بقضية فلسطين، وفي الصورة اعلاه الفقيد الكبير يخطب في اجتماع قبائل الباتان الاسلامية المشهورة بشجاعتها.



«البرناوي» مرافق المفتي الاسبق يلقي على جثمان الراحل نظرة الوداع الاخيرة.



في مقدمة موكب الوداع الشيخ صالح القزاز. الرئيس صائب سلام، صلاح أمين الحسيني نجل الفقيد والرئيس تقي الدين الصلح، واللواء الركن الجوي محمود عزام.



الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية في وداع الراحل.

الفهرس

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر

الفصل الثامن عشر

الفصل االتاسع عشر

فلسطين
و
الحاج أمين الحسيني

كان الغرض من أحاديثي في هذه الصفحات هو أن أتحدث عن قضية بلادي التي شغلتني منذ أن وعيت على هذه الدنيا وما زلت.. كنت أستعرض خلالها الأحداث التي وقعت في فلسطين والتي كنت على صلة مباشرة بها، وذلك حتى أمكن نفسي من التفكير في أمرها بوضوح. وكان الصديق الأستاذ زهير المارديني يشاركنا هذه الأحاديث فاقترح أن يسجلها.. وبدا لي في أول الأمر أن مهمته صعبة وشاقة، بسبب كثرة تنقلاتي بين المدن العربية واضطراري للسفر الدائم والتنقل حيث يعيش بنو قومي، ولكنه تمكن من تحقيقها معتمداً على دأبه، ومثابرته، وحرصه على أن يقدم للقارىء في هذه الظروف العصيبة صورة واعية لهذه القضية التي تحتل الآن مكان الصدارة في العالم.

محمد أمين الحسيني



للنشر والتوزيع والطباعة